



المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ فِي الْعِصْرِ الْعَبَسِيِّ الْأَوَّلِ

مَشْكَلَاتُهَا وَأَسْئَلَاتُهَا وَمَوَاجَهَاتُهَا

١٣٢٢ - ٢٢٢٢ هـ

بحث مقدم تنييل درجة الدكتوراه

تقديم الطالب

حسني بن أحمد مشاعل

إشراف

فضيلة الدكتور محمد اللهيبي يوسف الشافعي

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ فِي الْعَصْرِ لِعَبْدِ الْأَوَّلَى

مَشْكَلَاتُهَا وَأَسْئَلُهَا مَوَاجِهُتُهَا

١٣٢ - ٢٢٢ هـ

مَقَامَاتِنَا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين ، أحمده رضيّ الحمد له ، وأزكاه عنده ،
وأوجبه لبقائه نعمته وأدعاه للمزيد من فضله .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
وصفيه وخليته .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآل كل
وصحب كل أجمعين ، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .
أما بعد : فإن الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء والمرسلين
وسؤولية أتباعهم ، فهي من أشرف الوظائف وأثقل المسؤوليات .
ولا ريب أن الدعوة - في كل مراحلها - واجهت مشكلات وعقبات ، وقد
تجاوزها الدعاة واجتهدوا في إزالتها وحلّها ، ليبقى طريق الدعوة مفتوحاً
وعمل الدعاة مستمراً ومتواصلاً .

وكان للصحابة والتابعين مناهجهم الفريدة وأساليبهم المتميزة فسي
الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الحنيف . وفي التصدي لما يواجههم من
مشكلات ومعالجة ما يلقون من عقبات .

وورث رجال السلف طريقة السابقين ومنهجهم ، فواصلوا الدعوة وتابعوا
المسيرة ، وعالجوا المشكلات بما عالج به الصحابة والتابعون ، فكانوا متبعين
ولم يكونوا مبتدعين .

والدعوة إلى الله تعالى جزء من الأمانة التي حملها الإنسان ، وكما تكون
بالكلمة والقول الحسن فهي بالسلوك الإسلامي والتطبيق العملي لشرائع

الاسلام وأخلاقه وآدابه .

وبقدر أهمية هذا الدين وضرورته لكل مكلف تعظم أهمية الدعوة إليه

وتتأكد ضرورتها وحاجة المكلفين إليها .

ولأجل ذلك فقد اخترت الكتابة في موضوع الدعوة إلى الإسلام وجعلت

عنوان بحثي : " الدعوة إلى الله في العصر العباسي الاول "

مشكلاتها وأساليب مواجهتها

١٣٢ - ١٣٢ هـ

ولعل من الأسباب التي حطمتني على هذا الاختيار :

- * ضرورة الدعوة في كل زمان ومكان ، وأهميتها البالغة في حياة الإنسان .
- * وكون مناهج الصحابة والتابعين ورجال السلف هي المناهج الصحيحة والنافعة ، واتجاهاتهم في التصك بالسنن ، والاجتهاد في العبادة والتقليل من الدنيا هي الاتجاهات السليمة والمشروعة .
- * كما أن الأساليب التي اتبعوها - في وعظ العامة ، ونصح الخاصة ، ومقاومة الفرق المنحرفة ، والأفكار الباطلة ، وردّ البدع ، والتصدي للزندقة والإلحاد ، وتحميص علوم الأمم السابقة ، وبيان الغاسد منها - هي الأساليب الصحيحة التي ينبغي أن تُتبع .

ومعلوم أنّ صلاح آخر هذه الأمة لا يكون إلا بما صلح به أولها .

وكذلك فإن نجاح الدعوة في هذا الزمان وغيره لا يكون إلا بالسير خلف

الدعاة الصالحين من القرون الثلاثة المفضلة .

لأجل هذا فإن الحديث عن الدعوة في عصورها الأولى ليس ضرباً من

العبث أو التسلية ، وإنما هو تذكير وموعظة ، وتسليط لأضواء الماضي وأنواره

على طريق الحاضر وظلماته ، ليستفيد الحاضر الحائر من الماضي المشرق

الستبر ، فيأتي المستقبل المنشود الذي تقرّ به الأعين ، وتشرح به صدور

المؤمنين .

وأما عن تخصيص الحديث عن الدعوة في العصر العباسي الأول ، فلأن الحديث عن الدعوة في العصور السابقة قد نال قسطاً كبيراً من العناية ، ولأن الدعوة في العصر العباسي قد مرت بمراحل كثيرة ، تأسست فيها مدارسها ، ونمت معاهدها واتسعت فيها رقعتها ، فكثير من مشكلات الدعوة السابقة استمر الدعاة في معالجتها ومقاومتها ، وواصل رجال العصر العباسي الدعوة والمقاومة إضافة إلى المشكلات التي استجدت وحدثت في عصرهم ، فكان العصر يزخر بالدعاة ، ويفيض بالنشاط المتناسب مع سعة البلاد وكثرة العباد وتنوع المشكلات ولم أتناول العصر العباسي كله ، لطوله واستداده عبر مئات السنين ، ولما ينطوي عليه من مستجدات لا يتسع البحث لاستعراضها وشرح مواقف رجال السلف منها ، وعسى أن يوفق الله من يقوم بتناول الدعوة في العصر العباسي الثاني أو ما بقي من العصر العباسي، ويستعرض مشكلاتها والأساليب التي اتبعها السلف في مواجهتها .

وقد قسّمت الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة ، تكلمت في المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وها أنذا أفصّل فيها خطة سير البحث وأبرز النقاط فيه .

وحددت في التمهيد بعض المصطلحات التي قد تعرض في البحث مثل :
الدعوة ، والاتجاه ، والمذهب .

وأما الباب الأول فعنوانه : " المدارس الدعوية وخصائصها " وفيه ثلاثة فصول : - الفصل الأول : " نشأة المدارس "

وتحدثت فيه عن كيفية تأسيس المدارس الدعوية ، وذلك بخروج الصحابة إلى البلاد المفتوحة والقيام بدعوة أهلها إلى الإسلام وتطبيق آدابه وأحكامه ، ثم قيام تلاميذهم من بعدهم بعبء الدعوة وواجب التعليم .

- والفصل الثاني : " اتجاهات المدارس وخصائصها "

وشرحت فيه مواقف السلف من حيث تسكهم بالأثر وحرصهم على السنة ،
وتناولت تلك المواقف بالتحليل والتوضيح .
وعرّجت على موقف رجال المدارس من الرأي ، وذكرت الصلة بين الآخذين
به والأثر ، ومدى حرصهم على مواقف النص ، والمواطن التي يلجأون فيها إلى
الرأي .

ثم ذكرت اجتهاد القوم في عبادة الله تعالى ، وكيف كان لاتجاه العبادة
أهمية بالغة ونصيب كبير في حياة سلفنا الصالح ، يستمعون بذلك على مصالح
الدنيا والآخرة ، وتعرضت للجانب الشعوري والإيماني المتمثل في الخسوف
والرجاء والحب لله تعالى ، ثم تحدثت عن اتجاه الزهد الذي كان معروفاً
منذ العصور الأولى ، وأسباب قوته ووضوحه ، وذكرت حقيقته في نظر رجال السلف
وأهميته في حياة الدعوة وفيهم ، وأنواعه التي يمكن أن يشملها ويتناولها .
كما تناولت بالشرح زهد الدعوة في الولايات والمناصب ، ورغبتهم في العيش
أحراراً لا منة لأحد عليهم ، ليتمكنوا من الدعوة وقول الحق والنصح لكل الناس
دون خوف أو طمع أو مداهنة .

وكان الفصل الثالث بعنوان : " جهود المدارس الدعوية "

وقد استعرضت فيه نشاط الدعوة ومواقف رجال السلف التي تتعلق بالدعوة
إلى الله تعالى وتتمثل في نصح الخلفاء والولاة ووعظ الناس كافة .

وأبرز المواضيع والأفكار التي تناولها نصحهم ووعظهم .

وختمت هذا الباب بكلمة مجلطة تحدثت فيها عن أهم المناهج والأساليب

التي سلكها الدعوة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الحنيف .

وأما عن صلة هذا الباب بعنوان البحث فهي صلة قوية ومتينة ، لأنه الشق

الأول له ، وأما الشق الثاني فيتناوله الباب الثاني والثالث ، علماً بأنني لم أتعرض

في الباب الأول لشيء من مواقف الدعوة تجاه المشكلات التي تتعلق بالفرق أو

بالبدع والزندقة ، بل تركت كل ذلك لأتأوله في مكانه المخصص له وهو
البابان الأخيران .

وقد جعلت عنوان الباب الثاني : " موقف الدعوة من الفرق "

وقسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : " مجابهة دعاة الأمة للتشيع الذهبي "

ذكرت في بدايته نبذة مجلطة عن الشيعة ، وأهم فرقها وأفكارها ليعرف
القارئ شيئاً عن هذه المشكلة وما تولد منها من مشكلات أخرى ، ثم يرى كيف
جابه دعاة الأمة تلك المشكلات التي اعترضت سبيلهم .

والفصل الثاني : " مقاومة الدعوة للخوارج "

أشرت فيه إلى أصل الخوارج وأبرز أفكارهم ثم شرحت فيه بالتفصيل مقاومة
رجال السلف لمشكلات الخوارج جملة وتفصيلاً . ثم عرّجت على جهود الخلفاء
والولاة في القضاء على الثائرين والخارجين الذين يربدون تغريق الكلمة وتزويق
الصف .

والفصل الثالث : " الدعوة والاعتزال "

وتحدثت فيه عن مشكلة الاعتزال وما نجم عنها من مشكلات أخرى تتصل
بالمعقبة والأحكام ، وفي كل ذلك أتناول مواقف رجال المدارس وأنقل كلامهم
حول تلك القضايا والمشكلات ، ومن ذلك : مشكلة القدر ، وإنكار الصفات ،
ومشكلة الكلام وخلق القرآن ، وسألة الرومية ، ومشكلة مرتكب الكبيرة .

وأما الباب الثالث والأخير فمعنونه : " الدعوة في مجابهة الثقافات والتيارات

المتعددة " وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : " وجهة الدعوة في مقاومة البدع "

وتكلمت فيه عن البدعة ومعناها وموقف رجال السلف منها من حيث نُسبها
والتحذير من أصحابها بشكل عام ، ثم من حيث ردّهم للبدع التي ظهرت في ذلك
العصر ، وحرصهم على دعوة الناس إلى السنة والتمسك بها ونهذ ماسواها من

البدع المحدثة التي تخالف الكتاب والسنة وعمل الصحابة المحني عليهما .
والفصل الثاني : " التصدي لأفكار الملاحدة والزندقة " .
وذكرت فيه معنى الزندقة والإلحاد وأشهر رجاله وأفكارهم . وجهود
الدعاة في التصدي لذلك ، وكذلك جهود الخلفاء في تتبع هؤلاء الضالسين
والحاقدين والقضاة عليهم .

والفصل الثالث : " موقف الدعوة من العلوم الفلسفية " .
تحدثت فيه عن أصل الفلسفة وكيفية ورودها على المسلمين وأسباب ذلك
ثم عن موقف رجال السلف من هذه المشكلة ، وما ورد عنهم من ذم وتحذير بشأنها
ولما كان علم الكلام ورجاله متأثرين بالفلسفة والمنطق اليونانيين . فقد أدرجت
علم الكلام في هذا الفصل ، مع العلم بأن معظم الفلاسفة في الإسلام - وإن لم
جمعهم - على علم تام بالكلام ومذاهبه ، وذلك من الأسباب التي دعتهم إلى
دراسة الفلسفة والتخصص في علومها . وذكرت حقيقة الكلام الذي ذمّه علماء
السلف ، والذي كان معروفاً في عصرهم ومقروناً بكثير من البدع والضلالات كالقول
بالقدر ، وخلق القرآن ، وتعطيل الصفات ، وتأويل النصوص وغير ذلك .
وأشرت في " الخاتمة " إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال
البحث .

وأما عن منهج البحث وطريقة كتابته فهي كما يلي :
- اعتمدت في جمع معلوماته على المصادر القديمة المعتمدة دون إهمال للكتابات
المعاصرة حيث لا تخلو من إشارات مفيدة ودلالات قيمة . وأما المصادر
التاريخية التي عرف أصحابها بشي* من الميل عن طريق السنة والجماعة ،
فلم أعتد عليها وحدها في مسألة من المسائل ،
ونقلني من تلك المصادر على قسمين :
نقل بالنص وكنت أضعه بين قوسين تمييزاً له عن غيره ، وذلك في حالة عدم
التصرف في النص .

وأما عند التصرف فيه بتهديل الألفاظ واستخلاص الفكرة فكنت أشير في نهايتها إلى المرجع أو المصادر التي وردت الفكرة فيها .
وإذا كان للفكرة أكثر من مصدر فكنت أحاول غالباً ترتيب المصادر حسب التسلسل الزمني ، إلا إذا كانت الفكرة منصوصاً عليها بوضوح في بعض الكتب المتأخرة ومشاراً إليهما في كتب متقدمة ، فكنت أقدم المصدر الذي صرح بذكرها على غيره غالباً .

- تقييدات بالعصر الذي أكتب عنه ، وعولت على رجال السلف الذين كانوا فيه ، وبحثت عن جهودهم ومواقفهم وآرائهم حول كل مسألة محاولاً تحليلها وتوضيح الاتجاهات والمذاهب المستخلصة منها . وهذا لا يعني أن البحث خلا من ذكر رجال سبقوا عصره ، فقد كنت أشير أحياناً إلى أصل المدرسة وشيوخها وجهودهم في الدعوة ، ربطاً لرجال العصر بشيوخهم وبياناً للجهود المتواصلة في الدعوة إلى الإسلام ، ومقاومة الأفكار الشاذة والاتجاهات المنحرفة ، وقد رأيت ضرورة ذلك ، لكيلا يُظنَّ أن القضية والمشكلة التي أتحدث عنها وليدة العصر العباسي ، أو لم يردَّ عن الصحابة والتابعين شيء فيها ، فكنت أذكر أقوالهم ومواقفهم من تلك المشكلات .

- وبلغت المشكلات التي ذكرتها في البحث أكثر من ثلاثين مشكلة ، بيّنت أصلها وحقيقتها ومواجهة العلماء لها .

- وحرصت على توضيح كل مشكلة بليّجاز لا يخرج عن الموضوع ، مع الإشارة إلى أصحابها ، وذلك قبل استعراض مواقف العلماء منها . ثم إنني نهجت في ذكر رويد العلماء منهجاً علمياً بعيداً عن العاطفة والحماسة والخيال .

- وكنت أرجع في المسألة الواحدة إلى عدة مصادر - إن وُجد - تأكيداً لها ، ودلالة على ثبوتها ، وأسجل في الهامش تلك المصادر التي تعرضت للمسألة من قريب أو بعيد .

- واهتمت بوضع العناوين الفرعية داخل كل فصل ، تمييزاً للأفكار عن بعضها وتسهيلاً للرجوع إليها ومعرفة محتويات كل فصل وسباب .
- كما قمت بإظهار نصوص الكتاب والسنة عن غيرها بوضع هلالين أو قوسين صغيرين في بداية النص ، وفي نهايته مثل ذلك . وعزوت الآيات إلى سورها مع ذكر رقم كل آية ، وخرّجت الأحاديث من مصادرها ، وحرصت على تشكيل النصوص والكلمات الغربية إعانة على النطق السليم والقراءة الصحيحة .
- وترجمت الأعلام الواردة في البحث إلا قليلاً ، كأسماء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم - وأسماؤ الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، وبعض الذين لم أقع لهم على ترجمة .
- ثم عملت فهرساً للمصادر والمراجع القديمة والحديثة ورتبته على حروف الهجاء وتلاه فهرس الموضوعات وقد ذكرت فيه جميع العناوين الأصلية والفرعية ليسهل على القارئ الرجوع إلى أية فكرة أو مسألة وردت في البحث .
- هذا وقد بذلت قصارى جهدى في جميع مراحل البحث ، لكي يخرج هذا العمل على الوجه المطلوب ، ويكون متقناً ، ويفوز كاتبه بالقبول من الله عز وجل ثم من عباده الصالحين . هذا ما أرجوه من الله تبارك وتعالى . وأن ينفعني به وينفع سائر المسلمين .
- فإنَّ حقَّ الله ذلك فهو محض فضل ورحمة ، وهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة .

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا
وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . سورة البقرة - ٢٨٦

وعملًا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (١)

١ - (البخارى - الأدب المفرد ص ٣٤ - باب من لم يشكر الناس - عن أبي هريرة) ط بيروت .

واعترافاً بالجميل فإنني أتقدم بالشكر للقائمين على التعليم فسي
السلطة ولجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومديرها معالي الدكتور
عبد الله عبد المحسن التركي ، ولكلية الدعوة والإعلام وعميدها الدكتور سعود
محمد البشر . أشكرهم جميعاً على إتاحة الفرصة لي بمتابعة الدراسات
العلية ، وأسأل الله أن يوفقهم لما يحب ويرضى .

وكما أقدم شكرى إلى أستاذي المشرف على الرسالة الدكتور عبد الله
يوسف الشاذلي ، على الجهود المتواصلة والعناية الفائقة ومتابعة الإشراف على
الرغم من سفره بعد عطله الدؤوب في الجامعة ، وكثرة مشاغله في مصر ،
فقد كان يستقبل ما يصله من أبواب الرسالة وفصولها ويتابع كل ذلك مع
تسجيل ملاحظاته وتصويباته ، وكم كان حريصاً على أن يحقق أمنيته في إخراج
الرسالة على خير ما يرام فجزاه الله خيراً وأجزله له المشوية .

ولأنسى أن أشكر كل من أفادني بفكرة أو ملاحظة أو مرجع من الأساتذة
والزملاء ، وعلى الله على سيدنا ونبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
كثيراً ، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأ .

تَهَيِّئْكَ

يَدَيْكَ بِمِصْطَلَحِ التَّحْتِ

(دَعْوَةُ الْإِنْبِيَاءِ، مَا زُهَبَ،)

(التمهيد)

- تحديد مصطلحات البحث : دعوة ، اتجاه ، مذهب .

أولا : (دعوة) تطلق هذه الكلمة ويراد بها في اللغة عدة معان ومنها :
الرضا إلى الله تعالى . والفعل : دعا ومصدره الدعاء والدعوى ، والدعاة :
قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة . واحد هم : داع ، ورجل داعية
إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين . والهاء فيه للمبالغة ، والنسبي
صلى الله عليه وسلم داع الله تعالى ، وكذلك المؤمن ^(١) .

وأما معناها في الإصطلاح : فقد كثرت تعريفات العلماء لها ، فكان
منها العام غير المحدد ، ومنها الخاص الذي يجعلها قاصرة على فئة
معينة من الناس ، أو أفكار محددة ، ومن تلك التعريفات : (الدعوة
برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليصلوا
الغاية من حياتهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين) ^(٢) .
وعرفها البعض بقوله : " هي صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة
تفيدهم أوصلحة تنفعهم) ^(٣) .

فالتعريف الأول عام وغير محدد ، والثاني قاصر لا يشمل جميع وظائف
الدعوة، ويمكن أن نختار للدعوة تعريفاً يجمع أركانها الأربعة ، وهي : الداعية
والمدعو ، ومادة الدعوة ، والوسائل الموصلة لها فنقول :
الدعوة : (هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه من المسلمين بتزويج

١ - انظر : (القاموس المحيط - مادة (الدعاء) (٣٢٧/٤)

(ولسان العرب - مادة (دعا) (٢٥٩/١٤)

٢ - (محمد الغزالي - مع الله - دراسات في الدعوة والدعاة - ص ١٧ - مطبعة
حسان - القاهرة - المكتبة الإسلامية) .

٣ - (آدم عبد الله الألوخي - تاريخ الدعوة إلى الله بين الأسس واليوم - ص ١٧
ط ٢ - ١٣٩٩ هـ - دار التراث العربي .

الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً ، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة^(١) .

فقولنا : قيام من لديه أهلية النصح والتوجيه من المسلمين : بيان
للداعية المسلم والشروط التي ينبغي أن تتوفر فيه ، وأولها الإسلام ثم
أهلية النصح .

وقولنا : بترغيب الناس : بيان للدعويين ، فهم جميع الناس على
اختلاف طبقاتهم وأديانهم ، لأن الدعوة الإسلامية إما أن تتوجه إلى غير
المسلمين فتكشف لهم عن محاسن هذا الدين واستقامة عقيدته وعسدل
أحكامه ، وإما أن تتوجه إلى المنضويين تحت لواء الإسلام والمعتنقين له ،
بهدف الأخذ بأيديهم وتهذيبهم شئون دينهم ونياهم حتى يعطوا بمقتضى
العبادة التي آمنوا بها ، ويسيروا على المنهاج الذي اختاروه في العقيدة
والعبادة والسلوك والأخلاق والمعاملات .

وقولنا : .. في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً .. بيان لمادة الدعوة ،
وتحديد لجوهرها لأن الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة .

وقولنا : بطرق مخصوصة : بيان لكيفية الدعوة ، وما تشتمل عليه من
أساليب ووسائل . سواء بالكلمة أو بالقراءة أو بغير ذلك^(٢) .

فالدعوة إلى الله تعالى هي هداية الناس إلى ربهم، ونقلهم من الظلمات
إلى النور وهي لسان الإسلام المتحدث عنه والمبلّغ له بين الناس .
ولا أريد أن أطيل الحديث حول الدعوة وأركانها وشروطها وأهميتها
فقد كتبت الكتب الكثيرة حول هذا المعنى .

والذي أريد قوله هو أن الدعوة إلى الله تعالى ، والتي يشتمل عليها

١ - انظر (د . أبا المجد السيد نوفل - الدعوة إلى الله تعالى . خصائصها مقوماتها
منهجها ص ١٨ - ط ١ - ١٣٩٧ هـ - مطبعة الحضارة العربية - الفجالة - مصر .
٢ - (د . محمد إبراهيم الجبوشي - مسار الدعوة في العهد المكي ص ٧) مطبعة
حسان - مصر) (والسيد نوفل - الدعوة إلى الله ص ١٨) .

عنوان هذا البحث هي جهود العلماء ورجال السلف في دعوة الناس جميعاً إلى الإسلام وإلى تطبيق أحكامه وشرائعه ، وهي موجهة للعامة والخاصة للراعي والرعية ، ثم إنها تضم المواجهة الحكيمة والمقاومة المتواصلة لأفكار الفرق المنحرفة وضلالات أهل الابتداع والزندقة .

فكما أن الدعوة نصح وتوجيه فهي كذلك عمل ووهوب لإنقاذ الناس من ضلال الأهواء وفساد الآراء .

ولاشك أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما مصدر الدعوة ومادتها الخصبة ، منها أدلتها وبراهينها وأحكامها .

وإذا كان الإسلام ديناً عالمياً ، فالناس جميعاً مطالبون باعتناق والإيمان به ، ووسيلة ذلك الدعوة إلى الله تعالى ، ولذلك فإن الدعوة أمر واجب على كل مسلم - كل على حسب علمه وإمكاناته - ولقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ . . ." (١) .

وتكليف النبي صلى الله عليه وسلم تكليف لأمته ، فهو القدوة والأسوة للمؤمنين جميعاً ، وقد أمره الله تعالى أيضاً بأن يحفز أمته على الدعوة ويبين لهم طريقها فقال : " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي " (٢) .

فالتقيام بالدعوة استجابة لأمر الله تعالى ، والإعراض عنها إعراض عن أوامره عز وجل .

وسوف نجد في هذا البحث قيام رجال السلف بالدعوة إلى الله عز وجل في كل مجالاتها وقيامهم بالدعوة إلى الإسلام والإيمان وأركانها من الإيمان

١ - آية رقم (٦٧) من سورة (المائدة) .

٢ - آية رقم (١٠٨) من سورة (يوسف) .

بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .
وكذلك بالاجتهاد في العبادة والدعوة بالكلمة والقذوة إلى الصليحة
والصدقة والصوم والحج .

ثم الدعوة إلى أن يعبد العبد ربه وكأنه يراه ، وهذا هو الدين كله
إسلام وإيمان وإحسان^(١) .

وقد سلك العلماء في أمر الدعوة أساليب متعددة :
وذلك أن صنفاً منهم اهتم بجانب الوعظ والنصيحة والتوجيه للناس كافة
وقاموا بحماية المسلمين من التأثير بما يدور في المجتمع ، وكان وعظهم مفعماً
بالروح الدينية الصحيحة المنبثقة من الكتاب والسنة .

وقام فريق من العلماء بتعميد المسائل الأصولية أو الفرعية بما يتطابق
مع المنهج السني القائم على القرآن والحديث والسنة .

واجتهد صنف من العلماء في نشر مذهب السلف ، والدعوة إلى الآثار
والسنن ومجابة ما يدور في المجتمع من أفكار وتيارات ، وتنوعت أساليبهم
وتعددت وسائلهم في هذا الشأن فوعظوا ونصحو ، وكتبوا وصنفوا وناظروا
وجادلوا ، وسوف نعرض لذلك في أبواب الرسالة الثلاثة محاولين تجلية
مواقف السلف ودعوتهم لكي يستفيد الدعاة منها ويقتبسوا من هديها ،
ويستضيئوا بنورها ، ففيها الهدى والرشاد .

ثانياً : (اتجاه) كتر استعمال هذه الكلمة في التعبير عن وجهة دماء وإننا
نظرنا في الأصل اللغوي لها وجدنا أن الأصل هو الوجه ، والوجه معروف ،
ومنه قوله تعالى : " فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً " ^(٢) " ووجه كل شيء " استقباله ،
والوجه والجهة بمعنى ، والهاء عوض عن الواو ، ومعناها : الموضع الذي

١ - (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ١٥ / ١٥٢) .

٢ - آية رقم (٣٠) من سورة (الروم) .

تتوجه إليه وتقصد . ومنه : التجاه ، ومعناه الوجه الذي تقصد .

وكذلك يقال : قعدت تجاهك وتجاهك أى : تلقاك .

والوجه والتجاه بمعنى (1) .

وأما المعنى الإصطلاحى فهو : (سلوك الدعاة من الأئمة وجهات معينة تخدم الدعوة ، ولا تخرج عن طريق الصحابة والتابعين ، بحيث تكون تلك الوجهات سارات للدعوة يعود نفعها على الدعاة والمدعويين) .
فقولنا : سلوك الدعاة من الأئمة : بيان للعلماء الذين يسرون على

هدى ومصيرة ويسلكون سارات الدعوة التي يعود خيرها على المجتمع .

وقولنا : وجهات معينة : يقصد بها اتجاهات الدعوة والدعاة السني تظهر فى حياتهم العلمية والعملية كالتمسك بالأثر ، والأخذ بالرأى عند الضرورة ، والاجتهاد فى العبادة والطاعة ، والتقلل من الدنيا بالزهد وقصر الأمل .

وقولنا : تخدم الدعوة : توضيح للمقصود من تلك الاتجاهات حيث تقوم على خدمة الفقه والفكر وتقوى الصلة بالله تعالى ، وتدفع الى العمل للأخرة .

وقولنا : لا تخرج عن طريق الصحابة والتابعين : بيان للاتجاهات الصحيحة المشروعة البعيدة عن البدعة .

وقولنا : بحيث تكون تلك الوجهات سارات للدعوة يعود نفعها على

الدعاة والمدعويين ، توضيح لحقيقة الاتجاهات وفائدتها .

١ - انظر : (الجوهري - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/٢٢٥٤) مادة (وجه)

(وابن فارس - معجم مقاييس اللغة ٦/٨٨ - مادة (وجه))

(وابن منظور - لسان العرب - ١٣/٥٥٥ - مادة (وجه))

(والفيروز ابادى - القاموس المحيد - ٤/٢٩٥ - مادة (الوجه))

(والزبيدي - تاج العروس - ٩/٤١٨ - مادة (الوجه))

(والمعجم الوسيط - د . ابراهيم أنس وآخرون - ١/٣١٦ - مادة (وجه))

وهذا التعريف خاص باتجاهات الدعوة إلى الله وساراتها وهو لاشك
أخص من المعنى اللغوي ، لان المعنى اللغوي يدل على أى جانب أو
ناحية أو موضع يتوجه إليه شخص " ما " ويقصده .

ولعمل الصلة بين المعنى اللغوي والإصطلاحى تظهر في اتفاقهما على
أن الوجهة والاتجاه هما الناحية أو الموضع الذى يتجه إليه الشخص ويسير
قاصداً الوصول إلى هدفه .

وأما عن ورود كلمة " اتجاه " في البحث فقد وردت في الباب الأول
على المعنى نفسه الذى تقدم آنفاً ، وهو بيان اتجاهات الدعوة ورجال
المدارس والسمات التي ساروا فيها .

وتعرضت لعدد من الاتجاهات التي ظهرت في حياة رجال السلف
كاتجاه التسك بالآثار والسنن والبعد عن الأمور المستحدثة والسائل
المبتدعة . والأخذ بالرأى، ومتى بلجأون إليه ، ميان المدرسة التي
أكثر منه وعرف رجالها به .

واتجاه الاجتهاد في العبادة والإكثار منها ، وأنه تطبيق على للإسلام
ودعوة بالقدوة والأسوة ربما تؤثر أكثر من الكلمة بالدلالة على صدق صاحبها
وانقياده لما يدعو إليه .

ثم اتجاه الزهد القولي والعلمي والمتمثل في قصر الأمل وارتقاب الموت
دون أن يؤثر على القيام بالحقوق ، وعامرة الأرض ، أو يدفع إلى العزلة .

ثالثاً : (مذهب) وأصلها في اللغة : ذهب يذهب ذهاباً بالفتوح
وذُهباً بالضم ومذهباً ، والمذهب هو الطريق ، يقال : ضاقت عليه مذاهبه
أى : طرقه . وفلان حسن المذهب أو قبيح المذهب أى : الطريقة . ويطلق
المذهب أيضاً على المعتقد الذى يذهب إليه ، كما يطلق على الطريقة ،
وعلى الاصل . كقولنا : ذهب فلان مذهباً حسناً أى : طريقة حسنة .

وفلان لا يدري له مذهب أى أصل (١) .

وعرفه بعض العلماء بأنه : (مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية

ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة منسقة) (٢) .

لكن هذا التعريف - كما يبدو - غير شامل لجميع المذاهب، كالمذاهب

الفقهية المعتمدة على النصوص الشرعية والاجتهاد فيها .

ويمكن أن يقال في تعريفه : (قيام بعض العلماء بالاجتهاد في علوم

الدين أو غيرها فتتكون لديه طريقة واضحة قائمة على قواعد دينية ونصوص

شرعية أو ضوابط عقلية ومنطقية يرتبط بعضها ببعض بحيث تصبح وحدة

منسقة تدل على طريقة معينة) .

ولعل هذا التعريف يشمل المذاهب الفقهية المعتمدة والمذاهب

الكلامية والفلسفية وغيرها من المذاهب النحوية واللغوية والبلاغية .

والعلاقة بين المعنى اللغوي والإصطلاحي أنهما يدلان على الطريقة

التي يسير عليها شخص (ما) ، وقد يكون المذهب حسناً مقبولاً وذلك

باعتداده على نصوص صحيحة صريحة وموافقته لما كان عليه السلف الصالح

من الاتباع وعدم الابتداع .

وقد يكون قبيحاً مردوداً إذا شذَّ صاحبه عن السنة وخالف الجماعة

وابتدع في الدين وأحدث فيه ما ليس منه .

١ - (انظر : (ابن دريد - جمهرة اللغة ١/ ٢٥٣ - مادة (مذهب))

(الجوهري - الصحاح ١/ ١٣٠ - مادة (مذهب)) .

(وابن فارس - معجم مقاييس اللغة - ٢/ ٣٦٢ - مادة (مذهب)) .

(وابن منظور - لسان العرب - ١/ ٣٩٣ - مادة (مذهب)) .

(وأحمد بن محمد الفيومي - المصباح المنير ١/ ٢٨٧ - مادة (مذهب)) .

(والفيروزآبادي - القاموس المحيط - ١/ ٦٩ - مادة (مذهب))

(وتاج العروس ١/ ٢٥٧ - مادة (مذهب)) .

٢ - (د . ابراهيم أنيس وزملاؤه - المعجم الوسيط ١/ ٣١٦ - مادة مذهب)

وقد تعرضت في البحث للحسن والقبیح من المذاهب حيث بينت المذاهب المنحرفة التي تبناها أصحاب الفرق ، وكيف أصبحت من جملة المشكلات والعقبات التي واجهها الدعوة .

كما بينت مذهب السلف الصالح أو طريقة أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة خل فيها رجال المذاهب الأخرى من أهل الكسلاّم والاعتزال أو التشيع والخروج على الجماعة .

فكل مذهب يقوم على الكتاب والسنة ، ولا يخالف السلف الصالح فهو حسن، وأما ما خالف نصوص الكتاب والسنة ، وشذّ عن مذهب السلف ومنهجهم فهو قبيح مردود على صاحبه ، سواء أكان المذهب اعتقادياً أم فقهياً أم فكرياً .

وما ضلّ مَنْ ضلّ من المتقدمين والمتأخرين إلا لاعتماد على غير ما اعتمد عليه أهل الحقّ ، وإهماله الوحي وما ينزل به من العلم، وتقديم نتائج العقول القاصرة على علوم الوحي الثابتة .

ومخالفة الجماعة المعصومة التي لا تجتمع على ضلالة ، وتخطئتهم وتكفيرهم ، وهذا هو سبب ضلالهم وقبح مذهبهم - أعاننا الله من ذلك - .

النَّبَأُ الْأَوَّلُ

الْمَلَأُ الرَّسْمُ لِلْعَوِيَّةِ وَخَصَّائِهَا

الفصل الأول

نشأة الملايين

الباب الأول : (المدارس الذهبية وخصائصها)
=====

الفصل الأول :
_____ (نشأة المدارس)
=====

اقتضت حكمة الخالق جل و علا أن لا يُعذب أمة حتى يرسل اليها رسولا
ي بشرها وينذرها ويعلمها ويذكها ، ومن - سبحانه وتعالى - آخر الأمم
بختام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - فبلغ وأدى ، ونصح
وجاهد ، فجزاه الله عن أمته ما هو أهله .

ونهب أصحابه - رضى الله عنهم - من بعده بأمر الدعوة ، فكانوا خير
أمة أخرجت للناس فأخرجوا الناس - بإذن ربهم - من ظلمات الكفر إلى نور
الإيمان ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن عبادة العباد ، إلى
عبادة الله وحده .

وانتشر الصحابة بعد الفتح في تلك البلاد ، وصاروا أساتذة الدنيا ،
وسادة الناس ، والتف حول كل صحابي جماعة ليتفقروا في دين الله ، فحفظوا
ضوءه ، وحفظوا فتاواه .

وصفت الساجد بهيود العلم ، وحلمة الدين ، حتى أصبحت مدارس كبرى ،
تخرج الأئمة ، وتعلم الناس ، واصطبغت كل مدرسة بعلم شيخها وفقهها
ودعوتها ، وكلها تلقى على مائدة الكتاب والسنة ، فمنها ينهلون ، ومنها
يعدون ، وعلى هذه العادة ترى الصحابة الكرام وروا تلاميذهم ، وتوالست
الأجيال المباركة ، واستمرت المدارس في جميع الأعمار تقوم بدورها
وتؤدي واجبها خير أداء .

وسوف أتناول في هذا الباب : نشأة المدارس الذهبية واتجاهاتها
وخصائصها ، والجهود الذهبية لعلماء السلف .

وطبقاً لعنوان الرسالة فإنَّ العدة المحددة لموضوع البحث هي :
« العصر العباسي الأول » .

وأما المكان الذي يشمله البحث فهو أهم المدن الإسلامية التي نشأت
فيها المدارس في ذلك العصر .

وانما نركز على تلك المدارس لعدة اعتبارات :

الأول : أن هذه المدارس كوّنت أجيالاً من الدارسين والدعاة ، انضموا
إليها وتخرجوا منها ، ثم قاموا بأعمال الدعوة وتكاليها .

الثاني : أن الدعوة إلى الله ليست جهود أفراد متناثرين ، وأشخاص متناثرين
هنا وهناك وإنما هي تغاير مدارس مجتمعة ، ونتائج جهود
مشتركة ، لها نظمها واتجاهاتها وخصائصها .

الثالث : أن تلك المدارس كان لها منهجها المتميز ، وطريقتها الواضحة
في الاهتمام بتربية الفرد ، والمجتمع ، وربطه بما كان عليه
سلفه الصالح ، عقيدة وخلقاً وطناً وصلاً .

الرابع : أن المدارس الدعوية لم يقف نشاطها عند العامة ، بل كان لها
الأثر الكبير والمواقف الثابتة في توجيه الخلفاء ، وتذكيرهم
بالله عز وجل .

وسوف أقدم تعرفاً موجزاً بكل مدرسة .

أولا : (مدرسة الحجاز)
مستند

نشأتها ورجالها :

تتكون هذه المدرسة من جناحين اثنين هما :
المدينة ومكة ، ومن المعلوم أن المدينة هي نواة المدارس وأصلها ، ومركز
الإشعاع الأول الذي تفرقت منه سائر المراكز الأخرى في جميع الأنحاء
الإسلامية .

وهذا لا يخفى من قدر مدرسة مكة التي كانت مستقر الدعوة الأولى ، ومهبط
الوحي الذي أرسى قواعد التوحيد ، وأركان الإيمان .

وأجد من المناسب أفراد كل من مكة والمدينة بحدوث مستقل يبين نشأة
المدرسة ورجالها البارزين .

فالمدرسة وإن اتقت - في مكة والمدينة - من حيث الأسس والأهداف ،
إلا أن كل واحدة منهما قد اشتهرت بجانب من جوانب العلم والدين .

فمدرسة المدينة اشتهر رجالها بالحديث والفقه ، فعرف - مثلا - في حقبة
بحثنا فقهاء المدينة السبعة^(١) الذين كانوا مرجع الناس في أمور الدين ، ثم
صرف الزهري^(٢) فكان محدثاً وفقهياً ، ثم مالك بن أنس^(٣) كذلك .

(١) وهم : سعيد بن المسيب (ت ٩٢ هـ) ، وعروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ) ،
وعبيد الله بن عبد الله بن ضبة بن مسعود (ت ٩٤ هـ) ، وسليمان بن
يسار (ت ١٠٠ هـ) ، وخارجة بن زيد بن ثابت (ت ١٠٠ هـ) ،
والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٦ هـ) وسالم بن عبد الله بن
سمر بن الخطاب (ت ١٠٦ هـ) . انظر (ابن القيم - اعلام الموقعين ١ / ١٢٢)
و (ابن عساکر - تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٦ / ٥٢)

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب . . . الزهري المدني ،
ولد سنة خمسين ، ووفد سنة ثمانين على الخليفة عبد الملك فأجيب بعلمه
ووصله وقضى دينه ، توفي سنة أربع وعشرين ومائة هجرية (الذهبي - تذكرة الحفاظ
٤٠٧ / ١) (السهرولي - طبقات الحفاظ - ٤٢)

(٣) مالك بن أنس بن مالك بن أبي طامر الحافظ الفقيه الأصمعي المدني إمام دار
الهدى ، قال عنه الشافعي : (إذا ذكر العلماء فمالك النجم) ولد سنة .

بينما اشتهرت مدرسة مكة بالتفسير وطوم القرآن ، ومصدر ذلك عهد اللـه
ابن عباس - رضى الله عنهما - وتلاميذه ، أمثال مجاهد^(١) وطائفة^(٢) وغيرهما .

وعند حديثي عن المدارس ورجالها في العصر العباسي فقد أتعرف لذكور
رجال سبقوا عصر البحث لأشهر إلى أصل المدرسة وبداية نشأتها .

أشهر رجال المدرسة :

ومن أشهر طلبة المدينة بحد الخلفاء الراشدين :

زيد بن ثابت^(٣) ، وعبد الله بن عباس^(٤) قبل تحولهما إلى مكة ،

= ثلاث وخمسين ، ومات سنة تسع وسبعين ومائة (الذهبي - تذكرة الحفاظ
١ / ٩٢) ، و (السيوطي - طبقات الحفاظ ص ٣٥) .

(١) مجاهد بن جبر : أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي المقرئ المفسر الحافظ
عرض القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما مرات كثيرة ، مات سنة ثلاث ومائة ،
وماش ثلاثا وثمانين سنة . انظر : (الذهبي - تذكرة الحفاظ ١ / ٩٢) ،
و (السيوطي - طبقات الحفاظ ص ٣٥) .

(٢) عطاء بن أبي رباح أبو محمد بن أسلم القرشي مولاهم المكي ، ولد في خلافة
عمر رضي الله عنه ، وكان مفتي أهل مكة ومحدثهم ، ولما قدم ابن عمر مكسبة
وسأله الناس في مسائل الفقه قال : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء ! ،
مات في رمضان سنة أربع عشرة ومائة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٩٨) و (طبقات الحفاظ ص ٣٩) .

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي البخاري الفرضي المقرئ كاتب
الوحي ، وكان عمر رضي الله عنه يستخلفه على المدينة إذا حج ، مات سنة
خمس وأربعين للهجرة . انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٤٠) .

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو الخلفاء العباسيين ، كان له يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث عشرة سنة ، توفي بالطائف سنة ثمان وستين ، وصلى عليه محمد بن
الحنفية ، وقال : مات اليوم ريانى هذه الأمة .

انظر : (تاريخ بغداد ١ / ١٧٣) و (تذكرة الحفاظ ١ / ٤٠) .

وأبي بن كعب^(١) ، وعبد الله بن صرين الخطاب^(٢) ، وعاثشة أم المؤمنين^(٣)
رضي الله عنهم أجمعين .

وبدت عليهم من البداية سمة التخصص فكان منهم الفرضي العالم بالمواريث ،
والمقرئ العالم بالقراءات والتفسير ، والمحدث ، والفقهاء ، ومنهم الجامع
لكل هذا أوجله .

ونقل الصحابة رضوان الله عليهم ماورثوه من علم وفقه إلى التابعين الذين
ساروا على نهج أسلافهم ، فكان منهم الأئمة في التفسير والحديث والفقه ،
وفى مقدمتهم :

ففيها المدينة السبعة وهم : سعيد بن المسيب (ت ٩٣ هـ) الذي
كان أحفظ الناس لقضاء صدر رضي الله عنه وفتاواه ، وقد ذكر أحمد بن حنبل^(٤) رحمة الله

(١) أبي بن كعب بن قيس بن مبيد أبو منذر الأنصاري البخاري المدني المقرئ
البدرى شهد العقبة وجمع القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
وعرض عليه وحفظ منه طمأ مباركاً ، مات بالمدينة سنة ثلاثين .
انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ١ / ٢٨٩) .

(٢) عبد الله بن صرين الخطاب : أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه -
شهد الخندق ، وهو من أهل بيعة الرضوان ، أثنى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوصفه بالملاح ، توفي في أول سنة أربع وسبعين .
انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١ / ١٧١) و (الذهبي -
تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧) .

(٣) عايشة بنت أبي بكر الصديق : عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر :
القرشية التميمية أم المؤمنين زوجة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم -
أفقه نساء الأمة ، تزوجها صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بعد وفاة خديجة
رضي الله عنها ، ودخل بها في شوال سنة اثنين للهجرة منصرفاً من
بدر روت عنه طمأ كثيراً مباركاً ، وماتت سنة ثمان وخمسين وهرها ثلاث
وستون سنة وأشهر ، ودفنت بالبقيع .
انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٢ / ١٢٥) .

(٤) أحمد بن حنبل : هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي الحافظ
الحجة ، ولد سنة أربع وستين ومائة . قال الشافعي : خرجت من بغداد
فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل . مات يوم
الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وله سبع

أنه كان من أفضل التابعين علماً وقدرًا . (١)

ومروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ) (٢) العالم بالمغازي والسير ، والحافظ الثبست
المعروف بكثرة العبادة ، وشدة الزهد .

وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٤ هـ) (٣)

وسليمان بن يسار (ت ١٠٠ هـ) (٤)

وخارجة بن زيد بن ثابت (ت ١٠٠ هـ) (٥)

= وسبعون سنة ، انظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٤ / ٧) ،
و (تذكرة الحفاظ ٤٣١ / ٢) .

(١) انظر : تذكرة الحفاظ ٥٤ / ١) و (طبقات الحفاظ ص ١٨)

(٢) مروة بن الزبير بن العوام ، عالم المدينة ، ولد في خلافة عثمان ، قال عنه
الزهري : رأيته بحرًا لا ينزف ، كان عالمًا بالسيرة ، حافظًا ثبتًا ، وكان يحوم
الدهر ، ومات صائمًا وذلك سنة أربع وتسعين ، انظر : (تذكر الحفاظ
٦٢ / ١) .

(٣) عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود : الهذلي المدني الاصبى ، أحد
الفقهاء السبعة ، كثير العلم والحديث ، وله عناية بالشعر ومعرفة به .
مات سنة أربع وتسعين للهجرة - وقيل : بعد ذلك ، انظر : (الذهبي
تذكرة الحفاظ - ٧٨ / ١) و (السيوطي - طبقات الحفاظ ص ٣٢) .

(٤) سليمان بن يسار : الهلالي المدني من فقهاء المدينة وطوائفهم وصلحائهم
كثير الحديث وهو مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية ولد في خلافة عثمان ،
وحدث عن زيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة ، كان من أوعية العلم
حتى فضله بعضهم على سعيد بن المسيب ، وقد ولي سوق المدينة لعمر
ابن عبدالعزيز ، وكان يحوم الدهر ، مات سنة مائة للهجرة ، وقيل قبل ذلك .
وقيل سنة سبع ومائة ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .
انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٤٤٤ / ٤) و (تذكرة الحفاظ ٩١ / ١)
و (السيوطي - طبقات الحفاظ ص ٣٥) .

(٥) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري المدني - أحد الفقهاء السبعة
مات سنة مائة وقيل تسع وتسعين للهجرة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ٩١ / ١) و (وفيات الأئمان ٢٣٣ / ٢) و (طبقات
الحفاظ ص ٣٥) .

- والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٦ هـ) (١)
- وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦ هـ) (٢)
- وعدّهم البعض ثمانية فزاد : أبا بكر عبدالرحمن بن الحارث بن هشام
(ت ٩٣ هـ) (٣)
- ثم جاء بعدهم : نافع مولى عبدالله بن عمر (ت ١١٧ هـ) (٤)
- ومحمد بن شهاب الزهري - قبل رحلته الى الشام (ت ١٢٤ هـ)

-
- (١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق المدني الإمام الفقيه الورع الكثير الحديث ، العالم بالسنة ، قال ابن معين : عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة ترجمة مشبكة بالذهب ، مات سنة ست ومائة ، وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة ، انظر (الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٧/٥) و (تذكرة الحفاظ ١/٩٦) و (طبقات الحفاظ ص ٣٨) .
- (٢) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب المدني : أحد الفقهاء السبعة ، من أفضل أهل زمانه ، قال احمد بن حنبل : من أصح الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه ، مات سنة ست ومائة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١/٨٨) و (طبقات الحفاظ ص ٢٣) .
- (٣) أبو بكر عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي المدني ، من سادات قريش ، والصحيح أن اسمه كنيته ، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه وأحد الفقهاء المشهورين في المدينة ، كان مكفوف البصر ، مات سنة ثلاث وتسعين - وقيل سنة أربع وتسعين ، وهي سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها .
انظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٠٨/٥) و (تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٦٣) و (طبقات الحفاظ ص ٢٤) و (سير أعلام النبلاء ٤/٤١٦) .
- (٤) نافع مولى عبدالله بن عمر العدوي ، خدم ابن عمر ثلاثين سنة ، قال البخاري : أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر ، مات سنة سبع عشرة ومائة للهجرة ، وأثبت أصحابه مالك بن أنس ثم أيوب ، وقد اختلف في أصله فقيل بربري ، وقيل : نيسابوري ، وقيل : ديلمى ، وقيل : كابلبي ، والأرجح أنه فارسي المحتد في الجملة .
انظر : (تذكرة الحفاظ للذهبي - ١/٩٩) و (طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٠) و (سير أعلام النبلاء - ٥/٩٥) .

وربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ المعروف بـ (ربيعة السراي)
(ت ١٣٦ هـ) (١)

ويحيى بن سعيد المدني الأنصاري (ت ١٤٣ هـ) (٢)

وجعفر الصادق بن محمد بن طلي (ت ١٤٨ هـ) (٣)

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت ١٥٩ هـ) (٤)

ومالك بن أنس امام دار الهجرة (ت ١٧٩ هـ) .

وأما مكة ورجالها فقد كان لهم تأثير كبير وفضل عظيم في الشراء العلمي ،

ونشر الاسلام .

(١) ربيعة بن عبد الرحمن فروخ المعروف بربيعة الرأي : التيمي المدني الفقيه
مولي آل المنكدر ، كان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه والحديث ، مجتهداً بصيراً
بالرأي ، ولذلك يقال له : ربيعة الرأي .

انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١٥٧) و (طبقات الحفاظ ص ٦٨) .

(٢) يحيى بن سعيد المدني الأنصاري : النجاري المدني ، قاضي المدينة
ثم قاضي القضاة للمنصور ، قال عنه الثوري : كان من الحفاظ ، مات بالهاشمية
سنة ثلاث وأربعين ومائة .

انظر / (تذكرة الحفاظ ١ / ١٣٧) و (طبقات الحفاظ ص ٥٧) .

(٣) جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي
طالب الهاشمي المدني الصادق وابن بنت القاسم بن محمد ، وأم أمه
أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، ولذلك كان يقول : ولدني أبو بكر مرتين
وثقه الشافعي وابن معين ، قال أبو حنيفة ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد
توفي سنة ثمان وأربعين ومائة . (تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٦) و (طبقات
الحفاظ ص ٧٢) .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب : القرشي العامري المدني الفقيه ،
قال احمد بن حنبل : ابن أبي ذئب يشبه سعيد بن المسيب وهو أفضل
من مالك إلا أن مالكا أشد تنقية للرجال منه ، ولد سنة ثمانين ومات سنسنة
تسح وخسين ومائة .

انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١٩١) و (طبقات الحفاظ ص ٨٢) .

ومن أشهر طوائفها منذ نشأتها : زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس رضي الله
عنهما ، وذلك بعد انتقالهما من المدينة زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه .

وتأثرت مدرسة الحجاز كلها بعلمهما وفقههما ، وبخاصة مكة حيث قضيا فيها
سنوات الفضج والإثمار بعد حياة مليئة بالعلم والتجربة .

ثم جاء عصر التابعين ونهض التلاميذ بعصب الدعوة والتعليم ، وإتمام البناء
العلمي ، ومُعرف منهم : مجاهد بن جبر الذي عرض القرآن الكريم على ابن عباس
رضي الله عنهما ثلاثين مرة ، يسأله عن كل آية فيم نزلت ، وكيف كانت ؟ (١)

وهطباء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ) ، وصرور بن دينار (ت ١٢٦ هـ) (٢)

وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ هـ) (٣)

ومسلم بن خالد الزنجي (ت ١٨٠ هـ) (٤)

(١) انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٩٢) و (طبقات الحفاظ ص ٣٥) .

(١) صرور بن دينار : أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الحافظ ، عالم الحرم ، ولد
سنة ست وأربعين أو نحوها ، وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر ، طاش ثمانين
سنة ، وتوفي في أول سنة ست وعشرين ومائة .

انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١١٣) و (طبقات الحفاظ ص ٤٣) .

(٢) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي ، فقيه الحرم
صاحب التصانيف ، ولد سنة نيف وسبعين ، وأدرك صفار الصحابة ، لكن
لم يحفظ عنهم ، مات سنة خمسين ومائة .

انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٩) و (طبقات الحفاظ ص ٧٤) .

(٤) مسلم بن خالد الزنجي المخزومي مولاهم المكي ، شيخ الحرم ، وأحد شيوخ
الشافعي ، كان فقيهاً طابداً يصوم الدهر ، مات سنة ثمانين ومائة ، وله
ثمانون سنة .

انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٢٥٥) و (طبقات الحفاظ ص ١٠٩) .

(١) والفضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ)

(٢) وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ)

وغيرهم من طمأء مكة وشيوخ مدرستها الذين قاموا بالدعوة والتعليم .

(١) الفضيل بن عياض أبو علي التميمي : شيخ الحرم ، قدم الكوفة فسمع الحديث ثم انتقل الى مكة ، فنزلها إلى أن مات بها يوم عاشوراء ، سنة سبع وثمانين ومائة ، وقد نيف على الثمانين .

انظر : (الطبقات الكبرى ٥ / ٥٠٠) و (تذكرة الحفاظ ١ / ٢٤٥) ،
(وفيان الأعيان ٤ / ٤٧) .

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم ، ولد سنة سبع ومائة ، وكان ثبناً كثير الحديث ، حجة ، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالجحون وهو ابن احدى وتسعين سنة .

انظر : (الطبقات الكبرى ٥ / ٤٩٧) و (وفيان الأعيان ٢ / ٣٩٢) ،
(تذكرة الحفاظ ١ / ٢٦٢) .

ثانيها : مدرسة العراق :

١ - الكوفة : لقد كانت مدرسة العراق من أولى المدارس التي أسست
على أيدي الصحابة ونالت الكوفة ضاية كبيرة ، وحظيت بعدد
كبير من العلماء الأجلاء منذ أن دخلها الصحابة ، ومن
الذين نزلوها عدد كبير يبلغ الثلاثمائة من أهل بيعة الرضوان ،
وسبعون من أهل بدر . (١)

ومن أشهر الصحابة الذين عاشوا في الكوفة فترة من الزمن وكان لهم الفضل
في تثقيف أهلها ودعوتهم :

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٢) ، وعمار بن ياسر رضي الله عنه (٣) ،
الذان بعثهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة لتعليم
أهلها وتلقيهم ، وبعث معهما كتاباً قال فيه : (إني قد بعثت إليكم صّار
ابن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أهل بدر فاقتدوا بهما ، واسمعوا ، وقد
أثرتكم بعهد الله بن مسعود على نفسي) (٤)

(١) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٩ / ٦)

(٢) عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخادمه ، أحد السابقين ومن كبار البدرين ، ومن نبلاء الفقهاء والمقرئين
أسلم قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، توفي بالمدينة سنة اثنتي عشرة
وثلاثين .

انظر : (تذكرة الحفاظ ١٣ / ١) و (تاريخ بغداد ١٤٧ / ٢) .

(٣) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك ، يكنى أبا اليقظان ، أسلم وعُذِّب في السنة
مع من عُذِّب ، وأمه أول شهيدة في الإسلام ، ومّر الرسول صلى الله عليه وسلم
بأسرته وهم يحذّبون فقال : (اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) ، شهيد
مع علي بن أبي طالب حروبه وقُتِلَ بين يديه في صفين ، وصلى عليه علي ودفن
هناك سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة .

(تاريخ بغداد ١٥٠ / ١) .

(٤) انظر : (تذكرة الحفاظ ١٤ / ١) و (طبقات ابن سعد ٧ / ٦) .

وكان عبد الله الأستاذ الأول للكوفة ، والمؤسس الكبير لمدريستها ، وشهد له
ولأصحابه رجال كبار ، مثل علي بن أبي طالب رضى الله عنه حيث قال :
(أصحاب عبد الله سُرَّجٌ هذه القرية) (١)

وقال الشعبي (ت ١٠٤ هـ (٢)) : (ما دخل الكوفة أحد من أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم أنفخ علماً ، ولا أفقه منه - يعني ابن مسعود) (٣)

وقام الخليفة علي بن أبي طالب رضى الله عنه بجهد كبير في نشر الدين
والأخلاق في الكوفة وذلك بعد أن جعلها عاصمة لخلافته .

وقام التابعون الذين استفادوا من شيوخ المدرسة الأوائل - بتعليم الناس
وتوصيتهم .

ومن أشهرهم : علقمة بن قيس النخعي (ت ٦٢ هـ) (٤)
ومسروق بن الأجدع الهمداني (ت ٦٣ هـ) (٥)

-
- (١) انظر : طبقات ابن سعد ١١ / ٦ .
(٢) الشعبي هو : طامر بن شراحيل الهمداني الكوفي ، ولد في خلافة عمر رضى
الله عنه ، كان إماماً حافظاً فقيهاً ، شهد وقعة دير الجماجم مع ابي الحسن
الاشعث ضد الحجاج بن يوسف ، ثم نجاه الله من سيف الحجاج ، وولسي
قضاء الكوفة . انظر (الطبقات الكبرى ٦ / ٢٤٦) .
(٣) (طبقات ابن سعد ١١ / ٦) .
(٤) طقمة بن قيس النخعي : فقيه العراق ، خال إبراهيم النخعي ، ولد فسي
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجود القرآن على ابن مسعود وتفقه
على يديه ، مات سنة اثنتين وستين للهجرة .
(تذكرة الحفاظ ١ / ٤٨) و (الطبقات الكبرى ٦ / ٨٦) .
(٥) مسروق بن الأجدع الهمداني : الكوفي كان أبوه من فرسان أهل اليمن
في زمانه ، وكان مسروق كثير العبادة ، يعطي حتى تتورم قدماه ، وهو
أفضل أصحاب ابن مسعود ، مات سنة ثلاث وستين .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٤٩) .

- (١) وشريح بن الحارث الكندي (ت ٧٨ هـ)
(٢) وإبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٥ هـ)
(٣) وسعيد بن جبير الوالبي (ت ٩٥ هـ)
وطامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٤ هـ)
وجاء بعدهم : حماد بن أبي سليمان (ت ١٢٠ هـ) (٤) ، وكان قد
تفقه على يد النخعي والشعبي .
واشتهر بعد ذلك تلميذه : أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) (٥)

-
- (١) شريح بن الحارث الكندي : الكوفي ، استقضاه عمر على الكوفة ثم استقضاه
علي ومن بعده ، واستعفى من القضاء قبل موته بسنة ، من الحجاج بن
يوسف ، مات سنة ثمان وسبعين . انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٥٩٦) .
(٢) إبراهيم بن زيد النخعي : الكوفي فقيه العراق ، دخل على أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها ، وهو صبي ، كان ليتكلم في العلم إلا أن يسأل ، وكان
مجتهدا في العبادة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٧٣) .
(٣) سعيد بن جبير الوالبي : الكوفي المقرئ الفقيه ، سمع ابن عباس وابن عمر
وجماعة قتله الحجاج لكونه قاتل مع ابن الأشعث سنة خمس وتسعين وله تسع
وأربعون سنة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٧٦) و (وفيات الأعيان ٢ / ٣٧١) .
(٤) حماد بن أبي سليمان ، وأبو سليمان هو مسلم ، قدم حماد البصرة على بسلال
بن أبي بردة وإيها يومئذ ، فسمع منه هشام الدستوائي وحماد بن سلمة
وغيرهما ، توفي حماد سنة ست وعشرين ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك
انظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ / ٣٣٢) و (طبقات الحفاظ ص ٤٨) .
(٥) أبو حنيفة النعمان بن ثابت : الكوفي ، فقيه العراق ، ولد سنة ثمانين ،
رأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ، تفقه بحماد بن أبي سليمان
وشرب على القضاء فأبى ، مات سنة خمسين ومائة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٨) و (الطبقات الكبرى ٦ / ٣٦٨) .

- وفيهان الثوري (ت ١٦١ هـ) (١)
وشريك بن عبدالله (ت ١٧٧ هـ) (٢)
وأبو يوسف القاضي (ت ١٨٢ هـ) (٣) ، وذلك قبل رحلته الى بغداد .
ومحمد بن صبيح المعروف بـ (ابن السماك) الواعظ (ت ١٨٣ هـ) (٤)
ووكيع بن الجراح الحافظ (ت ١٩٧ هـ) (٥)
وغير هؤلاء من رجال المدرسة وأعلامها الذين تغيرت بالحديث عنهم كتب
الطبقات . (٦)

وقد كان لهم آثار واضحة ، ومواقف مشهورة في الدعوة إلى الله تعالى ،
في الأقوال والأفعال والسلوك المستقيم .

-
- (١) سفيان الثوري : بن سعيد بن مسروق الكوفي المحدث الفقيه ، أمير المؤمنين
في الحديث ، ولد سنة سبع وتسعين ، ومات سنة إحدى وستين ومائة ، وكان
موت في البصرة . انظر : (الطبقات الكبرى ٢٧١/٦) و (تذكرة الحفاظ
(٢) شريك بن عبدالله : النخعي الكوفي القاضي الفقيه المحدث ، وثقه يحيى
ابن معين ، واستشهد به البخاري ، وخرج له مسلم متابعة ، مات في ذي
القعدة سنة سبع وسبعين ومائة ، وله اثنتان وثمانون سنة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ٢٣٢/١) و (طبقات الحفاظ ص ٩٨) .
(٣) أبو يوسف القاضي : يعقوب بن ابراهيم القاضي الكوفي ، سكن بغداد ،
ولي القضاء للمهدي في بغداد ، وبقي قاضياً زمن الهادي والرشد ، وقيل
غير ذلك ، ولد سنة ثلاث عشرة ومائة ، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة .
انظر : (تاريخ بغداد ٢٤٢/١٤) و (أخبار أبي حنيفة للصميري ص ٩٠)
و (وفیات الأعيان ٣٧٨ / ٦) .
(٤) محمد بن صبيح المعروف بابن السماك الواعظ المشهور ، روى عنه أحمد بن
حنبل وأمثاله ، وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد ، فكثرت بها مدة ،
ثم رجع إلى الكوفة ، فمات بها سنة ثلاث وثمانين ومائة ، والسماك نسبة
إلى صيد السمك ويصعبه . انظر : (تاريخ بغداد ٣٦٨/٥) و (وفیات
الأعيان ٣٠١ / ٤) .
(٥) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي أبو سفیان الرؤاسي ، ولد سنة تسع وعشرين
ومائة أراد الرشيد على القضاء فامتنع ، ولما مات سفیان الثوري جلس وكيع
مكانه ، وهو من الثقات ، ومن أئمة الحديث ، مات سنة سبع وتسعين ومائة .
انظر : (تاريخ بغداد ٤٩٦ / ١٣) و (طبقات ابن سعد ٣٩٤ / ٦) .
(٦) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٥ / ٦) .
، (ابن القيم - اعلام الموقعين ٢٥ / ١) .

ب - البصرة : وأما مدرسة البصرة فيرجع فضل التفكير في تأسيسها
إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فإنه
أرسل إليها - كما أرسل إلى الكوفة - بعض الصحابة
لينشروا بين أهلها العلم والفقاه .

ومن هؤلاء : عمران بن الحصين ^{رضي} (ت ٥٢ هـ) (١) الذى ولي قضاء
البصرة بعد ذلك .

وأبو موسى الأشعري رضى الله عنه (ت ٦٠ هـ) (٢)

وأنس بن مالك - رضى الله عنه - (ت ٩٣ هـ) (٣) ، وكان الناس يرجعون
إليه إذا اختلفوا ، وإذا خالفهم رجل من أهل الأهوا قالوا له : تعال إلى
من سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتون به إلى أنس رضى
الله عنه . (٤)

-
- (١) عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، أسلم سنة سبع للهجرة ، له
أحاديث عدة ، بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى البصرة مع جماعة ،
وولي قضاها ، وكان ممن تسلّم عليه الملائكة ، توفى بالبصرة سنة اثنتين
وخمسين قبل وفاة زياد بن أبي سفيان بسنة .
انظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد) و (تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٩) .
- (٢) أبو موسى الأشعري : عبد الله بن قيس بن سليم ، هاجر مع جعفر بن أبي
طالب بعد فتح خيبر ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع معاذ بن
اليمين ثم ولي لعمر بن الخطاب الكوفة والبصرة ، وأقرأ أهل البصرة وفقههم
في دين الله ، مات سنة أربع وأربعين على الصحيح .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٢٣) .
- (٣) أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري النجاري ، خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآخر الصحابة موتاً بالبصرة ، مات سنة إحدى وتسعين
وقيل بعدها ، وهو ابن مائة وسبع سنين .
انظر : (الطبقات الكبرى ٧ / ١٧) و (تذكرة الحفاظ ١ / ٤٤) .
- (٤) ابن عساكر - تهذيب تاريخ دمشق الكبير - هذبه واختصره عبد القادر بدران
٣ / ١٤٤) .

- (١) ثم ظهر الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) (١)
وعبدالله بن عون (ت ١٥١ هـ) (٢)
وحمام بن سلمة (ت ١٦٧ هـ) (٣)
وعبدالرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ) (٤)
وغير هؤلاء من شيوخ مدرسة البصرة ، وأعلامها النبلاء . (٥)

-
- (١) الحسن البصرى : بن أبى الحسن (يسار) ، ولد الحسن بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر وألفته أم المؤمنين أم سلمة ثديها فدرّ عليه فشرسه ، يقول الحسن : رأيت عثمان يخطب وأنا ابن خمس عشرة سنة ، توفي الحسن سنة عشر ومائة . انظر : (الطبقات الكبرى ١٥٦/٧) و (وتذكرة الحافظ ٧١/١) .
- (٢) عبدالله بن عون بن أرتبان المزنى مولا هم البصرى الحافظ ، ماكان بالعراق ، أعلم منه بالسنة ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، يختم كل أسبوع ، يغزو ويركب الخيل مات فى رجب سنة إحدى وخمسين ومائة . انظر : (الطبقات الكبرى ٢٦١/٧) و (تذكرة الحافظ ١٥٦/١) .
- (٣) حماد بن سلمة بن دينار الإمام الحافظ الرعى مولا هم البصرى المحدث النحوى من أوائل من صنفوا التصانيف ، كان مجتهداً فى العبادة ، مواظباً طمسي الخير ، مات وهو فى الصلاة ، سنة سبع وستين ومائة ، وقد قارب الثمانين . انظر : (الطبقات الكبرى ٢٨٢/٧) و (تذكرة الحافظ ٢٠٢/١) .
- (٤) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان البصرى الحافظ الكبير والإمام الشهير ، من أعلم الناس بالحديث ، كان فقيهاً بصيراً بالفتوى عظيم الشأن ولـ سنة خمس وثلاثين ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . انظر : (الطبقات الكبرى ٢٩٧/٧) و (تذكرة الحافظ ٣٢٩/١) .
- (٥) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٥ / ٧) و (ابن القيسم - اعلام الموقعين ٢٤ / ١) .

ج - بغداد : أما مدرسة بغداد فقد بدأت عليها وعطاءها العلمى والثقافى بعد أن تمّ بناؤها على يد الخليفة أبى جعفر المنصور^(١) ، وذلك فى سنة ست وأربعين ومائسة للهجرة ، وأصبحت الحركة العلمية تنمو فيها وتزدهر ، وكثر فيها العلماء فى شتى فنون العلم ، وازداد نشاطها فى زمن الخليفة هارون الرشيد^(٢) ، حيث أسّس (بيت الحكمة) وزوّده بالكتب المختلفة ، وصارت بغداد مقصد رجال العلم ومكتبة لمؤلفاتهم .

واهتم الأمون^(٣) بعد ذلك بحركة الترجمة ، التى أدخلت على المسلمين علوما كان منها النافع ومنها الضار ، وسار المعتمد^(٤) على الطريق نفسه فى

(١) أبو جعفر المنصور : عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس ، وأمه سلامة البربرية أم ولد ، ولد سنة خمس وتسعين ، أدرك جده ولم يرو عنه ، بويج بالخلافة بعهد من أخيه سنة سبع وثلاثين ومائة ، كان فصيحاً بليغاً حربياً على المال ، توفى محرماً على باب مكة فى سادس ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون ، عاش أربعاً وستين سنة . انظر : (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥٩) و (سير أعلام النبلاء ٨٣ / ٧) .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدى بن عبدالله المنصور ، ولد سنة خمسين ومائة واستخلف سنة سبعين ومائة كان يحج سنة ويغزو سنة ، ويصلى فى اليوم مائة ركعة ، ويكره المراءى فى الدين ، وأمه الخيزران أم ولد ، مات فى الغزو فى طوس من خراسان ودفن بها سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله خمس وأربعون سنة . انظر : (تاريخ الخلفاء ص ٢٩٦) و (تاريخ بغداد ٥ / ١٤ - وما بعدها) .

(٣) الأمون : عبدالله بن هارون أبو العباس ولد سنة سبعين ومائة ، وتوفى سنة ثمان عشرة ومائتين ، وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر ، قرأ العلم فى صغره وبرع فى الفقه والعربية والفلسفة ، فجرت به إلى القول بخلق القرآن وامتنح العلماء فى ذلك ، توفى بالبدندون من أرض الروم ، فحمله ابنه العباس إلى طرسوس ودفن بها سنة ثمان عشرة ومائتين . انظر : (فوات الوفيات للكتيبى ٢ / ٢٣٥) و (الوافى بالوفيات للمقدى - ٦٥٤ / ١٧) .

(٤) المعتمد : أبو اسحق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانية ومائة ، وقيل قبيل ذلك ، وأمه أم ولد تدعى ماردة ، وكان ذا شجاعة وهمة ، بويج بالخلافة بعد أخيه الأمون سنة ثمان عشرة ومائتين ، غزا الروم وفتح عبورية ، مات سنة سبع وعشرين ومائتين . انظر : (تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢) و (فوات الوفيات للكتيبى ٤ / ٤٨) .

تشجيع العلماء ونشر العلم ، وما ل عن منهج أهل السنة في مسألة خلـسـق القرآن ، كما مال أخوه المأمون من قبل ، وحصلت فتنة كبيرة بسبب ذلك الميل ، أؤذي فيها كبار طما السلف ، كما سير معنا في فصل (الدعوة والاعتزال)

وظلت بغداد محافظة على كيانها العلمى فى أيام المعتصم إلى أن قامت الاضطرابات الداخلية نائمة على جيشه التركى الذى ضايق الناس فى أسواقهم وآذاهم فى معاملاتهم ، فانتقل المعتصم بجيشه إلى (سامرا) سنة إحدى وعشرين ومائتين للهجرة .

ومن ثم بدأت الحركة العلمية - فى بغداد تضعف ويقل نشاطها ، وفى أيام الخليفة الواثق^(١) زاد ركودها ، وينتهي العصر العباسى الأول بانتهاء خلافة الواثق ، وبداية خلافة المتوكسل .^(٢)

ومن أشهر رجال المدرسة البغدادية الذين قدموا إليها ، أو كانوا من أهلها :

هشيم بن بشير الواسطى ، نزيل بغداد (ت ١٨٣ هـ)^(٣)

(١) الواثق : هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، يكنى أبا جعفر استخلف بعد أبيه المعتصم ، ويوح بالخلافة وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وذلك عام سبعة وعشرين ومائتين بسامرا ، كان يقال له : المأمون الأصغر لأذبه وطمه ، وكان من أعظم الناس ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، فى مدينة (سامرا) .

انظر : (تاريخ بغداد ١٤ / ١٥) و (تاريخ الخلفاء ص ٣٤٤) .
(٢) المتوكسل : جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، بويع بالخلافة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وحارب البدعة وأظهر السنة ، ونهى عن الجدل فى القرآن ، وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة ، توفى سنة سبع وأربعين ومائتين . انظر : (تاريخ الخلفاء ص ٣٤٥) و (تاريخ بغداد ٧ / ١٧٠) و (مروج الذهب للمسعودى ٤ / ٨٦) و (سبيع أعلام النبلاء ١٢ / ٣٠) .

(٣) هشيم بن بشير الواسطى بن أبى حازم قاسم بن دينار المحدث المشهور نزيل بغداد ، مولده سنة أربع ومائة ، قال عنه أحمد بن حنبل لزم هشيم أربع سنين ما سألته من شىء إلا مرتين هيبه له ، مات هشيم فى شعبان سنة ثلاث وثمانين ومائة . انظر : (الطبقات الكبرى ٧ / ٣٩٣) و (تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٧) .

وأبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت ٢٢٤ هـ) (١)

ويحيى بن معين البغدادي (ت ٢٣٣ هـ) (٢)

وأحمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ)

وغير هؤلاء من رجال السلف وشيوخ بغداد الذين ساعدوا في
رفع مكانتها العلمية ، وإثراء مكتباتها ومساجدها بالوعي والثقافة
والإرشاد .

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي : البغدادي اللغوي الفقيه صاحب
المصنفات ، والامام في القراءات ، الحافظ للحديث وطله ، ولي قضاء الثفور
مدة ، مات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين .

انظر : (الطبقات الكبرى ٣٥٥/٧) و (تذكرة الحفاظ ٤١٧/٢) .

(٢) يحيى بن معين البغدادي : ابوزكريا المرى مولاهم البغدادي ، ولد
سنة ثمان وخمسين ومائة ، أحد الأئمة في الحديث والعالم بالرجال ، مات
في ذي القعدة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وثلاثين
ومائتين .

انظر : (الطبقات الكبرى ٣٥٤/٧) و (تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢) ،
(وفيات الأعيان ١٣٩ / ٦) .

(٣) انظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد - تحقيق زياد منصور - ص ٢٩)

، (اعلام الموقعين لابن القيم - ١ / ٢٨) .

ثالثاً : (مدرسة الشام)

النشأة والتأسيس العلمي :

حظيت بلاد الشام بعد فتوحها بنخبة من الصحابة الأجلاء الذين دخلوا فاتحين ، ثم انطلقوا فيها مبشرين ومنذرين ، بدعوة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وبدأت الدعوة الإسلامية تنمو وتنتشر ، والحركة العلمية تقوى وتتزايد ، وكان لمسجد دمشق المجال الواسع في بث الدعوة ونشر العلم .

ومن رجال هذه المدرسة : معاذ بن جبل الخزرجي (ت ١٨هـ^(١)) العالم بالحلال والحرام ، وكان قاضياً على الجند في اليمن ، ثم انتقل إلى الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وأبو عبيدة طمر بن الجراح (ت ١٨هـ^(٢)) ، الذي ولاه عمر رضي الله عنه بلاد الشام .

وأبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري (ت ٢٢هـ^(٣)) ، وكان يقرن بمعاذ

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أسد بن الخزرج أبو عبد الرحمن ، شهد العقبة ودرأ والمشاهد كلها بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن عاملاً ومعلماً ، ومات رسول الله وهو في اليمن ، وقدم معاذ مكة وعمر فأمثد طسى الحج ، ثم خرج إلى الشام مجاهداً وداعياً ، توفي في طاهون عمواس الشام في ناحية الأردن سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .
انظر : (الطبقات الكبرى ٣٨٧/٧) و (تذكرة الحفاظ / ١٦)

(٢) أبو عبيدة طمر بن الجراح : أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، ثم قدم فشهد بدرًا ، والمشاهد بعدها ، ولاه عمر الشام وكان أمير الناس يوم اليرموك ، مات فسى طاهون عمواس سنة ثمان عشرة في خلافة عمر وعمره ثمان وخمسون سنة ، وقبره - بعمواس من الرملة قريباً من بيت المقدس . انظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٨٤/٧)

(٣) أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري : وكان يقال عنه : حكيم هذه الأمة وهو أنصاري خزرجي قيل إن إسلامه تأخر إلى يوم بدر ، ثم شهد أحدًا ، وأبلى يومئذ بلاً حسناً ، وكان عالم الشام ومقرئ أهل دمشق وفقههم وقاضهم ، مات سنة اثنتي عشرة وثلاثين .
انظر : (تذكرة الحفاظ / ١ / ٢٥)

ابن جبل في العلم ، وولاه معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه^(١) دمشق
في خلافة صر بن الخطاب رضى الله عنه .^(٢)

واشتهر بعدهم من التابعين : أبو مسلم الخولاني (ت ٤٤ هـ)^(٣) العابد
الزاهد .

ومدالرحمن بن غم الأشعري (ت ٧٨ هـ)^(٤)

وأبو إدريس الخولاني (ت ٨٠ هـ)^(٥) قاضى دمشق وواظبها .

(١) معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية قال عن نفسه ، إنى أسلمت مسام
الحديبية وكنمت إسلامى عن أبى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
طام الفتح فأظهرت إسلامى ولقيته فرحب بى . وشهد حنيناً والطائف ، وولاه
صر دمشق بعد موت أخيه يزيد ، ولم يزل والياً حتى قتل صر وجمع لــــه
الثام كلها ، فكانت ولايته طى الشام عشرين سنة أميراً ، ثم صار خليفة بعد
على عشرين سنة ، حتى مات سنة ستين وهو ابن ثمان وسبعين .
انظر : (الطبقات الكبرى ٧ / ٤٠٦) .

(٢) (الذهبى - تذكرة الحفاظ - ١ / ٢٤) .

(٣) أبو مسلم الخولاني : مدالله بن ثوب الداراني ، أدرك الجاهلية ، وسكن
الشام ، وأقام بداريا ، أصله من اليمن ، قدم المدينة وقد قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان قد ألقاه الأسود العنسى فى النار فجاه الله
منها ، مات سنة أربع وأربعين ، وقيل بعد ذلك .
انظر : (تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٣١٨) .

(٤) مدالرحمن بن غم الأشعري : فقه الشام وشيخ فلسطين ، بعثه صر السى
الشام ليفقه أهلها ، فتفق عليه تابعو أهل الشام ، مات مع جابر بن عبد الله
سنة ثمان وسبعين .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ٥١) .

(٥) أبو إدريس الخولاني : طائذ الله بن مدالله الدمشقى طام الشام ، وقاضى
دمشق أيام مدالملك بن مروان ، جمع العلم والعمل ، ولد طام حنين ،
أخذ العلم عن معاذ وغيره ، مات سنة ثمانين .
انظر : (تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ١٠٦) و (تذكرة الحفاظ ١ / ٥٧١) .

- ثم اشتهر بعدهم : عرب بن عبدالعزيز (ت ١٠١ هـ) (١) ، وذلك بعد انتقاله إلى الشام وقيامه بأعباء الخلافة ، وكان معروفاً بالفقه ، بصيراً بالسنة ، يرجع إليه القضاة في الأمور التي يختلفون فيها .
- ورجاء بن حيوة (ت ١١٢ هـ) (٢) المشهور بالفضل وحسن الرأي .
- ومكحول بن أبي مسلم الهذلي (ت ١١٢ هـ) (٣) ، عالم الشام الذي كان يعد فيها كسعيد بن المسيب في المدينة والشعبي في الكوفة ، والحسين في البصرة . (٤)
- وغير هؤلاء من كان في طبقتهم من علماء الشام والناهضين بعد رستم . (٥)

-
- (١) عرب بن عبدالعزيز : أبو حفص الأموي القرشي أمير المؤمنين ، ولد في المدينة زمن يزيد كان إماماً فقيهاً مجتهداً عارفاً بالسنن ، عاش أربعين سنة إلا ستة أشهر ، وضرب المثل بعدله وزهده ، مات سنة إحدى ومائة .
انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١١٨) .
- (٢) رجاء بن حيوة : أبو نصر الكندي الشامي شيخ أهل الشام ، وكبير الدولة الأموية ، قال مكحول : رجاء سيد أهل الشام في أنفسهم ، وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عرب بن عبدالعزيز ، مات سنة اثنتي عشرة ومائسة وقد شاخ . انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١١٨) .
- (٣) مكحول بن أبي مسلم الهذلي : عالم أهل الشام أبو عبدالله بن أبي مسلم الفقيه الحافظ مولى امرأة من هذيل ، وأصله من كابل ، وله دار بدمشق وقد طاف الأرض في طلب العلم ، توفي سنة ثلاث عشرة ومائة ، وقيل غير ذلك .
- انظر : (تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٧) و (الطبقات الكبرى ٧ / ٤٥٣) و (وفيات الأعيان ٢ / ١٢٢) .
- (٤) انظر : (ابن سعد : الطبقات الكبرى - ٧ / ٤٥٣) و (ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢ / ١٢٢) و (الذهبي - تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٧) و (السيوطي - طبقات الحفاظ - ص ٤٢) .
- (٥) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٧ / ٤٦٩) و (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١ / ١٦٢ - ١٨٣) .

- ثم حمل لواء العلم والدعوة أئمة أجيالاً مثل :
- أبي عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) (١) ، الذي كان من الأئمة المجتهدين وله مذهب متبع .
- وابراهيم بن أدهم (ت ١٦١ هـ) (٢) ، الخراساني البلخي ، نزل الشام ، المشهور بعبادته وزهده ، الذي قال فيه سفيان الثوري : كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل . (٣)
- ولعل هذا الشبه في جانب العبادة والطاعة ، فإن إبراهيم طيه الصلاة والسلام كان قائماً لله تعالى ، وأوهاً منيباً إليه ، وكذلك كان إبن أدهم فسي كثره عبادته وإخباته .
- ومن شيوخ الشام أيضاً : سعيد بن عبد العزيز التنوخي (ت ١٦٧ هـ) (٤) فقيهاً بعد الأوزاعي .

(١) أبو عمرو الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ، ولد سنة ثمان وثمانين وهو ثقة فاضل كثير الحديث والفقه ، سكن في آخر عمره بيروت كرايلاً ، وبها توفي وأصله من سبي السند ، وكانت وفاته سنة سبع وخمسين ومائة .
انظر : (الطبقات الكبرى ٤٨٨/٧) و (صفة الصفوة ٤/٢٢٧) و (البداية والنهاية ١٠ / ١٢٠) .

(٢) ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر أبو إسحق التميمي الزاهد أصله من بلخ وسكن الشام ، ودخل دمشق ، وكان عالماً ورعاً زاهداً سمع الحديث وعمل بما علم ، مات سنة إحدى وستين ومائة .
انظر : (تهذيب تاريخ دمشق ٢ / ١٧٠) .

(٣) انظر : (الذهبى - سير أعلام النبلاء - ٣٨٧ / ٧) .

(٤) سعيد بن عبد العزيز التنوخي : فقيه دمشق وفقهها بعد الأوزاعي ، كان عالماً طاملاً عابداً زاهداً شديد الخوف من الله ، ولد سنة تسعين ومات سنة سبع وستين ومائة .
انظر : (تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ١٥٥) و (تذكرة الحفاظ ١ / ٢١٩) .

وأبوسليمان الداراني (ت ٢٠٥ هـ) ^(١) ، المالح الزاهد العابد ،
الرافض للأهواء والبدع ، والداعي إلى التمسك بالكتاب والسنة ، وتحكيمهما
في كل مسألة . ^(٢)

-
- (١) أبوسليمان الدرائي : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي من أهل
داريا إلى جنب دمشق ، وهو أحد الصالحين والزهاد المتعبدين ، ورد
بغداد ، وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام ، فأقام بداريا حتى توفي سنة
خمس ومائتين .
- انظر : (تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٨) و (صفة الصفوة ١٩٧٤) و (رسالة
المبوءية من مجموعة التوحيد ص ٧١٢) .
- (٢) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٠ / ٢٤٨) .
و (ابن الجوزي - صفة الصفوة - ٤ / ١٩٦) .

رابعاً : (مدرسة مصر)

تكونت في مصر مدرسة ، كان شيوخها من الصحابة الذين رحلوا إليها أيام الفتح ، ونزلوا في موضع الفسطاط والأسكندرية ، ومن هؤلاء .

أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه (ت ٣٢ هـ) (١)

والزبير بن العوام - رضي الله عنه (٢)

وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه . (٣)

وهرو بن العاصم - رضي الله عنه (ت ٤٣ هـ) (٤)

(١) أبو ذر الغفاري : جندب بن جنادة طي الصحيح ، أحد السابقين الأولين أسلم خامس خمسة ، ثم رجع إلى بلاد قومه ، ثم هاجر إلى المدينة ، وكان رأساً في العلم والزهد والجهاد وصدق اللهجة ، قال الذهبي : ولقوته في الحق نهي عن الفتيا فانقطع في الريذة سنوات ، حتى توفي سنة اثنتين وثلاثين . انظر : (تذكرة الحفاظ ١٧/١) .

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وأحد العشرة ، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ، ولد هو وطى وسعد بن أبي وقاص وطلحة في عام واحد ، مات شهيداً يوم الجمل سنة ست وثلاثين فقتله بشر بن جرموز . انظر : (تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥٨/٥)

(٣) سعد بن أبي وقاص : واسم أبي وقاص : مالك بن وهيب بن عبد مناف وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة من أهل الشورى ، ومن المهاجرين الأولين ، حضر المشاهد وجاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، ودفن في البقيع سنة خمس وخمسين ، وهو آخر المهاجرين موتاً وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . انظر : (تاريخ بغداد ١٤٤/١) .

(٤) هرو بن العاصم بن وائل ، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي ، ثم قدم المدينة طي رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً سنة ثمان من الهجرة واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم طي غزوة ذات السلاسل ، وأرسله في أمور مهمة ، ولاء هرو رضي الله عنه فلسطين وما حولها ، وشهد مع معاوية صفين ، ثم ولاء مصر إلى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين في خلافة معاوية ودفن بالمقطم . (الاستيعاب ٥٩٨/٢) و (الإصابة ٢/٣)

وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنه (ت ٧٧ هـ) (١)

وغير هؤلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يرجح اليهم
الفضل في دعوة الناس ، وتوجيههم نحو دينهم . (٢)

وجاءت طبقة التابعين ، وكان منهم أئمة ودعاة ، التف الناس حولهم
واستفادوا من علمهم وفقههم ، ومن هؤلاء :

يزيد بن أبي حبيب (ت ١٢٨ هـ) (٣) صاحب الفتوى في مصر ، واليه
يرجع أهلها في مسائل الحلال والحرام ، وهو أول من أظهر الاهتمام بهذا
الباب من العلم ، وكانوا من قبل يحدثون الناس في الترهيب والترهيب والملاحم
والفتن . (٤)

وعمر بن الحارث بن يعقوب الأنصاري (ت ١٤٨ هـ) (٥) وكان أحفظ أهل زمانه .

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص : أبو محمد القرشي السهمي ، هاجر هو وأبوه
قبل الفتح ، وأبوه أسن منه بأحد عشر عاماً فقط ، وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يفضلهم على والده ، وكان صواماً قواماً طلبة للعلم ، كتب عن النبي
صلى الله عليه وسلم طعاماً كثيراً ، توفي في مصر سنة خمس وستين لهالي حصار
الفسطاط ، ودفن بداره . انظر : (تذكرة الحفاظ ٤١/١) .

(٢) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٤٩٣/٧) .
(ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة - ٢٠/١) .

(٣) يزيد بن أبي حبيب : أبو رجا الأزدى مولا هم المصري الفقيه ، كان مفتياً
أهل مصر ، وهو أول من أظهر العلم بمصر ، ونشر علم الحلال والحرام وكانوا
قبل ذلك يتكلمون في الترهيب والترهيب ، قال عنه الليث : يزيد عالمنا
وسيدنا كان حجة حافظاً ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة .

انظر : (الطبقات الكبرى ٥١٣/٧) و (تذكرة الحفاظ ١٢٩/١) .

(٤) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١٢٩/١) .

(٥) عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله أبو أمية الأنصاري السعدي مولا هم
المدني الأصل المصري ، عالم الديار المصرية ومفتياً ، مولى قيس بن
سعد بن عباد ، ولد بعد التسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك
وهو ثقة صحيح الحديث ثبت ، مات سنة ثمان وأربعين ومائة .

انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٥١٥/٧) و (الذهبي - سير
أعلام النبلاء ٣٤٩/٦) و (تذكرة الحفاظ ١٨٣/١) .

وقد قال فيه بعض تلاميذه : لوبقى صروب بن الحارث ما احتجنا إلى مالك . (١)
وكان يخرج من بيته فيجد الناس صفوفاً فيسألونه من القرآن والحديث والفقهِ
والشعر والعريضة والحساب . (٢)

ثم عُرف الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ)^(٣) بعلمه وفقهه ، وكان يُدعى طالم
مصر ورئيسها ، وهو الذي أثنى عليه الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)^(٤) ، بقوله :
هو أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به . (٥)
وغير هؤلاء من رجال المدرسة وطوائفها . (٦)

(١) (ابن القيم - أعلام الموقعين - ١ / ٢٧) و (الذهبي - تذكرة الحفاظ
١ / ١٨٣) .

(٢) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٧ / ٥١٥) و (الذهبي - تذكرة
الحفاظ - ١ / ١٨٣) .

(٣) الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث فقيه أهل مصر ، خرج إلى
بغداد ثم رجع إلى مصر ، وكان الشافعي يتأسف على فواته ، ويقول : هو
أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، وكان أتبع للأثر من مالك ، مات
سنة خمس وسبعين ومائة وله إحدى وثمانون سنة .
انظر : (الطبقات الكبرى ٧ / ٥١٧) و (تذكرة الحفاظ ١ / ٢٢٤) ،
(تاريخ بغداد ١٣ / ٣) .

(٤) محمد بن إدريس الشافعي : ولد سنة خمسين ومائة ، وقيل في اليوم الذي
مات فيه أبو حنيفة ، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وسمع
من طوائفها ، ثم رحل إلى المدينة ، ثم قدم بغداد ثم خرج إلى مصر سنة
تسع وتسعين ومائة ، ولم يزل بها إلى أن توفي سنة أربع ومائتين ، ودفن
بالقرافة الصغرى قرب المقطم .

انظر : (الحلية ٩ / ٦٧) و (آداب الشافعي ١ / ٢٥) ، (تاريخ
بغداد ٢ / ٧٠) و (وفيات الأعيان ٤ / ١٦٣) .

(٥) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٧ / ٥١٧) و (الخطيب البغدادي
تاريخ بغداد - ١٣ / ٣) و (ابن خلكان - وفيات الأعيان ٤ / ١٢٧)
و (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١ / ٢٢٤) .

(٦) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٧ / ٥١٧) و (ابن فرحون -
المالكي - الديباج الذهب - ١٤٦) و (الذهبي - تذكرة
الحفاظ - ١ / ٣٥٦) .

واشتهر بعد الليث : محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب والاشباع
وناصر السنة والحديث ، وأول من كتب في أصول الفقه ، وأقام في مصر بعد
تطواف طويل ، ورحلات في الجمع والتحصيل ، ثم في التعليم والتدريس .

وأثرت ذكر الشافعي في مدرسة مصر لإقامته الأخيرة فيها ، وتدوين
مذهبه الجديد على أرضها ، وفيها صحح ونقح رسالته الأصولية ، واتَّسَم
مذهبه بطابع النضج بعد التعديل والتجديد الذي طرأ عليه في مصر .

ومن شيوخ المدرسة : أشهب بن عبدالعزيز (ت ٢٠٤) (١) ،
وكان من أصحاب مالك ، وهو أكبر سناً من الشافعي ولكنه مات بعده بقليل
قال عنه الشافعي : ما رأيت أفقه من أشهب . (٢)

-
- (١) أشهب بن عبدالعزيز بن داود بن إبراهيم القيسي من أهل مصر من الطبقة
الوسطى من أصحاب مالك تفقه عليه ، قال عنه الشافعي : ما رأيت أفقه ممن
أشهب ، انتهت إليه الرئاسة بمصر بعد ابن القاسم ، ولد سنة أربع مائة
ومائة ، ومات سنة أربع مائة بعد الشافعي بثمانية عشر يوماً .
انظر / (وفیات الأعمان ١ / ٢٣٨) و (الديباج المذهب ص ٩٨) .
(٢) انظر : (ابن خلكان - وفیات الأعمان - ١ / ٢٣٨) و (ابن فرحون
المالكي - الديباج المذهب ص ٩٨) .

خامساً : (مدرسة شمال أفريقية)

بدأت حملات المسلمين تتجه إلى شمال أفريقية بعد فتح مصر مباشرة ، وكانت تلك الحملات بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه ، حيث توجه لغزو إقليميّ : برقة وطرابلس ، بقصد تأمين حدود مصر الغربية ، وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين للهجرة .

وفى خلافة عثمان - رضي الله عنه - أرسل أخاه من الرضاعة : عبد الله ابن سعد بن أبي السرح^(١) - وإلى مصر - على رأس حملة قوية اجتاز بها طرابلس ثم واصل سيره في أفريقية ، وانتصر المسلمون في مواقع عديدة ، وتتابعت الفتوحات في خلافة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وانتشر الاسلام بين البربر بالحكمة والموظة الحسنة ، والأسلوب اللين^(٢) ، وهذه الأساليب هي الطابع الغالب على نشر الدعوة في أفريقية بالإضافة إلى وسيلة الجهاد .

والحق يقال : إن الجنود الفاتحين كانوا دعاة بالكلمة والقوة ، كما قام دعاة متخصصون بنشر المهمة ، هداية للناس ، وتعليماً لهم ، ولا بأس بأن نقف مع بعض هؤلاء جريماً على عادتنا في البحث .

(١) عبد الله بن أبي السرح : هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث وينتهي نسبه إلى طامر بن لؤي ، أسلم قديماً وكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتدّاً ، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ، فجا عثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأستأمن له فأمنه ، وكان أخاه من الرضاعة ، ولاء عثمان مصر بعد عمرو بن العاص .
انظر : (الطبقات الكبرى ٤٩٦/٧) و (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٢ / ٢) .

(٢) انظر : (ابن هزاري المراكشي - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - ٨/١) وما بعدها .
و (أحمد مختار العبادي - في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٨) .
و (إبراهيم حرّكات - المغرب عبر التاريخ ص ٩٢) .

رجال المدرسة ونشاطهم في الدعوة :

ان الصحابة الذين دخلوا أفريقية هم القواد الفاتحون كعمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح رضى الله عنهما - ، ثم تابع معاوية بن حُديج^(١) ، فتح أفريقية ، وولاه معاوية بن أبي سفيان على مصر وأفريقية .

وجاء بعده عقبة بن نافع الفهري^(٢) ، فاخذ مدينة القيروان ، وسار في الناس سيرة حسنة ، وكان خيار الولاة والدعاة ، الذين جاهدوا ودعوا ، بالسيف والكلمة ، ثم قام على أفريقية ولاة صالحون ساروا على النهج نفسه .^(٣)

وفي عهد الخليفة صر بن عبد العزيز بعث إسماعيل بن أبي المهاجر^(٤) واليهما على أفريقية سنة مائة ، فكان داعية إلى الاسلام ، بلسانه وأعماله وأخلاقه ، فأحبه الناس ، وأحبوا دينه ، وحرصوا على دعوة البربر إلى الاسلام ، فاستجابوا

(١) معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيبة : الأمير قائد الكتاب الكندي تسم السكوني له صحبة ورواية قليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن صر وأبي ذر ومعاوية ، ولى أمرة مصر لمعاوية وغزو المغرب ، مات بمصر سنة اثنتين وخمسين . انظر : (الذهبى سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٧) .

(٢) عقبة بن نافع الفهري : الأمير نائب أفريقية لمعاوية يزيد ، افتتح أفريقية واخذت قيروانها ، وكان ذا شجاعة وحزم وديانة ، قدم على يزيد فردّه واليهما على المغرب سنة اثنتين وستين ففزا السوسى الأدنى ، ثم رجع وقصد سبقة جل الجيهر فخرج عليه جمع من العدو وقتل عقبة وأصحابه . انظر : (الذهبى - سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٢٢) .

(٣) انظر : (ابن هذاري المراكشي - البيان المغرب - ١ / ١٩) وما بعدها .

(٤) إسماعيل بن أبي المهاجر : هو إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر من أهل دمشق كان يؤدب أولاد عبد الملك بن مروان ، استعمله صر بن عبد العزيز على أفريقية ، وأسلم طامة البربر في ولايته ، وكان حسن السيرة في الناس ، وكان زاهداً وله عناية بالحدِيث ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة . انظر : (تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٢٨) .

لدعوته ، وأسلموا على يديه ، واهتم أسمايل بتعليم الناس أحكام الشريعة ،
وتفقيهم في الحلال والحرام ، وكان قد بحث معه عمر بن عبد العزيز عشرة مسن
التابعين من أهل العلم والفضل ، وأهل أفريقية يومئذ من الجهل بحيث
لا يعرفون أن الخمر حرام حتى وصل هؤلاء فعملوا الناس الحلال والحرام . (١)

وجاء بعدهم : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي (ت ١٥٦ هـ) (٢)
عالم أفريقية ومحدثها وقاضيا ، وأول مولود في الإسلام بعد فتح المسلمين
لها .

• وعبد الله بن فروخ (ت ١٧٦ هـ) (٣) إمام القيروان وفقه أهلها .

• ورياح بن يزيد اللخمي (ت ١٨٢ هـ) (٤) العالم المالحي .

• والبهلول بن راشد القيرواني (ت ١٨٢ هـ) (٥) المشهور بالعلم والورع .

(١) انظر : (تهذيب ابن صاكر - ٢٨ / ٢) .

• (البيان المغرب للمراكشي - ٤٨ / ١) .

(٢) عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي : أبو أيوب الشعباني قاضي أفريقية
وعالمها ومحدثها وفد على المنصور بالكوفة ، وكان سفيا يعظمه ، توفي
سنة ست وخمسين ومائة في القيروان .

• انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٤١١ / ٦) .

(٣) عبد الله بن فروخ : ولد في الأندلس سنة خمس عشرة ومائة ، ثم انتقل إلى
أفريقية وسكن القيروان ، وأخذ الحديث والفقه من مالك ومحبته . اشتهر ،
لكنه كان يميل إلى النظر والاستدلال ، ثم رحل إلى مصر ، ومات فيها ،
وكان صالحاً فاضلاً مهابتاً لأهل البدع ، مات سنة خمس وسبعين ومائة
انظر : (القاضي عياض - ترتيب المدارك ٢٣٩ / ١) .

(٤) رياح بن يزيد اللخمي : عالم أفريقية وصالحها ، كان يقاس بالأوزاعي في
الشام وبسفيان في الكوفة ، وكان جريئاً في الحق ، مات قبل سنة ثلاث وثمانين
ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل أربعين .

• انظر : (طبقات طما أفريقية ص ٤٥) .

(٥) البهلول بن راشد القيرواني : من الطبقة الأولى من أصحاب مالك ، كان
ثقة مجتهداً ورعاً مستجاب الدعوة عالماً جليلاً ، وُصف بأنه كان وتداً ممن
أوتاد المغرب ، ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين
ومائة .

• انظر : (طبقات طما أفريقية ص ٥٢) و (الديباج الذهب ص ١٠٠) .

سُمُّ عرف أسد بن الفرات (ت ٢١٣ هـ) (١) ، صاحب الإمام مالك ومُصنف الأُسدية في الفقه على مذهبه ، وقاضى القيروان آنذاك ، والامير طيسى الجيش الاسلامي الذي اتجه إلى (صقلية) وفتحها ، ثم لقي ربه إثر مرض أتسى على كثير من جيشه .

وغير هؤلاء من أئمة العلم والهدى في مدرسة أفريقية (٢) من كان في فسي زمانهم .

ومن شيوخ المدرسة : سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٢٤٠ هـ) (٣) الذي أظهر السنة ونشر علم أهل المدينة وفقه الإمام مالك في بنسلاذ المغرب ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الدعاة كانوا من خيرة العلماء ، كما كانوا أحياناً جنوداً أو قواداً أو ولاة أو قضاة ، ويظهر لنا - كذلك - أن الشعور بالمسئولية كان قوياً ، والجهد المخلص كان واضحاً ، ومن ثمَّ ساد الإسلام وتفقه المسلمون .

(١) أسد بن الفرات بن سنان مولى بنى سليم ، وأهله من أبناء جند خراسان ولد سنة اثنتين وأربعين ومائة ، رحل إلى المشرق وسمع من مالك ومحمد بن الحسن وغيرهما ، ثم رجع إلى مصر ولازم ابن القاسم ، ثم ارتحل إلى القيروان ، أثره زيادة الله على جيش صقلية ففتحها ، وتوفي فيها سنة ثلاث عشرة ومائتين .

انظر : (الديباج الذهب ص ٩٨) و (مناقب مالك للزواوي ١ / ٦٤) .

(٢) انظر : (ابن تميم التميمي - طبقات علماء أفريقية ص ٧٦ - ١١٥) .
(ابن فرحون المالكي - الديباج الذهب ص ١٢٢ - ١٦٨) .

(٣) سحنون بن سعيد التنوخي : واسمه عبد السلام ولقب سحنون باسم طائفة حديد النظر لحدة نظره ، وأصله شامي من حمص ، وفد أبوه في جند حمص إلى أفريقية كان فقيهاً ورعاً زاهداً ، انتهت إليه رئاسة العلم بالمغرب توفي سنة أربعين ومائتين .

انظر : (طبقات علماء أفريقية ص ١٠١) و (وفيات الأعيان ٣ / ١٨٠)
و (الديباج الذهب ص ١٦٠) .

سادسا : (مدرسة الأندلس)

ويعد أن أتم المسلمون فتح الأندلس ، هاجرت أعداد كبيرة من مختلف الأقطار الاسلامية - وبخاصة من البربر الذين أسلموا - واستقروا في كسل ناحية ، وكان همهم الوحيد نشر دين الله بين العباد برفق وحكمة .

ومن أوائل الذين دخلوا الأندلس من الدعاة والفتاحين :

• عبدالله بن نافع بن عبدالقيس^(١) الفهري .

وعبدالله بن الحصين الفهري^(٢) ، وذلك في زمن الخليفة عثمان بن عفان

- رضى الله عنه - .

• ثم دخلها موسى بن نصير^(٣) عام واحد وتسعين للهجرة .

(١) عبدالله بن نافع بن عبدالقيس الفهري : لم أقف على ترجمة .

(٢) عبدالله بن الحصين الفهري : لم أقف على ترجمة .

(٣) موسى بن نصير أبو عبدالرحمن اللخمي : مولى امرأة من لخم وقيل : ولاؤه لبني أمية ، كان أمرا مهيبة ذا حزم ورأى ، روى عن تميم الداري ، فاتح الأندلس ومتولى إقليم المغرب ، ولي غزو البحر لمعاوية فغزا قبرص وبنى هناك حصونا ، وقد استعمل على أقصى المغرب مولاة طارق بن زياد ، فبادر وافتتح الأندلس ولحقه موسى فتم فتحها ، وجرت له عجائب ، حج موسى مع سليمان بن عبدالملك فأتى بالمدينة .

انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٤ / ٩٦) .

وأنساب موسى طارق بن زياد^(١) عنه في إكمال الفتح ، فكان قائداً بطناً وداعياً حكيماً .

ثم مرت الأندلس بعهود مختلفة كعهد الولاة ، ثم إمارة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بـ (الداخل^(٢)) ، وكان له جهـد كبير في نشر الإسلام ، وتعليم أحكامه وإقامة حدوده ، والجهاد في سبيل الله تعالى ، وكان عالماً عادلاً زاهداً ، وأثنى عليه أناس أمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وقالوا له : إن بالمغرب ملكاً قائماً بالشرائع يلبس الصوف ، ويأكل الشعر ، ويجاهد أهداء الدين من المشركين الذين يجاورونه فقال مالك : ما أخرج بلدتنا إلى واحد مثله تتزين به ، فوصلت هذه الكلمة إلى عبد الرحمن في الأندلس ، فجمع الناس في مملكته ، ونادى أن لا يدان إلا بذهب مالك - تقديراً ومحبة ورداً للجميل - ، ومن ثم كان أهل المغرب على مذهـب الإمام مالك ، كما كان لهذه الكلمة رد فعل لدى الخليفة المنصور تجاه الإمام مالك . (٣)

ومن شيوخ الأندلس في تلك الحقبة : صعصعة بن سلام الدمشقي نزيل الأندلس (ت ١٩٢ هـ) (٤) ، وأول من أدخل الحديث وفقه الأوزاعي

-
- (١) طارق بن زياد : مولى موسى بن نصير ، له فتوحات عظيمة بالمغرب ، كما كان لقتيبة بن مسلم فتوحات بالشرق ، افتتح قرطبة وكان أميراً على طنجة بأقصى المغرب . انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٤) .
- (٢) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بالداخل : أبو المطرف الأموي ذهب أولاً إلى مصر ثم إلى أرض بركة ، وبقي فيها خمس سنوات ، ثم دخل المغرب ، وتملك الأندلس ثلاثاً وثلاثين سنة ، وبقي الملك في عقبه إلى سنة أربع مائة ، وكان دخوله الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ، ومات سنة اثنتين وسبعين ومائة . انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٢١٧/٨) .
- (٣) انظر : (عبد الملك بن حسين - سبط النجوم العوالي - ٢٥٢/٣) .
(الكتبي - فوات الوفيات - ٣٠٢/٢) .
- (٤) صعصعة بن سلام الدمشقي : الأندلسي ، تحول إلى الأندلس فاستوطنها زمن عبد الملك بن معاوية وابنه هشام ، وهو من أوائل من أدخل علم الحديث ومذهب الأوزاعي إلى الأندلس ، وولى الصلاة بقرطبة ، توفي قريباً من سنة ثمانين ومائة ، ورجح الكثيرون سنة اثنتين وتسعين ومائة . انظر : (البداية والنهاية ٢١٩/١٠) و (تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٥/٦) .

إلى تلك البلاد .

زياد بن عبدالرحمن القرطبي الملقب بـ (شبطون) (ت ١٩٣ هـ) (١) فقيه الأندلس ، الذي سمع الموطأ من مالك ، ورواه عنه في الأندلس .

والغازي بن قيس القرطبي (ت ١٩٩ هـ) (٢) وارث علوم المشرق الذي رجح إلى الأندلس بعلم عظيم .

وهسي بن دينار (ت ٢١٢ هـ) (٣) قاضي (طليطلة) الفقيه الورع .

ويحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤ هـ) (٤) ، صاحب العقل الكبير ، ومرجع الناس في أمور الدين ، الذي أثنى عليه مالك بن أنس ووصفه بأنه عالم الأندلس واطلها .

(١) زياد بن عبدالرحمن القرطبي الملقب بـ (شبطون) ، فقيه الأندلس - مشهور بالزهد والورع ، سمع الموطأ من مالك ، ورواه في الأندلس ، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة .

انظر : (الديباج المذهب ص ١١٨) و (الوافي بالوفيات للمصفي ١٥ / ٦٦) .

(٢) الغازي بن قيس القرطبي : أبو محمد ، من أهل قرطبة سمع الموطأ من مالك وسمع الأوزاعي وابن جريج ، وقرأ القرآن على نافع ، وانصرف إلى الأندلس بعلم عظيم فكان إماماً في القراءات والحديث ، توفي سنة تسع وتسعين ومائة انظر : (الديباج المذهب ص ٢١٩) و (شجرة النور الزكية ص ٦٣) .

(٣) هسي بن دينار : أبو محمد أخو عبدالرحمن بن دينار ، رحل وسمع أبين القاسم وغيره ، ثم انصرف إلى الأندلس ، فكان إمام زمانه ، وكان ابن القاسم يحفظه ويصفه بالفقه والورع ، ولي قضاء طليطلة ، وتوفي فيها سنة اثنى عشر ومائتين .

انظر : (الديباج المذهب ص ١٧٨) و (شجرة النور الزكية ص ٦٤) .

(٤) يحيى بن يحيى الليثي : عالم الأندلس واطلها ، تلميذ مالك والليث وهو من مسمودة طنجة ، قدم الأندلس بعد رحلة طمية شاملة ، فسار المرجع في الفتيا بعد هسي بن دينار ، توفي يحيى سنة أربع وثلاثين ومائتين انظر : (الديباج المذهب ص -) و (وفيات الأعيان ٦ / ١٤٣) .

وعبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨ هـ) (١) ، مفتى الأندلس والمهاجر
بعد يحيى الليثي ، الجامع لأصناف العلوم ، والمهتم بالحديث والسنة .

وفى ختام الحديث عن نشأة المدارس أودُّ أن أطل ذكرها وسرد هـا
بالأسباب الآتية :

أولاً :
ليبان أن الاسلام انتشر بالدعوة ووسائلها اللفظية والمنهجية ، وأن
الجهاد لم يكن لحمل الناس على اعتناق الدين بقدر ما كان توطئة
السبيل أمام الدعوة القولية والعملية .

ثانياً :
لإبراز الاتجاه السني الخالص الذي سارت عليه الدعوة ، وابتداءً
ذلك بأجلاء الصحابة ، ثم تلاميذهم من التابعين وتابعيهم .

ثالثاً :
وللتأكيد على أن هذا الاتجاه هو الذي ساد - أولاً - تلك
البيئات المفتوحة ويمكن أن يسود في كل وقت ، وأن تجتمع عليه كلمة
المسلمين بعيداً عن التفرق .

رابعاً :
لتوضيح جهود رجال السنة ودعوتهم ، وقيامهم بواجب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، في الوقت الذي حاصروا فيه الأفكار الشاردة والدخيلة
والحوادث شاهدة على ذلك ، مثل : مشكلة القدر ، وخلق القرآن ،

(١) عبد الملك بن حبيب السلمي : أصله من طليطلة ، رحل إلى المشرق وسمع
من كبار العلماء أمثال ابن المبارك ، ثم رجع إلى الأندلس فنزل بلسدة
(البيرة) ، ثم انتقل إلى قرطبة ، وعينه أميرها مفتياً ، وانفرد بالرياسة
في العلم بعد يحيى بن يحيى الليثي ، وكان عبد الملك جامعاً لأصناف
العلوم ، وهو من أوائل من أظهر الحديث في الأندلس ، وله تأليف كثيرة
توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين .

انظر : (الديباج المذهب ص ١٥٤) و (تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٢٧) .

ومثل المسائل الامتزالية والفلسفية - كما سنرى فى الفصول القادمة - .

خامساً :
لنعلم علماً أكيداً كيف تقاوم على الدعوة فى كل مدرسة رجسـال
ممتازون ومخلصون ووجب أن يقتدى بهم العلماء فى عصرنا
وأعمارنا .

سادساً :
لأن الحديث عن هؤلاء بذاهبهم واتجاههم السنى يعتبر
أساساً لما يجرى فى بحثنا من مسائل .

الفصل الثاني

أبجاءها الملك ريس وخصائصها

أولاً

التمسك مع بالانتر

(الفصل الثانى)

" اتجاهات المدارس وخصائصها "

إن للمدارس الدعوية التى كانت منتشرة فى الأمصار الإسلامية اتجاهات وخصائص مشتركة ورجالها متفوقون على وجهات معينة سادت عموم مدارسهم .

فالتمسك بالكتاب والسنة وآثار السلف أمر يهتم به الجميع ، ويحضون عليه ، ويدعون إليه ، والاهتمام بالعبادة والاجتهاد فيها لا تخلو منه مدرسة ، والعناية بالجانب الإيماني ، والمعاني الأخلاقية متوفر لدى الجميع ، فشاكرهم متفلسة بشدة التأثير والتأثير ، ونفوسهم متقلبة بين الخوف والرجاء والحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وسوف أتعرض فى الحديث عن اتجاهات المدارس إلى رجال السلف وشيوخ المدارس الذين لم ينتموا إلى فرق مبتدعة ، وإنما ظلوا على ولائهم للكتاب والسنة وتمسك بهما ، وهم المعروفون برجال السلف .

وسنرى فى هذا العرض اتجاهات أصحابها ، وتلقيهم ذلك عن سبقهم إلى المحابة ، وهذا هو السر فى أننا نؤصل الأفكار والآراء بالرجوع إلى المحابة متسلسلين منهم إلى من بعدهم ، مركزين على رجال بحثنا ، وشيوخ عصرنا - عصر البحث - سائلين الله التوفيق والسداد .

أولا : التمسك بالسنة والآثار :

من المعلوم لدى المسلمين أن سنن النبي صلى الله عليه وسلم وسنن الخلفاء الراشدين وآثار السلف الصالحين هى ضوابط العمل التى بمراعاتها يكون مقبولاً إن شاء الله تعالى .

ولذا فقد اهتم الصحابة بالسنة ، وحرصوا على طلب الحديث وجمعه ، وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يتحرى السنة ، ويحضر على التصك بها ويشهد فى أمر الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحرج غاية الحرج عندما يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

ويلسغ من ضاية الصحابة بالأحاديث والسنن أن صاروا موازين يرجح الناس إليهم ضد الاختلاف ، ويعرفون بهم السنة من البدعة ، ويردون كل ما يكرهونه من أعمال ، لأنهم حفظة الكتاب والسنة ، وحملة الاسلام ، وكان الرجل من أهل الأهواء إذا خالف حديثاً أو سنة ، قال له الناس تعالى إلى من سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأتون به إلى أنس بن مالك رضى الله عنه ، وهذا دليل عنايتهم بالسنة واحتكامهم إلى حملتها وردّهم كل ما يخالفها .

واكتسبت المدارس خصائصها من شيوخها ، فاشتهرت مدرسة مكة بالتفسير ويعتبر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أستاذ المدرسة الذى صبغها بهذا التخصص ، كما كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أحد شيوخ مدرسة المدينة التى عُرفت باهتمامها الكبير بالأحاديث والسنن ، تأثراً برجالها الكثيرين من الرواية ، والتمسكين بالسنة .

ودعا السلف الصالح إلى المحافظة على السنة والعناية بالحديث ، ورأوا - أن ذلك مطلوب ولازم ، يقول إسماعيل بن أبى المهاجر :
(ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نحفظ القرآن ، لأن الله تعالى يقول : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " . (٣) ، (٤)

(١) (الذهبى - تذكرة الحفاظ - ١ / ١٣) .

(٢) (تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر - هذبه عبد القادر بدران ١٤٤ / ٣) .

(٣) آية رقم (٧) من سورة الحشر .

(٤) (المصدر نفسه ٢ / ٢٩) .

وهذا استدلال دقيق على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ،
والمحافظة على سنته ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يجيئ بها من تلقا نفسه
بل هي من عند الله تعالى " وما ينطق عن الهوى " ان هو الا وحى يوحى " (١).

وقد سار رجال عصر البحث على نهج أسلافهم في التمسك بالسنة ، وتتبع
الآثار فاتجهوا إلى تدوين الحديث وجمعه ، ومن أوائل من فعل ذلك
عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريح في مكة ، ومالك بن أنس في المدينة .

ولقد كتب مالك بن أنس رحمه الله كتابه الموطأ بعد ما رأى حاجة الناس
إلى كتاب يجمع كثيراً من الأحاديث التي تهتم المسلم في أمور الدين والدنيا .
وكان الخليفة المنصور أشار عليه بوضع مثل هذا الكتاب ، ولما أتته قال له
المنصور : إنى عزمت أن أمر بكتبتك التي وضعتها - يعنى الموطأ - فتتسخ
نسخاً ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصارها بنسخة ، وأمرهم أن يعملوا بما
فيها ، لا يتعدوه إلى غيره ، ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث ،
فإنى رأيت أصل العلم رواية المدينة وطهم ،

فقال مالك : لا تفعل هذا - يا أمير المؤمنين - فان الناس قد سبقت إليهم
أقوال ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم
وصلوا به ، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم ، وإن ردهم عما قد اعتقدوه شديد
فدع الناس وما هم عليه وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم ،
فقال أبو جعفر : لعمرى لو طأ وقتنى على ذلك لأمرت به . (٢)

وطى ما يبدو ومن ناحية أخرى فإن مالكاً - رحمه الله - رأى أن لا يحجر
على الرواة ويحشمهم وتدوينهم ، وأن يترك الباب مفتوحاً لمحدثين آخرين ، فكان
مارآه ببصيرته ، فقد خرج الإمام احمد بن حنبل والبخارى ومسلم وغيرهم ،

(١) آية رقم (٣-٤) من سورة النجم .

(٢) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - الجزء المتم لتابعي أهل المدينة -

تحقيق زياد منصور - ١٤٤٠) .

(والسيوطى - مناقب الامام مالك - مطبوع في صدر المدونة الكبرى لمالك

١ / ٤٦) .

(وابن فرحون المالكي - الديباج الذهب - ٢٧) .

ولو طاول المنصور فيما أراد لأطلق باب التوسع في السنة ، ومنع الأئمة — من إظهار ما ضدهم من الأحاديث ، وما حفظوه من الآثار ، اكتفاءً بكتاب مالك الذي سماه (الموسطاً) .

ورحل العلماء في طلب الحديث ، وتحملوا المشاق في جمع السنة ، ثم رجعوا إلى بلادهم بعد أن تزودوا بالعلم النافع ، فنشروا ما تعلموه بين الناس وكانوا سبباً قوياً من أسباب ظهور الأثر وميول الناس إلى الحديث والسنة .

وممن رحل في طلب الحديث وجمع السنة من رجال بحثنا :

صعصعة بن سلام الدمشقي (ت ١٩٢ هـ) الذي رحل وتنقل في البلاد لتحصيل هذا العلم ونشره بين الناس ، ويعد تطواف من أجل العلم توجه إلى الأندلس وبدأ يعلم إخوانه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحتمر مسن أوائل الذين حملوا علم الحديث وفقه الأوزاعي إلى بلاد الأندلس . (١)

وكذلك فعل عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت ٢٣٩ هـ) وبقية بن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦ هـ) حيث رحلوا في طلب الحديث ، وعرفوا بتسكهم الشديد بجمعه والعمل به ، كما عرفوا باهتمامهم في نشر ذلك وإظهارهم مذهب الأئمة في تلك البلاد النائية ، وقد أشار بقية بن مخلد إلى جهوده في ذلك فقال : (لقد غرستُ للمسلمين غرساً بالأندلس ، لأطلع إلا بخروج الدجال) (٢)

ورحل الشافعي وأحمد من قبل طلباً للحديث ، وسعيًا وراء الآثار ، وصنفوا في ذلك الكتب والمسانيد ، وتكاد لا ترى عالماً من طمأنينة السلف إلا وقد كانت له رحلات وأسفار ، من أجل العلم بسماعه من الشيوخ ، وتلقى الأحاديث عنهم ، متحرين الدقة وصحة الإسناد واتعاله وطوَّه .

(١) (ابن كثير - البداية والنهاية - ١٠ / ٢٠٩) .

() (والمفدى - الوافي بالوفيات - ١٦ / ٣٠٨) .

(٢) (ابن عساكر - تهذيب تاريخ دمشق - ٢ / ٢٨٠) .

() (والذهبي - تذكرة الحفاظ - ٢ / ٦٢٩) .

ودعا علماء السلف إلى التمسك بالسنن والآثار قولاً وعملاً ، وكانوا قدوة
فى تطبيقها والعمل بها .

يقول الأوزاعى : طبعك بأثار من سلف وإن زفك الناس ، وإيساك
ورأى الرجال ، وإن زخرفوه بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم
وإذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فأياك أن تقول بغيره فإنه
كان مبلغاً عن الله تعالى . (١)

ويقول أيضا : (اصبر على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل ما قالوا ،
وكف ما كفوا ، وليسمعك ما سمعهم) (٢)

وهذا يعنى أن السلف كانوا يدركون فضل السنة ومكانة من تمسك بها ،
ويقدرون عواقب من انحرف عنها ، أو استهان بها ، ولهذا فقد اهتموا بدعوة
الناس إلى العمل بها والحرم عليها ، وحذروا من تقديم أي قول أو رأي على
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه عليه الصلاة والسلام لا يقول شيئاً
من عنده نفسه ، وإنما أحاديثه وسنته وحى من الله تعالى ، من حيث معناها ،
وأما لفظها فهو من اختياره صلى الله عليه وسلم .

فينبغى أن نتبع السلف ونهتج نهجهم ، ونفهم مواقفهم التى كانوا يبينون
فيها ما يجب على المسلم فعله ليسلم من البدعة ، ويمكن استخلاص ذلك من كلام
الأوزاعى المتقدم ، فلا بدّ إذأ من معرفة السنة ، ثم الصبر عليها ، وحمل النفس
على القيام بها ، ويجب كذلك أن لا يخالف المسلم سلفه العالِم ، بل يلتزم -
بمواقفهم ولا يخرج عنها حينما يكون خروج مخالفته للسنة وشذوذاً عن
الجماعة .

(١) (ابن أبى يعلى الحنبلى - طبقات الحنابلة - ٢٣٦/١)

• (والذهمى - تذكرة الحفاظ - ١٨٠/١)

• (والعلمى - المنهج الأحمد - ٣١٨/١)

(٢) (زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب : الناسخ - محاسن
السامى فى مناقب الأوزاعى ص ٧٥) تحقيق شكيب أرسلان - مطبعة مصطفى
البايى الحلبي - بصر

وسرى أئمة السلف أن اتباع الآثار والحرص عليها علامة على سلامة صاحبها من البدعة ، وسبب لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والناس أيضاً ، لأن قلوب الناس تسكن إلى من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتتفر ممن ابتدع في دين الله ما ليس منه ، وقد شهد أحمد بن حنبل لمالك بن أنس رحمهما الله تعالى باتباعه للسنة وحرصه عليها ، فقال :

(رحمة الله على مالك ، القلب يسكن إلى حديثه وفتياه ، وحقيق أن يسكن إليه ، مالك ضدنا حجة ، لأنه شديد الاتباع للآثار التي تصحّ عنده) (١)

وفى هذا ثناءً ودعاً لكل متمسك بالسنة ، حرص على الآثار ، وحسب لمن كان كذلك أن يكون حجة ومرجعاً يقتدى به الناس ، ويسكنون إلى حديثه وفتواه .

وشهد للبهلول بن راشد القيرواني (ت ١٨٢ هـ) بعض معاصره بتسكبه بمنهج السلف ، واتباعه للسنة ، فقال :

(ما كان بهذا البلد أحد أقوم بالسنة من البهلول بن راشد في وقته) (٢)

وهذه الشهادة وأمثالها دليل على أن الدعاة اهتموا بالتطبيق العملي والدعوة الفعلية قبل الدعوة بالكلام ، وكان أثرهم في الدعوة كبيراً حينما أصبحوا قدوة في اتباع السنة والاستقامة عليها ، ولم تتناقض الأقوال والأفعال .

وللبهلول بن راشد قصة طريفة تشير إلى حرصه الشديد على الاتباع ، وخوفه وحذره من المخالفة والابتداع ، ذلك أنه خرج يوماً على أصحابه ، وقد غطى خنصره بيده ، وكان أهله قد سألوه حساجة فربط في خنصره خيطاً ليدكرها ، ثم قال : خفت أن أكون ابتدعت فغطيت أصبعي كي لا يراه أحد فيقتدى بي ، ثم وجه بعض أصحابه ، وأسر إليه الأمر ، فسأل عبد الله بن فروخ -

(١) عيسى بن مسعود الزواوي - مناقب مالك - ١ / ١١ () .

(٢) القاضي عياض - ترتيب المدارك - ١ / ٢٢٠ () .

(ت ١٧٥ هـ) فقيه القيروان في زمانه ، فأجابه بأن عبدالله بن عمر - رضی الله عنهما - كان يفعل ذلك ، فنحى البهلول كفه عن خنصره ، وقال :
(الحمد لله الذي لم يجعلني ممن ابتدع بدعة في الاسلام) (١)

ونلاحظ مما سبق دقة السلف العالح في اتباعهم للسنة ، وحرصهم على موافقتها حتى في الأمور التي تبدو صغيرة ، لا يلتفت إليها كثير من الناس ، فإننا نرى أولئك الأئمة يهتمون في كونها متفقة مع السنة ، ويحدون ربهم على أن وفقهم لذلك ، وجنبهم خطورة الانحراف عن المنهج الحق ، وعواقب الابتداع في دين الله تعالى .

وكان الفضيل بن عياض نزيل مكة وطالما (ت ١٨٧ هـ) متمسكاً بالسنة دائماً إليها بفعله وقوله ، ومبيناً أن العمل لا يقبله من شرطين : أحدهما أن يكون خالماً لله تعالى ، والثانيهما أن يكون موافقاً للسنة .

ويفسر الآية الكريمة : (ليلوكم أيكم أحسن حسلاً) (٢) ، على أن حسن العمل يتطلب أن يكون خالماً وصواباً ، فقبل له : يا أبا طي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالماً ، ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالماً لم يقبل ، حتى يكون خالماً وصواباً ، والخالس : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة ، ثم قرأ قوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٣) ، (٤) .

فإخلاص العمل لله تعالى ، وموافقته للسنة ، شرطان لقبول الأعمال ، فهما الفضيل بن عياض من نصوص الكتاب والسنة ، واشترطهما ، وأكد عليهما .

(١) المرجع نفسه ٢٣٦/١ .

(٢) آية رقم (٢) من سورة الطك .

(٣) آية رقم (١١٠) من سورة (الكهف) .

(٤) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ٦٠٠ / ١١) .

(رسالة العبودية من مجموعة التوحيد ص ٥٧٤) .

(وابن القيم - اطلال الموقعين - ١٦٢ / ٢) .

فكل صل وافق السنة كان صواباً ، وكل ماخالفها فهو
مردود بعيد عن الصواب .

احتكامهم إلى الكتاب والسنة :

ويلغ اهتمام رجال المدارس بالأثر أنهم كانوا يرجعون في كل شأن من
شئونهم إلى الكتاب والسنة ، فما وافقها علواً به وأقره ، وماخالف رفضوه
وحذروا الناس منه ، فليس حشهم على الاستصاك مجرد قول ، وإنما هو اتجاه
معمول به في كل الأمور .

وقد صرح بذلك كبار الأئمة أمثال : أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد
رحمهم الله تعالى .

يقول مالك : (إنما أنا بشر ، أخطئ وأصيب ، فانظروا في قولي
فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه) (١)

ويقول الشافعي : (إذا صحّ عندكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقولوا به ودعوا قولي ، فإنني أقول به وإن لم تسمعوا مني ، واضربوا بقولي
مرض الحائط فلا قول لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٢)

ويقول أيضا : (وكل مسألة تكلمت فيها ، صحّ الخير منها عن النبي
صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل ، بخلاف ما قلت ، فأنا راجع ضها فسي
حياتي وبعد موتي) (٣)

(١) (ابن القيم - ١ - إلام الموقعين - ٧٥ / ١) .
(٢) (ابن كثير - البداية والنهاية - ١٠ / ٢٥٢)
(وأبو نعيم - الحلية - ١٠٧ / ٩) و (ابن أبي حاتم الرازي - آداب -
الشافعي - ٢٢٥ / ٤) و (الداودي - طبقات المفسرين - ١٠٠ / ٢) .
(٣) (ابن الجوزي - صفوة الصفوة - ١٤٦ / ٢) و (ابن القيم - اعلام
الموقعين - ٢٦٦ / ٢) و (ابن أبي حاتم الرازي - آداب الشافعي
٦٨ / ١) .

ولقب الشافعي في بغداد (ناصر الحديث) ، وشهد له أحمد بن حنبل بشدة اتباعه للسنة ، وسرعة رجوعه عن رأيه إذا سمع بالحديث .

يقول أحمد : ما رأيت أتبع للحديث من الشافعي ، وكان أحسن أمره أنه إذا سمع الخبر لم يكن عنده ، قال به وترك قوله . (١)

وكان الشافعي للعلم كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فهل لهذين من خلف ، أو ضمها من صوف . (٢)

ويبدو من هذه النصوص، وأمثالها احتكام الأئمة وتحكيمهم للكتاب والسنة ، وحسن تصكيمهم بهما ، ورجوعهم إليهما .

فهم يحترفون بأنهم بشر ، ومن طبيعة البشر الوقوع في الخطأ ، وإذا كان الأمر كذلك فكل إنسان يؤخذ من كلامه ، ويُردّ عليه إلا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عصمه الله تعالى وسدّده بالوحي ، وإذا كان الأمر كذلك فليس ثمة موقف أحسن من موقف الأئمة السابق ، حيث نصحوا الناس باتباع السنة ، والرجوع إلى الحديث الصحيح ، وترك أقوالهم التي قالوها قبل أن يطلعوا على الحديث المخالف لها ، فإذا صح مثل هذا الحديث ، فهو قولهم ، لأنه لا قول لهم مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم راجعون عن كل مسألة صحّ فيها حديث مخالف لما رأوا ، وهذا غاية الإنصاف والفهم ، والتمسك بالكتاب والسنة .

وهكذا كان رجال المدارس مستمسكين بالسنة ، باذلين الجهود الكبيرة في جمعها وتدوينها ، والدعوة إليها قولاً وفعلاً ، على اختلاف مدارسهم ومن هؤلاء :

(١) (أبو نعيم - الحلية - ١٠٢/٩) و (ابن القيم - اعلام الموقعين - ٢٦٧ / ٢) .

(٢) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٦٦/٢) و (ابن الجوزي - صفة الصفوة - ١٤٢/٢) و (ابن خلكان - وفيات الأعيان ١٦٣/٤) و (وابن فرحون المالكي - الديباج الذهب - ٢٢٩) .

- معمر بن راشد (ت ١٥٣ هـ) (١) ، في اليمن .
- سعيد بن عروبة (ت ١٥٦ هـ) (٢) ، في البصرة .
- والأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) في الشام .
- والريبع بن صبيح (ت ١٦٠ هـ) (٣) ، في البصرة .
- وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) في الكوفة .
- والليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) في مصر .
- وحامد بن سلمة (ت ١٧٦ هـ) في البصرة .
- وعبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) (٤) في خراسان .
- وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في بغداد .

(١) معمر بن راشد / الأزدي مولاهم البصري نزيل اليمن ولد سنة خمس أو ست وتسعين ، وشهد جنازة الحسن البصري ، وطلب العلم وهو حدث ، فصار من أوعية العلم واشتهر بالمدق والورع والتحرى ، وحسن التصنيف ، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة .
انظر : (تذكرة الحفاظ للذهبي ١٩٠ / ١) و (سير أعلام النبلاء للذهبي

• ٥٥ / ٧)

(٢) سعيد بن مهران بن عروبة العدوي ، عدى يشكر مولاهم البصري ، سمع الحسن وابن سيرين وآخرين ، وروى عنه الأعمش وغيره ، واتفقوا على توثيقه ، لكنه اختلط قبل وفاته ، توفي سنة ست وقيل سبع وخمسين ومائة (النوى - تهذيب

الأسماء واللغات / ١ / ٢٢١ /)

(٣) الريبع بن صبيح : البصري العابد مولى بنى سعد ، من أعيان مشايخ البصرة كان كبير الشأن ، إلا أن النسائي ضعفه في الحديث ، توفي بالسند سنة ستين ومائة ، وقال الذهبي : توفي غانماً بأرض الهند .
انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٢٨٧ / ٧)

(٤) عبدالله بن المبارك بن واضح التميمي ولاه التركي ، المرزى أباً الخوارزمي أمماً ، فخر المجاهدين وقدوة الزاهدين أبو عبد الرحمن ، ولد سنة ثمان عشرة ومائة ، ورحل في طلب الحديث والعلم سنة إحدى وأربعين ومائة ، ودون العلم في الأبواب والفقه والغزو والزهد والرقائق ، مات بهيت سنة إحدى وثمانين ومائة .

انظر : (الطبقات الكبرى ٣٧٢ / ٧) و (تاريخ بغداد ١٥٢ / ١٠) ،
و (تذكرة الحفاظ ٢٧٤ / ١)

وغير هؤلاء من شيوخ مدارس العصر العباسي الأول المنتشرة في شتى مدنه وأصقاره .

ومن كل ما سبق من النصوص المتنوعة يظهر حرص سائر الأئمة على التمسك بالكتاب والسنة ، واهتمامهم البالغ بالأحاديث والآثار ، ودعوتهم إلى العناية بها واتباعها ، ولكننا نجد مدرسة الحجاز قد نالت شهرة واسعة في هذا الاتجاه حتى أصبح من خصائصها ومميزاتها ، ولعل شدة تمسك الحجازيين بالسنة والآثار ترجع إلى أسباب كثيرة منها :-

أولاً :
أن الحجاز هو موطن الصحابة الأول ، ومهبط الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أغنى المدارس بعلماء الصحابة ومحدثيهم وفقهائهم ، ومن ثم فجموع الأحاديث والآثار في مدرسة الحجاز أكثر منها في البلدان الأخرى .

ثانياً :
أن علماء الحجاز كانوا حريصين أكثر من غيرهم على تراث الصحابة والتابعين وعدم الانحراف عن منهجهم في الإكثار من الرواية ، والتمسك بالمأثور ، واستمرت هذه الخاصية فيه أجيالاً طويلة .

ثالثاً :
أن رجال مدرسة الحجاز كانوا ينظرون إلى أقوال التابعين وفتاواهم نظرة إجلال وتقدير ، يقدمونها على كثير من آرائهم واجتهاداتهم بخلاف رجال العراق ، فكانوا لا يتقيدون بأقوال التابعين ، يسئلون بجهادهم كما اجتهدوا .

رابعاً :
أن شيوخ الحجاز كانوا يرون الإكثار من الرواية ونقل الآثار طامعة وقرية حصن طيها الإسلام ، وودد الله فاعل ذلك أجراً ومثوبة ، أما شيوخ العراق فغلب عليهم الخوف من الوقوع في الكذب إن هم أكثروا من الرواية ، وبخاصة في زمان كثر فيه الوضع والكذب .

خامساً :
لم تكن حالة التأثر بالعلوم الأجنبية قد بدأت ، ولم يكن الاتجاه
العقلى قد انتشر بين المسلمين ، وإنما توارث أهل الحجاز منهج
الأخذ بالآثار والعناية بها بعيداً عن التعمق فى الاجتهادات
العقلية ، والتفريقات الاستنباطية ، كما عرف ذلك فى مدرسة
العراق .

ومهما تكن الأسباب فى كثرة الرواية عند الحجازيين وشدة التمسك بالآثر ،
فإن جميع المدارس الدعوية متفقون على أن الأخذ يجب أن يكون بالكتاب والسنة
الصحيحة ، لكن أهل الحديث تهيّبوا الرأى ، ولم يأخذوا به إلا مضطرين ،
كما تهيّب أهل الرأى كثرة الرواية ، وتحملوا تبعات الرأى ، دون تعصب ،
وفى حال اطلاعهم على حديث صحيح يعارض رأيتهم ، رجعوا إليه ، دون حرج ،
ضارين برأيتهم عرض الحائط .

تحذير أهل الأثر من الرأى :

لقد كان كثير من الصحابة يتخرجون من الرأى ، ويتعدون عنه ، ويتوقفون
ضد عدم وجود نعر فى المسألة ، وكان فى التابعين من التزم طريقهم وسار على
نهجهم ، ومن هؤلاء : الزبير بن العوام ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ،
وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد بن أبى
بكر ، وجميعهم فى المدينة والشعبى فى الكوفة ، وعمرو بن دينار فى مكة ،
والأوزاعي فى الشام .

فقد كان هؤلاء وأمثالهم ، يحرصون على تتبع السنن والآثار حرصاً كبيراً ،
لا يهتمون بالرأى ، ولا يقولون به إلا نادراً .

وقد سُئل الشعبي عن مسألة ، فسكت لأنه لم يجد فيها نفعاً ، ولم يحفظ

ففيها أثراً فقيلاً له : قل برأيك ، قال : وما تمنع برأيي ، بل على رأيي (١) .

ونستفيد من هذه الرواية عن الشعبي أنه كان من علماء السلف من يكسره
الخوض في الرأي ويحرم كل الحرص على اتباع المأثور والتواضع .

ويبدو أن الرأي المذموم - في نظرهم - هو ما خالف سنة أو أثراً من
المصاحبة أو التابعين ، أو تعارض مع أفعالهم التي كانت قريبة من عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم وصحابته ، أو خالف قاعدة عامة أو أدباً إسلامياً ، وقد أشار
أبو حنيفة رحمه الله إلى الرأي المذموم بقوله : البول في المسجد أحسن من
بعض القياس (٢) .

وحذّر منه الأوزاعي رحمه الله حين قال : وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه
بالقول وإذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فإياك أن تقول
بغيره (٣) .

فالرأي المخالف للسنة أو الحديث أو الأثر هو رأي مذموم حذّر منه شيخنا
المدارس في الحجاز والعراق والشام وغيرها .

ولا تكاد ترى أحداً من علماء السنة ، مهما كانت مدرسته ، يدع الحديث
الصحيح وهو يعلم به ليأخذ برأي إنسان معرض للخطأ ، ولكن الذي قد يحصل
في بعض الأحيان عدم معرفة الإمام بحديث من الأحاديث ، أو عدم صحته
لديه ، فيجتهد رأيه ، ويستنبط الأحكام بالقياس وغيره ، ثم يبلغه الحديث ،
أو يتقوى بطرق أخرى ، فيدع رأيه ويتبع ما صحّ من الحديث .

(١) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٢٥٠/٦) .

(٢) (الذهبي - مناقب أبي حنيفة وصاحبيه - ص ٢١) .

(٣) (ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحفاظ - ٢٣٦/١) .

(والذهبي - تذكرة الحفاظ - ١٨٠/١) .

(والعليني - المنهج الأحمد - ٣١٨/١) .

ثَانِيًا

مَوْقِفِهِمْ مِنْ الرَّأْيِ

ثانيها : الأخذ بالرأى :

لقد وُجد منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الفقهاء اشتهروا بالرأى ، كما اشتهر جماعة آخرون بالرواية ، وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - بعد عصر النبوة أمام حوادث لاتتناهى ، وعندهم كتاب الله - عز وجل - وما يحفظون من سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم .

وكانوا يرجعون في كل أمورهم إلى الكتاب الله تعالى ، فإن لم يجدوا الجواب فيه ، رجعوا إلى المأثور عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسألوا عن يحفظ شيئاً في المسألة فإن لم يجدوا اجتهداً وآراءهم ، وذلوا جهدهم في النظر والاستنباط .

وهذا المنهج هو الذي أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورضي عنه لعماذ بن جبل - رضي الله عنه - وذلك لما ولاء على اليمن ، وجعل إليه قبض المديقات ، وسأله : بم تقضى يا معاذ ؟ فقال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ : قال : بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : اجتهد ولا آلو ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله) (١)

وكان أبو بكر - رضي الله عنه - إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله تعالى ، فإن وجد فيه شيئاً قضى به ، وإلا فإن ظم شيئاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى به ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين : هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قضى في ذلك بقضاء ؟ فرما اجتمع إليه نفر ، كلهم يذكر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا ظم نبينا - صلى

(١) (سنن أبي داود - ٢/٣٠٢ - كتاب الأضحية - باب اجتهاد الرأى في القضاء - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية - بشارع محمد طي بمصر .
(سنن الترمذى - ٢/٦٠٧) .

نشأة الرأى :

نشأ الرأى منذ صدر الاسلام ، وأخذ الصحابة به ، ولكنهم يتفاوتون فى مقدار أخذهم به ، ففرق أكثر منه ، وفرق أخذ منه بخسب قليل .

وفى عهد التابعين تبلور الاتجاهان ، وتباد كل منهما عن الآخر ، فالذين يؤثرون الرواية يزيدون فى الاستسكاط بطريقتهم ، ويجدون فيها السلامة من الفتن والأهواء ، والآخرون يرون كثرة الكذب فى الحديث ، وجرأة الناس قسى التحديث ، وشيوع أحاديث ، انتحلتها الفرق انتحالاً ، فقد وضعت الزنادقة على النبى - صلى الله عليه وسلم - أحاديث لأهل لها ، استخفاً منهم بالدين وأحكامه ، واحتسب جهلة المتعبدين أحاديث موضوعة فى الغفائسـل والرغائب ، وأقدم فسه المحدثين على وضع الحديث إغراباً وسمعة ، وروى دعاء البدع وتمتعبو المذاهب أحاديث مختلفة ، اتباعاً للهوى ، وتقوية للحجة ، وتمعياً للفكرة ، كانت هذه الموجة من الكذب فى عصر تابعى التابعين ، وعصر المجتهدين - أصحاب المذاهب - وهى التى دفعت المحدثين إلى تحميم الرواية ودراسة الأسانيد ومعرفة أحوال الرجال ، كما كانت سبباً من أسباب إكثار فقهاء الرأى من الإفتاء بالرأى ، خشية الوقوع فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء فى كتاب (حجة الله البالغة) - بعد أن ذكر أهـل الحديث - : وكان يازا هؤلاء فى عصر مالك وسفيان ومن بعدهم قسوم لا يكرهون المسائل ، ولا يهابون الفتيا ، ويقولون : على الفقه بناء الدين ، فلا يد من إشاغته ، ويهابون رواية أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرفح إليه ، حتى قال الشعبي : على من دون النبى - صلى الله عليه وسلم - أحسب إلينا ، وقال إبراهيم النخعى : أقول : قال عبد الله ، وقال طعنة ، أحب إلينا .

ولم يكن ضد هم من الأحاديث والآثار ما يقدرون به على استنباط الفقه من الأصول التى اختارها أهل الحديث ، فلم تنشرح صدورهم للنظر فى

أقوال طما' البلدان وجمعها ، والبحث عنها ، واتهموا أنفسهم في ذلك ،
وكانوا يعتقدون أن أئمتهم في درجة عالية من التحقيق ، وكانت قلوبهم أميل
إلى أصحابهم ، كما قال طقمة :

هل أحد منهم أثبت من عبدالله - ابن مسعود -

وقال : أبو حنيفة : إبراهيم أفقه من سالم ، ولولا فضل الصحبة لقلت :
طقمة أفقه من ابن مسعود .

وكان عندهم من الفطنة وسرعة انتقال الذهن من شيء إلى شيء ، ما يقدر
به على تخرج جواب المسائل على أقوال أصحابهم ، وكلهم يسر لما خلق له ،
وكل حزب بما لديهم فرحون ، فهدوا الفقه على قاعدة التخرج . (١)

ويمكن استخلاص بعض أسباب أخذ مدرسة العراق بالرأى ، ومنها :

اعتقادهم وجوب الفتيا ، وعدم تهيبهم المسائل والإجابة عنها ، والتفريغ
فيها وتخوفهم من التحديت خشية التقول على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ومن رجال الرأى المعروفين : طقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ) ، ومسروق
ابن الأجدع (ت ٦٣ هـ) ، والقاضي شرح الكندي (ت ٧٨ هـ) وهم كوفيون
وقد درسوا فقه الصحابييين : عبدالله بن مسعود وعلى بن أبي طالب - رضى الله
عنهما - .

وجاء إبراهيم النخعي فأخذ الفقه عن طقمة ومسروق وشرح ، ويعتبر إبراهيم
في مدرسة العراق كسعيد بن المسيب في مدرسة الحجاز .
ثم جاء حماد بن سليمان (ت ١٢٠ هـ) الكوفي وتفقه على إبراهيم حتى
صار أعظم الناس برأيه .

ثم اشتهر أبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ) الذي أخذ فقه أهل العراق عن شيخه
حماد ويرعى الفقه ، ووصل درجة الاجتهاد المطلق ، وطلب اسمه على المدرسة

(١) انظر : (الدهلوى - حجة الله البالغة ١ / ١٥١) .

أولا : متى يلجأون إلى السراى ؟

عرضا نشأة الرأى ، وأنه كان معمولاً بمنذ عصر الصحابة ، ورأينا نماذج من رجاله الذين اشتهروا به ، لكثرة أخذهم به ، واحتياجهم إليه .

ونودُّ أن نعلم - هنا - متى تلجأ المدارس - وبخاصة مدرسة العراق - إلى الرأى ؟

إن كل ناظر فى فقه المدرسة ، يدرك أن الرأى ليس كل شئ فيها ، ولكنه آخر ما يلجأ إليه الفقيه .

وأذكر الآن بعض النصوص التى تبين منزلة الرأى فى طرق الاستدلال وأقدم نهر القاضى شرح بن قيس الكندى الذى يرويه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لأهميته ، ولأنه أساس لما بعده من النصوص ، وهو ما أخذ من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع معاذ بن جبل - رضى الله عنه - الذى تقدم ذكره :

يقول شرح - رحمه الله - : قال لي عمر - رضى الله عنه - : (اقض بما استبان لك كتاب الله تعالى ، فإن لم تعلم كل كتاب الله ، فاقض بما استبان لك من قضا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين ، فإن لستم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين ، فاجتهد رأيك ، واستشر أهل العلم (١))

وأخذ أبو حنيفة رحمه الله - بالمنهج نفسه ، وبين ذلك بقوله :
(أخذ بكتاب الله ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) (ابن القيم - أعلام الموقعين - ١ / ٢٠٤) .

فإن لم أجد في كتاب الله ، ولا سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أخذت بقول أصحابه ، أخذ بقول من شئت منهم ، وأدع من شئت منهم ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فأما إذا انتهى الأمر - أوجاً - إلى إبراهيم ، والشعبي ، وابن سيرين^(١) ، والحسن ، وعطاء ، وسعيد بن المسيب - وهذ رجالات - فقوم اجتهدوا ، فأجتهد كما اجتهدوا (٢)

ويرد أبو حنيفة على من يتهمه أو يتهم أصحابه بتقديم القياس على النسخ فيقول :

(كَذَبَ - والله - واقتري طينا من يقول عنا : إننا نقدم القياس على النسخ وهل يحتاج بعد النسخ إلى قياس نحن لانقيس إلا عند الضرورة الشديدة وذلك أننا ننظر أولاً في دليل تلك المسألة من : الكتاب والسنة وأقضية الصحابة - فإن لم نجد دليلاً قسنا حينئذ مسكوتاً عنه على منطوق به بجامع اتحاد بينهما)^(٣)

وسرت هذه الإشاعة عن مدرسة العراق ورجالها - وبخاصة أبا حنيفة - حتى بلغت أبا جعفر المنصور - الخليفة آنذاك - فكتب إليه يستفسر عن ذلك بقوله : بلغني أنك تقدم القياس على الحديث

فرد عليه أبو حنيفة برسالة جاء فيها : (ليس الأمر كما بلغك - يا أمير المؤمنين - إنما أعمل أولاً بكتاب الله ، ثم بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) محمد بن سيرين : أبو بكر الأنصاري البصري مولى أنس بن مالك ، كان أبوه من سبي جرجرايا ، تملكه أنس ثم كاتبه على ألوف من المال فوفاه ، ولحقه محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، سمع أبا هريرة وابن عباس ، وابن عمر وهران بن الحصين ، وأدرك ثلاثين صحابياً ، كان عالماً بالقضاء والفرائض والحساب وتعبير الرؤيا وله في ذلك تأييد إلهي ، مات بعهد الحسن البصري بمائة يوم سنة عشرة ومائة .

انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤) .

(٢) (الصميري - أخبار أبي حنيفة وأصحابه - ص ١٠) .

و (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٣٦٨ / ١٣) .

(٣) (محمد أشرف التهانوي - إنجاء الوطن - ٤١/١) .

(والشعراني - الميزان ١ / ص ٥٣) .

ط الثانية - مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٩م - القاهرة .

ثم بأقضية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضى الله عنهم - ثم بأقضية بقية الصحابة ،
ثم أقيس بعد ذلك إذا اختلفوا ، وليس بين الله وبين خلقه قرابة (١)

وُستخلص من هذه النصوص السابقة أن مصادر الاستدلال وأصول الاجتهاد
هي كتاب الله تعالى ، ثم سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم أقوال الصحابة
المجمع عليها والمختلف فيها ، لا يُخرج عنها ، ثم اجتهاد الرأى وفي مقدمته
القياس الذى هو جزء منه ، حيث تقاس مسألة سكت عنها الشارع على مسألة
نص عليها ، العلة مشتركة بين المسألتين .

كما تفيد النصوص أن الأخذ بالرأى إنما يكون عندما لا يتوفر للمسألة دليل
من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة وأقضيتهم ، وقد صرح بذلك أبو حنيفة
حين قال : هل يُحتاج بعد النص إلى القياس ! نحن لانقيس إلا عند الضرورة
الشديدة .

فتقد يسم القياس على الحديث غير وارد ، لأن الدليل الظنى لا يقف أمام
القطعى ولا اجتهاد لأحد مع وجود نص صريح صحيح فى المسألة .

وأما ما يرى من كثرة الأخذ بالرأى فى مدرسة العراق ، فقد سبقت الإشارة
إلى بعض أسبابه ، مثل : كثرة المسائل الحادثة وحاجتها إلى جواب وقتوى
وهيبة رجال المدرسة من كثرة الرواية ، وخشيتهم من الوقوع فى الكذب على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - واستعدادهم الكبير للنظر والاجتهاد الموجود
أصلاً ، أو المكتسب بالمران وتأثير البيئة .

ويضاف إلى هذا قلة الصحابة من الرواة والمحدثين بينهم بالنسبة إلى
ما كان موجوداً فى مدرسة الحجاز مثلاً .

كما أن انتشار موجة الكذب والوضع فى الحديث جعلهم يتربثون فى قبول
الرواية وبخاصة عندما يكون روايتها من بلد آخر ، مما يجعلهم غير معروفين

(١) (الشعرانى - الميزان - ١ / ٥٣) .

تماماً عند علماء العراق ،

هذه الأسباب وغيرها كان لها أثر في كثرة الرأي في المدرسة مما قد يترتب عليه وجود رواية أو أكثر في مدارس أخرى تخالف بعض الآراء الاجتهادية في مدرسة العراق ، وذلك لعدم طمها بتلك الروايات ، أو عدم ثبوتها عند رجالها ، فإذا صح الحديث في مسألة ما ، فليس لأحد قول بعده ، وهذا ما صرح به أئمة السلف ، وشيوخ المدارس ، وقد سبق ذكر بعض تصريحاتهم وأقوالهم في هذا العدد ، وأذكر هنا كلمة للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، وشيخ المدرسة بعده ، يقول رحمه الله :

(كل ما أفتيت به فقد رجعت منه إلا ما وافق الكتاب والسنة ، واجتمع عليه المسلمون) (١)

قال ذلك في آخر حياته ، وتراجع عن كل رأي قاله ثم صحّ حديث بخلافه ، لأنه حين قاله لم يكن يعلم بالحديث ، فكان لا بد من اجتهاد الرأي ، والأخذ بالقياس وغيره من أجل إصدار حكم للمسألة ، وإيجاد جواب لها .

(١) انظر : (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١ / ٢٩٣) .

ثانيها : موقف رجال الرأي من النص :

تقدم الكلام عن مدرسة العراق ورجالها ، ورأينا ترتيب معادرا الأدلثة وأصولها ، ومكان الرأي فيها ، وفيما سبق إشارة واضحة إلى تقديم النعريطسى ماسواه من معادرا الأحكام ، وأذكر هنا بعض المواقف لرجال المدرسة ، التسى يظهر من خلالها تقديرهم للنصوص ، ورجوعهم إليها فى كل مسألة .

يقول أبو حنيفة - رحمه الله - : (ماجاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلى الرأس والعين ، وما جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن قولهم ، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال) (١)

وسئل أبو حنيفة عن أمان العبد ؟ فقال : إن كان لا يقاتل فأمانه باطل فقال له السائل - وهو زهير بن معاوية (٢) : حدثنى عاصم الأحول (٣) عن الفضيل بن يزيد الرقاشى (٤) ، قال : كنا نحاصر العدو ، فرمى اليه بسهم فيه أمان ، فقالوا : قد أمنتونا ، فقلنا : إنما هو عبد ، فقالوا : والله ما نعرف منكم العبد من الحر ، فكتبنا بذلك الى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، فكتب

-
- (١) انظر : (الصيبرى - أخبار أبى حنيفة وأصحابه - ص ١٠) .
(والخطيب البغدادى - تاريخ بغداد - ١٣ / ٣٦٨) .
(والذهبي - مناقب أبى حنيفة وصاحبيه - ص ٢٠) .
(عبدالوهاب شمراني - الميزان ١ / ٥٣)
- (٢) زهير بن معاوية بن صريح بن الرحيل الإمام المجود أبو خيثمة الجعفى الكوفى ، محدث الجزيرة ، كان من أوعية العلم صاحب حفظ وإتقان ، ولد سنة خمس وتسعين ، وتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائة .
- (٣) انظر : (الذهبى - سير أعلام النبلاء ٨ / ١٦٢) .
(عاصم الأحول : هو عاصم بن سليمان أبو عبد الرحمن الأحول البصرى قاضى المدائن فى خلافة المنصور ، وكان ثقة ، وقد تولى الولايات ، فكان بالكوفة على الحسبة فى المكابيل والأوزان ، مات سنة اثنتين وأربعين ومائة وقبيل ثلاث وأربعين .
- (٤) انظر : (تاريخ بغداد ١٢ / ٢٤٣) .
(الفضيل بن يزيد الرقاشى :

أن أجزوا أمان العبد ، فسكت أبو حنيفة ، ثم غبت عن الكوفة عشر سنين ، ثم قدمتها فأتيت أبا حنيفة ، فسألته عن أمان العبد ؟ فأجابني بحدِيثِ عاصم ، ورجع عن قوله فعلمت أنه متَّبِعٌ لما سمع . (١)

وقيل لأبي حنيفة مرة : أتخالف النبي صلى الله عليه وسلم ؟
فقال : لعن الله من يخالف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - به أكرهنا الله ، وبه استغذنا . (٢)

فهذه الروايات عن أبي حنيفة رحمه الله - تبين بوضوح موقفه من النسخ فهو عنده في المرتبة الأولى من بين مصادر الأحكام ، به يستدل ويحتج واليه يرجع ويحتكم ، فالكتاب أولاً ، ثم السنة ، ثم أقوال الصحابة ، لا يخرج منها ، فان أجمعوا على شيء تبعهم ، وان اختلفوا اختار من أقوالهم ما يجده أقرب الى الصواب ، فان لم يجد دليلاً من المراتب الثلاث اجتهد ونظر ، دون -
تقييد بقول التابعين .

ولم يتعصب أحد من رجال المدرسة لرأيه بعد سماه للنسخ ، فالرجوع الى النسخ الصحيح أسهل شيء لدى الأئمة المنصفين ، وشواهد ذلك كثيرة منها - ذلك النسخ المتقدم الذي ترك فيه أبو حنيفة رأيه وقال بالحدِيثِ حين بلغه ، والحدِيثِ موقوف على أمير المؤمنين عمر - رضى الله عنه - ويتبع أبو حنيفة رسول عمر - رضى الله عنه - لأنه لا يخرج عن أقوال الصحابة ان وجدت وبخاصة أقوال الخلفاء الراشدين .

ويتبرأ أبو حنيفة من كل من يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلعنه ، وكيف يخالف داعية أو امام قولاً ثابتاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يعلم به هذا لا يكون وبخاصة من أمثال أبي حنيفة رحمه الله .

(١) (ابن عبد البر - الانتقا - ص ١٤٠ - ١٤٥) .

(٢) (المصدر نفسه ص ١٤١)

وأما الصحبان : أبو يوسف ومحمد بن الحسن رحمهما الله - فهما شيخا مدرسة الرأي بعد أبي حنيفة ، وموقفهما من النعميد ومن خلال رحلتهم إلى المدينة ، فقد رحلا - كل على حده - لمقابلة مالك بن أنس رحمه الله - شيخ الحجاز آنذاك وقابلاه وسمعا منه الحديث والموطأ - الذي كتبه مالك وجمع أحاديثه .

ولمحمد بن الحسن رواية خاصة للموطأ ، وحفظ أبو يوسف عن المحدثين حتى عدَّ أحفظ أصحاب أبي حنيفة للحديث (١).

وشهد له يحيى بن معين رحمه الله فقال : أبو يوسف صاحب حديث وسنة (٢).

وأشار أبو يوسف في أواخر حياته إلى مدى احترامه لنصوص الكتاب والسنة وكشف عن موقفه تجاههما ، فقال : كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة ، واجتمع عليه المسلمون (٣).

ولكل من الصحابين كتاب يسمى (الآثار) وإن نظرة لهذين الكتابين أو أحدهما لكفيلة بتأكيد موقفهم تجاه النعم من حسن التقدير والتقدير . وقد روى محمد بن الحسن - رحمه الله - خبر المغيرة بن شعبه (٤) - رضي الله عنه في توريث الجدة حيث شهد بين يدي أبي بكر - رضي الله عنه - أن النبي

(١) (الحجوى - الفكر السامى - ١ / ٤٣٤) .

(٢) (الذهبى - تذكرة الحفاظ - ١ / ٢٩٣) .

(٣) (والخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٤ / ٢٤٧) .

(٤) (وابن خلكان - وفيات الأعيان - ٦ / ٣٨٢) .

(٥) (الذهبى - تذكرة الحفاظ - ١ / ٢٩٣) .

(٤) المغيرة بن شعبه بن أبي طامر بن مسعود : الأثر من كبار الصحابة وأصحاب الشجاعة ، شهد بيعة الرضوان ، وذهبت عينه يوم اليرموك ، وقيل يسوم القادسية وولي البحرين ، ثم البصرة أيام عمر ، ومات المغيرة وهو أمير طسى الكوفة سنة خمسين وله سبعون سنة .

انظر : (الذهبى - سير أعلام النبلاء ٣ / ٢١) .

- صلى الله عليه وسلم - أعطى الجدة السديس فقال أبو بكر : أعت بشاهسد
آخر ، فجا' محمد بن سلمة^(١) - رضى الله عنه ، وشهد مثل شهادته فأعطاها
أبو بكر رضى الله عنه السديس .

يقول محمد بن الحسن : وهذا أمر من أمور الدين ، وحكم من أحكامه ،
قبل فيه خبر الآحاد ، وإن كان قد طلب تأكيده بشاهد آخر .^(٢)

وسروي أيضاً خبر صر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين شهد عنده أبو
موسى الأشعري - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال :
(إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع ، فقال صر : أعت بشاهسد
آخر ، فشهد أبو سعيد الخدري - رضى الله عنه^(٣) - بمثل شهادته .

يقول محمد بن الحسن ، وهو يعلق على هذين الخبرين - : بالنسبة
لطلب أبي بكر شاهداً ، وطلب صر شاهداً ، إنما فعلاه للاحتياط ، والواحد
يجزى .^(٤)

(١) محمد بن سلمة الأوسي الأنصاري الحارثي أبو عبد الرحمن ، من الأمراء ومن أهل
المدينة ، شهد بدرا وما بعدها ، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم
على المدينة . بعض غزواته ، وولاه عمرطى صدقات جهين ، وما تفي المدينة سنقثلات
وأربعين .

(الذهبي - العبر ١/٣٧) - (الاصابة ت ٧٨٠٨)
(الزركلي - الأعلام ٧/٩٧)

(٢) انظر : (محمد بن الحسن الشيباني - كتاب الآثار -)
(الدهلوي - حجة الله البالغة ١/١٤١)

(٣) أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان بن عميد الأنصاري الخزرجي
مشهور بكنيته ، استمغروم (أحد) واستشهد أبو بهل ، وغزا أبو سعيد
ما بعدها ، اختلف في سنقوفاته ، والمشهور أنها أربع وسبعون للهجرة .
(الاستيعاب لابن عبد البر - ٢/٤٧) و(الاصابة لابن حجر - ٢/٣٥)

(٤) (محمد بن الحسن الشيباني - كتاب الآثار - ص) .

فتعليق محمد بن الحسن - رحمه الله - يبين منهجه ومنهج مدرسته فسى قبول خير الواحد وكونه مجزئاً في ثبوت أحكام الدين ، وهذا يدل على تقديمهم الاخبار والآثار على الرأي والقياس .

وقد تتبع ابن القيم - رحمه الله^(١) - مواقف أبي حنيفة وأصحابه من الأحاديث الضعيفة هل يقدمونها على الرأي أو يقدمون الرأي عليها ؟

يقول ابن القيم : (فضعيف الحديث عندهم أولى من القياس والرأي ، وعلى هذا بنى أبو حنيفة مذهبه ، كما قدم حديث القهقهة مع ضعفه على القياس والرأي ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر مع ضعفه على القياس والرأي ومنسوخ قطع السارق بسرقة أقل من عشرة دراهم ، والحديث فيه ضعيف)^(٢)

ويبدو أن كلام ابن القيم ليس مطرداً في مذهب أبي حنيفة ، بل هناك تفصيل خلاصته : أن الأحاديث الضعيفة أو أخبار الآحاد تُقدم على كل قياس كانت طته مستنبطة من أصل ظني ، أو كان استنباطها ظنياً ولو من أصل قطعي أو كانت قطعية ، ولكن تطبيقها في الفرع ظني .

أما إذا تعارضت الأخبار مع أصل طام من أصول الشرع ثبتت قطعيتها ، وكان تطبيقه على الفرع قطعياً فيقدم أبو حنيفة الأصل الثابت على الخبر ، بل ويضمن في نسبه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعارضته الأصل الثابت .^(٣)

وعلى هذا ظمير ضعيف الحديث أولى من القياس دائماً ، ولكنه يكون أولى منه عند عدم معارضته أصلاً طاماً أو قاعدة ثابتة من قواعد الشرع القطعية ، أما عند التعارض ، فالقياس على الأصل مقدم على الخبر . والله أعلم -

-
- (١) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، ابن قيم الجوزية ولد سنة : إحدى وتسعين وستمائة ، وتوفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وهو أحد كبار العلماء ، وتلميذ ابن تيمية ، وهو الذي هذب مكتبته ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، وأطلق بعد موت ابن تيمية ، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس .
- (٢) (ابن القيم - أعلام الموقعين - ٧٦/١) (شذرات الذهب - ١٦٨/٦)
- (والذهبي - مناقب أبي حنيفة وصاحبيه - ص ٢١٠)
- (٣) (محمد أبو زهرة - كتاب أبو حنيفة وفقهه - ص ٣٠٠) .

وكان في مدرسة الحجاز رجال مشهورون بالرأى ، مثل :
ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك بن أنس - رحمهما الله تعالى - ،
حتى إنه عُرف بـ (ربيعة الرأى) لكثرة آرائه وفتاواه ، وقد أثنى العلماء
على عقله وفقهه .

يقول يحيى بن سعيد الأنصاري (١٤٣ هـ) :
(ما رأيت أحداً أشدَّ عقلاً من ربيعة) (١)

ويقول الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) :
(كان ربيعة صاحب معضلات أهل المدينة ، ورئيسهم في الفها) (٢)

فقد وهبه الله عقلاً ذكياً سريح الفهم للمسائل ، دقيق النظر والفهم ،
يقيس الأمور بأشباهاها ، ويقتى فيها بما يراه صواباً ، فكانت تُرفع إليه المعضلات
من المسائل ، فيفتح الله عليه بفهمها ، وإيجاد حل لها .

ومسح هذا فقد كان قويّ الصلة بالنعم ، شديد التمسك بما يحفظ من سنن
وآثار ، شهد له بذلك أحد الأئمة الأعلام ، وهو عبدالعزيز بن أبي سلمة (٣) ،
حيث يقول : (لما جئت العراق جاني أهلها فقالوا : حدثنا عن ربيعة
الرأى ، فقلت : يا أهل العراق تقولون : ربيعة الرأى والله ما رأيت أحفظ
لسنته منه) (٤)

(١) ، (٢) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - القسم العثم لتابعي أهل المدينة
تحقيق زياد منصور - ٣٢١) .

(٣) عبدالعزيز بن أبي سلمة : هو عبدالعزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون
التميمي مولاهم المدني الفقيه ، كان أصبهانياً ، نزل المدينة ، وإليه تنسب
سكة الماجشون ، مات سنة أربع وستين ومائة .

انظر : (تذكرة الحفاظ : للذهبي ١ / ٢٢٢)

، (وطبقات الحفاظ للسيوطي - ٩٤) .

(٤) انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٦ / ٩١) .

، (وتذكرة الحفاظ - ١ / ١٥٨) .

ثالثًا

الاجتهاد في العبادة

ثالثاً : الاجتهاد فى العبادة :

يتلون الاجتهاد فى العبادة ألواناً كثيرة ، نظراً لتنوع الفرائض وتعدد القربات ، واختلاف أشكالها وهيئاتها وأوقاتها .
واجتهد المسلمون منذ عصر النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أصناف العبادات ، وأنواع القربات ، وسعوا للتخلق بمعانى الإسلام والإيمان والإحسان . وأصل هذا الاجتهاد أن الشرع حثّ على الإكثار من الطاعات والاجتهاد فى العبادات تفرغاً إلى الله وطلباً لمرضاته .

يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْجُدُوا لِلَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١)

ويقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : " الصَّلَاةُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتُ الْكِبَائِرَ " (٢)

ويقول عليه الصلاة والسلام : " مَا مِنْ عِبْدٍ يَمُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا " (٣)

وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة نعوص كثيرة تحث على العبادة بأنواعها المختلفة ، كالصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد ، وغير ذلك من الطاعات والقربات ، التى وعد الله من يفعلها صادقاً مخلصاً جنات عدن ، ورضواناً من الله أكبر .

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - أكثر الناس اجتهاداً فى العبادة ،

(١) آية رقم (٢١) من سورة (البقرة) .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة .
٠٠٠ الخ - ٢٠٩/١ - رقم (٢٣٣) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الصوم - باب فضل الصيام فى سبيل الله .
٠٠٠٠ الخ - ٨٠٨/٢ رقم (١١٥٣) .

وأصبرهم عليها ونهَجَ الصحابة والتابعون نهجَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكانوا أصحاب عبادة متواصلة في الليل والنهار ، لا يملُّون ولا يسأمون ، صوامين قوامين متعدين يسارعون إلى الجهاد والشهادة ، رهباناً في الليل ، فرساناً في النهار .

هذا عبد الله بن عمرو بن الخطاب - رضى الله عنهما - يبلغه ثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومدحه إياه ، وتعليق ذلك على قيام الليل ، فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً . (١)

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - يصوم الدهر ويقرأ القرآن كل ليلة ، ولما كان الإسلام يحب الاعتدال في العبادة ، ويكره الإفراط فيها ، ليتسنى للمسلم أداء جميع الحقوق المطلوبة منه - فقد أرشده النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى منهج معتدل ، فقال له : أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟

فقلتُ : بلى يا نبيَّ الله ، ولم أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ ،
قال : فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيَّام .
قلتُ : يا نبيَّ الله ، إني أطيعُ أفضلَ من ذلك .
قال : فإن لزوجك طيبك حقاً ، ولزورك طيبك حقاً ، ولجسدك طيبك حقاً . (١)

(١) انظر : (صحيح البخارى - كتاب العلاء - باب التهجد من الليل - فضل قيام الليل ٦١/٢ ، وباب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - مناقب عبد الله بن عمرو بن الخطاب - دار مطابع الشعب .
والحديث " نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل فكان لا ينام من الليل إلا قليلاً)
وصحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن العاص - رقم الحديث (٢٤٧٩) .

(٢) صحيح البخارى - كتاب الصوم - باب حق الجسم في الصوم (٥١/٢) ،
عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

و (صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب النهى عن صوم الدهر ٨١٢/٢) .

واجتهد الصحابة في الإنفاق والتصدق حتى استحقوا ثناء الله تعالى
فقال في حقهم :

(وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (١)

والإيتار أعظم مظاهر الكرم والعطاء ، كما اجتهدوا في اختيار نوعية النفقة
حتى صاروا يتصدقون بأحب أموالهم .

يقول أنس بن مالك رضى الله عنه : كان أبو طلحة الأنصاري أكثر الإنصار
مالاً وكان أحب أمواله إليه (بيرحى) وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس :
فلما نزلت هذه الآية :

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (٢)

قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله يقول فى
كتابه :

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) ، وإن أحب أموالى (بيرحى)
وإنها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث
شئت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بِرَحَى) ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ،
ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا ، وَإِنِّي أُرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ
فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عبه . (٣)

وما أكثر صور العبادة ، ووجوه الخير التى اجتهد فيها الصحابة ، من صلاة
أو صدقة أو صوم ، يقتدون فى ذلك كله برسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الذى ظم الناس كيف ينالون رضى الله تعالى ، ويفوزون بالنعيم الدائم -

وسلك التابعون الطريق نفسه ، واجتهدوا فى طاعة الله تعالى ،

(١) آية رقم (٩٩) من سورة (الحشر) .

(٢) آية رقم (٩٢) من سورة (آل عمران) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين

٦٩٢/٢ - رقم (٩٩٨) .

وتسابقوا في فعل الخير وصل البر ، فكان إبراهيم النخعي (ت ٩٥ هـ) يصوم
صيام نبي الله داود طيه السلام ، يصوم يوماً ويفطر يوماً^(١) ، وكان طي بسن
الحسين المعروف (بـ زين العابدين) (ت ٩٤ هـ) ، يصلي في اليوم
والليلة ألف ركعة إلى أن مات .^(٢) ، ولُقّب زين العابدين لكثرة عبادته
وحسن صلاته ، وظيفه خشوه .

وكان المسجد فراش عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ) عشرين سنة ، وإذا -
صَلَّى كان من أحسن الناس صلاة ، وهُي أثرُ السجود بين عيبيه .^(٣)

ومُرفَ طي بن عبد الله بن عباس (ت ١١٨ هـ)^(٤) بـ (السَّجَاد) لكثرة
سجوده ، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة .^(٥)

واشتهر كثير من رجال العصر العباسي بالاجتهاد في العبادة من كثرة
صلاة وصيام وإحياء الليل بالقرآن والذكر والدعاء ، إلى جانب ما عرفوا به من
علم وفقه .

فكان من السلف من يحيى الليل بالصلاة والقرآن ، وهم يبكون في خشوع
يتذوقون حلاوة العبادة ، ولذة المناجاة ، وكانوا يصلون بوضوء العشاء ، ومن
هوّلاً : سليمان بن طرخان التيمي البصري (ت ١٤٣ هـ)^(٦) ، وأبو حنيفة

(١) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١ /)

(٢) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ٧٥ / ١)

(٣) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٤٦٩ / ٥) .

() (والذهبي - تذكرة الحفاظ - ٩٨ / ١) .

(٤) علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : أبو الخلائف ، ولد عام قتل
الإمام طي فسمى باسمه ، حدث عن أبيه وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وابن
عمر ، وكان قليل الحديث لكنه عالم طام طاب يسجد كل يوم ألف سجدة ،
توفي سنة ثمان عشرة ومائة .

انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٢١٢ / ٥) و (الذهبي - سير

أعلام النبلاء ٢٥٢ / ٥ - ٢٨٤) .

(٥) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٢١٣ / ٥) .

(٦) سليمان بن طرخان التيمي البصري : القيسي مولا هم ، لم يكن تيمياً ، بل نزل
فيهم مسموح أنس بن مالك وطاووساً والحسن وغيرهم ، مكث أربعين سنة يصوم
يوماً ويفطر يوماً ، ويصلي الفجر بوضوء العشاء ، وكان عالم البصرة وطابها
طاش سبعا وتسعين سنة ، ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة .

انظر : (الطبقات الكبرى ٢٥٢ / ٧) و (تذكرة الحفاظ ١٥٠ / ١) .

النعمان بن ثابت الكوفي (ت ١٥٠ هـ) .

وقرأ الحسن بن صالح الكوفي (١٥٤ هـ) (١) وهو يعلو في الليل سورة
(النبا) عم يتساءلون فأغى عليه فلم يختمها إلى الفجر . (٢)

وكان الأوزاعي عالم الشام (ت ١٥٧ هـ) من أكثر الناس اجتهادا في عبادة
الله تعالى ، يحى الليل في الصلاة وتلاوة القرآن والبكاء ، وكان يقول :
من أطال القيام في صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة . (٣)

وصرف محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب العدني (ت ١٥٩ هـ) بأنسه
كان يقوم الليل كله يعلو ، ويذكر ربه ، ويتلو كتابه ، ولم يكن يدخر جهداً في
عبادة الله ، حتى لو قيل له : إن القيامة تقوم غداً ، ما كان فيه مزيد من
الاجتهاد . (٤)

ومن المجتهدين في العبادة سعيد بن عبدالعزيز التنوخي الدمشقي
(ت ١٦٧ هـ) ، فإنه كان كثير الصلاة ، عظيم الخشوع والبكاء ، ومن كثرة
بكاؤه في صلاته وخوفه من الله تعالى كان يقال عنه : كأن جهنم مائلة أمام
عينيه ، يرى لهيبها وحس بحرّها ، وكان إذا فاتته صلاة الجماعة يحسبه
من يراه أنه في مأتم لما يرى عليه من الحزن والبكاء . (٥)

-
- (١) الحسن بن صالح بن حي أبو عبدالله الهمداني الكوفي ، الفقيه العابد ،
ولد سنة مائة ، وكان وكيع بن الجراح يشبهه بسعيد بن جبير في الفقه
والعبادة والزهد والنصح للمسلمين ، مات سنة سبع وستين ومائة .
انظر : (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٥/٦) و (تذكرة الحفاظ ١/٢١٦) .
- (٢) (تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٢١٦) .
- (٣) (محاسن المسامى في مناقب الأوزاعي - نسخ زين الدين بن تقي الدين
بن عبدالرحمن الخطيب - تحقيق شكيب أرسلان ص ٣٦ - ٧٥) .
- (٤) (الطبقات الكبرى لابن سعد - القسم المتم لتابعي أهل المدينة ص ٤١٣
تحقيق زهاد منصور .
- (٥) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١/٢١٩)
(وابن صاكر - تهذيب تاريخ دمشق الكبير - ١٥٥/٦) .

وُحَسِّنَ الْغُضَيْلُ بْنُ عِيَّازٍ بِالْاجْتِهَادِ فِي الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَتَدْبِيرًا وَفَهْمًا ، يَنْتَهِسِي اللَّيْلَ وَيَطْلُعُ الْفَجْرَ وَهُوَ مُسْتَفْرَقٌ فِي تِلَاوَتِهِ ، يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ :
(إِنِّي لَأَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ مِنْ أَوَّلِهِ فِيهِوَلْنِي طَوْلُهُ ، فَأَقْتَحُ الْقُرْآنَ ، فَأَصْبِحُ وَمَا قَضَيْتُ نَهْمَتِي) (١)

وكان عبد الله بن غانم (ت ١٩٠ هـ) (٢) ، قاضي أفرقية يرى في صلاة الليل وسيلة لحل مشكلات القضاة ومعضلات الناس ، ففي كل ليلة يقف بين يدي الله تعالى يملئ ويناجي ، فإذا أتمَّ الركوع والسجود وجلس للتشهد وأوشك على السلام عرض الخصوم على ربه عز وجل ، وحكى قضاياهم وسأل ربه أن يلهمه السداد في الرأي والحكم ، ويحصه من الظلم والخطأ ، وكان يقول :

يسارب : فلان منازع فلانا ، وادّعى عليه بكذا ، فأنكر دعواه ، فسألته البينة فأتى ببينة شهدت بما ادّعى ، ثم سألته تركبتها ، فأتاني بمن زكّاهم ، وسألته عنهم في السرّ ، فذكر لي خيبراً ، وقد أشرفت أن آخذ له من صاحبه حقه الذي تبين لي أنه له ، فإن كنتُ على صواب فثبّنتي ، وإن كنتُ على خطأ فاصرفني ، فلا يزال يحرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم . (٣)

وكان من اجتهاد هؤلاء الدعاة في العبادة كثرة القراءة لكتاب الله تعالى

(١) (الغزالي - احيا طوم الدين ٢ / ٦٣٨) .

(٢) عبد الله بن غانم القاضي الافريقي ، ولاء القضاة عليها أميرها روح بن حاتم المهلبين ، وكانت ولايته سنة إحدى وسبعين ومائة للهجرة ، وهو أبسنت اثنتين وأربعين وكان ذلك في حياة شيخه مالك بن أنس ، توفي عبد الله سنة تسعين ومائة وقيل ست وتسعين .

انظر : (القاضي عياض - ترتيب المدارك - ١ / ٣١٦) .

(٣) (القاضي عياض - ترتيب المدارك - ١ / ٣١٦) .

فقد ورد أن وكيع بن الجراح الكوفي (ت ١٩٧ هـ) كان يختم القرآن كلَّ ليلة . (١)

وأما عبدالرحمن بن مهدي البصري (ت ١٩٨ هـ) فيختمه كلَّ ليلتين (٢)

وقبي يحيى بن سعيد القطان البصري (ت ١٩٨ هـ) فشرين سنة يختتم كلَّ ليلة . (٣)

وظل أبو يوسف القاضي - بعد توليه القضاء - يصلي كلَّ ليلة مائتي ركعة (٤)

وكان الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) مع كثرة أسفاره لأجل العلم والدعوة - لا ينام من الليل إلا قليلاً ، يسهر في تنقيح العلم والفقه ، ولا ينسى نصيبه من الصلاة والتلاوة ، فكان إذا مرَّ بآية رحمة سأل الله لنفسه وللمسلمين ، وإذا مرَّ بآية عذاب تعوذ بالله من عذابه وسخطه ، وسأله النجاة من أسباب ذلك . (٥)

وأما أحمد بن حنبل فكان يصلي كلَّ يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، وحين تقدمت به السن ، وتعرض لمحنة القول بخلق القرآن ، وتعرض للأذى والعذاب ، صار يصلي مائة وخمسين ركعة ، وكان يختم القرآن كلَّ سبعة أيام ، ويختمه ثانيه مائة كلَّ سبع ليال ، واحدة في الليل ، وأخرى في النهار ، فهو ينام بعد صلاة العشاء نومه خفيفة ، ثم يقوم إلى الصباح يقرأ ويدعو ويصلي . (٦)

وأما اجتهاد رجال المدارس وطما السلف في باب الإنفاق والعطاء فشيء يفوق الوصف ، فاللهيث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) شيخ مصر وإمامها كان دخله كلَّ يوم ألف دينار ، ومع ذلك لم تجب عليه زكاة البيت . (٧)

فلم يكن يكتز المال ويجمعه كما يفعل كثير من الأتيا بدافع الحرص والطمع

-
- (١) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ٣٢٨/١ - ٣٣٠) .
 - (٢) المصدر نفسه .
 - (٣) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١٩٨/١ - ٣٢٨) .
 - (٤) (المصدر نفسه - ٣٠٧/١) .
 - (٥) (الغزالي - احيا علوم الدين - ٤٢/١ - ٦٣٩/٢) .
 - (٦) (ابن عساكر - تهذيب تاريخ دمشق - ٣٩/٢) .
 - (٧) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٨-٣/١٣) .
 - (٨) (الغزالي - احيا علوم الدين - ١٧٩٢/٤) .
 - (٩) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ٢٢٥/١) .

ولكنه جاد به ، وبذله بسخا^١ نادر ، فوصل به العلماء ، وأطان به المحتاجين وأنفق منه على طلاب العلم والحديث ، فكان يرسل كل عام إلى مالك بن أنس مائة دينار .

وكتب إليه مالك - مرة - إن طي^٢ دُين^٣ ، فبعث إليه بخمسمائة دينار وأخبره مرة بعزمه على تزويج ابنته ، وحاجته إلى بعض العصفر لصبيغ ثيابها ، فبعث إليه الليث ثلاثين جملاً محملاً بالعصفر ، فصبيغ منه ، وياع بخمسمائة دينار ، ويقبي ضده فضلة .

وخرج حاجاً فقدم المدينة ، فبعث إليه مالك بطبق من رطب ، فجعل الليث على الطبق ألف دينار ، ورده إليه . (١)

وكان الليث ينفق كل أمواله على المحتاجين والسائلين ، ويعطيهم فسوق ما يؤملون ، ويخص طلاب العلم بالحظ الأوفر ، تشجيعاً لهم ، وسداً لحاجاتهم وإغناء لهم من الناس .

ويلخ الأمر بعهد الله بن المبارك الخراساني (ت ١٨١ هـ) أنه كان يتاجر ويحمل من أجل إخوانه العلماء ، يحملهم وينفق عليهم ، ويكفيهم مؤنة العيش ليتفرغوا للعلم والدعوة والإصلاح .

يقول عبدالله : (لولا خسة ما اتجرت ، وذكر أسماءهم فقال : وهم : سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والفضيل بن عياض ، ومحمد بن السمال ، وإسماعيل بن طي^٢) ، وقال عن هؤلاء في مقام آخر :

(١) (المصادر السابقة نفسها) و (ابن الجوزي - صفة الصفوة - ٢٨٠/٤) (وابن خلكان - وفيات الأعيان ١٢٧/٤) .
(٢) إسماعيل بن طي^٢ : هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم أبو بشر الأسدي مولاهم ويعرف بابن طية من أهل البصرة ، وأصله كوفي ولي المظالم ببغداد فسي أيام الرشيد ، وحدث بها إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وله من العمر ثلاث وثمانون سنة .
انظر : (تاريخ بغداد ٢٢٩/٦) و (تذكرة الحفاظ ١/٣٢٢) ، (طبقات الحفاظ ١٣٣) و (المنهج الأحمد للعلمي ١/٥٥) .

إنّسي لأعرف مكان قوم لهم فضل ومدق ، طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب لسه
بحاجة الناس إليهم احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع علمهم ، وإن أعانهم بثوا العلم
لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم^(١).

ومرف الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) بالسخاء والكرم ، وكثرة الإنفاق والتصدق ،
رجح من صنعاء اليمن - بعد أن كان والياً هناك - ومعه عشرة آلاف دينار
ف ضرب خبازه في موضع خارج مكة ، ونشرها على ثوب ، ثم أقبل على كل من دخل
عليه يقبضه قبضة ويعطيه ، حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء . (٢)

ومن خلال هذه النصوص - الأنفة الذكر - نستطيع أن ندرك جانباً من
اجتهاد طمأ السلف في العبادة ، وإقبالهم على الطاعة ، مما زاد في تأثيرهم
وإصلاحهم لأنهم صدقوا مع الله تعالى ، وأخلصوا في عبادته ، ومن شأن
المادقين المخلصين أن يحظم تأثيرهم ، ويزداد نفعهم .

ولذلك فإن رجال السلف لم يألوا جهداً في الإكثار من الصلاة والصيام
والصدقة مقتدين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيد العابدين ، وظهير
هذا الاتجاه جلياً واضحاً في حياتهم ، كما كان حال أسلافهم من الصحابة
والتابعين .

مع اهتمامهم بالحقوق الأخرى المفروضة عليهم ، وعدم تقصيرهم في شئ
منها كحق الجسم والزوج والولد والجار ، وغير ذلك من الحقوق التي لا يغنى
بعضها عن بعض ، فلا بدّ من أدائها وعدم تضييعها إلى جانب العبادة التي
كانوا يجتهدون في المحافظة عليها والإكثار منها .

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٠ / ١٥٨ - ١٦٠) .

و (العلمي - المنهج الأحمد - ١ / ٥٥) .

(٢) (الخزالي - أحياء علوم الدين - ٤ / ١٧٩٢) .

الجانب الشعوري في العبادة :

وكان من ضمن اجتهاد السلف في العبادة اجتهادهم في تحقيق المعاني الإيمانية والأصال القلبية من خوف ورجاء ومحبة لله تعالى ، حيث امتلأت قلوبهم بها ، وانعكست على جوارحهم وأصالحهم فأقبلوا على طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم وابتعدوا عن كل ما يسخط الله ورسوله ، واستقاموا على الشريعة متقدين بالأمر والنهي ، يحدوهم الخوف والرجاء والحسب .

أما الخوف من الله تعالى :

فهو تألم القلب بسبب توقع مكروه فسي المستقبل ، ويكون تارة بكثرة الجنابة من العبد ، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته ، وخشية الأنبياء من هذا القبيل . (١)

وهناك نعوم كثيرة وردت في الكتابة والسنة تنبئ على الذين يخشون ربهم وتعدهم بالرحمة والرضوان وعظيم الجنان يوم القيامة .

يقول الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (٢)

ويقول عز وجل : (هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ) (٣)

ويقول سبحانه : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (٤)

(١) انظر : (الشريف طي بن محمد الجرجاني - كتاب التعريفات ص ٩٨ - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - سنة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

(٢) آية رقم (٢٨) من سورة (فاطر) .

(٣) آية رقم (١٥٤) من سورة (الأعراف) .

(٤) آية رقم (٨) من سورة (البينة) .

ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتَّقُكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ . (١))

وشهدت السنة الفعلية - مع القولية - بحظيم خشيته - صلى الله عليه وسلم - وذلك مما زاد في مسارعة الصحابة والسلف الصالح إلى الاقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تقوية خوف الله في القلب ، والاختذ بأسباب ذلك .

ومما ورد من الأحوال الشاهدة على ذلك أنه (إذا كان يوم الريح والغيم عُرف ذلك في وجهه - صلى الله عليه وسلم - وأقبل أدبر ، فإذا أمطرت سُرَّ به ، وذهب عنه ذلك ، تقول عائشة رضی الله عنها - : سألته ؟ فقال :
وإنِّي خشيتُ أن يكونَ عذاباً سلَّطَ على أمتي . (٢))

فشدّة الرياح وتكاثف الغيم مع امتناع المطر ، قد تكون علامة على غضب الله تعالى وتكون الريح حاملة للعذاب والدمار ، ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقبل ويدبر ، ويُعرف خوف الله تعالى في وجهه رحمةً بأمتيه ، وخوفاً من نزول العذاب بها ، وكذلك كان الصحابة والتابعون ، وتشهد لهم الآثار الواردة ، والتي لا يتسع المقام لسردها ، وأكتفى بالإشارة إلى بعضها :

يقول أبو بكر الصديق - رضی الله عنه - ليعتني مثلك يا طائر ، ولم أخلق بشراً . (٣) وذلك بعد أن رأى طائراً يطير في السماء .

(١) صحيح البخاري كتاب الايمان - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنسا أطممكم بالله ١١/١ - عن عائشة .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب بيان أن القبلة في العوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته - ٧٧٩/٢ - رقم (١١٠٨) من عمر بن أبي سلمة (واللفظ له .

وسنن أبي داود - كتاب الصوم - باب فيمن أصبح جنباً في شهر رمضان ٧٨٢/٢ - رقم (٢٣٨٩) الطبعة الأولى ١٩٦٩ - ١٩٧٠ - نشر محمد على السيد - سوريا - حمص .

(٢) صحيح مسلم - كتاب صلاة الاستسقاء - باب التعوذ ضد روية الريح والغيم - ٦١٦/٢ - رقم (٨٩٩) .

(٣) (الغزالي - إحياء علوم الدين - ٦٣٨/٢ - ٢٣٨٨/٥) .

ورد عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قوله : لو نودى ليدخل الجنة كلُّ الناس إلا رجلاً واحداً لخشيتُ أن أكون ذلك الرجل . (١)

وكان يسقط من الخوف عندما يسمع الآيات من القرآن ، فَيُغْمِي عَلَيْهِ ، ويحوده الناس أياماً بعد ذلك . (٢)

وكان عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يقول : وَدِدْتُ أَنِي إِذَا مَتَّ لِم أَبْعَثُ . (٣)

فهذه الآثار وأمثالها تشير إلى مقدار الخوف من الله الذى كان فى قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمصاحبة الكرام حتى تمنى أحد هم لو يكون طيراً أو شجرة فلا يعذب فى الآخرة .

كما ظهر خوفهم حين سماع القرآن وآياته ، فلا يتمالك الرجل نفسه فيقبح مغشياً عليه من فرط الخشية وعظيم الخوف الذى كان فى قلوب أولئك الرجال - رضوان الله عليهم - .

وعرف الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمة الله تعالى بخوفه الشديد من مولاه عز وجل ، فقد كان إذا صلى العشاء قعد فى المسجد ثم يرفع يديه فلم يزل يبكى حتى يغلبه النوم ، ثم ينتبه ، فلا يزال يدعورافعاً يديه يبكى حتى تغلبه عيناه ، يفعل ذلك ليلة أجمع ، وكان مكحول الدمشقى

رحمه الله يقول : لو حلفتُ لمدتُ إني ما رأيتُ أزهْدَ ولا أخوفَ لله من
عمر بن عبدالعزيز . (١)

وقد يكون من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر بن عبدالعزيز ولكن لم يَسْرُ
الناسُ أشدَّ منه خوفاً وفرقاً من ربه عز وجل . (٢)

وأنقل بعد هذا الاستعراض السريع لأحوال الصحابة والتابعين إلى خوف
أئمة السلف - في عصر بحثنا - وما كانوا عليه من عظيم الخشية ، ودوام المحاسبة
للنفس .

يقول يحيى بن سعيد القطان البصرى (ت ١٩٨ هـ) : ما رأيتُ أخوف
لله من سليمان التيمي (ت ١٤٣ هـ) ، كان طويل القيام والسجود ، كثير
البكاء ، يسبح الله في كل سجدة سبعين تسبيحة . (٣)

وكان أبو حنيفة رحمه الله - من أصحاب الخشية وأرياب العلم ، وشهد
له بذلك كبار العلماء .

يقول ابن جرير المكي (ت ١٥٠ هـ) : قد بلغني عن كوفيكم هذا
- النعمان بن ثابت - أنه شديد الخوف لله تعالى . (٤)

وذهب الخوف على طيب سفیان الثوري رحمه الله - (ت ١٦١ هـ) حتى
ظهر عليه أثره من الجزع والفرع وترك النوم والشهوات ، فقال عنه واصفه :
كننا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا ، لما نرى من خوفه
وجزعته . (٥)

-
- (١) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١٢٠/١) .
 - (٢) (المصدر نفسه) .
 - (٣) (المصدر نفسه ١٥٠/١) .
 - (٤) (الغزالي - أحياء علوم الدين - ٤٨/١) .
 - (٥) (المصدر نفسه ٢٣٨٩/٥) .

وكان ينهض من نومه فرطاً ينادى : النار النار ، شغلنى ذكر النار عن
النوم والشهوات . (١)

ويتحدث عن نفسه فيصف ما فى قلبه من الخوف ، ويعجب من بقاءه على
قيد الحياة مع هذا الخوف ، ثم يتوجه إلى الله تعالى ويطلب منه أن يخفف
عنه بعض الخوف فيقول :

(لقد خفت الله خوفاً ، عجباً لى كيف لا أموت ! ولكن لى أجل وددت أنه
خفف عنى من الخوف ، أخاف أن يذهب عطفى ، لقد سألت الله أن يذهب
عنى من خوفه) (٢)

ولسائل أن يسأل ما سبب كسل هذا الخوف ؟ ويجيب سفيان فيقول :
(لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال
من الخطايا) (٣)

وهذا يدل على أن سفيان رحمه الله كان يسأل الله حسن الختام والمسوة
على الإيمان الكامل ويخشى أن يموت على غير التوحيد ، ويستحق عذاب الله
تعالى والخلود فى النار .

ولكن الخوف الذى أصاب قلب سفيان زاد عن حد الاعتدال فخشي معه
من ذهاب عقله واضطراب وظائف جسده ، ولذلك فإنه دعا الله تعالى
أن يذهب عنه بعض خوفه ، ليستطيع القيام بأعباء الحياة ، وإعمال الحقوق
إلى أربابها .

فالخوف بمثابة السوط الذى يسوق إلى العمل ، فالإفراط والتفريط فيه
يؤدىان إلى نتائج غير محمودة ، والاعتدال هو المقصود الذى يحقق المطلوب
وينفع صاحبه فيحمله على العمل ، دون إجهاد للنفس أو إهمال لها .

(١) (ابن الجوزى - صفة الصفة - ٨٢/٣ - ٨٤)

(٢) (والذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٧٦/٧)

(٣) انظر : (المصدرين نفسيهما)

(٣) (الغزالي - أحياء علوم الدين - ٢٣٩٨/٥)

وقد حرص علماء السلف على أن يكون خوفهم معتدلاً ، فهذا أحمد بن حنبل
- رحمه الله - يسأل الله أن يرزقه الخوف الذي يحتمله قلبه ، ولا يؤذي عقله .
يقول رحمه الله : (سألتُ الله عز وجل أن يفتح عليَّ باباً من الخوف ،
ففتح فخفت على عيِّي ، فقلت : يا رب على قدر ما أطيق ، فسكن قلبي) (١)

نموذج من خوف الخلفاء :

وكان في الخلفاء من يخاف الله تعالى ، ويخشى أن تنزل عقوبته على خلقه ، وقد روى أنه في زمن المهدي (ت ١٦٩ هـ) (٢) ، أصابت البلاد ريحٌ شديدةٌ حتى ظنَّ الناس أنها تسوقهم إلى المحشر ، فخرج بعض الخدم يطلب الخليفة المهدي ليعلم أين مكانه ، فوجده واضعاً خده على الأرض وهو يقول : اللهم احفظ محمداً - صلى الله عليه وسلم - في أمته ، اللهم لا تُشِمِّتْ بنا أعداءنا من الأمم ، اللهم إن كنت أخذت هذا العالم بذيبي فهذه ناصيتي بين يديك ، ظم يزلُ كذلك حتى انجلتُ الريحُ (٣).

(١) المصدر السابق - ٢٣٩٣/٥ .

(٢) المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور ، ولد سنة سبع وخمسين ومائة وولي الخلافة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وكان جواداً كريماً تتبع الزنادقة وأفتى كثيراً منهم ، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدية : وأمر بتوسيع المسجد الحرام ، وأدخل فيه دوراً كثيرة ، مات المهدي سنة تسع وستين ومائة .

انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٣٩١/٥)

(والسيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٢٧١)

(والكتبي - فوات الوفيات ٤٠١/٣)

(٣) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك - ١٤٠/١٠)

(الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٤٠٠/٥)

(ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ٧٢/٥)

(الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٤٠٢/٧)

وهذا هو مقام الخائف من الله تعالى ، والعائد به ، يعترف بذنوبه ، ويتواضع أمام عظمة خالقه ، ويدعو الله تعالى أن يحفظ المسلمين ، ولا يشمس بهم أعداءهم ، والله تعالى إنما يريد من عباده ذلك ، لأنهم إذا اعترفوا بذنوبهم ، وخافوا مقام ربهم ، وتواضعوا لعظمته ، ثم سأله أن يكشف عنهم ما هم فيه من الكرب والبلاء ، فإن الله تعالى يجيب دعاء المضطربين ، ولا يرد توبة التائبين .

خشية الله رأس العلم :

يقول الله تعالى :

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١)

فالعلم بالله تعالى سبب خشية ، كما أن الخشية ثمرة العلم به سبحانه وتعالى ، والعلم النافع الذي يقرب من الله عز وجل ما أوصل صاحبه إلى مقام الخشية .

يقول سفيان الثوري رحمه الله : (ليس طلب العلم : فلان عن فلان إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل) (٢)

ولعله يقصد أن طلب العلم والرحلة من أجل الحديث ، والتصديق لروايته إن لم توصل صاحبها إلى خشية الله تعالى ، وتزيد خوفه في قلبه فيستقيم على شريعته فليس ذلك من طلب العلم في شيء ، لأنه لم يُرَدُّ به وجه الله تعالى ، وإنما أراد المال والجاه .

(١) آية رقم (٢٨) من سورة (فاطر) .

(٢) (أبو نعيم - الحلية - ٦ / ٣٧٠) .

ولما كان العلم سبباً لخشية الله تعالى فقد عجب معروف الكرخي -
رحمه الله - (ت ٢٠٠ هـ)^(١) من الجاهل بالله كيف يخافه ! لأن الخوف
على قدر العلم فكلما زاد علم المؤمن بربه زادت خشيته له .

سُئِلَ معروف هل طلبت العلم ؟

فقال : كيف يخاف الله من لم يعلم ! كيف يخاف الله من لم يعلم ! . (٢)

وقد رَفَعَ أحمدُ بن حنبلٍ - رحمه الله - من مكانة الخشية ، وأكَّدَ صلتهما
بالعلم ، وأثنى على معروف بهما ، يقول عبدالله بن أحمد بن حنبل - (٣)
رحمهما الله - قلت لأبي : هل كان مع معروف شيء من العلم ؟
فقال لي : يا بني كان معه رأس العلم وهو خشية الله تعالى . (٤)

(١) معروف بن الفيزان أبو محفوظ العابد المعروف بالكرخي ، نسبة إلى كرخ
بغداد ، وهو أحد المشهورين بالعلاج والزهد والخشية ، وكان يوصف
بأنه مجاب الدعوة ، مات سنة مائتين في بغداد .
انظر : (تاريخ بغداد ١٣ / ٢٠٠) و (طبقات الحنابلة ١ / ٣٨١) .

(٢) ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة - ١ / ٣٨٧ .

(٣) عبدالله بن أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني المرزي ، ثم البغدادي ،
ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وروى عن أبيه شيئاً كثيراً من جملة المسند
كله وكتاب الزهد ، وكان ثقة شيئاً فهاً ، عاش سبعمائة وسبعين سنة ، ومات
سنة تسعين ومائتين ، ودفن في مقابر باب التين في بغداد .

انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥١٦) .

(٤) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٣ / ٢٠١)

و (ابن الجوزي - سفة الصفة - ٢ / ١٧٩) .

و (ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة - ١ / ٣٨٢) .

و (ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ٢ / ١٦٧) .

وانعكس خوف رجال السلف - في عصر البحث - على دعوتهم ، فازداد -
المدعوون خوفاً من الله تعالى .

فهذا محمد بن صبيح الكوفي (ت ١٨٢ هـ) الواظ المشهور بابن -
السماك ، كان يحفظ ذات يوم فقام شاب من القوم وقال :
يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن نسمع غيرها ، فقال :
وما هي ؟ - رحمك الله -

قال : قولك : لقد قطع قلب الخائفين طول الخلودين : إما في الجنة
أو في النار ، يقول ابن السماك : فقدت في المجلس الذي بعده ، فلم
أره ، فسألت عنه ، فأخبرت أنه مريض يعاد ، فأتيته أعوده ، فقلت : يا أخى ما الذى
أرى بك ؟

فقال : يا أبا العباس ، ذلك من قولك : لقد قطع قلب الخائفين طول
الخلودين ، إما في الجنة أو في النار ، قال : ثم مات رحمه الله . (١)

ويبدو أنه فتح له باب من خوف الله تعالى ، فامتلا قلبه هيبة ورهبة وخشية
مع أن كلمة ابن السماك ذات شأن عظيم ، تُذكر بخلود أهل الجنة في الجنة
وخلود أهل النار في النار ، وتصور هذين الخلودين يبعث الخوف الشديد ،
ويقطع قلب الخائفين ، أما الطوبى الغاظة ، فلا تتأثر بذلك ، لقوتها وظلها .

وما وقع لهذا الشاب من الخوف الشديد الذى غلب على الرجاء ربما لم يكن
يستطيع تخفيفه أو صرفه ، حيث ملك عليه جوانب قلبه ، وإلا فالاعتدال هو
المطلوب .

(٢) وأما الرجاء :

فهو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ، وتعلقه

بحمول ذلك المحبوب في المستقبل . (٢)

(١) (الخزالي - ا حيا طوم الدين - ٢٣٩٥/٥) .

(٢) (الجرجاني - كتاب التعريفات - ١٠٩) .

(الخزالي - ا حيا طوم الدين - ٢٣١٧/٤) .

والرجاء يقابل الخوف ، وكل من الراجي والخائف يتوقع أمراً في المستقبل ،

- فالأول يتوقع أمراً محبوباً فيرتاح القلب لذلك
- والثاني يتوقع أمراً مكروهاً فيقبض القلب لذلك

وقد جاء في القرآن والسنة نصوص كثيرة تحثُّ على الرجاء ، وتكشف عن عظيم
رحمة الله تعالى وواسع مغفرته .

يقول الله سبحانه وتعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (١)

ويقول عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ) (٢)

ويروي النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى بعض الأحاديث
القدسية التي تفيض رحمة ورجاء ومغفرة .

يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول الله عز وجل : " يَا ابْنَ
آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي فَغُرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا بِالْمِي ، يَا ابْنَ آدَمَ
لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غُفِرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي
بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَأُتْرِكَ بَيْنَ شَيْئًا لَأَتِيَنَّكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " (٣)

ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا
دَخَلَ الْجَنَّةَ) (٤)

(١) آية رقم (٥٣) من سورة (الزمر) .

(٢) آية رقم (٤٨ - ١١٦) من سورة (النساء) .

(٣) انظر : (سنن الترمذي - رقم الحديث (٢٥٢٤) وقال حديث حسن .

و (مسند أحمد ١٧٢/٥ - عن أنس - وعن ابن عباس) .

(٤) صحيح مسلم - كتاب الايمان - باب من لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة .

١ / ٩٤ - رقم (٩٢) عن أنس بن مالك .

• مسند أحمد - من حديث معاذ بن جبل .

ويقول أيضا : " لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى " . (١)

ويقول : " لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَطَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ " . (٢)

فهذه النصوص وأمثالها تنهى الناس عن القنوط من رحمة الله تعالى ، وتعددهم بالمغفرة الواسعة والفضل العظيم ، وتبين أن الله لا يخفر الشرك بـــــــه ، ويغفر كل ما دونه لمن يشاء ، ولو جاءه العبد بملء الأرض خطايا ثم لقيـــــــه موحداً بريئاً من الشرك كله لغفر الله له جميع خطاياهم بفضلهم وكرمهم .

ومن شأن هذه المعاني أن تقوى الرجاء في القلوب ، وتفتح أبواب الرحمة والمغفرة أمام الذنبيين والتائبين .

وقد أكدت السنة الفعلية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته معنى الرجاء وحثت عليه ، وحذرت من تسرب اليأس والقنوط إلى القلب فيهلك يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه : لو نودى ليدخل النار كلُّ الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون ذلك الرجل . (٣)

وأوصى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعض ولده وصية جمعت بين الخوف والرجاء كقول عمر السابق في الخوف والرجاء .

يقول علي - رضي الله عنه - : (يَا بَنِيَّ خَفِ اللَّهَ خَوْفاً تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِحَسَنَاتِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَقْبَلْهَا مِنْكَ ، وَارْجُ اللَّهَ رَجاءً تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتِ أَهْلِ الْأَرْضِ غَفَرَهَا لَكَ) (٤) .

وهذه الآثار تدلُّ على أعلى مراتب الرجاء المطلوب الذي يفهم مســــن

(١) صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها - باب الأمر بحسن الظن بالله - ٢٢٠٦/٤ - رقم (٢٨٨٧) من جابر بن عبد الله .

وسنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب التوكل واليقين - ١٢٩٥/٢ - رقم (٤١٦٧) .

(٢) صحيح البخارى - كتاب الدعوات - باب ماجاء في الرقاق - باب الرجاء من الخوف (١٢٣/٨) .

وصحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله ٢١٠٩/٤ - رقم (٢٧٥٦) واللفظ لمسلم .

(٣) (الغزالي - احياء طوم الدين - ٢٢٥٦/٥) .

(٤) (المصدر نفسه) .

نصوم الكتاب والسنة ، كما تدلّ على أن الرجاء والخوف معنيان إيمانيان
وصلان قلبيان ينبغي أن لا يخلو قلب مؤمن منهما .

واجتهد رجال عصر البحث في معنى الرجاء ، كما اجتهدوا في الخوف
واتبعوا في ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته والتابعين ،
فتعلقت نفوسهم بما تؤمل من رحمة الله ، وتتوقع من واسع مغفرتة ، فلم يكن
ثائب أحب إليهم من الموت ، لعلمهم بما بعده من رحمة الله وكرمه .

يقول سفيان الثوري - رحمه الله - : (ما أحبُّ أن يُجملَ حسابي إلى
أبيي لاني أطم أن الله تعالى أرحمُ بي منهما) (١)

وكان مالك بن أنس عظيم الرجاء بربه سبحانه ، كبير الأمل بعفوه ورحمته
دخل عليه أصحابه في العشي التي قبض فيها فقالوا له :
يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟

قال : ما أدري ما أقول لكم ، إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم
في حساب . (٢)

وردى عن يحيى بن معاذ الرازي (ت ٢٥٨) (٣) ، كلام يثنى فيه على ربه
ويرجو منه الرحمة والاحسان ، يقول رحمه الله :

(من لي بعث ربي ، إن أدبرت ناداني ، وإن أقبلت ناجاني ، وإن دعوتُ
لبانسي ، حسبى ربي) (٤)

(١) الغزالي - أحياء علوم الدين - ٢٣٢٣/٤ .

(٢) (المصدر نفسه - ٢٣٢٦/٤) .

(٣) يحيى بن معاذ الرازي : أبو زكريا الواظ ، سمع إسحاق بن سليمان الرازي
ومكي بن إبراهيم البلخي وجماعة ، انتقل عن الرى وسكن نيسابور وقدم بغداد
ثم رجع إلى نيسابور ، ومات بها لست عشرة ، خلت من جمادى الأولى سنة
ثمان وخمسين ومائتين ، وكان يسمى : حكيم الزمان .

انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٢٠٨/١٤) .

و (ابن خلكان - وفيات الأعيان - ١٦٥/٦) .

و (ابن الجوزي - صفة العاقبة - ٧١/٤) .

(٤) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٢١٠/١٤) وما بعدها .

ففى قول سفيان يتجلى الرجاء ، فيزيد ويحظم فى قلبه حتى يدرك تمام الإدراك أن الله أرحم به من أبيه وأمه ، فيرجو رحمة ، ولا يرضى بها بدسلاً وأما كلام مالك وهو فى مرض الموت فكأنه يعاين رحمة الله وعفوه ، ولذلك فهو يبشر إخوانه بأنهم سيرون من ضو الله ما يفوق تصورهم ، ويزيد على توقعهم ، ويظهر رجاء يحيى بن معاذ فى علمه بقرب ربه منه ورحمته به ، فإن أدبر ناداه ربه وإن أقبل ناجاه ، وإن دعاه لبّاه ، وهذا هو حسن الظن بالله والرجاء العظيم به المتمتع بالحب والشوق إليه سبحانه وتعالى .

ورجاء السلف لم يكن رجاء مجرداً عن العمل ، كما يفعل بعض العاصيين حيث يطمعون فى رحمة الله ، وهم يجترئون عليه سبحانه وتعالى ، وهذا هو الرجاء الذموم ، وقد أخبر الله سبحانه عن أهل الرجاء فقال :

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) (١)

وبما أن التوبة تجب ما قبلها فيحق للتائبين مهما كانت ذنوبهم أن يكونوا من أهل الرجاء (فالعبد إذا بت بذرا الإيمان وسقاه بما الطاعات ، وطهره القلب من شوك الأخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تعالى تشبته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً فى نفسه ، باطناً على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان فى إتسام أسباب المغفرة إلى الموت) (٢)

وجاء ذكر الخوف والرجاء مقترنين فى كثير من نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف وأحوالهم ، وهذا يدل على أنهما معنيان من معانى الإيمان الملازمة للقلب وصلان من أصال القلب لا ينفكان عن المؤمنين .

(١) آية رقم (٢٩) من سورة (فاطر) .

(٢) (الخزالي - أحياء طوم الدين - ٢٣١٨/٤) .

يقول الله تعالى : " تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ مِنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ " (١)

ويقول سبحانه : " وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ " (٢)

ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لو يعلم المؤمن ما عند الله
من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قسط
من جنته أحد " (٣)

ويقول صر بن الخطاب - رضى الله عنه : (لو نودى ليدخل النار كسلُّ
الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون ذلك الرجل ، ولو نودى ليدخل الجنة
كلُّ الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون ذلك الرجل) (٤)

ويقول علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - لبعض ولده : (يَا بَنِيَّ خَفِ
اللَّهَ خَوْفًا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِحَسَنَاتِ أَهْلِ الْأَرْضِ لِمَ يَتَقَبَّلُهَا مِنْكَ ، وَأَرِجُ اللَّهُ
رَجَاءً تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَرَّهَا لَكَ " (٥)

ونستخلص من النصوص والآثار السابقة أن الخوف والرجاء متلازمان ، وقد
وصف الله عباده المتقين بأنهم يدعون ويحبدونه رغباً ورهباً ، رجاءً وخوفاً ،
وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن عقوبة الله شديدة وألمة ، وأن رحمته
واسعة وعظيمة ، وكل من يعلم ذلك فانه لا بد أن يخاف الله ويرجوه .

ولذلك فقد ورد عن الصحابة ومن بعدهم أقوال وأحوال تدل على عظيم
خوفهم ورجائهم ، كما ورد ذلك من رجال صر البحث : فسفيان الثوري
- رحمه الله - كان الخوف قديماً عليه جوانب قلبه ، كما كان حسن الظن

(١) آية رقم (١٦) من سورة (السجدة) .

(٢) آية رقم (٩٠) من سورة (الأنبياء) .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب ماجاء في الرقاق - باب الرجاء مع
الخوف ١٢٣/٨ .

صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في سعة رحمة الله - ٢١٠٩/٤ رقم

(٢٧٥٦) عن أبي هريرة ، واللفظ لمسلم .

(٤) ، (٥) (الخزالي - احيا طوم الدين - ٢٣٥٦/٥) .

برسه عز وجل عظيم الرجاء به ، ولذلك فهو لا يرضى أن يوكل حسابه يوم القيامة إلى أبيه لما يعلم من واسع رحمة الله وكبير فضله . (١)

وكان مالك بن أنس - رحمه الله - يدعو الناس إلى خشية الله تعالى والخوف من عذابه ، كما كان يبشرهم بوسع رحمة الله ، وما سيحايون من عفو وكرمه فوق الذي يؤملون . (٢)

وصرف الفضيل بن هياض بخوفه الشديد وخشيته مولاه عز وجل حتى منعه ذلك من النوم ، ثم يظهر عليه رجاءه لرحمة الله ، وطمأنينته بوعده . (٣)

وكان الإمام أحمد بن حنبل من أهل العلم والخشية ، الذين يحثون الناس على مخافة الله ويبينون فضل الخشية وثمارها ، مع أنه كان يهتم اهتماماً كبيراً بالرجاء وترغيب النفس بسماع الأخبار الواردة في هذا الشأن ، والتي تسورث حسن الظن بالله تعالى وتنميته . (٤)

٣) وَأَمَّا الْحَبِيسَةُ لِلَّهِ تَعَالَى :

فقد أمر الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم -
• بها واجتهد الصحابة في بلوغها ، والتحقق بها .
• ووصف الله قوماً وأثنى عليهم بحبته لهم ، ومحبتهم له ، وجعل محبة العباد له منوطاً باتباعهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم .

-
- (١) (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٧٦/٧)
• (الخزالي - أحياء علوم الدين - ٢٢٢٢/٤)
(٢) (الخزالي - أحياء علوم الدين - ٢٢٢٧٤)
(٣) (أبو النعمان - الحلية - ٦٤/٧ - ١١٤/٨) و (الخزالي - أحياء علوم الدين - ٢٣٥٠/٥) و (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٦٧/٧)
• (وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ١٢٢/٢)
(٤) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٢٠١/١٣)
• (الخزالي - أحياء علوم الدين - ٢٣٥٩/٥)
• (وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - ١٦٧/٢)

يقول الله سبحانه وتعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (١)
ويقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ
يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ الآية) (٢)
ويقول عز وجل : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣)

وحث النبي صلى الله عليه وسلم - على محبة الله تعالى ، وبين أنها
شروط من شروط تذوق حلاوة الايمان ، كما أمر الناس بحبته - صلى الله عليه
وسلم - لأن محبته من محبة الله تعالى ، لأنه يحبه .

ويقول عليه الصلاة والسلام : (ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمانِ : مَنْ
كان اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا اللهُ ، وأن يكره
أن يهود في الكفر بعد أن أنقذه اللهُ منه ، كما يكره أن يقذف في النار) (٥)

ويقول أيضا : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله
والناس أجمعين " (٦)

-
- (١) آية رقم (١٦٥) من سورة (البقرة) .
 - (٢) آية رقم (٥٤) من سورة (العائدة) .
 - (٣) آية رقم (٢١) من سورة (آل عمران) .

- (٤) صحيح البخارى - كتاب الايمان - باب حلاوة الايمان ١٠/١ ،
وصحيح مسلم - كتاب الايمان - باب بيان خصال من اتصف بهم وجد حلاوة
الايمان (٦٧١) .
- (٥) صحيح البخارى - كتاب الايمان - باب حب الرسول - صلى الله عليه وسلم
من الايمان ١٠/١ .
- (٦) وصحيح مسلم - كتاب الايمان - باب وجوب محبة رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - ٦٧/١ رقم (٤٤) من أنس بن مالك (رواه ابن ماجه - باب في
الايمان ٢٦/١ / رقم (٦٧) .

وتشير هذه النصوص إلى محبة المؤمنين لله عز وجل ، وتأمر باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ومحبة ، وقد استجاب الصحابة والتابعون لهذا المعنى الإيماني ، وصدقوا في حبهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد مسوه على كل محبوب ، وحياتهم حافلة بما يشهد لذلك ، حيث تركوا بلادهم وأموالهم ، وهاجروا بدینهم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، يدفعهم إلى ذلك حب الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم .

وكذلك كانت حال السلف الصالح ، حيث دأبوا بحب الله تعالى إلى طلب مرضاته والاجتهاد في عبادته ، والزهد في الدنيا ، والشوق إلى لقاءه تبارك وتعالى ، فكانوا لا يكرهون الموت ، لأنهم سيلقون الله ويرونه في الآخرة ، ولا يتم ذلك إلا بحصول الموت ، يقول سفیان الثوري - رحمه الله - :
(لا يكره الموت إلا مرعب ، لأن الحبيب طي كل حال لا يكره لقاء حبيبه)^(١)

ويشأن سفیان أن المحبة العادقة إنما تكون باتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وكل من يدعي الحب لله تعالى ثم لا يكون متبعاً لرسوله - صلى الله عليه وسلم - فدواء مفتقرة إلى بيئته ، يقول سفیان رحمه الله :
(المحبة: اتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)^(٢)

ولعله يقصد بأن المحبة العادقة الراسخة ما كانت ناتجة من اتباع صادق مع أن الذي يتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد اتبعه بدافع المحبة له ، ولا شك أن كل مسلم صادق في إيمانه يُكن في قلبه حباً لله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ولكن هذا الحب لا يكفي ، فلا بد من اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى تتمكن المحبة في القلب ، وبهذا المعنى تحقق رجال عصر البحث مقتدين بالصحابة والتابعين فنظروا إلى المقصود من المحبة فحرصوا على تحصيله .

(١) (الغزالي - أحياء علوم الدين - ١/٥ - ٢٦٤) .

(٢) (الغزالي - أحياء علوم الدين - ١/٥ - ٢٦٩) .

فالاتباع قد يكون علامة لمحبة الله تعالى أو ثمرة لها ، كما أن التزام ما يرضى
الله تعالى وفعل ما يحب ، علامة على صدق المحبة لله تعالى .

يقول سفيان - أيضا - : (من أحبَّ من يُحبُّ الله تعالى ، فإنما أحبَّ
الله تعالى ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله تعالى) (١)

ويقول إبراهيم بن أدهم : (ليس من أعلام الحبِّ أن تحبَّ ما ييغض حبيبك
ذمَّ مولانا الدنيا فمدحناها ، وأبغضها فأحبيناها ، وزهدنا فيها فأثرناها
وهدمنا خراب الدنيا فحصنتوها ، ونهاكم عن طلبها فطلبتموها) (٢)

فالمحبة عند سفيان وإبراهيم - رحمهما الله تعالى - تقتضى أن يحسب
المؤمن كل المؤمنين ويخص منهم الصالحين والصادقين ، لأن محبة الله ورسوله
- صلى الله عليه وسلم - تتطلب من صاحبها محبة كل من يحب الله ورسوله -
صلى الله عليه وسلم - .

وإذا كان الأمر كذلك فيما ينقص المحبة أن تحبَّ ما ييغضه الله ورسوله - صلى
الله عليه وسلم - وهذا ما حدَّ رُ منه رجالُ المدارس ، وحضوا الناس على صدق
المحبة وكمال الاتباع .

(فحبة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - من أعظم واجبات الإيمان
وأكبر أصوله وأجل قواعده ، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين ،
كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين

وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ، ولها أصلان :

أحدهما :
وهو الذى يقال له : محبة العامة ، لأجل إحسانه إلى
عباده ، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ، ويغض من
أسأ إليها ، والله سبحانه هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة

(١) (الغزالي - إحياء علوم الدين - ٢٦٤٤ / ٥) .

(٢) (ابن كثير - البداية والنهاية - ١٠ / ١٤١) .

فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة ، إذ هو ميسر الوسائط ، وسبب الأسباب ولكن هذه المحبة - في الحقيقة - إذا لم تجذب القلب إلى محبة الله نفسه فما أحب العبد - في الحقيقة - إلا نفسه .

وثانيهما :

محبة الله ، لأنه أهل لذلك ، وهذا حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله ، وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها ما دلت عليه أسمائه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه ، حتى جنح مفعولاته ، إذ كلُّ نعمة منه فضل ، وكلُّ نعمة منه عدلٌ ، ولهذا استحق أن يكون محموداً طي كسل حال في السراء والضراء ، وهذه المحبة أطي وأكمل من الأولى ، وهذا حب الخاصة ، وهؤلاء الذين يطلبون لذة النظر إلى وجهه الكريم ، ويتلذذون بذكره ومناجاته ، ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك ، حتى لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الأسم ما لا يطيقون

وكثير من يدهى المحبة هو أبعد من غيره عن اتباع السنة ، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله (١)

(١) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ٤٨/١٠ - ٨٢ - وما بعدها) .

بَابُ

الْمَغْفِرَةِ

رابعاً : (الزُّهْدُ وَالتَّقْوَى)

جذور النزعة :

حمل الاسلام دعوة إلى الزهد ، ولو أنها لم تأت صريحة في القرآن الكريم ، إلا أن آيات كثيرة حثت على التقل من الدنيا وإبشار الآخرة .

وامتلأت السنة القولية بالأحاديث التي دعت المؤمنين إلى الزهد في الحياة الدنيا ، يقول الله تعالى :

” اَطْمَؤُنَا أَنَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَاخَّرَ بَيْنَكُمْ وَتَكَثَّرَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَا كَثُرَ فِيهِمْ أَجْبَابُ الْكُفَّارِ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَبْسُجُ فَتَرَاهُ مَعْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ (١) ”

ويقول الله عز وجل : (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حَيِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ (٢))

ويقول الله سبحانه وتعالى : (أَلِهَآئِكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ظَمُّ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٣))

فهذه الآيات وأمثالها بيان لحقيقة الدنيا ، وأنها حطامٌ فانٍ ، ومتاعٌ زائلٌ ، كما توضح ما عند الله من النعيم والشواب .

-
- (١) آية رقم (٢٠) من سورة (الحديد) .
(٢) آية رقم (١٤) من سورة (آل عمران) .
(٣) سورة (التكاثر) .

فهى تتضمن دعوة واضحة إلى الزهد فى الدنيا ، والانشغال بالآخرة ،
ولقد سار القرآن على هذه الوتيرة ، فقل من شأن الدنيا إن كانت تُطْفِئى ،
وجعلها مجالاً لعمل الطاعات ، وسبيلاً إلى الفوز والنجاة .

وبهذا جاءت سنة النبى - صلى الله عليه وسلم - تدعو إلى الزهد والتقليل
ومن ذلك :

" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى
البحرين يأتى بجزيتها - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صالح أهل
البحرين ، وأمرَ عليهم العلاء بن الحضرمي - فقدم أبو عبيدة بعالم من البحرين ،
فسمعت الأنصار يقدمون أبى عبيدة ، فوافقوا صلاة الفجر مع رسول الله - صلى الله
عليه وسلم ، فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انصرف ، فعرضوا
له ، فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رأيهم ثم قال :

أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين ؟
فقالوا : أجل يا رسول الله ، قال : فأبشروا ، وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر
أخشى عليكم ، ولكنى أخشى عليكم ، أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على
من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم (١)

ومرَّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالسوق والناس كَنَفَتِهِ (٢) فَفَرَّ
بِجَدِّي أَسَكَّ (٣) مِتَّ فِتْنًا وَلَهُ فَأَخَذَ بِأَذْنِهِ ثُمَّ قَالَ : " أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ
بَدْرَهْمٌ ؟

فقالوا : مانحِبُّ أنه لنا بشىء ، وما نمنع به !

ثم قال : أتحبون أنه لكم ؟

قالوا : والله لو كان حياً كان ميباً فيه ، لانه أسك ، فكيف وهو ميت !!

فقال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم " (٤)

(١) صحيح البخارى - كتاب الدعوات - باب ماجاء فى الرقاق - باب ما يحذر

من زهرة الدنيا (١١٢/٨) دار احيا التراث العربى)

(صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - ٢٢٧٣/٤ - رقم (٢٩٦١))

واللفظ له .

(٢) كنفته : الكنف هو : الجانب والظل والناحية ، وكنفوه : أحاطوا به . (القاموس - مادة «كنف» ١٩٤/٣)

(٣) أسك : صغير الأذن ونزوعها بالرأس هو أسك وهي سكاة : الصغير الأذن (القاموس - مادة «أسك» ٣٠٦/٣)

(٤) (صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق ٧٧٧٢/٤) رقم (٢٩٥٧)

وسنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب مثل الدنيا - ١٣٧٧/٢ رقم (٤١١١) نحوه

وجساً رجلاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله -
دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس ، فقال :
" ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " (١)

وتلمح من هذه الأحاديث التحذير الشديد من الافتتان بالدنيا ، والتنافس
فيها ، لأن طاقبة ذلك الهلاك ، وهذا ما يخشاه النبي - صلى الله عليه وسلم -
على أمته ، إن هم انصرفوا إليها كما جاءت الأحاديث أمره بالزهد ، مبينة
فضله وثمرته وهي محبة الله تعالى ومحبة الناس .

وكذلك فقد كانت حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - العملية قدوة للمؤمنين
الزاهدين ، تقول عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها :
(ما شبع آل محمد - صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام
ببرٍ ثلاث ليالٍ تياً حتى قبض ، وما أكل آل محمد - صلى الله عليه وسلم - أكلتين
في يومٍ إلا إحداهما تمر ، وإن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين
وما أوقدت في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نارٌ ، قال عروة بن الزبير :
فقلت : ما كان يُميشكم ؟

قالت : الأسودان التمر والعاء ، إلا أنه كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
جيران من الأنعام كان لهم منافع ، وكانوا يمنحون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم من أبياتهم فيسقيناه " (٢)

" وكانت سادة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يتكى عليها مسن
أدم (٣) حشوها ليف ، وكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتنام عليه
حشوه ليف " (٤)

-
- (١) (أبو نعيم - الحلية - ٢٥٢/٣) واللفظ له .
وسنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب الزهد في الدنيا ١٣٧٤/٢ رقم
٤١٠٢ - قال النووي : رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة وضعفه غيره .
(٢) (صحيح البخارى - كتاب الدعوات - باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا - ١٢١/٨ - واللفظ له .
(صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - ٢٢٨١/٤) .
(٣) أدم : الجلد أو أحمره أو مدبوغه ، (القاموس المحيط - مادة الأدمة ٧٣/٤)
(٤) (صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب التواضع في اللباس - ١٦٥٠/٣
رقم (٢٠٨٢) .

فهذا يدل على زهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واختياره خشونة العيش وساطته على التمتع والترفة ، ولسان حاله طيب الصلاة والسلام يقول اقتدوا بي واختاروا العيش الخشن كما أختار ، تظفروا بالنعيم المقيم ، والحياة الطيبة .

وإذا كان الزهد علاجاً نفسياً ضد نزوات النفس وشهواتها ، وترفعاً عن الخوض في متاع الدنيا الزائل ، فإن جمّاً كثيراً من الصحابة والتابعين آسروا حياة الزهد على ما سواها ، فلم تتجه إليها قلوبهم ، ولم تتعلق بها آمالهم ، بسبب اتجهت إلى طاعة الله تعالى ونيل رضاه ، وتعلقت بوعده الله وما أعد له يوم لقاؤه .

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه - يصف معاوية بن أبي سفيان متحدثاً عن زهده وزهد صاحبه الفاروق فيقول : (إن الدنيا لم تُرد أبا بكر ولم يُردّها ، وأرادت ابن الخطاب ولم يُردّها) (١)

وقد قال عمر - رضي الله عنه - لأهله : لا تنخلوا لي الدقيق ، فإنني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأكل غير منخول ، ودخل على ابنه عبد الله فوجد عنده لحماً فقال : ما هذا اللحم ؟ قال : اشتهيته

فقال : أو كلما اشتهيته شيئاً أكلته ، كفى بالمرء سرطاً أن يأكل كل ما اشتهاه . (٢)

وكان عثمان - رضي الله عنه - يطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت .

وأُتِيَ على بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالفالوج (٣) فوضع بين يديه فلما رآه قال : إنك لطيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم ، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده . (٤)

(١) (أحمد بن حنبل - كتاب الزهد - ص ١١٣) .

(٢) (المصدر نفسه - ص ١٢٣) .

(٣) الفالوج : نوع من الحلوى يصنع من لباب البرمع السمن والعسل ، ويقال له : الفالوج (لقاموس) ١/٢٥٧

(٤) (أحمد بن حنبل - كتاب الزهد - ص ١٢٩ - ١٣٣) . عادة « الفلج »

فإن النهى عن نخل الدقيق ، واللوم على شراء كل ما تشتهيه النفس
مظهر من مظاهر الزهد .

وإن إنفاق الطعام الطيب على الناس ، والاقتصار على أكل الخل والزيت
مظهر من مظاهر الزهد .

وإن ترك المؤمن للطعام الطيب كراهة أن تتعود نفسه عليه فهو مظهر
من مظاهر الزهد .

وما أكثر صور الزهد ومظاهره في حياة الصحابة - وبخاصة - الخلفاء الراشدين
وإذا وجد في الصحابة من اتجه نحو الزهد ، واكتفى بالقليل ، فقد كان فيهم
من اتجه نحو التجارة والكسب ، واعتنى بطعامه ولباسه ، وتمدق من طهيهم
ماله ، وقد أشار أحمد بن حنبل - رحمه الله - إلى حال الصحابة وعدم اعتراض
فريق على آخر فقال :

(ولقد كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم من يلبس
الثياب الحسنة ، ومنهم من لا يلبسها ، ولم يكن الذي يلبس يطعن على الذي
لا يلبس ، ولا الذي لا يلبس يطعن على الذي يلبس) (١)

حقيقة الزهد :

تعددت تعريفات علماء المدارس للزهد ، وذلك لأن كل واحد
عرف نوعاً من أنواع الزهد الكثيرة ، فجاءت تعريفاتهم بياناً لذلك النوع ، ولم
تكن شاملة لجميع أنواعه ، جامعة لسائر أقسامه .

فقد سئل مالك بن أنس عن الزهد ؟ فقال : هو التقوى . (٢)

(١) (أحمد بن حنبل - كتاب الزهد - ص ٣١٦) .

(٢) (الخزالي - إحياء علوم الدين - ٥ / ٢٤٦٤) .

وكان الفضيل بن عياض يقول : الزهد فى الدنيا هو القناعة . (١)

ويأتى بشر بن الحارث فيحرف الزهد فى الدنيا بأنه هو الزهد فى
الناس . (٢)

وعرفه بعض السلف فقال : الزهد فى الدنيا : هو الزهد فى الجوف -
وما يدخله من الطعام والشراب . (٣)

فهذه التعريفات غير جامعة ، ولا شاملة لمعاني الزهد المختلفة ، وإنما
تتعلق ببعض أقسامه ، فالتقوى زهد فى المحرمات والشبهات وما فيه ريبه ،
والقناعة زهد فى المال ، والزهد فى الناس زهد فى الجاه ، والزهد فى
الجوف زهد فى الطعام والشراب .

لكن الزهد الجامع لهذه المعانى وغيرها هو ما عرّفه سفیان الثوري - رحمه
الله - بقوله :

(ليس الزهد بأكل الخليظ ، ولبس الخشن ، ولكنه قصر الأمل وارتقاب
الموت) (٤)

فقصير الأمل وارتقاب الموت هو المعنى الواسع للزهد والذي يشمل كسل
أنواه ، لأن حب المال والجاه والشهرة والطعام والشراب واللباس والمسكن وكل
ذلك من الشهوات ، وحقيقة الزهد هى عدم تعلق النفس بشىء من الشهوات ،
لأن من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء وطول الحياة فيطول أمله .

وأما الزاهد فهو قصير الأمل ، مرتقب للرحيل ، ومن قصر أمله فقد رغب
عن الشهوات كلها ، وطى هذا فالزاهد هو من قصر أمله ، وكثر عمله ولزم
ينس الموت .

(١) (الغزالي - إحياء علوم الدين - ٢٤٦٣/٥) .

(٢) (المعدر نفسه) .

(٣) (المعدر نفسه) .

(٤) (ابن قتيبة - معيون الأخبار ٢/٢٥٦) و (الغزالي - إحياء علوم الدين -
٢٤٦٣/٥) .

(والذهبي - سير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩ - ٢٤٣) .

(وابن كثير - البداية والنهاية ٨/١٠) .

الزهد من ملوك :

وليس المقصود بالزهد أن ينفق الرجل جميع ماله أو يكون فقيراً -
أصلاً - فلا منافاة بين العمل في الدنيا والزهد فيها لأننا عرفنا الزهد
بأنه قصر الأمل وارتقاب الموت ، فقد يكون الرجل زاهداً وهو ذو مال ، أو
صاحب تجارة ، شريطة أن يؤدي حق الله في ماله ولا يتأثر بزيادة المال أو نقصه
فيفرح إذا زاد ، ويحزن إذا نقص ، (فليس الزهد فقد المال ، وإنما
الزهد فراغ القلب عنه ، ولقد كان سليمان عليه السلام وهو في ملكه من
الزهاد) (١)

وكان كثير من رجال المدارس كأبي حنيفة والليث بن سعد وعبد الله بن
المبارك وغيرهم من طوائف السلف أصحاب تجارة وثراء ، وهم في الوقت نفسه
أئمة في الزهد ، ليس للدنيا مكان في قلوبهم ، ينفقون أموالهم بالليل والنهار
سراً وعلانية ، ابتغاء رضوان الله تعالى .

وقد سئل أحمد بن حنبل - رحمه الله - : هل يكون الرجل زاهداً ومعه
مال ؟

فقال : نعم ، شريطة إذا زاد لم يفرح ، وإذا نقص لم يحزن . (٢)

فالفرح والحزن لأجل الدنيا دليل على حبها ، ومن أحبها ، ورضب فسى
متاعها ، فليس بزاهد ولو كان فقيراً .

وقد أرشد الله عباده إلى حقيقة الزهد بقوله :

(لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مَخْتَالٍ فَخُورٌ ، الَّذِي يَسْتَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ، وَمَنْ
يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (٣)

(١) (الخزالي - إحياء علوم الدين ١ / ٤٧) .

(٢) (ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة ٢ / ١٤) .

(٣) آية رقم (٢٤) من سورة (الحديد) .

من أسباب قوة النزعة :

وقويت نزعة الزهد ، وظهرت ظهوراً كبيراً تحت تأثير عوامل
اجتماعية حدثت في المجتمع ، مثل :
التسرف ، والإقبال على الدنيا نتيجة الفتوحات ، ودخول عدد من أهل
البلاد المفتوحة في الإسلام ، ولما يَثْبُتُ الإيمانُ في قلوبهم ، فكان من الضروري
أن تُجابهَ هذه التياراتُ بالدعوة إلى الزهد والسلوكِ العَمَلِيِّ من جانب
رجال المدارس .

ما يمكن القول معه : إن قلوبهم وفعلهم كان برنامجاً إصلاحياً لمَّا
جَدَّ في المجتمعُ وسْتَدَأَ على ما هو ثابت من الكتاب والسنة وصل المحابسة
- رضوان الله عليهم -

ضرورة الزهد في حياة الدعاة :

إذا كان الإسلام قد دعا إلى الزهد وحثَّ كثير من نصوم الكتاب والسنة
عليه ، فإن العلماء والدعاة هم أولى الناس بتطبيق ذلك ، لأنهم القسود
والأسوة ، ولهذا كان اهتمام رجال السلف بالزهد كبيراً ، يقول سفيان الثوري
- رحمه الله - :

العال داء هذه الأمة ، والعال طيبها ، فإذا جرَّ العالمُ الداءَ إلى
نفسه فتى يداوى غيره ، ومتى يبى الناس من أدوائهم !^(١) ؟

(١) (أبو نعيم - الحلية - ٢٦١/٦) .

(والذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٢٩/٧ - ٢٤٣) .

(تذكرة الحفاظ - ٢٠٤/١) .

ويقول عبد الله بن المبارك رحمه الله : العالم الصادق هو الذي يزهدُ
في الدنيا ويقبل على أمر آخرته . (١)

فالزهد في الدنيا والإقبال على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله - صلى
الله عليه وسلم ثمرة من ثمار الفقه والعلم ، والعالم الصادق هو من يهتمُّ بذلك
ويبتغي فيها آتاء الله الدار الآخرة ، دون أن ينس نصيبه من الدنيا .

ولما كان المال يُطفي كثيرًا من الناس ويصرفهم عن عبادة الله تعالى فقد
اعتبره سفیان داءً خطيرًا يهدد كيان الأمة ، والعلماء هم الذين يعالجون
هذا الداء ، وانطلاقًا من هذه النظرة فقد طالب إخوانه العلماء بترك الطمع
والحذر من فتنة المال ، لأنهم مسئولون عن نصح الناس ، وترغيبهم في أمور
الآخرة ، وكيف يعالجون داء الطمع إذا كانوا قد أصيبوا به !

فالزهد عند سفیان ضرورة لا بد منها - وبخاصة للدعاة -

وهو عند ابن المبارك علامة على صدق العالم وإخلاصه ، لأن طمعه
يحثُّ على الاشتغال بما يُصلح آخرته ودنياه ، وصلاحيهما في الاستقامة طمس
شرع الله تعالى ، وعدم توضيح العمر في جمع حطام الدنيا والوصول إلى
شهواتها ، والعالم الذي يسعى وراء المال ، ولا يهتم بآخرته ، فقد فسَّط
وانحرف عن الجادة ، وابتعد عن منهج السلف وحياة الصحابة .

(١) (أبو نعيم - الحلية - ٣٣٦/٧) .
(وابن خلكان - وفيات الأعيان - ٢٥٩/٢) .
(والذهبي - سير أعلام النبلاء - ٤٢٢/٧) .
(وابن كثير - البداية والنهاية - ١٠ / ١٤٥) .

وجوه الزهد وأقسامه :

إن كلمة الزهد عند رجال المدارس وعلماء السلف لا تقتصر على جانب مسن جوانب الحياة ، وإنما تشملها بجميع جوانبها ، لأنَّ قَصْرَ الأمل يقطع كسل لذة ، ويُهي كلَّ شهوة .

ولهذا فإننا نراهم يكتفون بالقليل ويقنعون باليسير في المأكل والطيب والسكن ، ومن أمثلة ذلك :

مارى عن أبي حازم سلمة بن دينار المدني (ت ١٤٠ هـ) (١) ، حيث قالت له زوجته : هذا الشتاء قد هجم علينا ، ولا بد لنا مما يُصلحنا فيه ، وذكرته له الشاب والطعام والحطب ، فقال : (من هذا كله بُدِّ ، ولكن خذى ما لا بدُّ منه : الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ، ثم الجنة والنار) (٢)

واشتهر محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب المدني (ت ١٥٩ هـ) بزهده وتقله ، فكان يأكل الخبز والزيت ، وما خُشِنَ من الطعام ، وكان له طيلسان وقبعر يشتو فيهما ويضيف . (٤)

ولسفيان القوري مذهب وسط في اللباس ، وهو اختيار الشاب التي لا يشتهر صاحبها بين العلماء ، ولا يُحْتَرَقُ عند الجهال ، فليست ناعمة فاخرة ولا بالهسة مرقعة ، يقول سفيان - رحمه الله - :

-
- (١) سلمة بن دينار : أبو حازم الأقرع القاضي الزاهد ، روى عن سهل بن سعد وسعيد بن المسيب وروى عنه ابن شهاب والحمادان والسفهايان ومالك ، مات في خلافة أبي جعفر المنصور ، وذلك بعد سنة أربعين ومائة .
انظر : (ابن عساكر - تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢١٨) .
و (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٦ / ٩٦) .
و (تذكرة الحفاظ ١ / ١٣٣) ، (السيوطي - طبقات الحفاظ ص ٥٢) .
- (٢) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - القسم المتم لتابعي أهل المدينة ص ٢٣٢) .
- (٣) الطيلسان : عربية ، أصله : تالسان وهو الأسود (القاموس - مادة طلس ص ٤٤٦ / ٤٤٧) .
- (٤) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - القسم المتم لتابعي أهل المدينة ص ٤١٤) .
و (الذهبي - تذكرة الحفاظ ١ / ١٩٣) .

(البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ، ولا يحقرك عند الجهال) (١)

واختار داود بن نصير الكوفي بساطة العيش ، ورضي بالقليل منه ، وصل
لنيل النعيم المقيم يوم القيامة ، دخل عليه بعض أصحابه ، فقرأ إليه داود -
كسيرات يابسة ، فعطش الضيف فقام إلى دَنِّ فيه ماء حارٌّ ، فقال لداود :
رحمك الله لو اتخذت إناءً غير هذا يكون فيه الماء !
فقال له داود : إذا كنت لا تشرب إلاً بارداً ، ولا أكمل إلاً طيباً ، ولا ألبس
إلاً ليناً فما أبقيت لآخرتسى !
فقال له : أومئني

قال داود : سم من الدنيا ، واجعل افطارك فيها الموت ، وصاحب أهمل
التقوى إن صحبت ، فإنهم أقلُّ مئونة ، وأحسنُ معونة ، ولا تدع الجماعة ،
حسبك هذا إن صلت به . (٢)

ولعل داود لم يكن يستطيع أن يحمل على الماء البارد والطعام الطيب
واللباس اللين ، فهو يقنع بما عنده ، ولا يترك نفسه تشتهي ما ليس عنده ولا يرضى
أن يضيع شيئاً من صره في البحث عن شهوات نفسه ، طالما يمكنه الاستغناء
عنها .

وقد يكون من القادرين على ذلك لو أراد ولكنه كان يختار الخشونة في العيش
كما اختار ذلك كثير من الصحابة والتابعين ، مقتدين برسول الله - صلى الله
عليه وسلم الذي لو طلب من ربه أن تتحول الجبال له ذهباً لكان ذلك بساذاً
الله ، ولكنه آثر الفقر والجوع على الغنى والشبع .

وكتب مالك بن أنس إمام دار الهجرة إلى الليث بن سعد إمام مصر كتاباً
لطيفاً ودعوة رقيقة إلى الزهد والتنقل ، فكان ما كتب له : بلغني أنك
تأكل الرُّساق ، وتلبس الرُّساق ، وتمشي في الأسواق ! (٣)

(١) (الغزالي - احيا طوم الدين - ٢٤٧٢/٥) .

(٢) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٢٤٧/٨ - ٣٥٠) .

• (وابن الجوزي - صفة الصفة ٧٤/٣) .

• (وابن خلكان - وفيات الاعيان ٢٦٠/٢) .

(٣) (ابن تغري - النجوم الزاهرة ٨٢/٢) .

وكرهَ طمأ السلف الانشغال في البنيان ، والاهتمام بإحكامه وزخرفته
وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته ، أو وهبه لجيرانه ، فإذا رجع أعاده ،
وبيوتهم يومئذ من الجلود والنخيل ، وكره سفيان الثوري نظر الناس إلى البنساء
العشيرة ، واعتبر النظر سبباً من أسباب الاهتمام بالتشديد والزخرفة ، حيث
يحتنى كثير من الناس بأشكال بيوتهم وطريقة بنائها تفاخراً وتكاسراً .

يقول سفيان الثوري - رحمه الله - :

لولا نظر الناس ماشيئداً ، فالنظر إليه معينٌ عليه . (١)

ويقول الفضيل بن عياض : إني لأعجب ممن بنى وترك ، ولكنى أعجب
من نظر إليه ولم يحتسب . (٢)

ونلمس من النصوص السابقة اهتمام السلف الصالح بالقامة وحرصهم عليها
وكف النفس من التعادى وراء شهواتها ولذاتها ، كما نحس أيضاً بعنايتهم
الكبيرة بطاعة الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم ، والاعتدال به عليه
العلاة والسلام في أقواله وأفعاله وكل شئونه ، حتى في بساطة مهيشه ،
وخشونة ملبسه ومأكله ، وهذه بعض صور الزهد التي كانت فسي
أسلافنا من قبل .

زهدهم في الجساء والشهيرة :

عني السلف الصالح بالمدق والاخلاص ، ورأوا أن العمل لكسب
الجاه والشهيرة رياء ، والرياء شرك خفي يفيد النية ويحبط العمل .
ولا أجل ذلك فقد زهدوا في هذا الحظ النفسى ، ولم يكونوا يقصدون -

(١) (الغزالي - أحياء علوم الدين - ٢٤٧٧/٥) .

(٢) (المعدر نفسه) .

بأصالهم الشهرة والظهور ، وكثيراً ما كانوا يتركون بعض الأفعال خشية الوقوع في الرها .

قال رجل لملقصة بن قيس الكوفى (ت ٦٢ هـ) : لو صليت في المسجد وتجلس وتجلس معك فسألك ، فقال : أكره أن يقال : هذا طقصة . (١)

وكان خالد بن معدان الكلامى الحمصى (ت ١٠٣ هـ) (٢) ، يجلس ويحدث الناس ومعظمهم ، فإذا ظلمت حلقته ، وخاف على نفسه الغرور والعجب والميل إلى الشهرة قام من حلقته . (٣)

وروى عن سفيان الثورى الكوفى قوله : السلامة فى أن لا تحب أن تعرف ، وإياك والشهرة ، فما أتيت أحداً إلا وقد نهى عن الشهرة ، إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة ، فتركوا لهم الدنيا . (٤)

وقال إبراهيم بن أدهم نزيل الشام : ما صدق الله عهد أحب الشهرة . (٥)

وكان أحمد بن أبى الحوارى الملقب برحانة الشام (٢٣٠ هـ) (٦) يقول :

-
- (١) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٨٨/٦) .
- (٢) خالد بن معدان الكلامى الحمصى أبو كريب من فقهاء الشام ، أدرك سبعين من الصحابة ، كان عالماً محدثاً طابداً زاهداً ، مات سنة ثلاث ومائة :
انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٤٥٥/٧)
• (والذهبي - تذكرة الحفاظ - ٩٣/١)
• (السيوطى - طبقات الحفاظ - ٣٦)
- (٣) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ٩٣/١) .
- (٤) (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٥٨/٧ - ٢٦٠ - ٢٧٨) .
- (٥) (أبو نعيم - الحلية ٣١/٨) و (ابن عساكر - تهذيب تاريخ دمشق ١٨٦/٢)
• (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٣٩٣/٧) .
- (٦) أحمد بن أبى الحوارى يكنى أبا الحسن ، واسم أبى الحوارى ميمون ، سكن دمشق ، قال يحيى بن معين : أظن أهل الشام يسقيمهم الله الغيث بأحمد بن أبى الحوارى ، وكان الجنيد يقول : أحمد بن أبى الحوارى رحانسة الشام ، توفي سنة ثلاثين ومائتين .
انظر : (ابن الجوزى - صفة الصفوة - ٢١١/٤) .

(من أحبَّ أن يُعرفَ بشيءٍ من الخير أو يُذكر به فقد أشرك في عبادته (١))

ومما سبق نستخلص كراهنة رجال المدارس لكل عمل يُقصد به الشهرة أو يمكن أن تنال النفس حظها وتحقق رفيتها في الشهرة من خلاله .

ولهذا لم يستجب طقمة لرغبة بعض تلاميذه في التمدد للحديث والفتوى في المسجد ، وكان خالد بن معدان يقطع درسه ويقوم من حلقة عندما يُحسُّ بشيءٍ من العُجبِ وحبِّ الشهرة .

وإذا كانت الشهرة دائماً تستقر في النفس فيفسد طيبها بإخلاصها وصدقها فإن تحذير طعنا السلف منها كان شديداً ، وما من إمام إلا ونهى عنها ، فسفيان الثوري يرى أن السلامة في البعد عن الشهرة ، لأن العمل من أجل الشهرة فتنة في الدين ، وضلال في القصد .

وإبراهيم بن أدهم يرى أن حبَّ الشهرة ، والصدق مع الله لا يجتمعان ، لأن الإخلاص والصدق ضد الرياء والشهرة ، ولا يجتمعان أبداً .

ويشتد أحمد بن أبي الحواري في ذمِّ الشهرة والتنفير منها فيجعلها قرين الشرك لأن من أحببها وعمل لها فقد قصد بعمله غير الله ، وبذلك يكون قد وقع في الشرك ، ولم يخلص العبادة لله وحده .

ويتبين لنا من موقف رجال السلف من الشهرة أنهم كانوا يرون الزهد فيها ضرورة لسلامة الدين وحفظه ، وشرطاً لكون العبد صادقاً مع الله في عبادته ، ولذلك وجدناهم يهربون منها ، ويسدُّون كلَّ بابٍ يُؤدِّي إليها .

(١) (ابن الجوزي - صفة الصفوة - ٤ / ٢١١) .

زهد هم في القضاء والمناصب :

ومن مظاهر الزهد عند رجال المدارس رفضهم الولايات ، واعتذارهم عن القضاء ، فلم يكونوا يرغبون فيها ، أو يحرمون عليها حرص كثير من العلماء اليوم ، بل كانوا يضررون على قبولها ، فلا يزيدهم الضرب إلا رفضاً .

وقد وتهم في ذلك صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإنهم كانوا يرون في الولايات مسئولية خطيرة ، في الوقت الذي قد يراها البعض مغنماً .

ومن أمثلة ذلك : لما استعمل أبو الدرداء* - رضي الله عنه (ت ٢٢٢هـ) على قضاء دمشق جاءه أصحابه يهينونه ، فقال لهم : أتتهنونني بالقضاء ! وقد جعلت على رأس^{سبوة} مزلتها أبعد من عدن أبين ، ولو ظم الناس ما فسسى القضاء لاخذه بالدول ، رغبة عنه وكراهية له . (١)

وكان أبو حنيفة رحمه الله من العلماء الزاهدين الذين أرادهم السلطان على قبول الولايات فأبوهما ، وضربوا لكي يقبلوها فصبوا على عذاب الدنيا إشفاقاً من عذاب الآخرة .

لقد مرض عليه بنو أمية أن يكون حاكماً على بيت المال فأبى ، ثم مرضوا عليه أن يكون قاضي الكوفة فأبى ، فُضرب على إباءه ، وُعذَّب على امتناعه .

وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يذكر ذلك ويبكى ويترحم على أبي حنيفة ، وذلك بعد أن ضُرب أحمد وُعذَّب على القول في مسألة خلق القرآن . (٢)

(١) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٣٩٢/٧) .
(٢) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٣ / ٢٢٦)
و (الصميري - اخبار أبي حنيفة ص ٥٧) .
و (الخزالي - احياء علوم الدين = ٢٨/١ - ٤٨) .
و (ابن خلكان - وفيات الأعيان - ٤٠٧/٥) .
و (الذهبي - مناقب أبي حنيفة ص ١٧) .

وتعرض أبو حنيفة للامتحان نفسه في الدولة العباسية ، حيث طلب من نفسه
الخليفة أبو جعفر المنصور أن يكون قاضياً فأبى ، متعللاً بأنه لا يصلح للقضاء ،
وردَّ على الخليفة قائلاً : والله ما أنا بماأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب !
ولو اتجه الحكم عليك ثم هددتني أن تفرقني في الفرات أو أن ألي الحكم لا اخترت
أن أغرق ، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ، فلا أصلح لذلك .
فقال له المنصور : كذبت ، أنت تعلم .
فقال أبو حنيفة : قد حكمت لي أمير المؤمنين طي نفسه ، فإن كنتُ كاذباً فسلاً
يحل لك أن تولي قاضياً طي أمانتك وهو كذاب ، وإن كنت صادقاً فقد أخبرت أمير
المؤمنين أنني لا أصلح . (١)

وطلب أبو جعفر المنصور من مسعر بن كدام الكوفي (ت ١٥٥ هـ) (٢) أن -
يؤليه بعض الولايات فاعتذر قائلاً : أصلح الله الأمير إن أهلي كبريد ونسبي
على أن أشتري الشيء بدرهمين ، فأقول : أعطوني اشترى لكم ، فيقولون : لا
والله ما نرضى . اشتراك ، فأهلي لا يرضون أن أشتري لهم الشيء بدرهمين
وأمير المؤمنين يؤليني ! أصلحك الله إن لنا قرابة وحقاً . (٣)

ورفض الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) قضاء دمشق حين طلب منه واليها

-
- (١) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٢٧/١٣) و (ابن
خلكان - وفيات الأعيان ٤٠٦/٥) .
(والغزالي - إحياء علوم الدين ٢٨/١) و (الذهبي - سير
أعلام النبلاء ٤٠٢/٦) .
و (الذهبي - مناقب أبي حنيفة ص ١٥) و (اليافعي مرآة الجنان
٣١١/١) و (محمد يوسف العالحي - عقود الجنان ص ٣١٤-٣٥٧) .
(وابن تيمية - النجوم الزاهرة - ١٣/٢) .
(٢) مسعر بن كدام : أبو سلعة الهلالي الكوفي الأحول الحافظ ، كان الناس -
يسمونه المصحف لاتقانه ، قال فيه وكيع بن الجراح : شك مسعر كيقين غيره
توفي مسعر سنة خمس وخمسين ومائة . انظر (الذهبي - تذكرة الحفاظ
١٨٨/١) و (السيوطي - طبقات الحفاظ ص ٨١) .
(٣) (أبو نعيم - الحلية - ٧ / ٢١٥) .

عبدالله بن علي^(١) ثم الخليفة المنصور أن يكون قاضياً عليها ، وكان من جواب
الأوزاعي له :
إِنَّ أَسْلَافَكَ لَمْ يَكُونُوا يَشُقُّونَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ ، وَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ يَتِمَّ مَا ابْتَدَأُوا نَسِي
بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ ، فَقَالَ : كَأَنَّكَ تَحِبُّ الْإِنْعِرَافَ ؟ قَالَ : إِنْ وَرَأَيْ حُرْمَةً
وَهُمْ مَحْتَاجُونَ إِلَيَّ الْقِيَامَ طَيِّبِينَ وَسِتْرَهُنَّ ، وَقُلُوبَهُنَّ مَشْغُولَةً بِسَبَبِي ، فَأَمْسَرَهُ
بِالْإِنْعِرَافِ .^(٢)

وطلب أبو جعفر المنصور من الليث بن سعد أن يكون والياً على مصر فاعتذر
قائلاً :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أضعف عن ذلك ، لَأَنِّي مِنَ الْمَوَالِي ، فَقَالَ لِسَعْدِ
الْمَنْصُورِ : مَا بَكَ ضَعْفٌ مَعِيَ ، وَلَكِنْ ضَعُفَتْ نَيْتُكَ .^(٣)

وأرسل الخليفة المهدي في طلب سفيمان الثوري ، فلما دخل عليه خلص
المهدي خاتمه ، ورمى به إليه ، وقال :
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَذَا خَاتَمِي ، فَاصِلٌ فِي هَذِهِ الْأَمَّةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَاخْذِ
بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَأْذَنُ فِي الْكَلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قَالَ : نَعَمْ
قَالَ : أَتَكَلِّمُ عَلِيَّ أُنْسِي آمِنٌ ؟
قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ : لَا تَبِعْتُ إِلَيَّ حَتَّى آتَيْتُكَ ، وَلَا تَعَطَّنِي حَتَّى أَسْأَلَكَ ، فَغَضِبَ الْخَلِيفَةُ
وَهُمْ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَّنْتَهُ ؟ قَالَ : بَلَى ، ثُمَّ كَفَّ عَنْهُ .^(٤)

(١) عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، ثم الخليفة المنصور ،
وأحد دهاة الرجال ، كان من الشجعان الأبطال ، وهو الذي انتدب -
لحرب مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية ، ولجَّ في طلبه ، ودعا لنفسه بعد
موت أبي العباس (السفاح) فجهز المنصور إليه أبا مسلم الخراساني ، لكن
عبدالله بن علي هرب بعد هزيمة جيشه وذهب إلى أخيه في البصرة واختفى
عنده ، ثم قدر عليه المنصور فسجنه وعل طي قتله ، فمات سنة سبع وأربعين
ومائة . (انظر : المصنفى - الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٢١) .

(٢) (أبو نعيم - الحلية ٦ / ١٤١) .

(٣) (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ١٠٧ / ٧) .

(٤) (ابن كثير - البداية والنهاية - ١٠ / ١١٨) .

(٣) (الذهبي - تذكرة الحفاظ - ١ / ٢٢٥) .

(٤) (أبو نعيم - الحلية ٧ / ٤٠ - ٤٣) .

ورفض عبدالله بن فروخ الفارسي (ت ١٧٥) ^(١) القضاء ، ولكن والسيي
أفريقيه روح بن حاتم المهلبى ^(٢) أقعده فى الجامع ، وأمر الخصوم أن يعرضوا
عليه قضاياهم ، فجعل عبدالله يبكى ويقول للناس من حوله : ارحموني يرحمكم
الله ، ثم استشاروه فيمن يولون فقال : إن يكن فعبدالله بن غانم (ت ١٩٠هـ)
فانى رأيتك شاباً له صيانه بمسائل القضاء ، فعليكم به فإنه يعرف مقدار القضاء ،
فولي ابن غانم فكان يشاوره فى كثير من أموره وأحكامه ، فأشفق ابن فروخ من
ذلك وقال له :

يا ابن أخى : لم أقبلها أميراً ، فأقبلها وزيراً ، فألح عليه ابن غانم
فخرج ابن فروخ إلى مصر ، وكان من أشد الناس كراهة للقضاء . ^(٣)

(١) عبدالله بن فروخ الفارسي : فقيه القيروان فى زمانه ، ولد بالاندلس سنة
خمس عشرة ومائة ، وانتقل إلى إفريقية فسكن القيروان ، درس الفقه والحديث
على مالك بن أنس ، واشتهر بصحبته ، وكان يعيل إلى النظر والاستدلال ،
وبعد إقامته فى القيروان رحل إلى مصر ، وأقام بها ثم مات فيها ، وكان
أهل مصر يطعمون أن يكون عبدالله خلفاً عن الليث بن سعد ، لكنه لم
يلبث أن مات سنة خمس وسبعين ومائة ، وقيل ست وسبعين .
انظر : (القاضى عياض - ترتيب المدارك ١ / ٢٢٢٩) .

(٢) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، من وجوه دولة المنصور
قدم معه دمشق ، وولاه إفريقية ، بعد موت أخيه يزيد بن حاتم الذى كان
واليها عليها ، وكان روح قبل ذلك والياً على البصرة ، ثم الكوفة ثم السند ،
ثم عزله المهدي ، وسيره إلى موضع أخيه فدخل إفريقية ، ولم يزل والياً
لها إلى أن توفى سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن مع أخيه فى قبر واحد
فعجب الناس من هذا القرب بعد ذلك البعد حيث كان فى السند .

انظر : (ابن صاكر - تهذيب تاريخ دمشق ٥ / ٢٢٩) .

و (الصغدي - الوافي بالوفيات ١٤ / ١٤٩) .

و (اليافعى - مرآة الجنان - ١ / ٢٤٣ - ٢٦١) .

(٣) (القاضى عياض - ترتيب المدارك ١ / ٢٤٢) .

وعرض أبو جعفر المنصور على مالك بن أنس رحمه الله الذي ذهب معه إلى بغداد وقال له : إن أردت ما عندنا فاذهب معي إلى مدينة السلام فلا أقدم عليك أحداً ، فقال مالك : إن تكن هزيمة من أمير المؤمنين فلا سبيل إلي مخالفتك وإن تكن غير ذلك فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون " (١)

فقال له المنصور : لا أحملك على شيء تكرهه . (٢)

وكان عبدالله بن المبارك الخراساني لا يقبل ولاية القضاة ونحوها من الولايات وكان يتاجر من أجل إخوانه العلماء ، ويصلهم وينفق عليهم ، ويهجر من يقبل منهم ولاية القضاة ، كما فعل مع إسماعيل بن طيبة حين تولى القضاة فإنه هجره وقطع عنه ما كان يحصله به كل عام . (٣)

وممن رفض قبول القضاة من رجال المدارس : علي بن زياد التونسي -

(ت ١٨٢ هـ) (٤) فإنه خرج من عند والي إفريقية روح بن حاتم المهلبسي ،

وهو يقول : فافى الله وهو محمود . (٥)

(١) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب المدينة تنفى شرارها ١٠٠٥/٢ - ١٠٠٨

رقم (١٢٨١) عن أبي هريرة .

(٢) (الدودي - طبقات المفسرين - ٢٩٦/٢) .

(والزواوي - مناقب الإمام مالك - ٢٣/١) .

(٣) (العليبي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن - المنهج الأحمدي في تراجم

أصحاب أحمد ٥٥/١) مطبعة المدني - تحقيق محمد محي الدين عبد

الحميد - مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بنصر - الطبعة الأولى

سنة ١٢٨٢ هـ - ١٩٦٣ م - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٤) علي بن زياد التونسي : العيسبي : لم يكن في عصره أئمة من إفريقية ، وهو أول

من أدخل موطأ الإمام مالك إلى المغرب ، وكان أهل القيروان يكتبون إليه في المسائل

التي يختلفون فيها ، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقبره معروف في تونس

(القاضي عياض - ترتيب المدارك ٣٢٦/١)

(الزركلي - الأعلام ٢٨٩/٤)

(٥) (أبو العرب التميمي - طبقات طماة تونس - ص ٢٥١) .

وَأَلَسَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ طَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْصَبِ الزَّيْبَرِيِّ الْمَدَنِيِّ (ت ١٨٤هـ^(١))
فِي قَبُولِ وِلَايَةِ الْمَدِينَةِ ، فَأَبَى عَبْدِ اللَّهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : «اغْدُ طَكِّيَّ
بِالْغَدَاةِ ، فَعَدَا طِيهِ ، فَعَدَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَنَاةٍ وَصَامَةَ فَعَقَدَ اللُّوَاءَ بِيَمِينِهِ ،
ثُمَّ قَالَ : طِيكَ طَاعَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَخُذْ هَذَا اللُّوَاءَ فَأَخْذُهُ ، وَقَالَ
لَهُ : أَمَا إِذَا ابْتَلَيْتَنِي - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - بَعْدَ الْعَافِيَةِ فَلَا يَدُّ لِي مَنْ
اشْتَرَا لِنَفْسِي ، قَالَ لَهُ : فَاشْتَرِطْ لِنَفْسِكَ ، فَاشْتَرِطَ خِلَالَهَا مِنْهَا :

أَوَّلًا : أَنَّهُ مَالُ الْعِدَقَاتِ مَا لَقَسَهُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُلْهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ
فَلَسْتُ أُسْتَجِيرُ أَنْ أُرْتَسِزَ مِنْهُ ، وَلَا أَنْ أُرْزَقَ الْمُرْتَزَقَةَ مِنْ مَالِ الْخِرَاجِ
قَالَ : قَدْ أَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ .

ثَانِيًا : قَالَ : فَأَنْفِذْ مِنْ كِتَابِكَ مَا رَأَيْتُ ، وَأَقْصِفْ عَمَّا لَا أَرَى ، قَالَ : وَذَلِكَ
لَكَ ، فَوَلَّى عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينَةَ طَى هَذِهِ الشَّرُوطِ .^(١)

وَمِنْ زُهْدٍ فِي وِلَايَةِ الْقَنَاةِ وَخَشَى مِنْ مَسْئُولِيهَا : الْمَغْبِرَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ الْحَارِثِ الْمَدَنِيِّ (١٨٨ هـ)^(٢) ، فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ الرَّشِيدَ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ

(١) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْصَبِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبَرِيِّ بْنِ الْعَوَّامِ ، أَبُو بَكْرٍ الْأَسَدِيُّ
كَانَ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اتَّصَلَ بِالْمَهْدِيِّ لَمَّا
قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، وَصَارَ مِنْ خَوَاصِهِ ، قَدِمَ بَغْدَادَ مَرَّةً ، وَوَلَّاهُ الرَّشِيدُ إِسْمَارَةَ
الْمَدِينَةَ وَالْيَمَنَ فَكَانَ مَحْمُودًا فِي وِلَايَتِهِ ، جَمِيلَ السَّيْرِ ، تَوَفَّى فِي صَحْبَةِ
الرَّشِيدِ ، وَصَرَهُ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةَ أَرْبَعِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .
انظُر : (الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - تَارِيخُ بَغْدَادَ ١٠ / ١٧٣) .

(٢) (الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - تَارِيخُ بَغْدَادَ ١٠ / ١٧٣) .
(ابْنُ كَثِيرٍ - الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١٠ / ١٨٥) .

(٣) الْمَغْبِرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَمَالِكِ
ابْنِ أَنَسٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ مَدَارَ الْفُتُوَى فِي زَمَانِ مَالِكِ عَلَيْهِ وَطَى مُحَمَّدِ بْنِ دِينَارٍ
وَإِبْنِ أَبِي حَازِمٍ ، وَوُلِدَ الْمَغْبِرَةَ سَنَةَ أَرْبَعِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَمَانِ وَثَمَانِينَ
وَمِائَةٍ .

انظُر : (ابْنُ فَرْحُونَ الْعَالِكِيُّ - الدِّيْبَاجُ الذَّهَبِيُّ ص ٢٤٧) .

قاضياً على المدينة ، وأغراه بالمال ، وجعل جائزته أربعة آلاف دينار فأبى
المخيرة وقال : لأن يختفي السلطان أحب إليّ من القضاء ، فقال الرشيد :
مابعد هذا شيء وأغناه . (١)

وأرسل هارون الرشيد في طلب الأئمة عبدالله بن إدريس (ت ١٩٢ هـ) (٢)
وحفص بن غياث (ت ١٩٤ هـ) (٣) ، ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧ هـ) وكلهم
من الكوفة فأدخلهم الخليفة واحداً واحداً ، وطلب منهم أن يتولوا القضاء .

فاعتذر وكيع قائلاً : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير ، إحدى عيني ذاهبة
والأخرى ضعيفة ، فقال الرشيد : فُسرّاً ، خذ عهدك أيها الرجل وامض ، فقال:
يا أمير المؤمنين ، لئن كنت صادقاً فنبغي أن تقبل مني ، ولئن كنت كاذباً ،
فما ينبغي أن تولي القضاء كذاباً ، فأغناه من القضاء .

(١) (المصدر نفسه) .

(٢) عبدالله بن إدريس : بن يزيد بن عبدالرحمن الأودي من مذحج ، ولسد
سنة خمس عشرة ومائة في خلافة هشام بن عبدالملك ، كان يخالف أهل الكوفة
ويوافق أهل المدينة في كثير من فتياه ، ولم يكن في الكوفة أحد أبعد منه ،
كان ثقة مأموناً حجة كثير الحديث ، صاحب سنة وجماعة .

انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٢٨٩/٦)

، (الذهبي - تذكرة الحفاظ ٢٨٢/١) .

(٣) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك : من مذحج ، ولد في خلافة
هشام بن عبدالملك ، وولاه هارون الرشيد القضاء ببغداد بالشرقية ،
ثم قضا الكوفة فلم يزل قاضياً بها إلى أن مات في شرذى الحجة سنة
أربع وتسعين ومائة في خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وكان حفص
ثقة مأموناً ثيباً إلا أنه كان يُدلس .

انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٢٨٩/٦) .

ودخل ابن إدريس - وكان قد وُصف للخليفة بشي من الخشونة - فعرض عليه القضا فقال : لا أصلح له ، فغضب الرشيد وقال : وِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُكَ .

قال ابن إدريس : وَأَنَا وِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُكَ ، وخرج من عنده .

ثم دخل حفص بن غياث ، فعرض عليه الرشيد القضا فقبله ، ثم خرج .(١)

وعرض القضا على سحنون بن سعيد القيرواني ، وبقي يرفض حولاً كاملاً ، ولمّا أَلَحَّ عليه الوالي ، قبل بشروط اشترطها ، منها أن لا يأخذ على القضا أجراً ، وأقام على ذلك ستة أمصام .

وكان من حميد أفعاله تفريق أهل البدع وطردهم من مسجد القيروان ، وتآديبهم على مخالفتهم لأهل السنة .(٢)

ورفض أحمد بن حنبل القضا ، وذلك أن الشافعي قال يوماً للرشيد : وَإِنَّ الْيَمَنَ يَحْتَاجُ إِلَى قَاضٍ ، فقال : اختر رجلاً نُوَلِّهِ إِيَّاهُ ، فقال الشافعي لأحمد : أَلَا تَقْبَلُ قِضَا الْيَمَنِ ؟

فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال : إِنِّي إِنَّمَا أُخْتَلِفُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ الْعِلْمِ الْمَرْهُدِ فِي الدُّنْيَا ، فَتَأْمُرُنِي أَنْ أَلْبَسِي الْقِضَا ! وَلَوْلَا الْعِلْمُ لَمْ أَكَلِمُكَ بِعَدَدِ الْيَوْمِ .(٣)

ومن خلال هذه الروايات والآثار يبدو وموقف رجال المدارس واضحاً حيث كانوا يمتدرون عن قبول ولاية القضا وغيرها من الولايات .

-
- (١) انظر : (ابن الجوزي - صفة الصفوة - ٩٩/٣)
و (ابن خلكان - وفيات الأعيان - ١٩٨/٢)
و (ابن كثير - البداية والنهاية - ٢٠٨ / ١٠)
(٢) (أبوا لعرب التميمي - طبقات طعماً افريقية ص ١٠١)
(وابن خلكان - وفيات الأعيان ١٨٠/٣)
(وابن فرحون المالكي - الديباج الذهب ص ١٦٠)
(وهبسي بن مشعود الزواوي - مناقب الامام مالك ١٢/١)
(٣) (ابن كثير - البداية والنهاية ٢٢٨ / ١٠)

وقد رأينا كراهة أبي الدرداء - رضى الله عنه - وغيره لوظيفة القضاة بسبب ما فيها من مسئولية خطيرة ، فى معرفة الحق وتمييزه ، ثم فى الحكم به مهما كان نوع الخصم وطبقته ، ثم فى ضبط النفس من شهوات الجاه والمال والشهرة ، وغير ذلك من الأمور التى تعرض للقاضى ، والتى كانت من أسباب زهد السلف فى ولاية القضاة .

ويمكن أن نستخلص بعض تلك الأسباب التى جعلت رجال المدارس - يرفضون القضاة ، ويحتذرون عنه بشتى الاعتذارات .

ومن تلك الأسباب : أنهم كانوا ينظرون إلى ولاية القضاة على أنها أمانة ثقيلة تتطلب طمأً واسعاً ، وشجاعة فى الحق ، قد يتعرض صاحبها للمسوت نتيجة غضب السلطان ، أو حقد الخصوم .

كما تتطلب أيضا عدم تدخل أحد من ولاة الأمر فى حكمه لكي يحكم القاضى بما يراه حقاً دون خوف أو طمع .

وفى كلام أبي حنيفة مع الخليفة المنصور ما يشير إلى بعض هذا حيث يقول له :

(ولو أتجه الحكم عليك ثم هددتنى أن تفرقتني فى الفرات ، أو أن ألسي الحكم لاخترت أن أفرق ، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ، فلا أصلح لذلك (١))

فأبو حنيفة - رحمه الله - كان يرى أن الذى يصلح للقضاة ، ينبغي أن - يكون من الشجاعة وحرية القول . . . بحيث يستطيع أن يحكم على وليّ الأمر إذا ظلم فى قضية دون أن يخاف بطشه وسلطوته .
ويحيث يقدر على إنقاذ ما يراه حقاً من كتب الخليفة وأوامره ، وردّ ما يراه مخالفاً للحق ، أو معارضاً للمصواب .

(١) انظر ص ١٠٩ من هذا الفصل .

و لعزل كلام عبدالله بن مصعب الزبيري واشترطه على الخليفة الرشيد لقبول ولاية المدينة حيث قال له : وَأَنْفِذْ مِنْ كِتَابِكَ مَا رَأَيْتُ ، وَأَقْفُ صَاحِبًا لَأَرَى (١) الذي تقدم يشهد لذلك .

ومن تلك الأسباب أيضا : اطلاع أولئك العلماء على تصرفات خاطئة من بعض الخلفاء ، واعتداء على أموال المسلمين العامة بوضعها في غير موضعها أو تقريبهم لبعض المتزلفين الذين يتخذون المديح سُلماً للتقرب من الخلفاء ، ولا يجهرون بالنصح وقول الحق أمامهم .

واطلاع العلماء على مثل ذلك من الخلفاء يكون صورة غير حسنة في أذهانهم ويجعلهم لا يصدّقون كل ما يسمعون منهم ، ولا يتفون كل الشقة بهم .

ويوضح هذا موقف سفیان الثوري حين طلبه الخليفة المهدي وأعطاه خاتمه وقال له : هذا خاتمي فاصل في هذه الأمة بالكتاب والسنة ، لكن سفیان كان حذراً من مثل هذا الأسلوب الذي يرى ما ينقضه من الأحوال ، لذلك اعتذر بعد أن طلب الأمان وقال : لا تبعث إليّ حتى آتيك ، ولا تعطني حتى أسألك ، ولما تابعه بعض أصحابه في عدم قبول هذا العرض ردّ سفیان بقوله : حتى يعمل بما يعلم ، فإذا فعل لم نسعنا إلا أن نذهب فنعلّمه ما يعلم (٢)

وهذا يدل على أن سفیان كان يخشى أنه لو قبل الخاتم ثم أراد أن تسيّر الأمة كما كانت زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين لما وجد الطاعة التامة من المسئولين ، ولخالفوه في كثير مما يريد ، والدليل على هذا عند سفیان : علمه بأن الخليفة لا يعمل بكل ما يعلم من أمور الشريعة وآدابها ، ولو أنه كان جاداً فيما يعرضه عليه لَعَمِلَ بِمَا طَمَّ ، ولو فعل ذلك ، لما وسع سفیان وأقاله إلا المؤازرة والمساعدة والقيام بواجب العمل مع وليّ الأمر .

(١) انظر ص ١١٣ من هذا الفصل .

(٢) (أبلانيم - الحلية ٧/٤٠ - ٤٣)

(والذهبي - سير أعلام النبلاء ٧/٢٦٢)

ولعل هذه النظرة من سفیان كانت موجودة عند كثير من طمء السلف فسى
عصر البحث ، مما جعلهم يهرون من الولايات وبخاصة ولاية القضا .

- ومن الأسباب التى تعللوا بها فى رفضهم القضا : عدم صلاحيتهم
له ، وأنهم لا يأمنون أنفسهم عند الغضب وغيره ، ولذلك يتهمونهم
بالضعف والعجز ، وفي هذا يقول أبو حنيفة : والله ما أنا بأمنون
الرضا فكيف أكون آمنون الغضب (١)

ويقول مسمر بن كدام للخليفة المنصور أيضا : أصلح الله الأمير إن أهلى
ليريدونى على أن أشتري الشىء بدرهمين فأقول : أعطونى أشتري لكم فيقولون :
لا والله ما نرضى اشتراكك ، فأهلى لا يرضون أن أشتري لهم الشىء بدرهمين ،
وأمير المؤمنين يولبنى ! أصلحك الله (٢)

فيحتمل أنه أراد أن يبين عجزه عن الولاية مطلقا مستدلاً بحال أهله
معهم وهم أمرف الناس به ، ويحتل أنه أراد التخلص من هذه المسئولية لمسا
يعلم من ثقلها وأخطارها ، وذكر موقف أهله تقوية لعذره ، وصرفاً للخليفة
من اختياره .

والأقرب أن مسمرأ أراد التخلص من القضا ، لأنه يرى ماكان يرى سفیان
من عدم عمل الخلفاء بكل مايعلمون ، وذلك لا يشجع على العمل معهم والدخول
فى ولاياتهم لخوفهم من النتائج .

ومن أسباب ذلك أيضا : زهدهم فى الدنيا ، وابتعادهم عن فتنها
وشهواتها ، وقد كانوا يرون القضا وغيره من الولايات باباً يتدفق منه المال ،
وتدخل منه الدنيا ، وهذا الباب وأمثاله قد فتن كثيراً من العلماء ، وصرفهم
من أمور الآخرة وجعلهم يهتمون بما يهتم به أبناء الدنيا من الركن وراها ،
والعمل على جمعها ، ولعل أخبار السلف المتقدمة فى الزهد والتفلسل
تدل على هذا السبب الذى كان له أثر فى عزوف أنفسهم عن الولايات .

(١) انظر ص ١٠٩ من هذا الفصل .

(٢) انظر ص ١٠٩ من هذا الفصل .

• واعتذارهم عنها .

ويؤكد هذا المعنى أيضا موقف سخنون بن سعيد الذي أكره على القضاء
قبله واشترط أن لا يأخذ عليه أجراً (١) ، ليسد على نفسه باب الطمع ، ويبعد
عنها الفتنة التي لا يأمن شرها .

ويؤكدده أيضا موقف أحمد بن حنبل حين رفض القضاء بشدة ثم قال للشافعي :
إني إننا أختلف إليك لأجل العلم المزهد في الدنيا ، فتأمرني أن ألي القضاء !
ولولا العلم كم أكلمك بعد اليوم . (٢)

ونظرة الامام أحمد رحمه الله للقضاء تدل على أنه يراه يتعارض مع العلم
المزهد في الدنيا ، ولذلك عجب من طلب الشافعي منه أن يتولى قضاء اليمن
مع أنه يتردد عليه لسمع منه ما يرغبه في الآخرة ، ويهده في الغائبة ، فأحمد
وأمثاله من السلف كانوا يرون أن تمام الزهد إنما يكون بالبعد عن مثل ذلك ،
وبخاصة في زمن قد بسطت فيه الدنيا ، وتنافسها الناس .

- وقد يكون من ضمن الأسباب العارفة لهم عن قبول القضاء ، علمهم بأن
الأموال التي يأخذها القضاة غالباً ما تكون من أموال الصدقة .
ولهذا اشترط عبد الله بن مصعب عندما ألح عليه الرشيد في قبول ولايته
المدينة أن لا يأخذ رزقه ووزق أهوانه من الصدقات ، لأنها قد قسمها الله
بنفسه ولم يكمل قسمتها إلى أحد من خلقه (٣)

(١) انظر ص ١١٥ من هذا الفصل .
(٢) انظر ص ١١٥ من هذا الفصل .
(٣) انظر ص ١١٣ من هذا الفصل .

زُهْدُهُمْ فِي عَطَايَا السَّلَاطِينِ :

زهد السلف الصالح في عطايا الخلفاء ، ولم يسألوهم شيئاً من دنياهم
لكننا إذا أنعمنا النظر في مواقفهم ، رأيناهم فرقتين :
فريق قبل العطايا ، وذلك عند عدم التحقق من أن عين المأخوذ حرام ،
مستدلين ببعض الصحابة الذين أدركوا أيام الولاة والأئمة ، ورأوا بعض الظلم ،
ومع ذلك فقد قبلوا عطاياهم .

دوى عن بعض الصحابة أيضاً ما يقوى موقف هذا الفريق :
يقول طي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : خذ ما يعطيك السلطان ، فإنما
يعطيك الحلال ، وما يأخذ من الحلال أكثـر . (١)

وكان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لا يسأل أحداً شيئاً ، ولا يرشيشاً
أعطيه . (٢)

ويقول أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - : خذوا العطاء ما كان نحلـة ،
فإذا كان أثمان دينكم فدسوه . (٣)

وقد أخذ بعض الصحابة والتابعين من خلفاء بني أمية ، وولاتهم ، وأخذ
أئمة السلف في عصر البحث من الخلفاء العباسيين ، كالشافعي حيث أخذ
من هارون الرشيد ، وأخذ مالك بن أنس ، وقيل سفيان بن عيينة جوائز
الخلفاء . (٤)

وفريق آخر امتنع عن قبولها تورطاً عن الشبهات ، وزهداً في الشهوات
مستدلين بحال الكثيرين من الصحابة والتابعين الذين منحهم الورع والزهد

(١) (الغزالي - إحياء علوم الدين ٢/ ٨٩٢) .

(٢) (صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة
ولإشراف (٢/ ٧٢٣) .

(٣) (الغزالي - إحياء علوم الدين ٢/ ٨٩٢) .

(٤) (المصدر نفسه ٣/ ١٢٤٢) .

من قبول الأموال وأخذ الجوائز ، ومتعللين بأن الذين أخذوها من المحابسة والتابعين لم يأخذوها لأنفسهم ، وإنما لكي ينفقوها على الفقراء والمساكين

يقول عبدالله بن المبارك : إنَّ الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجسون بابن عرواطشة - رضى الله عنهما - ما يقتدون بهما ، لأن ابن عرواطشة ما أخذ حتى استقرض في مجلسه ممن أعطاه من أجل سائل سأله بعد إنفاقه ستين ألفاً في مجلس واحد ، وكذلك فعلت عائشة - رضى الله عنهما (١) -

وقد أنفق الشافعي - رحمه الله - كل ما أخذه من الرشيد ولم يبق لنفسه شيئاً . (٢)

ومن أئمة السلف الذين كانوا يعتذرون عن قبول هذه الأموال : أبو حنيفة ، فقد آجازه الخليفة المنصور بثلاثين ألف درهم في دفعات فاعتذر أبو حنيفة قائلاً : يا أمير المؤمنين إنني ببغداد غريب ، ليس لها عندي موضع ، فاجعلها في بيت المال فأجابه المنصور إلى ذلك ، فلما توفي أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته ، فقال المنصور : خذنا أبو حنيفة . (٣)

وكذلك كان الفضيل بن عياض - رحمه الله - لا يقبلها ، ويلوم من يقبلها ، ولما بلغه أن سفیان بن عيينة أخذ الجوائز ، ذهب إليه فعذله وويخسه ، وردَّ على من ينتقم سفیان لأخذه ، بقوله : ما أخذ منهم إلا دون حق . (٤)

فهو لا يريد أن يتناول أحد على المال حين بالقدح والطمع ، ويبين أيضاً أنَّ الأخذ ليس بحرام ، لأن لكل فرد في الأمة حقاً في بيت المال ، وما أخذه سفیان بن عيينة وغيره لا يبلغ مقدار ما يستحقون .

(١) (الغزالي - إحياء علوم الدين ٢ / ٨٩٦)

(٢) (المصدر نفسه)

(٣) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٣ / ٣٥٩)

(٤) (محمد بن يوسف المالحي = عقود الجمان - ٢٩٧)

(٤) (الغزالي - إحياء علوم الدين - ٣ / ١٢٤٢)

وكان عبد الرحمن بن القاسم العتقى المصرى (ت ١٩١ هـ) لا يقبل جوائزهم
ويبتعد عنهم ما أمكن ، ويقول : ليس فى قريهم خير . (١)
ولعله يقصد أهل الجور منهم ، الذين لا يتحرّون الحق ، ولا يحكمون بالعدل
ولا يصغون إلى نصيح .

واعتر عبد الله بن إدريس ووكيع بن الجراح الكوفيان عن قبول جوائز الرشيد (٢) .
ورفض سخنون بن سعيد التنوخى القيروانى قبول المال ولو كان أجراً طمسي
وظيفة القضاء ، فقد مكث سنين قاضياً بدون مقابل . (٣)

والذى يبذو - والله أعلم - أن امتناع بعض السلف عن أخذ عطايا
السلطين إنما كان بدافع الورع لما يعلمون من اختلاط الأموال ، ودخول بعض
ما فيه شبهة فى الخزائن العامة ، وكيف لا يتورعون عن مثل ذلك ، وهم الذين
تركوا كثيراً من الحلال زهداً وتقللاً .

وأما الذين قبلوا العطاء فهم إما مضطرون لذلك اضطرار حاجة أو إكراه
وإما ليهملوا به الفقراء ، وينفقوه على المحتاجين .
مع أنهم كانوا يهرون لهم حقاً فى بيت المال ، وكما قال الفضيل فى حـسـق
ابن عيينة ما أخذ منهم إلا دون حقه .

فامتناع أولئك لا يدلّ على التحريم - إذا كانت الأموال حلالاً - ولكن
ورع ، وأخذ هؤلاء يدلّ على الجواز ، واتباع من امتنع أحسن من اتباع من أخذ
مع عدم حرمة الأخذ . (٤)

وهكذا كان حال السلف فى زهدهم وترفعهم عن الشهوات ، واجتهادهم

-
- (١) (ابن فرحون المالكى - الديباج الذهب - ١٤٦)
(٢) انظر : (ابن الجوزى - صفة الصفوة ٢ / ٩٩)
(ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢ / ١٩٨)
(ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٠٨)
(٣) انظر (أبو العرب التميمى - طبقات طمسي - ١٠١)
(ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢ / ١٨٠)
(وابن فرحون المالكى - الديباج الذهب - ١٦٠)
(٤) (الغزالي - إحياء علوم الدين - ٢ / ٨٩٢)

فى عمل الخير والبر ، وقد رأينا اتجاه الزهد فى مدارسهم ، وشمل هذا الاتجاه كل مناحى الحياة ، لأنه زهد نابح من القلب صادر عن قصر الأمل وكمال القناعة ، فهو عمل قلبى قبل أن يكون ثوباً خشناً وكسرة يابسة ، ولذلك ظهرت ثماره فى حياتهم ، ويمكن الإشارة إلى بعضها فيما يلى :

من ثمار الزهد :

لقد صدق السلف الصالح فى زهدهم فظهرت طيهم آثاره ، وابتدت فيهم ثماره ، فكان من آثاره وثماره : صدقهم مع الله تعالى ومع الناس ، وورعهم عن الشهوات ، وابتعادهم عن الشهوات .

يقول إبراهيم بن أدهم : (قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطمع تكثر الهيم والجزع) (١)

فالزهد يورث صاحبه صفة الصدق ، لأن الزاهد لا يخاف فوات منفعة دنياه ، ولا يطمع فى مصلحة مادية ، ودافع الكذب ودافع خوف أو طمع ، وقد تخلص الزاهد منهما فهو لا يخاف إلا من الله ولا يطمع إلا فى رضاه .

كما أن من ثمار الزهد : السورع ، وكل زاهد ورع لأن السورع بعد من الشبهات واتقا لها ، والزهد يشمل الورع وغيره ، لأنه ترك لكل ما يزيد عن حاجة النفس الضرورية ، والاكتفاء بالقليل ، فهو أم من الورع .

ومن ثمار الزهد أيضا : اليقين والطمأنينة ، يقول داود الطائى الكوفى : (كفى باليقين زهداً ، وكفى بالعلم عبادة ، وكفى بالعبادة شغلاً) (٢)

(١) (ابن صاكر - تهذيب تاريخ دمشق - هذب به عبد القادر بدران ١٧٨/٢) .

(٢) (الذهبى - سير أعلام النبلاء - ٤٢٤/٧) .

فالزاهد المادق متمسك القلب باليقين ، فيقنيه بما عند الله
أعظم من يقينه بما فى يديه ، لأن ما عند الناس ينفذ ويفنى ،
وما عند الله تعالى دائم وباق ، فاليقين زهد ، والزاهد مرتساح
البال مطمئن القلب ، لا يشك فى وعد الله ، ولا يهتم بفوات شئ
من الدنيا ، وذلك من اليقين الذى فى قلبه .

ومن ثمار الزهد : إنفاق الرجل وجوده ، فلا يكون الزاهد
بخيلاً ، لأن البخل حرم ، والزاهد لا يحرم على شئ من متاع
الدنيا ، ولهذا رأينا إنفاق السلف العالِم وبذلهم ، كأبى حنيفة
واللهيث وابن المبارك والشافعى ، ولو لم يزهدوا ما قدروا على ذلك
الإنفاق ، فالكرم والبذل ثمره من ثمار الزهد .

وثماره كثيرة ، وآثاره عظيمة ، وما ذكرته كان على سبيل
المثال لا الحصر .

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

جُودُ الْمَلِكِ رَسَالَةَ الْعَوِيَّةِ

(الفصل الثالث)

(جهود المدارس الدعوية)

لقد قامت المدارس الدعوية بواجبها في الدعوة إلى الله تعالى ، منذ أن تأسست على أيدي صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ونهضت على كل عصر ومصر علماء وصلحاء ، ينفون عن الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، ويدعون إلى الله عز وجل بالقول والعمل ، ينصحون الخاصة والعامة ، ويعظون الخلفاء والولاة ، ولا يسكتون على منكر ،

وسيكون الكلام في هذا الفصل من جهود رجال المدارس في نصح الخلفاء ووعظ الناس ، وأودّ أن أشير قبل ذلك إشارة سريعة إلى بعض المواقف المتقدمة على صير البحث ، والمتضمنة لنصح السلاطين والولاة .

نصح الولاة قبيل صيرنا :

أدرك فريق من الصحابة صير بني أمية ، ورأوا انحراف بعض الولاة ، وأخطأهم ، فصحوهم ، وأرشدوهم ، وانتقدوهم ، وهم في ذلك يؤدون الواجب الإيماني ، ويقومون بحق الدعوة مع أولياء الأمور ، وولاة المسلمين .

ومن هؤلاء : عبد الله بن صير بن الخطاب - رضى الله عنهما - ، فإنه عاش إلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي^(١) ورأى أهاليه ، وسمعه يوماً يخطب

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي : عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، ثم عمل للوليد بن عبد الملك ، ولد الحجاج سنة أربعين ، وتوفي سنة خمس وتسعين ، وقد ولي العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وكان دفته بواسط .

انظر : (ابن خلكان - وفيات الأعيان - ٢٩/٢) .

و (ابن صاكر - تهذيب تاريخ دمشق ٥١/٤) .

فقال وقال : عدوّ الله استحلّ حرم الله ، وخرّب بيت الله ، وقتل أولياء الله ، فقال الحجاج : من هذا ؟ ! فقيل : عبدالله بن عمر . فقال : اسكت يا شيخاً قد خرف ، فلما انتهى الحجاج من خطبته أمر بمسّض أهوانه فأخذ حرية مسمومة فضرب بها رجل عبد الله فمضى ومات منها ، ودخل عليه الحجاج قبل موته عائداً ، فسلم فلم يردّ عليه ، وكلّمه فلم يجبه . (١)

ومن التابعين الذين نصحو الخلفاء : عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - (ت ١١٤ هـ) ، فقد ورد أنه دخل على عبد الملك بن مروان (١) بمكسة في وقت حجه ، فلما بصربه الخليفة قام إليه وأجلسه معه على سريره ، وقال له : يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله - صلى الله عليه وسلم - فتعاهدوا بالعمارة .

واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ، فإنك بهم جلست هذا المجلس .
واتق الله في أهل الثغور ، فإنهم حصن المسلمين .
وتفقد أمور المسلمين ، فإنك وحدك المسئول عنهم .
واتق الله فبمن على بابك ، فلا تغفل عنهم ، ولا تغلق بابك دونهم .
فقال له : أجل أفعل .

ثم نهض عطاء فأمسكه عبد الملك وقال :

يا أبا محمد إننا سألتنا حاجة غيرك ، وقد قضيناها ، فما حاجتك أنت ؟ فقال : مالي إلى مخلوق حاجة ، ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا والله هو الشرف . (٢)

(١) (الذهبي - تذكرة الحفاظ ١/٢٧) .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصم بن أمية : الخليفة الفقيه ، وأبو الخلفاء ، ولد سنة ست وثمانين ، وسمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة ، وكان غزير العلم ، وكان قبل الخلافة عابداً ناسكاً بالمدينة ، شهد مقتل عثمان وهو ابن عشر ، وكان من رجال الدهر ودهاة الرجال ، توفي سنة ست وثمانين .

انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٤٠/٢٤٦) .

(٣) انظر (الغزالي - إحياء علوم الدين ٣/١٢٦٠) .

وكان محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) ينتقد الوليد بن يزيد^(١) ولي العهد للخليفة هشام بن عبد الملك ، ويقول لهشام : ما يحل لك إلا خلعك فهو لا يصلح للخلافة ، ويذكر فيه أموراً عظيمة ، وكان هشام لا يستطيع خلع الوليد للعقد الذي عقد له ، ولا يغيظ لقول الزهري ، ويلج الوليد قسداً^٢ الزهري فيه ، فعزم إن صار خليفة أن يقتله ، لكن الزهري مات قبل خلافته بأشهر . (٢)

ونستنتج من هذه الروايات الثلاث شجاعة المحاربة والتابعين في نصح الخلفاء وانتقاد الولاة .

فوقف عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - في غاية القوة والثبات حيث قال كلمة الحق في وقت مّ فيه الخوف ، وانتشرت الفتن وكثر القتل .
ولم يمنعه البطش والظلم أن يُشهر بالظالمين ، ويذكر سوء أفعالهم .

وعطاء بن أبي رباح لم تشغله حاجته عن حوائج المسلمين ، بل أثرهم على نفسه ، وانتبهز لقاءه مع الخليفة بالنصح العام والتوجيه الشامل ، وأمره بتعهد الحرمين الشريفين وحسن خدمتهما ، ولفت نظره إلى الاهتمام بأولاد المهاجرين والأنصار ، وأهل الثغور والجهاد ، ثم حثّه على تفقد أحوال المسلمين عامة ، ولم يطلب لنفسه شيئاً ، لأنه لا يرفع إلى مخلوق حاجة من حوائجه ، وإنما يرفع حوائجه كلها إلى الله عز وجل .

وطى العلماء والدعاة أن يقتدوا بعطاء في نسيان الذات ، وترك الطمع عندما يفتح الخلفاء والولاة صدورهم للنصيحة ، ويستجيبيون للموعظة .

(١) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان : ولد سنة تسعين ، ومات أبوه وعمره بضع عشرة سنة ، فعقد له أبوه بالعهد من بعد هشام بن عبد الملك فلما مات هشام سلمت إليه الخلافة ، ثم قتل سنة ست وعشرين ومائة ، وكان ملكه سنة وثلاث أشهر ، وكان قتله لكثرة فسقه .
انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٢٧٠ / ٥) .

(٢) انظر (ابن سعد - الطبقات الكبرى - القسم المتم لتابعي أهل المدينة ص ٨٢ - تحقيق - زياد منصور .

وأما موقف الزهري ، فيتمّ عن شعور بالمسئولية ، ليس فقط في نصيح
الخليفة بما يتعلق بشئونه الخاصة ، بل بنصحه في اختيار الخليفة المأمون
من بعده ، وخلع وليّ عهده الذي لا يصلح للخلافة - فيما يرى الزهري -
وهذا الموقف من الزهري قد عرّضه للوميد الشديد ، الذي كان أن يلحقه
لولا أن الله قدّر عليه الموت قبل خلافة الوليد بمدة وجيزة .

وهذا يدلنا على جهر الدعاة بالحق مهما كانت النتائج ، إذا كان الأمر
يتطلب الجهر ، وحرصهم على إيصال الخير للمسلمين ، وذلك بتقويم ولسي
الأمر وإرشاده وتنبيهه على ما يصلح للمسلمين ، ويبعد البلاء عن
مجتمعاتهم وأوطانهم .

نُصِّحُ رِجَالَ الْمَدَارِسِ لِلْخُلَفَاءِ :

وَيُذَلُّ رِجَالَ الْمَدَارِسِ فِي هَرَبِ الْبَحْثِ كُلِّ مَا فِي وَسْعِهِمْ لِدَعْوَةِ الْخُلَفَاءِ
وَالْوَلَاةِ إِلَى الْاسْتِقَامَةِ عَلَى شَرَعِ اللَّهِ وَالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وَمِنْ أَيْرِزِ الْأَفْكَارِ الَّتِي تَتَوَلَّاهَا نَصَحْتُهُمْ مَا يَلِئِي :

أولاً : التمسك بالكتاب والسنة وإقامة العدل :

وقد اهتم العلماء كثيراً بهذا الأمر ، لأن به صلاح الفرد والمجتمع ، وجاءت
نصائحهم تؤكد ذلك ، وتحث عليه ، وتحذر من اتباع الهوى والإصرار على
المعصية ، ومن ذلك ما قاله صالح بن بشير المري البصري (ت ١٧٦هـ) (١) ،
أمام الخليفة المهدي يحضه ويذكره :

(يا أمير المؤمنين : لِلَّهِ مَا أَلَمَّكَ بِهِ ، فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَحْمَلُهُمْ
لِغَلْظَةِ النَّصِيحَةِ فِيهِ ، وَجَدِيرٌ بِمَنْ لَهُ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَرِثَ أَخْلَاقَهُ ، وَيَأْتِيَ بِهَيْدِهِ ، وَقَدْ وَرَّثَكَ اللَّهُ مِنْ فَهْمِ الْعِلْمِ ، وَإِنَارَةَ الْحُجَّةِ
مِيزَانًا قَطَعَ بِهِ ظُرُوكَ ، فَهِيَمَا أَدْعَيْتَ مِنْ حُجَّةٍ ، أَوْ رَكِبْتَ مِنْ شِبْهِةٍ لَمْ يَصِحَّ لَكَ
فِيهِمَا بَرَهَانٌ مِنَ اللَّهِ حَلَّ بِكَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ بِقَدْرِ مَا تَجَاهَلْتَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ أَقْدَمْتَ
عَلَيْهِ مِنْ شِبْهِةِ الْبَاطِلِ .

وَأَعْظَمُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَصِمٌ مِنْ خَالَفَهُ مِنْ أُمَّتِهِ ،
يَبْتَزُّهَا أَحْكَامَهَا ، وَمَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَصِمَهُ كَانَ اللَّهُ

(١) صالح بن بشير المري البصري : حدث عن الحسن وابن سيرين ، كان عبداً
صالحاً ، وكان إذا وُضِعَ كأنه رجل مذعور يفرط أمره من حزنه وبكائه ، كأنه
ثكلى ، مات سنة ست وسبعين ومائة .

انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٢٨١/٧)

(أبو نعيم - الحلية - ١٦٥/٦) .

(البغدادي - تاريخ بغداد ٣٠٥/٩) .

(ابن خلكان - وفيات الأعيان ٤٩٤/٢) .

خصه ، فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حُجْجاً تضمن لك النجاة ، أو استسلم للهلاكه .

واطم أن أبطأ المرعى نهضةً صريحاً هوى يدعيه إلى الله قربة ، وإن أثبتت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فمثلك لا يكابر بتجدد المعصية ، ولكن تمثل له الإساءة إحساناً ، ويشهد لسببه عليها خونة العلماء ، وبهذه الحباله تصيدت الدنيا نظراً لك ، فأحسن الحِمْل فقد أحسنّت الأداة .

قال : فبكى المهدي - ثم أمر له بشي فلم يقبله . (١)

ووظف الشافعي رحمه الله الخليفة هارون الرشيد فأمره بالاعتصام بحبل الله تعالى والاسترشاد بكتابه ، والاتباع لسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ونهاه عن الظلم ، فكان ما قال له :

طيك بكتاب الله الذي لا يضل المسترشد به ، ولن تهلك ما تمسكت به ، فاعتصم بالله تجده تجاهك ، وطيك بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تكن طي طريقة الذين هداهم الله ، فبهداهم اقتده ، ولا تطع الخاصة تقرئاً إليهم بظلم العامة ، ولا تطع العامة تقرئاً إليهم بظلم الخاصة ، وأنت أعرف بنفسك . (٢)

وجاءت بعض نماذجهم محدّرة من الظلم ، منتقدة لسيرة الخلفاء والولاة ، متميزة بالقوة والشجاعة والمراحة ، ومنها ما قاله القاضي عبد الرحمن بن زياد الأفرقي للخليفة أبي جعفر المنصور حين وفد عليه وسأله المنصور : كيف سلطاني من سلطان بني أمية ؟

فقال له القاضي : ما رأيت في سلطانهم من الجور إلا رأيت في سلطانك ، وقد ظهر الجور ببلدنا ، فجئت لأعلمك ، فإذا الجور يخرج من دارك ، ولقـــد

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٢٠٥ / ٩) .

(ابن خلكان - وفيات الأعيان - ٤٩٤ / ٢) .

(٢) (أبو نعيم - الحلية - ٩٠ / ٩) .

رأيت في طريقى وأنا قادم عليك أصلاً سيئة ، وظلماً فاشياً ظننته لبعده البلاد منك ، فجعلتُ كلما دنوتُ منك كان الأمر أعظم .
فكسّر المنصور رأسه طويلاً ثم رفعه وقال له :
كيف لى بالرجال ؟

فقال له ابن زياد : أو ليس صر بن عبد العزيز كان يقول :
إنّ الوالى بمنزلة السوق يُجلب إليها ما ينفق فيها ، فإن كان هراً أتوه ببرهم ،
وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم .
فغضب المنصور من جرأته ، وأمر بإخراجه ، فخرج ولم يعد إليه . (١)

وكان الإمام الأوزاعى - رحمه الله - يُنكر على الولاة ظلمهم ، ويبين لهم
أخطأهم حين يستنصحوه ، بعث إليه والى الشام عبد الله بن على العباسى
يطلبه ، وجرى بينهما حديث وحوار صريح ، وقد سأله سفيان الثورى عن هذا
اللقاء ، فقال الأوزاعى :

لما قدم الشام ، وقتل بنى أمية ، جلس يوماً على سريره وحوله أصحابه ،
يحملون أنواع السلاح ، بعث إليّ فقال لى :
أنت عبد الرحمن بن صرو الأوزاعى ؟
قلت : نعم ، أصلح الله الأمير .
قال : ماتقول فى دما بنى أمية ؟

قلت : قد كان بينك وبينهم عهد ، وكان ينبغي أن تفي بها !
قال : وضحك ! اجملنى وإياهم لا عهد بيننا
قال الأوزاعى : فأجهشت نفسى وكرهت القتل ، فذكرتُ مقامى بين يدى الله
لفظتها ، فقلت :

دماؤهم طيك حرام ، فغضب وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه .
فقال لى : وضحك ، ولم ؟

(١) (الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد ١٠ / ٢١٥)
و (ابو العرب التميمى - طبقات طما أفريقيا ص ٣٠)
و (الذهبى - سير اعلام النبلاء ٦ / ٤١١)
و (السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٨)

قلت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانسي ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) (١)

قال : ويحك ! أليس الأمر لنا ديانة ! ؟

قلت : كيف ذلك ؟

قال : أوليس كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوصى لعلى ؟

قلت : لو أوصى إليه ما حكم الحكيمين .

فسكت وقد اجتمع غضباً ، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي فقال بيده هكذا - أو ما أن أخرجسوه - فخرجت ، فما أبعدت حتى لحقني فارس ، فنزلت وقلت قد بعث لياخذ رأسي ، أصلى ركعتين ، فكبرتُ فجاء وأنا أصلسى فسلم وقال : إن الأمير بعث إليك هذه الدنانير .

قال : فأنفقتها على الناس قبل أن أدخل بيتي . (٢)

وعُرفَ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب المدني بنمحه وإخلاصه ، وتوجيهه

للولاة ، وهدم مجاملته على حساب الحق والدين .

قال له الخليفة المنصور يوماً : نشدتك يا لله ، ما تعلم منى ؟

ألسنتُ أهل بالحق ؟ ألسنتُ ترانى أعدل ؟

فقال ابن أبي ذئب : أما إذ نشدتنى به الله فأقول :

اللهم لا ، ما أراك تعدل ، وإنك لجائر ، وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير والفضل ، فجعل الحاضرون يكفون شهابهم ويتنحون خوفاً من أن يصيبهم دمه ، وتأثر الخليفة بما سمع ، لكنه صبر على مرارة الحق وشدته . (٣)

(١) صحيح مسلم - كتاب القسامة - باب ما يباح به دم المسلم - ١٣٠٢/٣ - رقم (١١٧٦) .

(٢) انظر : (أبا النعمان - الحلية - ١٤١/٦) .

و (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ١٠٧/٧ - ١٢٨) .

و (تذكرة الحفاظ - ١٨٠/١) .

(٣) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى - القسم المتم لتابعي أهل المدينة - ٤١٨) .

و (ابن الجوزي - صفة الصفوة - ٩٨/٢) .

و (ابن أبي حاتم الرازي - آداب الشافعي ومناقبه - ٤٦/١) .

ووقف القاضي شريك بن عبدالله النخعي الكوفي مع أمير الكوفة موسى بن عيسى^(١) ، موقفاً أظهر فيه الحق ، وردَّ إلى المرأة المظلومة بستانها ، ولم يقبل شريك إلا بمجيء الأمير إلى دار القضاء وجلسه إلى جانب خصمه واعترافه بخطئه وردَّه البستان إلى المرأة .^(٢)

وللقاضي عمر بن حبيب الغدوي البصري موقف مشابه شريك ، حيث رفعت إليه قضية ، أحد طرفيها عبدالصمد بن طسي أكبر بنى العباس سناً في زمانه وله مكانة عند الخاصة والعامة ، وطلب القاضي حضوره فرفض، فرفع الأمر إلى الرشيد فقال : والله لا يأتي مجلسك إلا حافياً ، ولما جاء أراد الجلوس إلى جانب القاضي فصاح به : اجلس مع خصمك ، ثم حكم عليه ، وأخذ الحق منه .^(٣)

ومن خلال النماذج المتقدمة تبدو شخصية الداعية في ذلك العصر وما يتحلى به من صفات ، صدق اللهجة ، وحب الإصلاح واضح في كل موقف من مواقفهم كما أن الشعور بالمسئولية ، والاهتمام بأمر المسلمين ظاهر في جميع نواحيهم .

وقد تضمنت كثير منها الحث على تحكيم شرع الله تعالى بين الناس، وعدم مخالفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما جاء به من عند الله تعالى .

واشتملت موهبة صالح المري للمهدي على التحذير من اتباع الهوى والمكابرة

-
- (١) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي الهاشمي : أمير من آل عباس كان جواداً عاقلاً ، ولي الحرمين للمنصور والمهدي ، ثم ولي اليمن للمهدي وولي مصر للرشيد ، ثم رجع إلى بغداد فأقام فيها إلى أن توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة .
- (٢) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ٢٨٩/٩) . (النجوم الزاهرة - ٦٦/٢) (الأعمش الزرقي - ٢٢٦/٧)
- (٣) عبدالصمد بن طسي بن عبدالله بن عباس : أمير عباسي هاشمي ، وهو عم المنصور ، كان عاملاً على مكة والطائف ، ثم ولي المدينة ، ثم ولي الجزيرة ، ثم دمشق ثم عزله المهدي ، وعفي في آخر عمره . مات سنة خمس وثلاثين ومائة . (تاريخ بغداد ٣٧/١١) (الأعمش الزرقي - ١١/٤)
- (٤) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٩٧/١١) . (الأعمش الزرقي - ١١/٤)

فى الباطل ، وهدم الاستماع إلى الخائنين المتزلفين ، الذين يزينون للسلطان ما يشتهى ، ويحسنون له ما يريد .

وكذلك فإن الشافعى اهتم فى موقفه لهارون الرشيد بالتمسك بالكتساب والسنة والاعتصام بهما ، ثم نهى عن ظلم الخاصة والعامة ، لأن طاقبة الظلم وخيمة .

ولما كان الحكم بما أنزل الله من مقومات الأمة المسلمة ، وواجباً مسن واجباتها ، فقد عنى العلماء ببيان ذلك ، والامر به ، والمحافظة عليه .

ومن جهة أخرى فقد اهتم طائفة السلف بتحذير الخلفاء والولاة من الظلم ويبنوا لهم مواطنه فى المجتمع ، ولم يخافوا فى قولهم الحق لومة لائم .

وهذا ما نجده واضحاً فى موقف القاضى عبدالرحمن بن زياد الأقرقى مسع الخليفة المنصور ، حيث أوصل إليه ما رأى من مظاهر الفوضى والظلم ، وأخبره بأنه المسئول عن ذلك كله ، وذكره بقول صر بن عبدالعزيز الذى يجعل الوالى بمثابة السوق ، يجلب إليها ما ينفق فيها ، ففساد بطانته تدل على فسادها .

وأما موقف الأوزاعى مع والى الشام فیدل على غلبة الجانب الإيمانى طسى خوف النفس وإشفاقها عند كثير من الدعاة مما يجعلهم يمشون فى نصحبهم ، ويثبتون على الحق متحملين فى سبيلهم كل المعاصب ، لأن ذلك أمانة فى أعناقهم .

وهذا ما نراه فى كلام ابن أبى ذئب مع المنصور ، حيث آثر قول الحق طسى التزلف والمداهنة ، وخاطبه بما يعلم منه ، ولم يمنعه خوف أو طمع من بيان أخطأ الخليفة ، وممارحته بالواقس .

وأما القاضيان : شريك وابن حبيب فهما مثال وقدوة لكل قاض يريد أن يسلم من عذاب الله تعالى ، ويحرم على ظهور الحق وطوه ، ولا تمنعه مكانة الخصم أن يستدعيه إلى مجلسه ، ويجلس بجانب خصمه ، ويأخذ الحق منه .

وهكذا يجب أن يكون القضاء ، في كل عصر ومصر أقوى ، في الحق
أعزاً به ، القويّ عندهم ضعيف حتى يأخذوا الحق منه والضعيف
عندهم قويّ حتى يأخذوا الحق له .

ظهور الظلم لا يمنع من النصح :

لم يكن الظلم مانعاً للدعاة من الدخول على السلاطين وتقديم النصح
لهم ، فقد يظلم أحد الولاة دون أن يعلم الخليفة ، أو يعلم ، ولكنه لا يراه ظلماً
لأسباب اجتهادية أو متعلقة بشئ من الجهل .

وكذلك فإن وجود طمأنة السوء وتقريبهم من المسؤولين زاد في المسئولية
الملقاة على عاتق الدعاة الصادقين ، مما يجعلهم يهتمون أكثر في نصح الخلفاء
وإرشاد الولاة ، حتى لا تخلو الساحة لأهل النفاق فيزئنون الباطل ويفسدون
في الأرض .

وقد كان مالك بن أنس ممن يشفقون على المسؤولين فيمنحونهم ويعظونهم
ولا يقطعون صلتهم بهم ، وهذا ما جعل بعض الناس يحاكيونه ويقولون له :
إنك تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون ! فقال مالك : فأين التكلم
بالحق ! ؟

قيل له : إنك تدع الخروج إلى المسجد وتأتي الأمراء ! ؟
فقال : أما الخروج إلى المسجد فأني أضعف منه ، وأما إتيانى الأمراء فبالحمل
منى على نفسي ، فإنه ربما استشير بعض من لا ينبغي أن يستشار . (١)

(١) / انظر : (عيسى بن سعود الزواوي - مناقب الامام مالك ١ / ٢١) .

فقول الحق وإيماله إلى المسئول ، ومنع الجاهلين والمنافقين
من الوصول إلى أوليها ، الأمور ،

كل ذلك جعل الامام مالكا وأمثاله من علماء السلف يتحملون
المتاعب ويتكبدون المشاق من أجل مقابلة الخلفاء والسواة ، وإسماعهم
كلمة الحق ودعوتهم إلى إطلاعها والتزامها .

ثانيها : التذكير بالمسئولية وتفقد أحوال الامنة :

وهذه مسألة قد اهتم بها الدعاة ، ولم يألوا جهداً في تذكير الخلفاء والولاة بالأمانة التي حملوها ، والمسئولية التي تقلدوها ، مسح تصوير طاقبة الإهمال والظلم التي تنتظر كل مسئول لا يراقب الله تعالى فسى وظيفته .

ومن هذا القبيل موعظة الإمام الأوزاعي لأبي جعفر المنصور حين قال له :

يا أمير المؤمنين إن الله لئن قلب أمتكم لكم حين ولأكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد كان بهم رؤوفاً رحيماً ، مواسيماً لهم بنفسه في ذات يده ، محموداً عند الله وعند الناس ، فحقيق بك أن تقسوم له فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط له فيهم قائماً ، ولعوراتهم ساتراً ، لا تغلسق طيك دونهم الأبواب ، ولا تقم دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عند همس ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

يا أمير المؤمنين : قد كنت في شغل شاغل من خاصة نضك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم - أحمرهم وأسودهم ، مسلمهم وكافرهم - وكل له طيك نصيب من العدل ، فكيف بك إذا انبعث منهم فقام وراء فقام ، وليس منهم أحد إلا وهو يشكوبلية أدخلتها عليه ، أو ظلامه سقتها إليه ! ؟

يا أمير المؤمنين : بلغني أن صر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : لو مات سخله طى شاطى الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها ، فكيف بمن حرّم ذلك وهو طى بساطك ! . (١)

ولاجل النصح والتذكير بأحوال الامنة توجه ابن آبي ذئب العدنى إلى

(١) انظر : (أبا نعيم - الحلية ٦ / ١٣٦)

و (ابن قتيبة - صيون الأخبار ٢ / ٣٣٨) .

و (الغزالي - إحياء علوم الدين ٢ / ٣٤٨) .

الخطيفة أبي جعفر المنصور ليقول له : الناس في ضيق وشدة ، لقد هلكوا
ظوأنتهم من الضى ، فقال المنصور : ولك ! لولا ما سددت من الشفسور
لكنت توتسى فى منزلك فتذبح ، فقال ابن أبى ذئب : قد سدَّ الشفسور
وأعطى الناس من هو خير منك : عرُضى الله عنه - ، فنكس المنصور رأسه ثم
قال : هذا خير أهل الحجاز . (١)

ويشتدُّ سفيان الثورى فى نصيحته للمنصور ، حيث يقول :
اتق الله ، فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً ،
فقال له المنصور : ارفع إلينا حاجتك
فقال : إنما أنزلت هذه المنزلة ، وصرت فى هذا الموضع بسيف المهاجر من
والانمار ، وأبناؤهم يموتون جوعاً ، فاتق الله ، وأوصل إليهم حقوقهم . (٢)

ويشهد مالك بن أنس بسيرة عرب بن الخطاب - رضى الله عنه ، واهتمامه
العظيم بشئون المسلمين ، ويقدم هذا المعنى نصيحةً للخطيفة الرشيد ،
يذكره فيها بخلافة الفاروق ، ويحثه على الاقتداء به والتشبه بأفعاله فيقول :
يا أمير المؤمنين بلغنى أن عرب بن الخطاب - رضى الله عنه - كان فى فضله
وقدمه ينفخ لهم طام الرمادة النار تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت
لحيته - رضى الله عنه - وقد رضى الناس منكم بدون هذا . (٣)

ويوجه عبدالله بن عبدالعزيز العمري (ت ١٨٤ هـ) (٤) موعظة

(١) (الذهبى - سير أعلام النبلاء - ١٤٠/٧) .
(٢) (أبو نعيم - الحلية ٤٣/٧) و (الغزالي - إحياء علوم الدين ٩١٠/٢)
(ابن خلكان - وفیات الأعيان ٢٨٧/٢) و (الذهبى - سير أعلام النبلاء
٢٦٢/٧) .
(٣) (ابن فرحون المالكي - الديباج الذهب ٢٧) .
(٤) عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عرب بن الخطاب - رضى
الله عنهم - ، كان طابداً زاهداً ، من أفاضل طمما زمانه ، وله مواقف
محمودة فى وعظ الخاصة والعامة ، مات سنة أربع وثمانين ومائة عن ست وستين
سنة .

انظر : (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ١١٧/١٠)
و (ابن كثير - البداية والنهاية ١٨٥/١٠) .

مؤثرة يخاطب بها الرشيد ، ويصوّر له مقدار المسؤولية وثقل التكليف ، وينتهز وقوف الخليفة على الصفا فيقول له :

أَتَنْظُرُكُمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ مِنْ خَلَائِقٍ ؟

قال : كثيرٌ

قال : كلٌّ منهم يُسأل يوم القيامة عن خاصّة نفسه ، وأنت تسأل عنهم كلهم ، فيبكي الرشيد ، ويهتزّ فرقاً وخوفاً من الله عز وجل . (١)

ويتابع الفضيلُ بن عياض أسلوب الترهيب والتخويف في تذكير الولاة

بالمسؤولية فيقول للخليفة الرشيد حين وفد إلى مكة :

يا حسنَ الوجه ، أنت المسئولُ عن هذه الأمة ، وأمرها بيدك وفي عنقك ، لقد تقلدتَ ظهياً ، فإن قدرت أن لا تسكودَ هذا الوجهَ بلفحةٍ من النارِ فافعل . فبكى هارون بكاءً شديداً . (٢)

ويؤكد أبو نصر الجهنسي (ت ١٩٤ هـ) هذا المعنى في نصه

للرشيد فيقول :

اطم - يا أمير المؤمنين - أن الله سائلك عن أمة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، فأعدّ لذلك جواباً . (٣)

ويوصي الشافعي الرشيد أيضا بأبناء المهاجرين والانصار خيراً فيقول :

..... وطميك بالمهاجرين والانصار الذين تبوءوا الدار والإيمان فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن سيئهم ، وآتهم من مال الله الذي آتاك . (٤)

(١) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ١١٧)

و (ابن الجوزي - صفة الصفوة ٢ / ١٠٢)

و (ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ١٨٥)

و (اليافعي - مرآة الجنان ١ / ٣٦٧)

(٢) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٨ /)

(المسعودي - مروج الذهب ٣ / ٣٦٥)

(ابن خلكان - وفيات الأعيان ٤ / ٤٧)

(ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ٢ / ١٢٣)

(الخجوي - الفكر السامي ١ / ٤٢٥)

(٣) (ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٢٦)

(٤) (ابو النعمان - الحلية ٩ / ٩٠)

ونلاحظ أن هذه النماذج تهتمُّ بتنبية الخلفاء والولاة إلى تفقد أحوال الناس ، وتسهيل وصولهم إليهم ، وسماح حاجاتهم وحلِّ مشكلاتهم .

فالإمام الأوزاعي يلفت نظر أبي جعفر المنصور إلى رحمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم بأصحابه ومواساة لهم ، ويدعو إلى الاقتداء والاتباع ، لأنه لا يليق بالعاقل أن يُلِيَّ أمور المسلمين ويغفل عنهم ، أو ينشغل بخاصة نفسه عن حاجاتهم .

ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب يرفع إلى المنصور - أيضا - ما يعانيه الناس من شدة ، ويأمره بمعونتهم ، ولا يحذره بعنايته بسدِّ الثغور ، فقد سدَّ الثغور وأعطى الناس الخلفاء من قبله أمثال عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان - رضی الله عنهما - .

ولا يجسد سفيان الثوري حاجة يرفعها إلى المنصور سوى حاجات الناس والوصية بهم فيأمره بإعمال الحقوق إليهم ، والعدل والرحمة من مقومات الخليفة الصالح ، الذي يحرص على مرضاة الله تعالى .

ويذكر مالك بن أنس أمام الرشيد ما ينبغى أن يكون عليه الخليفة المسلم من الاهتمام الكبير برعيته ، ويذكر طرفاً من سيرة الفاروق عمر - رضی الله عنه - حين كان ينفخ النار تحت قدور الجائعين فيخرج الدخان من تحت لحيته ، ولا يجد في ذلك حرجاً بل يعتبره واجباً ، ويتمنى لو يخرج من الدنيا لاطيه ولاله ، لما كان يرى من مسئولية الخلافة ، وواجبات الولاية .

وأما عبدالله العمري والفضيل ، وأبو نصر الجهنى ، فيستعملون أساليب التهيب من عذاب الله ، وأن الخليفة سيُسأل أمام الله عن كل فرد من أفراد الرعية الذين لم تعلمهم حقوقهم ، ولم يتفقد الخليفة أحوالهم .

وهكذا تتعدَّد الأساليب في تذكير الولاة بمسئوليتهم ، فتارة بالترهيب وأحيانا بالترهيب ، ومرة بضرب الأمثال ، وأخرى بالأمر الصريح المباشر

وجميع الأساليب تهدف إلى نقل الخليفة من حال الانشغال بالشئون -
الخاصة إلى حال الشعور بالمسئولية ، والاهتمام بالرمية ، لأن في هذا
النقل صلاح الراعى والرمية ، ورفع الأمة وحضارتها .

ثالثا : (الأمر باتخاذ البطانة العالحة :

ولما كان للبطالة العالحة أثر كبير في استقامة الخليفة أو الوالى ،
وحسن تصرفاته ، فقد ضيَّ رجال المدارس بالحضرة على اختيارها ، فهم العسَّون
والمذكَّرون ، يعينون الخليفة على الخير إذا ذكره ، ويذكَّرونه به إذا نسى .

وفى المقابل فقد حذروا من بطانة السوء ، وبينوا صل أهلها ، وطائفة
من أطاعهم وقربهم .

دخل أبو حازم سلمة بن دينار (ت ١٤٠ هـ) على أمير المدينة في ذلك
العصر فقال له : (انظر الناس ببابك ، إن أدنيت أهل الخير ذهب
أهل الشر ، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير ، فاحرص على الخير
وأهله وآبائك وأهل الشر الذين يزينون لك الباطل ، ويوردونك موارد الهلاك^(١))

والتقى هارون الرشيد بشيبان الراعى ، فقال له : عظمى
فقال شيبان : (لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك ممن
أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف
فقال الرشيد : فسّر لى هذا

(١) انظر : الذهبى - سير أعلام النبلاء ١/٦٦ (١)

قال : من يقول لك : أنت مسئول عن الرمية فاتق الله ، أنصح لك ممن يقول :
أنتم أهل بيت مغفور لكم ، وأنتم قرابة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - .
فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله (١)

وجاءت كلمة القاضي عبدالرحمن بن زياد الأفرقي تحذر الخليفة من اتخاذا
البطانة السيئة ، وتربط بين صلاح الخليفة وصلاح بطانته ، وبين فساد وفساد
بطانته ، وتلك حقيقة لا تجحد ، فالخليفة المالح لا تطيب نفسه ولا يطمئن
قلبه وأحد الفساق في بطانته .

يقول عبدالرحمن الأفرقي للمصور حين سأله : وأيمن لي بالرجال ؟
إن الوالى بمنزلة السوق ، يجلب إليها ما ينفق فيها ، فإن كان براً أتوه
ببرهم ، وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم . (٢)

فالبطانة بطانتان صالحة وسيئة ، وقد حرص المالكون من الخلفاء على
حسن اختيارها وتنقيتها ، وإذا قرب الخليفة أو الوالى إحدى البطانتين ابتعدت
الأخرى ، ولو أنصف الخلفاء والولاة لعلموا أن من ينصحهم ويحفظهم ويذكرهم
بأحوال الناس ، ويأمرهم بتقوى الله عزوجل أنصح وأصدق وأظلم إخلاصاً
وحباً ممن ينافق ويتزلف فيذكر المحاسن ويبالسغ فيها ، ويكتم المساوىء
أو ينفقها ، يفعل ذلك طمعاً في المال والجاه .

وهذا المعنى العظيم هو الذي أورده شيبان الراعي وغيره ممن سبقه
أو لحقه حيثما وعظ هارون الرشيد .

(١) (السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٢٩٤) .

(٢) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٠ / ٢١٥) .

و (أبا العرب التميمي - طبقات طعماً أفرقة ص ٣٠) .

و (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٦ / ٤١١) .

و (السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٨) .

رابعاً : (الترهيب في التواضع والتفهير من الكبر :

وإذا كان التواضع واجباً على كل مسلم ، فأولى الناس به أهل الجاه
والعال ، لأن جاههم ومالهم ليس لهم وحدهم ، وكثيراً ما يوصلان صاحبهما
إلى الكبر الذي هو بطل الحق وفضط الناس حقوقهم .

ولما كان التكبر من الصئول يوقعه في ظلم الناس ، ويمسده من الحق
والصواب ، فقد تعرض الدعاة في أحاديثهم مع الخلفاء إلى التفهير منه ، ومن
ذلك ما روى أن جعفر الصادق دخل على المنصور ، فوقع الذباب على الخليفة
مراراً حتى أضجره ، فقال لجعفر :

يا أبا عبد الله لم خلق الله عز وجل الذباب ؟ !

فقال : ليذل به الجبابرة . (١)

ومر الخليفة المنصور على جماعة فقاموا له إلا الفرج بن فضالة التنوخي (ت ١٧٧هـ)

فغضب المنصور واستدعى ابن فضالة وقال له :

ما منعك من القيام حين رأيتني ؟ !

قال : خفت أن يسألني الله عنه لم فعلت ؟ وسألك لم رضيت ؟ ، وقد كرهه

رسول الله صلى الله عليه وسلم - .

فبكى المنصور ، وقره ، وقضى حوائجه . (٢)

ويستعمل محمد بن صبيح المعروف بابن السماك مع الخليفة الرشيد أسلوب

(١) (ابن الجوزي - صفة الصفوة ٢ / ٩٦) .

(ابن خلكان - وفيات الأعيان ١ / ٤٣٥) .

(٢) الفرج بن فضالة بن النعمان بن نعيم أبو فضالة التنوخي الحمصي ، كان

صاحب طم وصلاح ، وكان على بيت مال بغداد ، توفي سنة سبع وسبعين

ومائة في خلافة هارون الرشيد ، وقيل سنة ست وسبعين ومائة .

انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٧ / ٤٦٩) .

(٣) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٢ / ٣٩٤) .

الترغيب في خلق التواضع ، والحث عليه فيقول له :

(يا أمير المؤمنين : إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك

فقال الرشيد : ما أحسن ما قلت !

فقال ابن السماك : يا أمير المؤمنين إن أمراً آتاه الله جمالاً في خلقته

وموضعا في حسبه ، ويسط له في ذات يده ، فعف في جماله وواسى من ماله ،

وتواضع في حسبه ، كتب في ديوان الله من خالص أوليائه .

فدعا هارون الرشيد بدواة وقرطاس وكتب ذلك بيده (١) .

وكتب قاضي أفريقيا : سحنون بن سعيد التنوخي إلى أمير بلده يقول له :

(أعاذك الله - أيها الأمير - من قسوة التجبر ، ونخوة التكبر ، وأسأل الله

أن يرزقك فهماً للخير وصلاً به ، ومعرفةً بالحق وأثرة له) (٢)

والناظر في النصوص المتقدمة يرى أن نصيحة جعفر الصادق للمنصور تهدف

إلى تذكير المنصور بقوة الله وقهره ، وأنه تعالى بالمرصاد لكل من طغى وتجبس

فهو دعوة إلى التواضع وتخويف من طاعة التكبر ، وإشارة إلى أن الله تعالى

قادر على إهلاك المتجبرين بأضعف مخلوقاته وأظلم شأننا كالدباب مثلاً ، وهي

أيضا بيان لبعض حكم المولى عز وجل في خلق بعض المخلوقات الضعيفة وأنس

لم يخلق شيئاً هبئاً ، وما غاب من الحكم أعظم .

ونلمح من موقف ابن فضالة التنوخي دعوة عملية إلى التواضع ، حيث لقن

المنصور درساً لا ينساه في التواضع بأسلوب لطيف يتجلى فيه خوف الله تعالى

ومراقبته ، مما جعل المنصور يبكي ، ثم يقرب الناصح ويكافئه .

ونجد ابن السماك طى جانب كبير من الفطنة وحسن الاختيار ، حيث يزيين

للخليفة تواضعه حتى يجعله زينة وبها للخلافة نفسها ، ثم يرغبه في العفة

والمواساة والتواضع ، ويبيِّن إن فعل ذلك - بالقرب من الله تعالى ونيل رضاه .

(١) (الغزالي - إحياء علوم الدين ٤ / ١٩٤٩) .

(٢) (أبو العرب التيمي - طبقات طما أفريقيا ص ١٠٣) .

ويصوغ القاضي سمون نصيحتة على شكل دعاة وتضرع إلى الله تعالى ،
فيسأل ربه أن يجير الأمير من قسوة التجبر ونخوة التكبر .

وفى هذا ذم للتجبر والتكبر وتنفير منه ، ودعوة إلى ضد ذلك
من اللين والتواضع وخفض الجناح ، وهو أسلوب لطيف من أساليب
الدعوة ، ينبغي معرفته والعمل به .

خامساً : (التذكير بالحساب والتخويف من العذاب)

واشتملت بعض المواظ على تذكير الخلفاء والأمراء بالآخرة وأهوالها واستعراض
مشاهدها ومواقفها ، ولا يخفى ما فى ذلك من الترهيب من عذاب الله تعالى ،
ودعوة المسئولين إلى العمل الصالح والتزود بالتقوى وما أجلها من دعوة إلى
تصلح الرعايا والرحمة ، ويستقيم الجميع على شرع الله تعالى إن هم استجابوا
لها وتأثروا بها .

وحول هذا المعنى وفيه يسوق ابن السماك موصظة للخليفة الرشيد فيقول :
(يا أمير المؤمنين اتق الله وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقف غداً بين يدي
الله ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لاثالثة لهما : جنة أو نار .
يا أمير المؤمنين : إنك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث منه
وحدك .

يا أمير المؤمنين : إن لسلك بين يدي الله مقاماً ، وإن لك من مقامك
منصرفاً فانظر إلى أين منصرفك ؟
واحذر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والنار ، حينئذ
يؤخذ بالكظم ، وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبة تُقبل ، ولا عشرة تقال ،
ولا يقبل فداءً بمال .

فجعل الرشيد يبكى ، حتى قال بعض خواصه : ارفق بأمير المؤمنين .

فقال له ابن السماك : دعه ظهمت حتى يقال : خليفة الله مات من مخافة الله^(١))

ويستأن الخليفة الرشيد ومعه حاجبه علي الفضيل بن عياض ذات ليلة فيفتح الباب ويظفي السراج ويجلس في زاوية الغرفة ، فيدخلان فتسبق كف الرشيد إلى الفضيل فيقول : ما ألينها من يدٍ إن نجت فداً من عذاب الله ، فيسأله الرشيد الموضلة فيقول الفضيل :

يا أمير المؤمنين : حملت على نفسك ، وجميع من معك حملوا عليك ، حتى ليسوا سألتهم عند انكشاف الخطأ فك وضهم أن يحملوا منك ذنباً واحداً ما فعلوا ولكن أشدُّهم حباً لك أشدُّهم هرباً منك .

يا أمير المؤمنين : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي^(٢) ورجاء بن حيوة وقال لهم :

« إنسى قد اب تليت بهذا البلا فأشيروا عليّ ، فعدت الخلافة بلا ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة !

فقال له سالم : إن أردت النجاة فداً من عذاب الله فسم عن الدنيا ، وليكن افطارك فيها على الموت .

وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة فداً من عذاب الله ، ظمك كيبس المسلمين لك أباً ، وأوسطهم لك أخاً ، وأصغرهم لك ولداً ، فبر أباك ، وارحم أخاك ، وتحنن على ولدك .

وقال رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة فداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ماتحِبُّ لنفسك ، واكره لهم ماتكره لنفسك ، ثم متى شئت فمست .

وإنى لا قول لك هذا ، وإنى لا أخاف ظمك أشد الخوف يوم تنزل الأقدام فهل معك يرحمك الله - مثل هؤلاء القوم يأمرتك بمثل هذا ؟ !

فيكسى هارون بكاء شديداً ، فقال الحاجب : ارفق بأمر المؤمنين

(١) (الطبري - تاريخ الأمم ١٠/١١٩) و (ابن كثير - البداية والنهاية - ١٠٢١/١٨٢-٢١٧) و (ابن الجوزي - صفة الصفوة ٣/١٠٥) و (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٥/٢٧٢) و (ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ٢/١١١) .

(٢) محمد بن كعب القرظي : المدني من حلفاء الأوس ، كان أبوه كعب بن سليم وقيل كعب بن حيان بن سليم من سبي بني قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة وكان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً ، توفي سنة ثمان ومائة ، وقال ابن سعد : سنة عشرين ومائة ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

انظر : (الذهب - أخبار الزلاء ٥/١٥) .

فقال الفضيل : قتلته أنت وأصحابك ، وأرْفَقُ بِهِ !

فقال الرشيد : زدني

قال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكاه إليه السهر فكتب إليه عمر يقول : يا أخى اذكر سهر أهل النار وخلود أهلها فيها فإن ذلك يطرد بك إلى ربك ناشئاً ويقظان ، وإياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ، ومنقطع الرجاء منك ، والسلام .
فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه ، فقال له عمر :
ما أقدمك ؟

قال : خلعت قلبي بكتابك ، لا وليت لك ولاية أبداً حتى ألقى الله سبحانه وتعالى فبكى هارون ، ثم قال : زدني - يرحمك الله -

فقال : يا أمير المؤمنين ، يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله يوم القيامة عن هذا الخلق ، فإن استطعت أن تنسى هذا الوجه من النار فافعل وإيهاك أن تصبح أو تنسى وفى قلبك فترهيتك ، فإن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : (ما من وال يلبى رعية من المسلمين ، فموت وهو غاشر لهم إلا حَسْرَمَ اللهُ طِيهَ الْجَنَّةَ)^(١)

فبكى الرشيد ، ثم قال : أظنك دين ؟ قال : نعم ، دين لربى يجا سبى طيه فالويل لى إن سألنى ، الويل لى إن لم يلهمنى حجتى .
فقال هارون : إنما أضى دين العباد

فقال : إن ربي لم يأمرنى بهذا ، وإنما أمرنى أن أصدق وده ، وأطعمهم أمره ، فقال تعالى : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أرى سدا منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرازق ذو القوة المتين " (٢)
فقال الرشيد : هذه ألف دينار أنفقها على عمالك ، وتقويتها على عبادة ربك

(١) (صحيح البخارى - كتاب الأحكام - باب من استرعى رعية ظم ينصح ٨٠/٩)
و (صحيح مسلم - كتاب الامارة - باب فضيلة الامام العادل - ١٤٦٠/٣) .

(٢) آيات رقم (٥٦ - ٥٧ - ٥٨) من سورة (الذاريات) .

فقال الفضيل : سبحان الله ! أدلك على النجاة ، وتكافئني بمثل هذا
سَلَّمَ اللهُ .

فخرج الرشيد وهو يقول لحاجبه : إذا دلتني على رجل فدلتني على مثل
هذا فإنّ هذا سيّد المؤمنين اليوم . (١)

ولا يتسع المقام لذكر مواضع أخرى ، وما أكثرها ! ينصح أصحابها الخلفاء
والولاة ، ويذكرونهم بالوقوف بين يدي الله تعالى وما يتبع ذلك من الأَسْوَال ،
ويكفيها هذا المثلان لابن السماك والفضيل حيث ^{قدّمَا} للخليفة غر النماذج .

وينهجان في هاتين الموعظتين المنهج العاطفي المؤثر في النفوس ،
وينتقلان بين أساليب المتنوعة : كأسلوب الترغيب ، والترهيب ، والقصر ، وضرب
الأمثال ، وكلها أساليب قوية مؤثرة تدفع الإنسان إلى التوبة والمحاسبة ،
والندم على مافات ، وتزيد في قلبه من خشية الله تعالى ، والخوف من سخطه .

كما تكشف هاتان الموعظتان عن نفسية الرشيد المتعطشة لسماع الموعظة
حيث يقصد العلماء في بيوتهم ، ويطلب منهم النصح والتذكير .

ونستفيد من موقف الفضيل في عدم أخذه الأجر على نصحه ، ما ينبغي
أن يتحلى به الدعاة من عفة النفس ونزاهتها ، وإخلاص الدعوة والصدق فيها ،
والتعالي على الشهوات والزهد في المال والجاه .

(١) انظر : (أبا نعيم - الحلية ٨ / ١٠٥) .

و (ابن الجوزي - صفة الصفة ٢ / ١٢٧) .

و (الدميري - حياة الحيوان الكبرى ١ / ١٢٥) .

سادسًا : (جهود دعوية أخرى)

وهناك أمور كثيرة تطرَّق إليها رجال المدارس من خلال مواقفهم من الخلفاء والامراء ، ومن تلك الجهود :

الحسن طي العلم والعمل :

وفي هذا المعنى يقول صالح بن عبد الجليل للخليفة

المهدى :

يا أمير المؤمنين كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون : من حَبَّبَ اللهُ ضَمَّ العلمَ ذَبَّه طي الجهل ، وأشدَّ منه ذابًا من أقبل إليه العلم فأدبر هوضه ، ومن أهدى اللهُ إليه طمأ ظم يعمل به فقد رغب من هديَّةِ اللهِ ، فأقبل ما أهدى اللهُ إليك من السنننا قبولَ تحقيق وصل ، لا قبولَ سمعةٍ ورياءٍ ، فإنه لا يعدمك منا إلام لما تجهل ، أو مواطأة على ما تعلم ، أو تذكير من غلة ، فأطلسح اللهُ طي قلبك بما يُنَوِّرُهُ مِنْ إيثارِ الحق ، ومنا بذة الأهواء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . (٢)

ويريد صالح رحمه الله من هذه الموصلة أن يهتم الخليفة بنصائح العلماء ويكون في قلبه حبٌّ لهم ويحثُّ ضمم وتقدير لما يحملون من طم وهدى .
كما يريد أيضا أن لا يكتفى الخليفة بسماع المواظ ، وإظهار التأثير بها فإن ذلك يُعدُّ رياءً وسمعةً يُعاقب عليها المرء ، ولكن الذي ينفع هو العمل الصادق المخلص بما يتعلم الانسان من العلوم النافعة .

(١) (ابن قتيبة - عيون الأخبار ٢/ ٢٢٣)

اعزاز العلم وصونه :

وقد حرص الدعاة على إكرام ما وهبهم الله من طم وصونه من الابتدال ،
والإذلال ، والنظر إليه على أنه نعمة أعظم من نعمة المال والجاه ، لأن
أصحاب المال والجاه لا يستغنون عن العلم ، وأما العلماء فقد أغناهم الله
بالعلم ، ورفعهم فوق غيرهم درجات .

ومما يشهد لهذا الإعزاز : موقف الإمام مالك بن أنس حين أرسل إليه
هارون الرشيد وهو في المدينة - يقول له :
احمل إليّ كتابك الذي صنعت - يعنى الموطأ - أسمعك عليه
فقال مالك للرسول : أقرته السلام وقل له :
العلم يزور ولا يزور ، ويؤتى ولا يأتى
فرجع فأخبر الرشيد ، ثم قال له : يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق أنك
وجهت إلى مالك بأمر فخالفك ! اعزم عليه حتى يأتك ، فبينما هم كذلك إذا بك
قد دخل ، وليس معه الكتاب - جاء مسلماً على الخليفة - فسلم وجلس ، فقال
له الرشيد : يبلغ أهل العراق أنني سألتك أمراً من الأمور سهلاً فأبيت طيبي !
فقال مالك :

يا أمير المؤمنين إن الله قد جعلك في هذا الموضع ، فلا تكن أول من ضحى العلم
فيضحك الله ، ولقد رأيت من ليس في حسبك ونسبك يحرض هذا العلم ويجلسه
فأنت أحرى أن تجلسه .

ولم يزل يحظه ويذكره حتى بكن ، ثم إن الرشيد أتى مع ولده : الامين^(١)

(١) الامين محمد أبو عبد الله بن هارون الرشيد كان ولي عهد أبيه ، وقد ولى
الخلافة من بعده ، وكان حسن الخلق قوي البنية صاحب شجاعة ، وقد
وقع خلاف بينه وبين أخيه المأمون انتهى بقتل الامين وذلك سنة ثمان وتسعين
ومائة ، واستمرت خلافته قريباً من أربع سنين ، وله حين قتل سبع وعشرون
سنة .

انظر : (السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٢٩٧ ، وما بعدها)
و (الكفتي - فوات الوفيات - ٤ / ٤٦) .

والمأ مون إلى منزل الإمام مالك فسمعوا منه الكتاب^(١) .

فذهب مالك إلى الرشيد دون أن يأخذ كتاب الموطأ تعظيم للعلم ،
واكرام واجلال لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد أدرك الرشيد
ذلك وأقره ولم يكن ممن أهان العلم وضيعه ، وهى صفة حميدة له تغاف إلى
غيرها من الصفات .

وهكذا ينبغي أن يكون العلماء فى إغزاز العلم وصونه ، كما ينبغي أن -
يقبدي الولاة والسلاطين بالرشيد حيث أمان على ذلك ، وحفظ للعلم والعلماء
مكانتهم ، ولم يفتح ما رفعه الله عز وجل .

دفاعهم عن الصحابة :

وقد تمدى الدعاة للجاهلين والحاقدين الذين ينالون من الاسلام ومن
صحابية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن هذا التمدى تزداد أهميته ،
عندما يكون فى مجلس الخليفة أو رداً عليه .

ومما روي فى هذا الشأن : أن حواراً جرى فى مجلس الرشيد حول مسألة
من المسائل ، فتنازع الحاضرون ، وطلت أصواتهم فاحتج فريق منهم بحديث
يرفعه أبو هريرة - رضى الله عنه - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وتزداد المدافعة والخصام حتى قال بعضهم :
لا يحلُّ هذا الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإن أبا هريرة
متهم فيها بيهوده ، ونحا الرشيد نحوهم ، ونصر قولهم ، فما كان من القاضي
عمر بن حبيب العدوى إلا أن وقف وقال :

(١) (السيوطى - تاريخ الخلفاء - ص ٢٩٤) .

و (عبد الملك بن حسين العمامى - سمط النجوم العوالي ٢/ ٢٩٧) .

الحديث صحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأبو هريرة - رضى الله عنه - صحيح النقل ، صدوق فيما يرويه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن غيره .

فنظر إليه الرشيد نظر مغضب ، ثم قام صر وانصرف إلى منزله ، ظم يلبسست أن قيل له : صاحب البريد يا لبيب يقول : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتسول فقال صر : اللهم إنك تعلم أنى دفعت عن صاحب نبيك - صلى الله عليه وسلم وأجلت نبيك صلى الله عليه وسلم أن تطمسنى على أصحابه ، فسلّمني منه .

وأدخل على الرشيد فرآه حاسراً عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطسح فلما بصربه قال له : يا صر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولى بمثل ما تلقيتنى به !

فقال : يا أمير المؤمنين إن الذى قلتُه وجادلتُ عليه إزراء على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى ما جاء به ، لأنه إذا كان أصحابه كذا بين فالشريعة باطلية ، والفرائض والأحكام فى الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود كله مردود ، فرجع الرشيد إلى نفسه وأدرك الصواب فقال : أحييتنى يا صر بن حبيب أحياك الله ، أحييتنى يا صر بن حبيب أحياك الله ، وأمر له بجائزة . (١)

وهذا واحد من أمثلة كثيرة وقف فيها طمأ السلف أمثال ابن حبيب - رحمه الله - للدفاع عن الاسلام وحملته ، ورد الباطل وأهله ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، ونستخلص من هذا الموقف فوائد كثيرة منها :

أن طمأ السلف ورجال المدارس كانوا على ثغر من ثغور الاسلام ، ينفسون منه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وشبهه الجاهلين والحاقدين ، وكان قول الحق وإظهاره أهم من كل شىء لديهم ، ويبدلون فى سبيل ذلك أغلبي ما يملكون .

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد (١١ / ١٩٧) .

ونستفيد أيضا أن الداعية إذا كان قوى العلة بالله تعالى ، دائم الالتجاء إليه ، فإن الله سينصره ويؤيده عند كل شدة ، فلما أحسَّ عمر بن حبيوب بغضب الخليفة ، وجاءه رسوله يخبره بأن الخليفة يريد قتله لجأ إلى الله تعالى ودعا له دعاء المضطر ، وأشهد على نيته في الدفاع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه فنجَّاه الله من الغم وسلَّمه من الأذى ، وهذه سنة الله مع عباده المؤمنين ثم الآن الله قلب الخليفة وفتحته للحق ، فأصغى إلى ابن حبيوب ، وعلم صدقته وسداد قوله ، وأبطل الله تلك الفرية ، وأظهر الحق وأهله .

سبب الإكثار من نصح السوالة :

لقد حوت كتب التاريخ والطبقات كثيرا من نواحي العلماء للخلفاء والامراء ما يعكس اهتمامهم الكبير تجاه أولئك المسئولين ، وهذه الجهود الدعوية الخاصة بتوجيه السوالة ونصحهم جاء نتيجة أسباب متعددة منها :

أولا : قرب العهد بالنموذج الراشدي الممتاز ، فما زالت عدالة الخلفاء الراشدين وسيرتهم الحسنة ماثلة في الأذهان ، يقاس عليها كل تصرف للخلفاء والامراء ولذا كان كثيرا من نواحيهم تضمنت الاستشهاد بسيرة أولئك الخلفاء - وأقوالهم ، وجاءت تطالب بالاعتدال بهم ، والسير على طريقهم ، وتبيين للسوالة أن الأمة في كل عصر تنتظر من حكامها السير على نهج الراشدين . يقول مالك بن أنس لهارون الرشيد : لقد بلغني أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان في فضله وقدمه ينفخ لهم طام الرمادة النار تحت القدر حتى يخرج الدخان من تحت لحيته - رضي الله عنه - وقد رضي الناس منكم بدون هذا . (١)

(١) (ابن فرحون المالكي - الديباج المذهب - ص ٢٧) .

ثانيها : معرفة العلماء بالاستقامة الخلقية من أثر طي المجتمع كله ، فإن - هذه المعرفة جعلتهم يعالجون المشكلة من جذورها ، وينصحون مسن بملاحة صلاح الأمة بأسرها ، وقد صرح بعض الأئمة بذلك . كالليث بن سعد - رحمه الله - فإنه قدم من مصر على الخليفة هارون الرشيد فقال له الرشيد : يا ليث ما صلاح بلدكم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، صلاح بلدنا إجرا، النيل ، وصلاح أميرها ، ومن رأس العين يأتي الكدر ، فإذا صفا رأس العين صفت العيسن وصفت السواقي قال : صدقت يا أبا الحسارث . (١)

وكان الفضيل بن عياض - رحمه الله - يقول : (لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام لأنَّ به صلاح الرعية ، فإذا صلح أمنست العباد والبلاد) (٢)

فالإمام الليث يُرجع صلاح البلاد إلى أمرين : أحدهما : مادّي يقوم على حاجات الناس المعاشية . وثانيهما : معنوي يُعتبر أساساً لصلاح الناس واستقامتهم ، ألا وهو صلاح الولاية وذلك بتمسكهم بالكتاب والسنة ، واقتدائهم بسنة الخلفاء والراشدين في إقامة حكم الله تعالى ، وتفقد أحوال الناس وإذا ما صلح الله الولاية ، وأتبعهم بملاح الرعية فلن يضيرهم توقف النيل أو جريانه ، لأن الله وعد من آمن به واتقاه أن يفتح عليهم بركات من السماء والأرض وأما قول الفضيل المتقدم فهو نص صريح في بيمان سبب من أسباب إكثار

(١) (أبو نعيم - الحلية ٢٢٢/٧) .

(ابن خلكان - وفيات الأعيان ١٣٢/٤) .

(٢) (ابن خلكان - وفيات الأعيان ٤٨/٤) .

(ابن كثير - البداية والنهاية ١٠/١٩٨) .

(اليافعي - مرآة الجنان ١/٤١٥) .

العلماء من نصح الولاة ، فإنهم لم يكونوا يقصدون من ذلك شيئاً من متاع الدنيا ، كما يفعل ضعاف الإيمان في كل زمان .

ثالثاً :
التغيير الذى حدث فى مسلك الخلفاء والامراء ، والمتمثل فى انحراف بعضهم عن منهج الخلفاء الراشدين وسلف الامة العالحين فى بعض مسائل الدين ، أو فى الاتجاه نحو الترف والإسراف ، مما جعل الدعاة يحملون طى عواتقهم أمانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تجاه السلاطين ، ويقومون بتطبيق ذلك وترجمته إلى واقع حلى .

وفى هذا يقول مالك بن أنس - رحمه الله - :

(حقّ طى كل مسلم جعل الله فى صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل إلى كل ذى سلطان ، فأمره بالخير ، وينهاه عن الشر) . (١)

وتطبيقاً لهذا الهدأ فقد انتقد كثير من علماء السلف - أمثال محمد بن عبدالرحمن بن أبى ذئب ، وسفيان الثورى ، وعبدالله بن عبدالعزيز العمري - مسلك الإسراف والتبذير عند بعض الخلفاء .

فالخليفة المنصور يسأل ابن أبى ذئب عن رأيه فى توزيع المال فيجيبه قائلاً :

أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حق ، وجعلته فى غير أهله .
فأمسك أبو جعفر المنصور بقفاه وقال : لولا أنا لأخذت آبناء فارس والروم بهذا المكان منك .

فقال ابن أبى ذئب : قد ولي أبو بكر وصر فأخذ بالحق ، وقسم بالسوية وأخذ بأقفا فارس والروم ، وأصفر آناهم . (٢)

(١) (ابن فرحون العالكي - الديباج المذهب ص ٢٧) .

(٢) (الذهبى - سير أعلام النبلاء - ١٤٣/٧) .

(ابن أبى حاتم الرازى - آداب الشافعى ومناقبه ١/٤٦) .

ويحترض سفيان على المنصور حين رأى كثرة الأموال معه ، وهو ذاهب إلى الحج ، وقد أعدّها لهذا السفر ، فيقول له :
يا أمير المؤمنين حجَّ عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، فقال لخازنه :
كم أنفقت ؟

قال : بضعة عشر درهماً ، وكان ينزل تحت الشجر ، وأرى ها هنا أموالاً لا تطيق
الجمال حملها ! فقال الخليفة المنصور :
أتريد أن أكون مثلك ! ؟ قال : لا ، ولكن دون ما أنت فيه ، وفوق ما أنا فيه (١) .

ويذكر عبد الله العمري - رحمه الله - للخليفة الرشيد عاقبة المرففين ، ويخص
منهم من أسرف في أموال المسلمين العامة فيقول :

(يا أمير المؤمنين : إنَّ الرجلَ لُيُسرفُ من ماله ، فيستحقَّ الحجرَ عليه
فكيف بمن يُسرفُ في أموال المسلمين كلهم !) (٢)

فحدث بعض الأخطاء في أخذ المال وإنفاقه كان أحد الحوافز التي جعلت
العلماء يذكرون من نصح الخلفاء ، ويهتمون بدعوتهم وتوجيههم ، ويحذرونهم
مواقب الإسراف وآثاره العاجلة والاجلّة .

(١) (أبو نعيم - الحلية ٤٣/٧) .

(الغزالي - إحياء علوم الدين ٩١٠/٢) .

(ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣٨٧/٢) .

(الذهبي - سير أعلام النبلاء ٢٦٢/٧) .

(٢) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١١٧/١٠)

و (ابن الجوزي - صفة الصفوة - ١٠٢/٢) .

و (ابن كثير - البداية والنهاية ١٨٥/١٠) .

و (الياقيني - مرآة الجنان ٣٦٧/١) .

سبب إبراز نصح العلماء للخلفاء :

تحدثت فيما سبق من هذا الفصل عن دعوة العلماء للخلفاء ، وما بذلوه من جهود في سبيل نصحهم وإصلاحهم ، لسببين :

الأول : لأن هذه الجهود تُعتبر عملاً مهماً من أعمال رجال المدارس المنتشرة في ذلك العصر ، واتجاهاً متميزاً لعلماء السلف في دعوتهم .

الثاني : لأن هذا اللون من جهود العلماء لن يُرد في البابين القادِمين فالحديث فيهما سيتناول بعض المشكلات التي اعترضت طريق الدعوة ثم أساليب العلماء في مواجهتها والتعدي لها .

أما في هذا الفصل فقد تحدثت عن جهود العلماء في نصح الخلفاء والولاة وسوف أتحدث - بمعون الله - عن جهودهم في نصح الناس عامة وأهم الأفكار التي تضمنها نصحهم .

نصح رجال المدارس للعامة :

وإذا اعتبرنا جهود العلماء في الدعوة قد انقسمت قسمين :

الأول : نصح الولاة .

فإن الثاني : نصح الناس عامة ، وقد بذل العلماء جهوداً متواصلة في توجيه الناس إلى الخير ، وحضهم على مكارم الأخلاق ، وتحذيرهم من منكراتها وغير ذلك من الأمور المهمة التي تضمنتها مواظب الدعاة وأحاديثهم ، ويمكن أن نذكر منها ما يلي :

أولاً : الأمر بالتوحيد ومكارم الأخلاق :

اشتملت مواضع العلماء على الأمر بالتوحيد وإخلاص العمل لله تعالى ، والإقبال على الأعمال العالحة ، آخذين ذلك من نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، فوجد الفضيل بن عياض يحث الناس فيحذرهم من الشرك بكل أنواعه ظاهره وخفيه ، يقول رحمه الله :

(العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس رياء ، والإخلاص أن يحافيك الله منهما ، ومعنى قوله تعالى : " ليلوونكم أيكم أحسن حسلاً " (١) : إخلاصه وأصوبه ، لأن العمل يجب أن يكون خالماً لله تعالى ، ومصوباً طمسي متابعة النبي - صلى الله عليه وسلم) (٢)

وكان بشر بن الحارث يحث على إخلاص العمل لله تعالى ، ويتجه فسي بعض نعاثه ليخاطب أحد أصحابه من المحدثين فيقول له :

(يا فلان احذر حدثنا ، فإن لحدثنا حلاوة ، وقد قلت : حدثنا ، وكتبك عنك ، فكان ماذا ! ؟

فقبل له : لم لا تحدث وقد طلبت الحديث ، وأخذت عن الشيخ ؟ فقال : أشتبه أن أحدث ، ولكنني إذا اشتبهت شيئاً تركته . وسأله بعض المحدثين عن حديث ؟ فقال بشر : اتق الله ، فان كنت ترده للدنيا فلا ترده ، وان كنت ترده للآخرة فقد سمعت ، ولا أطم شيئاً أفضل من طلب العلم اذا أريد به وجه الله عز وجل (٣) .

(١) آية رقم (٢) من سورة الملك .

(٢) (ابن خلكان - وفيات الأعيان ٤ / ٤٨) .

(ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ١٩٨) .

(اليافعي - مرآة الجنان ١ / ٤١٥) .

(٣) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٧ / ٧٠) .

وتتمتاز موهبة الفضيل بالدقة في تصحيح النية ، والمدق في إخلاص الطوية وهي تعالج واقع الناس ، حيث يعمل كثير منهم المعالجات من صلاة وصيام وصدقة وحج لأجل الناس ، ويريدون أن ينالوا ثناءهم وحبهم ، ونسوا أو جهلوا أن هذا هو الشرك المعلى وهو محيط للعمل ، مُفدٌ للنية ، والله تعالى غيى عن الشرك وأهله ، وغيى عن العالمين ، يقول الله تعالى فسى الحديث القدسى :

" أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه " (١)

- كما يحذر الفضيل من ترك العمل لأجل الناس ، وُسَمِيَ ذلك رياءً .
- ثم يبين حقيقة الإخلاص وهو أن يكون العمل والترك لأجل الله وحده .

وأما بشر بن الحارث ، فينظر في الناس فيرى كثيراً من طلاب العلم لا يقصدون بعلمهم وجه الله تعالى ، ويرى بعض أصحاب الحديث لا يتورعون عن طلب المسال والجاه بحد يثهم ، فيحذّر هؤلاء وأولئك من ترك الإخلاص ويبين لهم الخسران والندامة التي يجنيها من حُرْمِ المدق والإخلاص في القول والعمل .

وأما من سبب تركه الحديث وهو ترك ما يشتهي ، فيحتمل عدة معان ، منها :

— أن نفسه تميل إلى التصدر للحديث ، وإملاكه على التلاميذ لما في ذلك من حلاوة المنزلة والجاه ، ومن الشهرة ، وهذا مناف للإخلاص ، ولذلك تركه .

— أو أن نفسه تشتت في الحديث ولكنه لا يحمل الشئ " بناً على اشتهاً " نفسه وارنما يعمل امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله — صلى الله عليه وسلم ، فإذا أحس أن لنفسه حظاً في بعض الأعمال ، ترك العمل حتى تكون نية العمل خالصة لوجه الله تعالى ، دون أن يبقى لنفسه شئ من الحظ المناقض لكسب الإخلاص .

(١) صحيح مسلم — كتاب الزهد والرفائق — باب من أشرك في عمله غير الله —
أو باب تحريم الرياء — ٢٢٨٩/٤ — رقم (٢٩٨٥) .

- أما أن يترك المسلم كل عمل صالح تشبهه نفسه فهذا غير مقبول ، لأن بعض النفوس قد ترغب في فعل الصالحات ، وتجد في ذلك حلاوة ولذة ، فالواجب حينئذ تصحيح النية ، وإخلاء القصد لله وحده ، وذلك قبل القيام بعمل العمل ، وبخاصة إذا كان العمل طلباً للعلم أو تطبيقه أو نشره ، وهذا ما نسّم عليه بِشْرَ نفسه في آخر كلامه حين قال :

ولا أعظم شيئاً أفضل من طلب العلم إذا أريد به وجه الله عز وجل .

الوصية بتقوى الله والحياء منه :

وخير ما يوصى المسلم أخاه تقوى الله عز وجل والحياء منه ، وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، فتقوى الله تعالى سبب كرامته ودخول جنته ، والحياء منه نوع من التقوى ، وشعبة من الإيمان .

وقس الواعظ المشهور محمد بن صبيح المعروف بابن السماك (ت ١٨٣ هـ)
يوحّبه الناس ويحفظهم فكان ما قال لهم :

(أيها الناس لقد أمهلكم الله حتى كأنه أهلكم ، أما تستحيون من الله من طول ما لا تستحيون .

ابن آدم : إنما تغدو في كسب الأرباح فأجعل نفسك فيما تكسب ، فإنك لسن تكسب مثلها .

وأنت أيها النفس تقولين قول الزاهدين ، وتعملين عمل المنافقين ، والجنسية تطمعين أن تدخلين ، هيئات إن للجنة قوما آخرين ، ولهم أعمال غير ما تعملين (١)

(١) (ابن قتيبة - عيون الأخبار ٢ / ٣٦٨) .

• (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٥ / ٣٧٠) .

وكان أبو نعيم الجهمي (ت ١٩٤ هـ) من وُظاظ المدينة ودعاتها ، يخرج يوم الجمعة قبل الصلاة ، فيقف على مجامع الناس ويعظهم ، ويذكرهم بالله تعالى وبالآخرة ، ويأمرهم بتقوى الله عز وجل ، فيقبل الناس عليه ، ويتسوّب الكثيرون إلى الله تعالى متأثرين بمدق لهجته ، وإخلاص نيته ، فكان يقرأ آيات من كتاب الله تعالى على مسامح الناس ، فيها الأمر بالتقوى والخشية لله عز وجل .

ومن تلك الآيات :

قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم * واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) (١)

وقوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة لها أرضعت وتنضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد) (٢)

ولا يزال ينتقل من جماعة إلى جماعة يذكرهم بالله ، ويحذرهم الآخرة ، حتى يحين وقت الصلاة ، فيملي الجمعة ، ولا يخرج حتى العشاء الآخرة . (٣)

فلم يقتصر الدعاة على الوظف في المساجد بل كانوا يمرون على الناس في أسواقهم وأماكن تجمعهم يذكرونهم الموت والحساب ، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر .

وهذا يعني أن وُظاظ المساجد وحده قد لا يكفي ، لأن كثيراً من الناس لا يأتون إليها ، أما لأنهم اعتادوا الصلاة في بيوتهم ، أو أنهم لا يعملون أبداً ، - أعاذنا الله من الحالين - فلا بد إذاً من إسماعهم آيات الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بهتدون ، ويصبحون من أهمل المساجد .

(١) آية رقم (٢٢) من سورة (لقان)

(٢) آية رقم (٢-١) من سورة (الحج)

(٣) (ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٢٥)

ثانيا : تغيير المنكر وإزالته :

وهذا دأب العالحين فى كل زمان ومكان يقومون بواجب الحسبة ، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولن تهلك أمة من الأمم قام أفرادها بالدعوة والاحتساب ، وقد استحق بنو اسرائيل اللعنة على ألسنة أنبيائها بسبب صيانتهم وكفرهم ، وأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، ولهذا اهتم علماء السلف ورجال المدارس بالأمر والنهى ، فهذا سفيان الثورى يقول عنه بعض أصحابه :

(كنت أحج مع سفيان فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهى من المنكر ذاهبا وراجعا) (١)

ولم يكتف الدعاة بالأمر والنهى بمجرد الكلام فقط ، وإنما تعدوا للمنكر بكل إمكاناتهم ، وتعقبوا الفساق فى كل مكان ، محاولين قطع دابرهم ، وإزالة شرهم وصيانتهم ، لأنهم شؤم على المجتمع كله .

جاء رجل أندلسي إلى رباح بن يزيد اللخمي عالم أفريقية ومن صاحبيها فقال له :

يا أبا يزيد إنَّ الوالى أخذ منى جاريتى ، فأخذ رباح صاه ، وانطلق معه إلى دار الوالى ، فوجد جماعة من الناس قد حفوا ببابه ينتظرونه ، فألقى صاه بينهم وجلس ، ثم خرج الوالى من داره راكبا ، فلما رآه الناس قاموا له وثبت رباح جالسا ، فالتفت اليه قائلا : يا أبا يزيد هل من حاجة ؟

فقال رباح : اردد على هذا الرجل الأندلسي جاريتى ، فصاح الوالى : أخرجوا جارية الأندلسي ، فأخذها صاحبيها . (٢)

(١) (الذهبى - سير أعلام النبلاء ٢٥٩/٧) .

(٢) (ابو العرب التميمي - طبقات علماء أفريقية ص ٤٥) .

وجاءه رجل آخر يخبره أن شخصاً اغتصب منه ماله ، فذهب ريساح ليخلسم له ماله ، فلم يقدر ، وناله من ذلك أذى ومهانة من الظالم نفسه ، فقال ريساح للبهلول بن راشد : يا أبا صرو ما كان الله ليراني أقيم ببلد يحصى الله فيه جهارا ، ولا أرى مغيثاً . (١)

وفى سنة إحدى ومائتين تجردت المتطوعة للنكير على الفتاق ببغداد ، لأنهم آذوا الناس ونهبوهم ، وقطعوا الطرق ، وأظهروا الفسق ، وأخذوا الأموال والأولاد ، وكان الناس منهم في بلاد عظيم ، فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ريف ودرى ، ومضى بعضهم إلى بعض ، وتعاونوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشدوا على الفتاق والشطار ، ومنعوه مما كانوا يمنعون فاضطروا لمواجهتهم بالقوة فقاتلوهم وهزموهم ، وأخذوا بعضهم فعزروهم بالضرب والحبس ثم رفعوهم إلى السلطان . (٢)

ودخل أبو نعيم الفضل بن دكين (ت ٢١٩ هـ) بغداد ، فرأى أحد الجنود وقد مد يده إلى امرأة ، فزجره وحال دونه ودون ما يريد ، فتعلق الجندي به ، ورفع أمره إلى صاحب الشرطة ، وكان الخليفة المأمون قد نادى بترك الأمر والنهي لأنه رأى بعض القائمين به ليسوا أهلاً لذلك ، فلما دخل أبو نعيم على المأمون ، اختبره بمسائل من أحكام الموارث ، فأجاب أحسن إجابة ، فأعجب المأمون بعلمه وفقهه ، وقال له :

يا هذا من نهى مثلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ! إنما نهيننا أقواماً يجعلون المعروف منكراً .
فقال الفضل : فليكن في ندائك : لا يأمر بالمعروف إلا من أحسن الأمر به (٣).

(١) (المصدر السابق ص ٤٩) .

(٢) (الطبري - تاريخ الأمم ١٠ / ٢٤١) .

(ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥ / ١٨٢) .

(ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٧) .

(ابن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣ / ٢٤٦) .

(٣) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٢ / ٣٥٠) .

لقد كان رجال السلف يعلمون تماماً أن تغيير المنكر وإزالته أمر واجب ومطلوب من كل قادر ، يستطيع أن يفعل ذلك بلسانه أو يبيده ، فإن عجز عن ذلك فلينكره بقلبه ، ويشهد الله على أنه غير راض عن ذلك المنكر .

وبذل العلماء في ذلك العصر كل جهودهم من أجل تطهير مجتمعاتهم من رجس المنكرات ، وكان بعضهم يهاجر من بلده عندما يحدث منكر ولا يجسد من يتعدى له ويحاربه ، لأن أرض الله واسعة ، والمؤمن يحرص على أن يحمش في بلد لا يجاهر الله تعالى فيها بالمعصية .

ونستفيد من قصة الفضل بن دكين مع المأمون ، أنه لا ينبغي لأحد لا تتوفر فيه شروط الدائمة أو المحتسب أن يدعو الناس ويأمرهم وينهاهم ، لأن الدعوة أمانة ومسئولية ، فإذا دأبها من ليس بأهل فإنه سيفسد أكثر مما يصلح ، وسيؤسسى إلى الاسلام وأهله إساءة بالفسدة .

وفى كل عصر نجد كثيراً من الجاهلين وأوصاف المتعلمين ظنوا أنهم هم أهلا للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصاروا يتخبطون في أخطائهم ويتورطون في أمور لا يقبلها الإسلام ولا يستسيخها العقل ، فأساءوا إلى الدين وآدوا المسلمين ، لنقص طمهم أو حكمتهم .

فينبغي أن لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر إلا من عرف ذلك وأحسنه .

ثالثاً : (التعليم بالقُدوة)

إن تأثير علماء السلف في قلوب الناس كان نابغاً من إخلاصهم وصدقهم مع الله عز وجل ، ومع أنفسهم ، فلم يكونوا تجّار كلام ، ولا أصحاب خطاب ، وإنما كانوا قدوةً حسنة في حياتهم ومعاملاتهم ، فأعمالهم تشهد لهم قبل أن يتكلموا ، وأخلاقهم تهدي الناس قبل أن يتحدثوا .

والواقع يؤكّد والتاريخ يشهد أن لسان الحال أبلغ من لسان المقال ، وأن التعليم بالقُدوة أشد تأثيراً من الكلام ، لأنّ الناس عندما يسمعون ينظرون إلى من يتكلم ، فإن تطابق فعله مع قوله استجابت قلوبهم وإلا ردّوا عليه كلامه ، وكذبوه بفعالته .

وسأذكر بعض المواقف المختارة لرجال من عصر بحثنا كانوا على جانب رفيع من الخلق واستقامة السيرة ، فعظم تأثيرهم ، وزاد نفعهم ، ومن هؤلاء :

أبو حنيفة - رحمه الله - : لقد أحبه الناس لعلمه وخلقه ، ورفسوره صبوراً حليماً محسناً إلى الآخرين ، بذل طمعه وماله وجاهه إلى الناس .

رأى على بعض جلسائه ثياباً رثية ، فأمره فجلس حتى تفرق الناس ، وبقي وحده فقال له : ارفع المصلى وخذ ماتحتة ، فرفع الرجل المصلى فرأى ألف درهم

فقال أبو حنيفة : خذها فأصلح بها شأنك

فقال الرجل : إنّي موسر وفي نعمسة

فقال أبو حنيفة : ألم تعلم أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، فينبغي لك أن تخير من هيئتك حتى لا يفتن بك صد يقك . (١)

وكان لابي حنيفة جارٌ اسكافٌ ، يعمل نهاره أجمع ، فإذا جنّ الليل رجس

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٢ / ٢٦٠)

إلى منزله فيأكل ثم يشرب حتى يسكر ، فيصيح بأعلى صوته :
أضاعوني وأيّ فتى أضاعسوا ليوم كرهية وسيداد تُفسر
فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وأبو حنيفة يسمع صوته
وجلبته وهو يقوم الليل كله .

ففقده - يوماً - صوته ، فسأل منه ؟ فقيل : أخذه العَسَسُ ، وهو الآن
محبوس ، فعلى أبو حنيفة الفجر ، ثم مضى إلى الأمير ، فرحب به الأمير ، وقال
له : ما حاجتك ؟

قال : لي جار اسكافى أخذ العسس منذ ليل ، فهل يسمح الأمير بتخليته ؟
قال الأمير : نعم ، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا ، فأفسر
بتخليتهم أجمعين ، ورجع أبو حنيفة بجاره إلى بيته ، ثم قال له :
هل أضعناك يافتى ؟!

قال : لا ، بل حفظت ورعيت ، جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ، وراية
الحق ، وتاب الرجل من ذنوبه ، ورجع إلى الله عز وجل وطاعته ، ولم يعسد
إلى ما كان يعمل . (١)

وكان عبدالله بن المبارك يتفقد أحوال أصحابه ، ويحسن إليهم ، ويتاجر
من أجلهم ، وهو بهذا يفتح قلوبهم للخير ، ويجعلهم يتفرون للدعوة والعمل
ومن مظاهر سخائه وإحسانه : أنه كان في وقت الحج يجتمع عليه إخوانه ممن
أهل (مسرو) فيقولون :
نحبك يا أبا عبد الرحمن ؟
فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم ، فأخذ نفقاتهم ، فجعلها في صندوق فيقفل

(١) (الدميري - أخبار أبي حنيفة ص ٤٠) .

• (البيغدادي - تاريخ بغداد ١٣/٣٦٢) .

(ابن خلكان - وفيات الأئمان ٥/٤١٠)

• (الضالحي - عقود الجمان ص ٢٨٩) .

• (الدميري - حياة الحيوان ١/١٤٠) .

عليها ، ثم يكتري لهم ، ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم
ويطعمهم أطيب الطعام ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى ، وأجمل مسروية ،
حتى يصلوا إلى مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا صاروا إليهم
قال لكل رجل منهم : ما أوصاك عمالك أن تشتري لهم من المدينة ؟
فيقول : كذا ، فيشتري لهم ، ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا وصلوا إليها وقضوا
حجهم ، قال لكل واحد منهم : ما أوصاك عمالك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟
فيقول : كذا وكذا ، فيشتري لهم ثم يخرجهم من مكة ، فلا يزال ينفق
عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فإذا وصل إلى مرو جصم أبوابهم ودورهم
فإذا كان بعد ثلاثة أيام منح لهم وليمة وكساهم ، فإذا أكلوا وأدخل السرور
إلى أنفسهم دعا بالصندوق ففتحه ودفن إلى كل رجل منهم صرته وكان قد كتب
عليها اسم صاحبها . (١)

وإلى جانب كون ابن المبارك قدوة في البذل والإحسان ، فهو قدوة في
الجهاد ، وقاتل أعداء الإسلام ، وكان يرى أن الجهاد يفوق في أجره وأثره
كثيراً من النسك والعبادة .

خرج مرة إلى قتال الروم ، ولما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا
إلى المبارزة فخرج إليه رجل من المسلمين فاستشهد ثم آخر فاستشهد ، ثم
خرج إليه رجل من المسلمين فطارده ساعة ثم طعنه فقتله ، وازدحم المسلمون
على صاحبهم ليروا من يكون ، فإذا هو يلثم وجهه بكفه كي لا يعرفه الناس ،
فأخذ أحدهم بطرف كفه ، فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال له ابن
المبارك : وأنت يا فلان ممن يشتج علينا ! (٢)

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٨) .

(٢) (ابن الجوزي - صفة الصفوة ٤ / ١١٨) .

(الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٨) .

ولابن المبارك أبيات رائعة أرسلها وهو في إحدى غزواته إلى أخيه الفضيل
بن عياض بمكة يقول فيها :

يا عابد الحرمين لو أبهرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدمومه	فحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنا بك والغبار الاطيب
ولقد آتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى أغبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت ، لا يكذب

ووصل الكتاب إلى الفضيل ، وهو في الحرم ، فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال :
صدق أبو عبد الرحمن ونصح . (١)

وممن نال شرف الشهادة ، وضرب أروع الأمثلة في الجهاد والبطولة :
قاضي القهروان وفقهها أسد بن الفرات ، الذي ولاء أمير أفريقيا
قيادة الجيش المتجه إلى حصون الروم ، وكان في جيش ابن الفرات كثير من
العرب والبربر والاندلسيين وأهل العلم ، وساروا إلى حصون الروم ومدنهم
فأصابوا سبيلاً كثيراً ، وكثرت الغنائم عند المسلمين ، واحتل القاضي أسد بمن
معه مدينة (سرقوسة) وحاصروها براً وبحراً ، وجاءتهم الامداد من أفريقيا
والاندلس وغيرهما ، وشاء الله تعالى أن ينزل ويا^١ ومرض بالجيش ، فموت قائده
ابن الفرات وكثير من أصحابه وماتوا في هذه الغزوة - رحمهم الله تعالى - (٢).

وإذا نظرنا في المواقف السابقة رأينا من خلالها القدوة الحسنة في الحرب
والعطاء ، وحسن الجوار ، والصبر والحلم ، والشجاعة والجهاد ، إلى

(١) (ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ٢ / ١٠٢) .

(٢) (ابن عذاري المراكشي - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١ / ١٠٢) .

غير ذلك من مكارم الأخلاق وحسن المعاملة ، التي كان علماء السلف متحلين بها ، داعين إليها .

فالحلم والصبر وحسن الجوار كان سبباً في توبة جار أبي حنيفة وهدايتة وسخاء ابن المبارك وإتقائه جعل الناس يقبلون على الحج والعبادة ويحملون في قلوبهم حب الإسلام وطمأنته ، ويمضون إلى مواضع أهل العلم ونعائهم .

وأما شجاعة ابن المبارك فهي درس مؤثر ، وتعليم صادق في حبّ الجهاد ، والحرص على الشهادة ، يستفيد منه العلماء قبل العامة ويتأثر به الشيوخ والشباب ، فعلى الدعاة أن يحسنوا القدوة ويعملوا بعلمهم ، ولا يكونوا ممن الذين قال الله تعالى فيهم :

(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (١)

(١) آية رقم (٢-٢) من سورة (الصف) .

رابعاً : (أَخِذْ الْعِبْرَةَ مِمَّنْ مَضَى ، وَالتَّزَوَّدُ لِلآخِرَةِ)

هاتان مسألتان مهمتان ، عُنِي الدِّعَاةُ بِهِمَا ، وَأَكَّدُوا عَلَيْهِمَا
فجاءت كثير من مواظبهم ونعائحهم تذكّر الناس بالأمم الماضية وما حلّ بهم بسبب
العصيان والكفر ، وتأمّرهم بطاعة الله تعالى والتزوّد من تقواه .

كما تضمنت المواظب تذكيراً بنعم الله تعالى التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ، وما يجب
من شكرها واستعمالها حيث أمر الله تعالى وفيما يرضيه .

ومن تلك المواظب ما روي عن إمام الشام الأوزاعي ، حيث وعظ الناس
فقال : (أيها الناس تقفوا بهذه النعم التي أصبحت فيها - طى الهرب من
نار الله الموقدة التي تطلّح على الأفتدة ، فإنكم في دار الشواء فيها قليل
وأنتم فيها مؤجلون ، وصا قليل ضها راحلون ، خلاص من بعد القرون
الماضية الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم
أعارة ، وأمدّ أجساماً ، وأعظم آساراً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، فخذدوا الجبال ،
وجابوا الصخور ونقبوا في البلاد ، مؤيدّين ببطش شديد ، وأجسام كالعماد ،
فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدد هم ، وعفت آثارهم ، وأخوت منازلهم ،
فهل تحس منهم من أحدٍ ، أو تسمع لهم ركزاً ! ؟

كانوا يتطلّبون الدنيا ، ويطلبون الأمل آمينين ، وعن ميقات يوم موتهم
غافلون فأبوا إهاب قوم ناديين ، ثم إنكم قد ظمتم الذي نزل بساحتهم
بياتاً من عقوبة الله عز وجل ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جائعين ، وأصبح
الباقون المتخلفون ينظرون في الآثار نعمة وزوال نعمة ، ومساكن خاوية قد
كانت بالعزم محفوظة ، وبالنعم معروفة ، والقلب إليها مصروف ، والأفئدة
إليها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرة لمن
يخشى ، وأصبحت من بعدهم في أجل منقوص ، ودنيا مقبوضة ، في زمان
قد تولّى عهده ، وذهب رخاؤه وصفوه ، فلم تبق منه إلا حمة شرّ ، وصبابسة

كُدِّر ، وأهاويلُ عِبر ، ومقوياتُ غِيسر ، وأرسالُ فتنٍ وتناجُحُ زلازل ، ووذ السِّنةُ
خلف ، بهمُ ظهرُ الفسادُ في البرِّ والبحرِ ، يضيِّقون الدِّيار ، ويُخلون الأسمار
بما يرتكبون من العار ، فلا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل ، وغسره
طول الأجل ، ولعبتْ به الأمانى .

فسأل الله أن يجعلنا وإياكم من إذا دُعي بادر ، وإذا نُهي انتهي ،
وعقل مثواه ، وتزود لأخركه . (١)

وكان لإبراهيم بن أدهم مواضع ونصائح ، وعظمة فامر بالطاعة ولسزوم
القناعة ومخالفة الهوى ، والعمل للأخرة ، فقال :

(ابن آدم : عليك بلزوم الطاعة ، وإياك أن تنزع عن باب القناعة وأصلح
مشوك ، ولا تؤثر هواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، واشتغل بما يعينيك ،
واترك ما لا يعينك ، واذكر ما أنت صائر إليه حق ذكره وتفكره فيما مضى من أمرك
هل تثق به ، وترجو به النجاة من ذاب ريسك ؟ ، فإنك إذا كنت كذلك شغل
قلبك بالاهتمام بطريق النجاة على طريق اللاهين الآمنين الذين أتبعوا أنفسهم
هواها ، فوقفهم على طريق هلكاتهم ، لا جرم سوف تعلمون ، وسوف تناقشون ،
وسوف تندمون وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون .

خالفتم أمر الله فيما أنذر وحذر ، وصيتموه فيما نهى وأمر ، وكذبتموه
فيما وعد وبشر ، وإنما تحمدون ما تزرعون ، وتكافؤون بما تفعلون ، وتجزون بما
تعملون ، فانتبهوا من وسن رقدتكم لعلكم تفلحون ، إن للموت كأساً لا يقسوى
على تجرعها ، إلا خائف وجل طائح كان يتوقعها ، فمن كان مطيعاً لله طمعه
الكرامة والنجاة من ذابه يوم القيامة ، ومن كان عاصياً نزل بين الحسرة والندامة
يوم العاخة والطامة .

فيما إخوانسى : عليكم بالمبادرة والجِدِّ ، وسارعوا وبادروا وسابقوا ، فإنا
نملاً فقدت أختها لسريعة اللحاق بها . (٢)

(١) (ابن الجوزى - صفة الصفوة ٤ / ٢٢٨)

(زين الدين بن تقي الدين عبد الرحمن الخطيب (الناسخ) - محاسن
المساعي فى مناقب الأوزاعي ص ٨٧ - تحقيق شكيب أرسلان .

(٢) (ابن عساكر - تهذيب تاريخ دمشق - هذب به عبد القادر بدران ١٩٢/٢ -

وقد تضمنت هاتان الموعظتان للأوزاعي وابن آدم - رحمهما الله تعالى - معاني جلييلة ، ونماذج قيمة ، ودروس وعبر ، تعكس واقع الناس في ذلك العصر ، حيث بسطت الدنيا ، وأقبل الناس عليها ، وأصبحوا يتنافسون فيها ، وكأنهم نسوا أحوال الماضين ، وما آتاهم الله تعالى من نعمٍ ، وتناسوا طاقبتهم التي صاروا إليها .

هذا الواقع أزعج الدعوة ، وأقصى مضاجع العلماء والزهاد فهبوا داعين إلى الله تعالى وإلى شكر نعمه ، محذرين من الغفلة واتباع الهوى ، مبينين حقيقة الدنيا الخرارة ، وكيف تفعل بمن أحبها وتعلق بها !

ثم إن إقبال الناس على الدنيا الإقبال الشديد يجعلهم وكأنهم نسوا الموت الذي يصير كل لذة ، ويقطع كل أمل ، فكانت هاتان الموعظتان وغيرهما من المواظم مذكرة بالموت ، داعية إلى الاستعداد لما بعده ، محسنة طريق الاستعداد : بطاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم والاستقامة على شرع الله عز وجل مع الجِدِّ والمبادرة ، والتزود للآخرة ، يقول الله تعالى :

(وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)

ويمكن القول في نهاية حديثنا عن جهود العلماء ورجال المدارس في الدعوة إلى الله تعالى وإلى الدين الحنيف : أن مناهج الدعوة وأساليبهم في الدعوة قد تعددت وتنوعت :

- فقد اتجه فريق منهم إلى التزام السنة - وكلهم ملتزمون بها - وعدم الخوض والجدال فيها خالفها من الأهواء والفتن ، متبعين بذلك طريق

(١) آية رقم (١٦٧) من سورة (البقرة) .

بعض السلف في الابتعاد عن البدع ومقاطعة أصحابها ، وهم بهذا العمى يدعون إلى الاتباع ويحذرون من الابتداع ، مع أنهم عندما يرون بدعة أو منكراً يقومون بردِّ ذلك وإزالته حفاظاً على منهج السلف وصفاً طريقتهم .

— وعسى فريق آخر — إلى جانب دعوة الكلمة — بالدعوة العملية والتعليم بالقدوة وذلك بتطبيق شرائع الإسلام وآدابه ، وترجمتها إلى سلوك على تطبيقى فأنسروا بحالهم وسلوكهم تأثيراً كبيراً .

واشتغل آخرون بالاجتهاد الفقهي ، والنظر في الأصول ومعادير الأدلة وتعميد المسائل الأصولية والفرعية ، والعمل على استنباط الأحكام من أدلتها القطعية والظنية ، وشاركوا في مجالات الدعوة الأخرى بالكلمة والقدوة مع الخلفاء والعامة ، وتمدوا للبدع وجابها المنكرات ، وأيد الله بهم الحق وأيدهم به ، وموقف أحمد بن حنبل — رحمه الله — وغيره من العلماء الأفاضل في محنة خلق القرآن وغيرها من المحسن — بخلاف أو مجهول .

ولاشك أن جهود هؤلاء العلماء جميعاً قد تضافرت على إصلاح الفرد والمجتمع ، والأخذ بأيدي الأمة المسلمة إلى طريق الخير والفلاح ، وإن تلك الجهود قد أثمرت وآتت كلها ، فكان مسن ثارها التزام الأمة بشرع الله تعالى ، وخوف الرعاة والرمية من عذاب الله عز وجل ، ووجود مجتمعات ظاهرة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى .

الباب الثاني

موقف الدعوة من الفرق

البسبب الشانسى : (مَوْقِفُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْفِرْقِ)
=====

التفرُّق وطبيعته العامة :

إنَّ عقيدة الإسلام سهلة ويسيرة ، وهى توافق
الفطر السليمة ، والعقول المحيضة .

وقد دخل فى الإسلام أناس خلعت قلوبهم من ظلام التقليد والمعصية
فآمنوا بالله ورسوله ، ولم يرتابوا فى شىء من ذلك الإيمان ، ومدقوا فسى
حب الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وفهموا الإسلام فهماً صحيحاً .

ثم دخل فى الإسلام أصناف من الناس ، لم يدخلوه عن فهم واقتناع ومحبة ،
فمنهم من أسلم لإسلام قومه ، فهو لم يستمتع برؤية صاحب الرسالة - صلى الله
عليه وسلم - ولا انشرح صدره بسماع تعاليمه وهديه ، فكان سواه عنده انتصار
الإسلام وهدمه .

ومنهم من دخل فى هذا الدين أيام الفتح ، فراراً من حكم الإسلام على من
يبقى على دينه ، وفيهم يهود ومجوس ويونان وفرس ، ولم تخالط بشاشة الإيمان
قلوبهم ، بل بقي فيها الحقد على الإسلام وأهله ، والحنين إلى معتقدتهم
القديم .

ومنهم جماعة من أهل المكر والخديعة ، من اليهود والمجوس أيضاً ،
تظاهروا بالإسلام ، وأضرموا له الكيد والمكر ، وتحينوا الفرص للانقضاض عليه
وتزيق شمله ، وتفريق كلمته ، وبأبين الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون .

وهي أصحاب السنن حديثاً فى تفرُّق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افتقرت اليهود على إحدى وسبعين

فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمى على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة ، وهى من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابى . (١)

واختلف أهل العلم فى المراد من العدد المأثور فى روايات الحديث ، كما اختلفوا فى المقصود من لفظ (أمى) الوارد فى الحديث ، هل هى أمة الدعوة أو أمة الاجابة ؟

والذى يبدو أن أصول الفرق لاتصل إلى هذا العدد ، بل لاتبلغ نصفه ولا ربعه ، وأما فروع الفرق فهى كثيرة ، وقد اختلف العلماء فى تفرعها ، ومنها ماكان فى القرون الثلاثة ، ومنها ماجاء بعدها ، ومنها مايجى فى كل عصر ، إلى قيام الساعة ، والحديث يبين افتراق أمة النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأمة مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . (٢)

وإن لتفرق الأمة وانقسامها أسباباً كثيرة منها :

- (٣) الغلو فى محبة بعض الأفراد ، ورفعهم فوق مكانتهم البشرية .
 - (٤) أو الغلو فى فهم آيات الوعيد ، والإعراض عن آيات الوعد والمغفرة .
 - أو الرد على طائفة مبتدعة ببدعة تقابلها فى التطرف . (٥)
- وقد يحدث ظهور فرقة (ما) رد فعل عند البعض ، يصبح فيما بعد

(١) (سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزوينى - المتوفى سنة ٢٧٥هـ / ١٢٢٢)

رقم الحديث (٣٩٩٢) - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - دار إحياء التراث العربى .

ومسند أحمد نحوه - عن أنس بن مالك ١٢٠/٣ - ١٤٥

وعن ابى هريرة ٢٢٢/٢ - نحوه .

(٢) (الاسفرايينى - التبصير فى الدين - ١٠) .

(٣) كخلو الشيعة فى حب أهل البيت ، وتقديس الأئمة منهم ونسبة العصمة إليهم .

(٤) كخلو الخوارج فى مسألة الوعيد ، وتخليد هم أصحاب الكباثر فى النار بنا على ذلك .

(٥) كقول المعتزلة : بالمعزلة بين المنزلتين ردا على الخوارج الذين يكفرون مرتكب

الذنوب - وعلى أهل السنة الذين يكلون أمرهم إلى الله إن شاء عا ضهم

وإن شاء فذ بهم .

فرقة مضادة لتلك . (١)

وكثيراً ما تكون هناك أيدي أجنبية تمتد لتعقب في عقول الناس وما يعتقدون ،
وربما أظهر بعض العايشين أنهم مسلمون ليخدعوا الناس بذلك فيقبلوا بدعتهم ،
ويصيروا أتباعهم . (٢)

(١) كقول المرجئة (لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة) رداً على

الخوارج كذلك ، ، وكالمشبه قرداً على المعطلة .

(٢) مثل : عبد الله بن سبأ اليهودي الذي كان أصل المغالاة والافراط في التشيع

لعلى رضى الله عنه وأهل بيته ، حتى ادعى لهم الألوهية عن طريق

الحلول وغيره من الكفر .

انظر : (البغدادى - الفرق بين الفرق ص ٢٣٥) .

الفصل الأول

مجاورة رعاية الأمت للنسب المذهبي

(الفصل الأول)

(مجابهة دعوات الأئمة للتشيع الذهابي)

وقبل الدخول في المجابهة أرى من المناسب أن نعرض - باختصار - لبداية مشكلة (التشيع) وأسباب ظهورها ، وأهم فرق الشيعة وأفكارها .

لقد اختلف الباحثون والمؤرخون - قديماً وحديثاً - في تحديد الوقت الذي ظهر فيه التشيع :

فذهب بعضهم إلى أنه ظهر في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - .
وأرجعه جماعة إلى سقفة بني ساعدة ، حيث أراد بعض الصحابة البيعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال آخرون : إن بدايته كانت يوم (وقعة الجمل) .

وقال غيرهم : لقد ظهر بعد رجوع علي - رضي الله عنه - من (وقعة صفين) ، حين فارقه الخوارج ناقمين عليه قضية (التحكيم) ، عندها انضم إليه شيعة مبايعين من جديد ، معلنين أنهم أولياء من والى ، وأعداء من عادى . (١)

والذي يبدو أن بعض مظاهر التشيع والميل لعلي - رضي الله عنه - كانت منذ زمن عثمان - رضي الله عنه - ، ولكن الصورة الواضحة للتشيع على أنه حيزب

(١) (اللالكائي - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - ١/ ٢٢ وما بعدها) .
• (أبو بكر بن العربي - العواصم من القواصم ص ١٣٨) .
• (المقدس - الرد على الرافضة ص ٤١) .
• (ابن خلدون - كتاب العبر ود بيان المبتدأ والخير المعروف بتاريخ ابن خلدون - ١٧٠/٣) .
• (عبد الفتاح أحمد فؤاد - ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي ص ٤٧) .
• (مساعد مسلم آل جعفر - أثر التطور الفكري في التفسير ص ٢٧٩) .

مستقل لم تظهر إلا بعد معركة صفين ، حيث انقسم جيش طيّ رضي الله عنه إلى خارجين طيه وموالين له ، ومنذ ذلك الوقت لم يقف التشيع عند حدّ الحسب والتقدير ، بل تجاوزه إلى الحماية والتصدّي للمخالفين بالفكر والسيف ، وأفسرط أصحابه في ذلك لدرجة المساس بالتوحيد وإفساد العقيدة بالحلول والشرك .

وإذا بدأت فكرة (التشيع) معتدلة في أول أمرها - بالنسبة لما آلت إليه - ، حيث اقتضت في بدايتها على تقديم البعض لعلّى طى عثمان - رضي الله عنهما - من غير تعرض لأحد من الخلفاء بطعن أو تجريح ، فإن أعداء الاسلام المتظاهرين به ، لم يألوا جهداً في سبيل زعزعة المسلمين ، وإفساد عقيدتهم ، حيث انطلقوا من دعوى المحبة والنصرة لأهل البيت إلى الوصية بالإمامة لعليّ وأبنائه من بعده مدّعين لهم العصمة من الخطأ ، ثم رفعوهم - بالحلول - إلى مقام الألوهية .

وأما فِرَقُ الشيعة فكثيرة ، وأكتفى بالإشارة إلى أهمها :

وهي : الزيدية (١) والكيسانية (٢) والإمامية (٣) والغلاة (٤)

(١) الزيدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين بن طي بن أبي طالب ، وكان زيد يحب أباً بكر وهو يثنى عليهما خيراً ، ولما طمت شيعة الكوفة ذلك منه رفضوه فسا هم (الرافضة) وسمى من بقى معه (زيدية) وهم معتزلة في عقيدتهم لأن زيدا كان تلميذاً لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة . وانقسمت الزيدية إلى ثلاث فرق : جارودية ، وهم أتباع أبي الجارود ، وسليمانية أتباع سليمان بن جرير ، وبترية أو أبترية أو صالحية ، وهم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حى ، وكثير النوا الملقب بالابتير .

انظر : (الفرق بين الفرق ص ٢٩ وما بعدها - الملل والنحل ١ / ١٥٤ -

التبصير في الدين ص ١٦ - أصول الدين للبيخدادى ص ٢٧٩) .

(٢) الكيسانية : أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفى الذى قام بقتل الحسين بن طي ، وقيل فى سبب تسميتهم بذلك إن المختار كان يقال له كيسان ، أو إنه أخذ مقالته عن كيسان مولى طي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهى فرق متعددة :

انظر : (الفرق بين الفرق ص ٢٨ - واعتقادات فرق المسلمين والمشركيين

للرازى ص ٦٢ ، (الملل والنحل ١ / ١٤٧ - والتبصير ص ١٨ -

مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٩١) .

(٣) الامامية : وهى خمس عشرة فرقة وكلهم متفقون على تكفير الصحابة إلا قليلاً منهم ، وطى أن القرآن قد حُرّف وطى أن علياً هو الإمام بعد النبى =

ومن أشهر أفكار فرق الشيعة : القول بإمامة علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - مباشرة ، وتكفير الصحابة لعسدم بيعتهم إياه ، والقول بأن أصحاب الكباثر مخلدون فى النار ، ونادت بعض فرقهم بجواز البداء على الله تعالى ، والتناسخ والحلول ، ورجعة بعض الأئمة بعسدم موتهم ، وزعت الإمامية تحريف القرآن ، إلى غير ذلك من البدع والفضلات التسمى لوقال مسلم ببعضها لحكم عليه بالردة وضاد الدين - والعياد بالله تعالى^(١) .

تأثر الشيعة باليهودية والآديان الوضعية :

إن الباحث المدقق يجد تشابهاً إلى حدّ (ما) بين أفكار الشيعة وأفكار اليهود وأصحاب الديانات الوضعية من فرس ويونان وغيرهم .

ولاعجب فى ذلك فقد دخل فى التشيح شخصيات يهودية وفارسية بغسرض الدس والإفساد وتشويه العقيدة الإسلامية .

= صلى الله عليه وسلم ، ويطلق على الإمامية اسم الجعفرية والاشئ عشرينية ، والشيعة :

انظر : (الفرق بين الفرق ص ٥٢ - والتبصير ص ٢٠ - والملل والنحل ١/١٦٢)

ومقالات الاسلاميين ١/٨٨)

= (٤) الخلاة : وهم القائلون بألوهية الأئمة ، والمصرحون بالتجسيم ، والناسبون الى الله البداء ، وهم فرق متعددة وأشهرهم : البيانية والمغبرية والحريية، والمنصورية ، والخطابية ، وكفرهم ظاهر .

انظر : (الفرق بين الفرق ص ٢٢٢ ومابعدها - والملل والنحل ١/١٥٢ -

١٧٤ ومابعدها - والتبصير ص ٧٢ - ومابعدها)

(وأصول الدين للبهنادى ص ٢٢٢ - ومقالات الاسلاميين ص ٩٦ ،

ومابعدها) .

(١) (الفرق بين الفرق ص ٢٢ - ٥٤ - ٦٥ - ٧٠)

(الملل والنحل ١/١٤٥ - ١٧٤) والتبصير ص (٢٤) .

(مقالات الاسلاميين ص ٩٨ - ١٠٢) .

فالقول بالبداة على الله تعالى حيث يريد شيئاً ثم يبدو له شئى لم يكن يعلمه فمعدّل عما أراد ، ومن ذلك - كما يزعمون - أمره ببعض الأحكام ، ثم نسخ ذلك لا مَرَبداً له^(١) - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - هذا القول لم تبتدعه الشيعة بل سبقت إليه من قِبَل اليهود حيث صرحوا بذلك افتراءً على الله تعالى .

وفكرة (الرجعة) - كذلك - نادى بها اليهود مدعين أن (إلياس ، وفضاحس بن طازار بن هارون) سيرجعان بعد موتها ، وقد تبنى الشيعة فكرة الرجعة ، واختلفوا فيمن سيرجع ، فقالت فرقة هو محمد بن الحنفية ، وقالت أخرى : هو موسى الكاظم ، وتنتظر فرقة الأمامية رجعة من اختلف في وجوده وهو محمد بن الحسن العسكري .

وإذا قالت اليهود : لن تسنا النار إلا أياماً معدودة ، فقد قالت الشيعة : إن النار محرمة على الشيعة إلا قليلاً .

وإذا قَدَفَ اليهود مريم الطاهرة البتول ، فقد قَدَفَ الشيعة أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - .

وإذا قالت اليهود : لا يملح الملك إلا في آل داود ، فقد قالت الشيعة : لا تملح الإمامة إلا في ولد عليّ .

وحرف اليهود التوراة ، وفعل الشيعة كذلك حيث زعموا أن القرآن الكريم قد زيد فيه ونقص منه ، ولم يعلموا أنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد تكفل الله بحفظه .

وإذا كان اليهود يذمون جبريل عليه السلام وينتقصونه ويقولون : هو عدونا من الملائكة ، فإن الشيعة يقولون : غلط جبريل بالوحى على محمد - صلى الله عليه وسلم - .

(١) (مقالات الاسلاميين ص ١١١ - ١١٣) .

واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم ، والروافض يؤخرون المغسرب
إلى اشتباك النجوم .

واليهود يخلون في تقديس الأخبار إلى حدّ العبادة ، وكذلك الرافضة يخلون
في أئمتهم ويقدسونهم ويقولون بعصمتهم . (١)

هذا بعض تأثرهم باليهود ومشابھتهم لهم في كثير من الأقوال والأفعال -
والمبادئ ، وهناك تأثر بين الفرس وأفكارهم ، فالفرس يدنون بالملك والوراثسة
في البيت المالک ، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة واختياره - بخلاف العرب -
وكذلك الشيعة ، فهم يرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم مات ولم يترك ولداً ،
وأولسى الناس بخلافته ابن عمه : علي بن أبي طالب ، فمن أخذ الخلافة منه -
كأبي بكر وصخر وضمان والامويين - فقد اغتصبها من مستحقها .

ومن عادة الفرس أنهم ينظرون إلى الملك أو الإمام نظرة فيها معنى إلهي ،
فنظروا هذه النظرة إلى عليّ وذريته ، وقالوا : إن طاعة الإمام أول واجب وإن -
طاعته طاعة الله . (٢)

ويبدو أن أفكار الشيعة خليط من الآهوا والنحل والآديان القديمة ،
فأخذوا من الهند (تناسخها) ، ومن البرهمية القديمة والمسيحية (حلولها)
ومن اليهودية (البداء والرجعة) ، وغير ذلك من بدع الأقدمين وضلالاتهم
التي أصبحت مشكلات في طريق الإسلام والمسلمين .

(١) المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة ص (١١٠) .

(الدهلوي - مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٩٨)

شاه عبدالعزيز ولي الله أحمد عبد الرحيم الدهلوي - تعريب غلام محمد محي
الدين عمر الأسلمي - اختصره محمود شكرى الأوسى - تحقيق محب الدين
الخطيب - طبع الرئاسة العامة للافتاء - الرياض ١٤٠٤

(٢) (محمد أبوزهرة - كتاب أبي حنيفة ص ١١٣) .

جهود الدعوة في نقض التشييع :

تنقسم جهود العلماء في نقض التشييع أو مجابتهم له إلى قسمين :

- الأول : ردود إجمالية
- الثاني : نقض تفصيلي

وأتناول أولاً : : الردود الإجمالية المتنوعة :

(١) التمسك بالسنة والتحذير من التشييع :

لقد واجه دعاة الأمة من السلف المالح مشكلات كثيرة وخطيرة في طريق الدعوة فلم يهينوا ولم يضعفوا أمام تلك المشكلات ، بل تصدوا لها بكل ما أوتوا من علم وحكمة ، ونذروا حياتهم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم ، واهتموا بترسيخ العقيدة الصحيحة في المجتمع المسلم ، ونشر السنة ، والتمسك بأثار السلف ، كما حذروا من الإبتداع في الدين ، وترك سبيل المؤمنين ، بالسير في السبل المنحرفة والميل إلى أهمل الأهواء والضلال .

وكان من أولى المشكلات وأخطرها مشكلة التشييع وما نجم عنه من انحرافات خطيرة وبخاصة في مسائل العقيدة .

وكما قلت - آنفا - فقد تمدى الدعاة لهذه المشكلة بجميع أشكال التصدي والمواجهة ، فاتجهوا أولاً إلى الجانب التأسيسي ببيان العقيدة السليمة ، والحث على الإلتباع ، ونبذ الإبتداع ، مع بيان ضلال الشيعة وحقد الرافضة^(١)

(١) فرق بعض العلماء بين التشييع والرفض ، بأن التشييع هو تقديم عليّ على عثمان ، مع الاعتراف بأفضلية أبي بكر وصر ، وأما الرفض فهو تقديم عليّ على الشيخين وتجاوز ذلك إلى سبهما .
(أبو العرب التميمي - كتاب المحن ص ٤٤٥)

والرد على بدعهم ، وهذا في اتجاه المجابهة والتصدي لبدعهم ونقضهم
واظهار فسادها وزيفها .

وأقف مع الإمام الشعبي - رحمه الله - وقفة قصيرة قبل الوصول إلى رجس
العصر العباسي - موضوع بحثنا - .

يقول الإمام الشعبي - واعظاً الناس ومحذراً إياهم من شرور أهل الأهواء :-

(أخذ ركم أهل هذه الأهواء المغضلة ، وشترها الرافضة ، لم يدخلوا فسي
الإسلام رغبة ولا رهبة ، ولكن مقتاً لأهل الإسلام ، وبغياً عليهم ، قد حرّقهم عليّ
- رضی الله عنه - ونفاهم إلى البلدان ، منهم عبدالله بن سبأ ، يهودى من
يهود صنعاء ، نفاه إلى ساباط ^(١) ، وعبدالله بن يسار ، نفاه إلى خازر ^(٢) .
إني قد درست أهل الأهواء ، ظم آرفهم أحق من الخشبيّة ^(٣) ، طمو
كانوا من الطير لكانوا رخماً ^(٤) ، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمرأ) ^(٥)

(١) ساباط : موضع معروف في المدائن قرب أشروسنة . (معجم البلدان - ٣ / ١٦٦)

(٢) خازر : نهر بين إربل والموصل ، وعليه كورة يقال لها خازر ، وأهل نخارايسون : الخازر
(معجم البلدان ٤ / ٣٣٧)

(٣) الخشبية : قوم من الرافضة يقولون : اننا لانقاتل بالسيف الا مع امام معصوم ،
وكانوا يقاتلون بسيف من خشب لعدم اقتناعهم بالقتال ، ولذلك
سموا : خشبيّة .

(ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ١ / ١٠) .

(٤) رخماً : طائر ، وهو أحد صغانيه ، واهدته رضة ، وهو الذي يطلى
بمرارته لسقم الحية وغيرها . (القاموس المحيط - مادة « الرخم »
٤ / ١١٨) .

(٥) (ابن تيمية - منهاج السنة ١ / ٧ - وما بعدها) .

ويريد الشعبي رحمه الله بهذه الكلمات حث الناس على السنة وآثار السلف ،
وتجسيد أضرار المبتدعة ، وأن الرافضة أعظمهم ضرراً ، وأشدّهم مكرّاً وخبثاً ،
ومكرهم وخبثهم - في نظر الشعبي - يبدأ منذ تظاهرهم بالإسلام نفاقاً وخداعاً ،
كسبوا أهدافهم وصلوا إلى أغراضهم ، التي أهمها : إفساد العقيدة ،
وإضعاف المسلمين .

ثم يذكر الشعبي مصير هؤلاء من حرق ونفى وتشريد ، وكأنه بهذا ينادى -
الناس أن هلموا إلى طريق السنّة ، ودرّب السّلامة ، ومنهج السلف ، وانبذوا
تلك البدع ، فأصحابها منافقون لم يذوقوا حلاوة الإيمان ، ولم يدركوا حقيقة
هذا الدين ، وإنما حاقدون يريدون إضلالكم ، ويودون إخراجكم من الإسلام
بدافع الحسد والكراهية لدين الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام .

وها هو الامام سفيان الثوري - رحمه الله - يوصي بأهل السنة خيراً ، فهم
الغرياء وسط زحام أهل الضلال والبدع ، ويشير إلى الشيعة الذين يبغضون
عثمان - رضى الله عنه - بأنهم من السفلة والحمقى ، والمؤمن الحق هو من يحب
جميع الصحابة الأبرار ، ولا يجد غشاً في الجمع بين حبّ عليّ وعثمان - رضى الله
عنهما - .

يقول سفيان : (استوصوا بأهل السنّة خيراً ، فإنهم غرياء ، ولا يجتمع
حبّ عليّ وعثمان - رضى الله عنهما - إلا في قلوب نبلاء الرجال .) (١)

وكان الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - كثيراً ما يردد : وخير الأمـور
ما كان على السنة وشرفها ما كان مبتدعاً . (٢)

وذكر أهل البدع من الرافضة وغيرهم أمام عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله -
فتمعجب الحاضرون من إجتهدهم في العبادة ، وإقدامهم على الموت في سبيل
بدعتهم !

(١) (الذهبى - سير أعلام - ٢٧٣/٧) .

(٢) (الشاطبي - كتاب الاعتصام - ٥٧/١) .

فقال عبدالرحمن : (لا يقبل الله إلا ما كان على السنة ، ثم قرأ : " ورهبانيةً
ابتدعوها ما كتبناها عليهم " ^(١) فلم يقبل الله منهم ، وويؤخهم عليه
ثم قال لمن حوله : الزموا الطريق والسنة) ^(٢)

واهتم الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - ببيان منهج أهل السنة ، وضرب
أروع الأمثلة في الثبات عليه - وبخاصة - عندما امتحن هو وغيره من العلماء فسي
فتنة (خلق القرآن) ، وأقوال الإمام كثيرة في موضوع التمسك بالسنة ونبيذ
البدع ، ومنها قوله :

إن الإيمان قول وعمل ونية ، وتمسك بالسنة ، - وذكر شرائط السنة - ثم
قال : - ومن السنة الواضحة الثابتة المعروفة ، ذكر محاسن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم - أجمعين ، والكف من ذكر ما شجر بينهم ، فمن سب أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو أحدا منهم ، أو تنقص أو غاب أحداً منهم
بقليل أو كثير ، فهو مبتدع رافض خبيث ، لا يقبل الله عز وجل منه صرف ولا عدل ^(٣)
بل حببهم سنة ، والدعا لهم قرية ، وإلا اقتدا بهم وسيلة ، ولا تأخذ بآثارهم
فضيلة ^(٤)

وقد روى عن أبي حنيفة والثوري وابن عيينة والشافعي وغيرهم - رحمهم الله
تعالى - أقوال متشابهة تبين منهج أهل السنة وتحت على التزامه والتمسك به
وتنفر من أهل الآهوا والبدع وفي مقدمتهم الرافضة . ^(٥)

(١) آية رقم (٢٧) من سورة (الحديد) .

(٢) (أبو نعيم - الحلية - ٨ / ٩) .

(٣) (الصرف والعدل) :

(٤) (المقدس - رسالة في الرد على الرافضة - ٣٢٥) .

(٥) انظر : (اللالكائي - شرح اصول اعتقاد أهل السنة - ١ / ١٥٥) .

• (والذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٥٣ / ٧) .

• (والمقدس - الرد على الرافضة - ٣١٨) .

• (والزواوي - مناقب الامام مالك ١ / ٢٦١) .

وكان للشعر الإسلامي نصيب في بيان المنهج الحق والردّ على المبتدعة
وظلاة الشيعة الذين يزعمون أن طيماً في السحاب ، وأن الردّ صوته والبسرق
سوطه ، ومن سمع منهم صوت الرد قال : طيبك السلام يا أمير المؤمنين .
ومن هؤلاء الشعراء : اسحق بن سويد العدوي^(١) فإنه قال :

هرست من الخواج لست منهم	من الغزال منهم واين سباب
ومن قوم اذا ذكروا طيماً	يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكى قلبسى	وأطم أن ذاك من المسواب
رسول الله والعديق حبساً	به أرجوا فدا حسن الثواب ^(٢)

وشعر كهذا عندما يبرأ صاحبه من فرق التشيع والخواج وغيرهم ويصـور
سخافاً تهم ، ثم يذكر ما يدين به ربه من مذهب أهل السنة في حب الرسول
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق الذي تكرهه الشيعة وحب سائر الصحابة
كذلك ، شعر كهذا له تأثير كبير في قلوب سامعيه حيث ينفروهم من الأهـواء
والبدع ، ويحبب اليهم طريق أهل السنة ومنهج سلف الأمة .

(٢) كشف آرياب التشيع وشبههم :

وكان من جهود الدعاة في مجابهة التشيع ونقضه الكشف عن أصحاب
التشيع ، واطهار شبههم الفاسدة ، وأفكارهم المنحرفة .
وكان المحدثون والفقهاء من أشد الناس بيانا لفضائل القوم ، وتمييزاً لبدعهم

(١) اسحق بن سويد العدوي :

(٢) (الجاحظ - البيان والتبيين ١ / ٢٣) - (والبخداوى - الفرق بين
الفرق ص ١١٩ - ٢٣٤ وما بعدها) و (الاسفرايينى - التبعير فى
الدين ص ٧٢) و (رسالة فى الرد على الرافضة للمقدسى - ص ٥٢) ،
مقالات الاسلاميين ١ / ١١٩) .

وكشفا عن أشخاصهم ، ولاسيما من كان داعية لبدعته ، ناشراً لفلالته .

ومن هؤلاء المحدثين : شعبة بن الحجاج - رحمه الله ^(١) ، فإنه كان ناقداً دقيقاً في نقده ، بصيراً بمذاهب الرجال ، عالماً بأحوال الرواة ، لا يكتب الحديث عن آرياب البدع ، ويحذر من ذلك تحذيراً شديداً ، وممن حذّر منه ، ونهى عن الكتابة عنه ، محمد بن راشد المكحولى ^(٢) لما علم أنه شيعى قدرى يشتغل على غير بدعة ، مع أنه كان ممن يتحرى الصدق فى حديثه . ^(٣)

ولكن انحرافه من عقيدة أهل السنة وسلف الأمة ، واتباعه لمذاهب الشيعة والقدرية جعله ممن لا يطمأن إليه ، بل يخشى من ضرورة فى نشر بدعته ، والدعوة إليها ورب فكرة شيعية أو بدعة ضالة يميل إليها محدث أو فقيه ، تصرف الناس عنه وتزهد طلاب الحديث والفقه منه ، فلا يسمعون منه ، ولا يتلقون عنه .

يقول جرير بن عبد الحميد الرازى ^(٤) : رأيت ابن أبى نجيب ^(٥) ولم أكتب عنه شيئاً ، ورأيت جابر الجعفى ^(٦) ، ولم أكتب عنه شيئاً ، ورأيت ابن جريج ولم

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد ، أمير المؤمنين فى الحديث أبو بسطام الأزدي الحنكى مولا هم الواسطى طالم أهل البصرة وشيخها ، ولد سنة ثمانين ، كان كثير العبادة ، توفى ستين ومائة بالبصرة .

انظر : (ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢ / ٤٦٩) و (الذهبى - سير

أعلام النبلاء ٧ / ٢٠٢) .

(٢) محمد بن راشد المكحولى الدمشقى المحدث نزيل البصرة ، قال عنه شعبة : انه صدوق ولكنه شيعى قدرى ونهى عن الكتابة عنه ، مات بعد سنة ستين ومائة : (الذهبى - سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٤٤) .

(٣) (المرجع نفسه) .

(٤) جرير بن عبد الحميد الضبى الرازى : كوفى الأصل ، روى عن الأعمش ومنصور بن المعتمر ، وروى عنه ابن المبارك وابن حنبل وابن معين وابن المدينسى ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وثمانين ومائة .

انظر : (الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد ٧ / ٢٥٥) .

(٥) عبد الله بن أبى نجيب : الثقة المفسر أبو يسار الثقفى المكى ، واسم أبيه يسار مولى الأخصر بن شريق الصحابى ، حدث عن مجاهد وطاووس وعطاء ، وحدث عنه شعبة والسفيانان ، ووثقه يحيى بن معين ، وقال عنه يحيى القطان : كان معتزلياً ، وقال عنه البخارى : كان يتهم بالاعتزال والقدر .

وقال الذهبى : ولعله رجح عن البدعة .

انظر : (الذهبى - سير أعلام النبلاء ٦ / ١٢٥) .

(٦) جابر الجعفى : هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى ، من فقهاء الشيعة =

• أكتب عنه شيئاً .

فقال رجل : شيعت يا أبا عبد الله !

قال جرير : لا ، أما جابر فإنه كان يؤمن بالرجعة .

وأما ابن أبي نجيح فكان يرى القدر .

وأما ابن جرير فكان يرى المتعة ، وأنه أوصى بنيه بـ

امرأة .

وقال : لا تزوجوا بهن ، فإنهن أمهاتكم . (١)

وبهذا الأسلوب يكشف جرير رحمه الله أصحاب البدع والمخدوعين بأفكار التشيع من رجعة ومتعة وغيرها ، ثم يبين أنهم بتلك العقائد والأفعال استحققوا الإهمال فليسوا أهلاً للأخذ عنهم ، والسماع منهم .

ويقدم لنا الإمام الشافعي - رحمه الله - ثمرة من ثمار تجاربه واستقراءه لأصحاب الأهواء وما يتصفون به من خبيث الصفات - وبخاصة الرافضة - فيقول :
(لم أر من أصحاب الأهواء أشهد بالزور من الرافضة) (٢) ، وهـ
شهادة يدلى بها إمام جليل من خيار أئمة السلف ، يدعى بها أصحاب الرفض والتشيع ، ويدفعهم بها ، ويكشف عن سلوكهم ومنهجهم في تكوين مذهبهم ، وفي معاملة الناس ، فالكذب وشهادة الزور هما أساس العذهب عندهم ، والعمدة في التعامل مع الناس .

= من أهل الكوفة ، جرحه علماء الحديث وطعنوا في عقيدته ، ونسبوا إليه القول بالرجعة ، كمات سنة ثمان وعشرين ومائة .

انظر : (الذهبي - ميزان الاعتدال ١/١٧٦) .

(تهذيب التهذيب ٢/٤٦)

(خير الدين الزركلي - الأعلام ١٠٥/٢ - الطبعة الرابعة ١٩٧٩ -

دار العلم للملايين - بيروت .

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٧/٢٥٥) .

(٢) (أبو نعيم - الحلية ٩/١١٤) و (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ١/١٧) .

وكان الامام أحمد بن حنبل - رحمه الله - شديداً في نقد هؤلاء ، متشبهاً
في إدانتهم والمعاق تهمة الرفض والكذب بهم ، فإذا ثبت ذلك لديه ، شتمهم
وأطعن أمرهم ، وحذر الناس منهم .

ومن ذلك قوله عن يحيى بن العلاء الرازى^(١) : أنه كذاب رافضى يضع الحديث ،
ووصف - كذلك - بشر بن نمير^(٢) ، بأنه أسوأ حالا من ابن العلاء في الكذب
ووضع الآحاد يست^(٣) .

وبين الإمام أحمد العلامة المميزة للرافضة ، والقول الذى به يعرفون فيقول :
(الرافضى هو الذى يسب أباً بكر وهو - رضى الله عنهما -)^(٤)

فكان ابن حنبل يقول : احذروا كل من ينال من الشيخين لأنه رافضى
خبث غير مأمون على شىء من دين الله تعالى ، فمن سب الشيخين أو أحسد
المحابة الكرام فقد زاغ عن الهدى ، وابتعد عن السنة ، وخالف آبا القاسم
- صلى الله عليه وسلم - فى محبته لهما ولسائر صحابته ، ولم يحفظه فى وصية
بهم ، والأمر باتباعهم واقتفاء آثارهم .

(١) يحيى بن العلاء الرازى : زوى عن الزهرى وزيد ابن أسلم وجماعة ، وروى عنه
عبدالرزاق وغيره ، وكان فصيحاً مفوهماً ، قال أبو حاتم : ليس بالقوى ، وضعفه
يحيى بن معين وجماعة ، وقال الدارقطنى : متروك ، وقال أحمد بن حنبل : كذاب
يضع الحديث ، (الذهبى - ميزان الاعتدال ٣٩٧/٤)

(٢) بشر بن نمير : زوى عن مكحول والقاسم بن عبد الرحمن ، وروى عنه أبو عوانة وابن وهب
تركه يحيى القطان ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال أحمد بن حنبل : ترك
الناس حديثه ، وقال البخارى : مضطرب .
(الذهبى - ميزان الاعتدال ٣٢٥/١)

(٣) (ابن أبى بعلى الحنبلى - طبقات الحنابلة - ٢٩٨/١) .

(٤) (المرجع نفسه ١٨٢/١) .

٤٢ مقاومة أهل التشيع باللسان واليد :

بدأت مقاومة الدعاة والخلفاء للتشيع منذ ظهوره ، وذلك فى زمن الخليفة الراشد على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ، حين بلغه غلو بعض من يدعى محبة ، ووقعهم فى الكفر بسبب قولهم بالحلول ، وأن علياً هو الإله ، فما إن - علم الخليفة بذلك حتى غضب عليهم غضباً شديداً وفكر فى عقوبة تتناسب مع هذه الجريمة والظلم العظيم ، فأمر بإحراق كل من ثبت عليه الكفر والمروق من الدين ، وهم بقتل عبدالله بن سبأ لولا مشورة عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - بتركه حتى لا يثور أصحابه فى وقت كثرت فيه الفتن ، فاكتمى عليّ بنفيه وطرده من الكوفة إلى المدائن . (١)

ويقى عليّ - رضى الله عنه - يتعقب آرياب التشيع ، ويتوعد المفترين على الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بالضرب والجلد ، وتبلغ به الشدة فى دين الله ، أن يهدد كل من يفضله على الصاحبين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فهو لا يسمح للشبهة أن يقدموه على الشيخين فكيف بتقدسه وعبادته أو النيل من الشيخين وسب الصحابة !

يقول رضى الله عنه : (لا يُفضلنى أحد على أبى بكر وعمر إلا جلدته حُجراً المفترى) (٢)

(١) ثبتت حادثة إحراق عليّ لغالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية وسجدوا له وقالوا له : أنت الله وإن أنكرها صاحب كتاب (العلة بين التصوف والتشيع) ص ٩٠ منه .

انظر الحادثة فى : (صحيح البخارى - كتاب استتابة المرتدين ٥٠/٨)
(وسنن أبى داود - كتاب الحدود - باب الحكم فىمن ارتد ١٨٠/٤ -
المكتبة التجارية الكبرى بمصر) و (سنن الترمذى - كتاب الحدود -
باب ما جاء فى المرتد - ٥٩/٤ - ط / الحلبي بمصر) .

(ومنهاج السنة لابن تيمية ٨٢/١) و (الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٢)
(والتنبيه للملطي ص ١٨) وغيرها .

(٢) صحيح البخارى - رقم (٣٦٧١)

(ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ٢٧٩/٣ - ٤٠٦/٤)

(ابن حجر الهيتمى - الصواعق المحرمة ص ٦٨)

وأكتفى بهذه النبذة السريعة عن موقف عليٍّ ومقاومته لأصحاب التشيع ، لا دخل بعد ذلك في عصر البحث ، وأستعرض بعض مواقف رجاله في التمدد للشيعنة ومجابهتهم ، فهذا داود بن أبي هند^(١) ، كان من العلماء المتسكين بالسنة ، والمقاومين للبدعة ، يكره التشيع ويمقت الرفض ، ويردّ على الرافضة ويقاومهم بسدّة ، وإذا استدعى الموقف إهانة أحدهم وتأديبه قام بذلك في حزم وشجاعة ، حتى صار أهل البدع يرهّبونه ولا يظهرون أمامه ، وقد رُوي داود يوماً ، وهو يوبّخ عوف بن أبي جميلة^(٢) ويخبره على ما أحدث من البدع وأظهر من التشيع والقدر .^(٣)

حتى الذين تدين لهم الشيعة بالحب والولاء ، وتغالي في تقدسهم ، كانوا من أشدّ النّاكرا على هؤلاء الرافضة - ورأينا كيف وقف على بن أبي طالب منهم - .

وهذا جعفر الصادق يتبرأ منهم ، ويلعنهم ، حين بلغه ضلالهم وكفرهم ، بادعائهم له مرتبة فوق بشريته ، فإنه أنكر عليهم ، وأمر أصحابه بالتبرؤ منهم ، وبالخ في التبرؤ واللعن على من ابتدع ذلك ، ومن تبع بدعته .^(٤)

وتبرؤ جعفر الصادق من الرافضة ولعنهم وأمر الناس بذلك ، يُعتبر من أقسى

(١) داود بن أبي هند البصرى ، وأبو هند هو دينار كان داود من حفاظ - البصرة وفقهائهم ، وحديثه في الكتب الستة ، ولد سنة خمسين ، ومات في أول سنة أربعين ومائة وهو راجع من الحج .
انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٢٥٥/٧) .
و (الذهبي - تذكرة الحفاظ ١٤٦/١) .

(٢) عوف بن أبي جميلة : أبوسهل البصرى ، كانت فيه بدعتان : التشيع والاعتزال قال الذهبي : ثقة مكثّر ، مات سنة ١٤٦ هـ .
انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٢٨٢/٦) .

(٣) (المرجع نفسه) .

(٤) (الشهرستاني - الملل والنحل - ١٧٩/١ - ١٦٦) .
و (البغدادي - الفرق بين الفرق - ص ٢٤٧) .

أنواع المقاومة بالكلمة ، والتنفير من هؤلاء الناس ، وبخاصة عندما يكون التيسر ،
واللعن صادرين من إمام معتبر ومقدّس ومعصوم في مذهب التشيع .

ويذكر أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - رأيه في الشيعة والتشيع ،
ويصفهم بما يستحقون من الحماقة وضعف الحجة ، ولا يكتفى بوصفهم والتخذ يسر
منهم ، بل يستخدم سلطته وقوته حين وُلِّي على الشجر ، فيبحث عن الراضية
وغيرهم من أهل الأهواء ، وكلما وجد رجلاً منهم أخرجهم من بين المسلمين وعزله
عنهم ، خشية إفسادهم والدعوة إلى بدعتهم .

يقول - رحمه الله - بادئاً كلامه ببيان السنة وفضل التمسك بها :

(المتبجح للسنة كالعابض على الجمر ، وهو اليوم عندى أفضل من ضرب السيف
فى سبيل الله ، وقد عاشرت الناس ، وكلمت أهل الكلام ، فما رأيت قوماً أوسخ
وسخاً ، ولا أقدر ، ولا أضعف حجة ، ولا أحمق من الراضية ، ولقد وليتُ الشجر ،
فلقيت ثلاثة رجال : جهيمين ورافضيين ، وقلت : مثلكم لا يساكن أهل الشجر ،
وأخرجتهم .) (١)

وقد كان أبو عبيد فى كلمته هذه صادقاً كل الصدق فى إظهار مكانة التمسك
بالسنة وتشبيهه بالعبض على الجمر ، وهذا يصور لنا انتشار الأهواء فى ذلك
الزمان ، وتنوع البدع ، ثم يهاجم الراضية ، ويسلط الضوء على نقاط الضعف
والنقص فيها ليكون ذلك الهجوم أبلغ فى الانتصار ، وأكد فى تنفير الناس ، ويبين
بعد ذلك أن مقاومة أهل الأهواء - ومنهم الشيعة - كانت مقاومة متناسب مسع
خطورة هؤلاء ، وتتسع لتعمّ وتشمل جميع أنواع المقاومة سواها أكانت بالكلمة أم
بالاضطهاد والنفى والتشريد .

(١) الداوودى - طبقات المفسرين ٢/ ٢٢ - ٢٧) .

٤) مقاومة الخلفاء السنيين للتشييع :

ولم يكن الدعاة وحدهم في الميدان بل ساهم الخلفاء والولاة السنيون بشئ من ذلك ، وتعقبوا زهاء التشيع ، وكبار رجاله ، وطاقبهم بما رأوه مناسباً ، من سجن وتعذيب وقتل ، وكان هذا التحرك من المسئولين من أعظم أنواع الردع والمقاومة ، بحيث تقلصت البدع ، وخدمت أنفاس دعاتها ولم يتجرأوا على إظهار ضلالتهم إلا نادراً ، وفي سرية وتكتم .

ومن تلك المواقف ما فعله الخليفة المنصور حين أرسل عيسى بن موسى^(١) للقضاء على زعيم فرقة الخطابية^(٢) الذي نادى بألوهية الأئمة ، وأشرك بالله تعالى ، ولما وقف عيسى بن موسى على خبث دعوتهم ، وضلال أفكارهم قبض على زعيم الفرقة فقتله في الكوفة ، وتشرد أتباعه بعد أن أُسِرَ وقتل كثير منهم .^(٣)

وكان موقف عيسى بن موسى والى الكوفة مع فرقة الخطابية الراضية ، كموقف خالد بن عبدالله القسري^(٤) من قبل مع فرقة المغيرة الراضية^(٥) ، حيث ادّعى

(١) عيسى بن موسى بن محمد العباسي أبو موسى : أمير من الولاة القادة ، وهو ابن أخي الخليفة أبي العباس ، وكان يقال له : شيخ الدولة ، ولد ونشأ في الحميمة وولاه عمه الكوفة وسوادها سنة ١٢٢ هـ ، وجعله ولي عهد المنصور فاستنزله المنصور عن ولايته سنة ١٤٧ هـ ، وعزل عن الكوفة ، وأرضاه بمال وفير ، مات بالكوفة سنة سبع وستين ومائة (الكامل لابن الاثير ٢٢٠/٥ - ٢٩)

(٢) الخطابية : أتباع ابي الخطاب الاسدي محمد بن أبي زينب مولى بني أشد ، ومن مبادئ هذه الفرقة : أن الأئمة آلهة ، وكان أبو الخطاب يدعي ذلك لنفسه ، حتى قتله عيسى بن موسى والى الكوفة من قتل العباسيين ، وكان ذلك سنة ١٤٣ هـ (الفرق بين الفرق - للبغدادي ص ٢٤٧)
و (الملل والنحل للشهرستاني ١٨٠/١)

(٣) انظر (المرجع السابق ص ١٨٠)

(٤) خالد بن عبدالله القسري كان أمير العراقيين من جهة هشام بن عبد الملك ولي مكة سنة ٨٩ هـ وكان لجد يزيد صحبة ، وبعد خالد من خطباء الحرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، عزله هشام عن العراقيين سنة ١٢٠ هـ ، مات سنة ١٢٦ هـ ، ودفن بالحيرة قليلاً .
(ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢٢٦/٢)

(٥) المغيرة : أتباع المغيرة بن سعيد العجلي الذي زعم أنه المهدي المنتظر ، ثم ادعى النبوة ، وأفرط في تشبيهه بمعبوده ، بالمخلوقات ، وكان ساحراً ، ولما علم به خالد القسري طلبه وقتله ، وذلك سنة ١١٩ هـ .
انظر : (الفرق بين الفرق ص ٢٣٨) و (الملل والنحل ١٧٦/١) .

زعمها النبوة ، وأفرط في تشبيهه معبوده فقبض عليه خالد وصلبه . (١)

وقد كان تعقب هؤلاء وقتلهم هو العلاج الحاسم ، فإذا لم ينفذ في المناظرة ولين الموعظة ، فحرارة السيف تطهر الأرض من رجسهم ، وتخلص الناس من شرهم .

كما طلب الخليفة هارون الرشيد عباد بن العوام الواسطي^(٢) حين بلغه أنه يتشيع ، ويميل إلى أفكار الرضى ، ولما تحقق من ذلك ، أمر به فسجن^(٣) ، ولم ير قتله لعدم اعتناقه ما يستوجب ذلك ، وإنما كان يبالي في حبّ على - رضى الله عنه - وتقديمه على من سواه ، وتكفى عقوبة السجن لردّه وزجره ، لعله يتنبه للصواب ، ويرجع إلى السنة .

وهكذا تضافرت جهود الأئمة والحكام في مقاومة التشيع ، والتصدي لأفكار رجاله ، وتنوعت تلك الجهود ، ولم تكن قاصرة على الكلمة ، كما اتّسعت لتكون شاملة تتناسب مع اتساع الفرق وانتشارها .

وسار نشاط أهل السنة في اتجاهين : اتجاه تأسيس في العقائد والأحكام واتجاه في مجابهة البدع والتحذير من الأهواء .

٥) حُكْمُ التَّشْيِيعِ فِي نَظَرِ الدِّمَاسَةِ :

نظر السلف الصالح إلى أهل التشيع الذين يتهمون الصحابة من مهاجرين وأنصار بالظلم والتواطؤ على إبعاد عليّ عن الخلافة. نظر السلف إلى هؤلاء على

(١) انظر (المرجعين السابقين) .

(٢) عباد بن العوام أبو سهل الواسطي ، كان يتشيع ، وقد حبسه الرشيد لذلك هو من أهل واسط ، لكنه أقام ببغداد ، وتوفي سنة ١٨٥ هـ ، وقيل : بعد ذلك .

(تاريخ بغداد ١١ / ١٠٦) .

(٣) (المرجع نفسه) .

أنهم قد ضلوا عن الصراط ، وطعنوا في دين الله تعالى ، لأن الطعن فسى حملة الشريعة ورجالها ، واتهامهم جميعاً بالضلال والكذب ، هو طعن فسى الشريعة نفسها ، حيث لم تنقل نقلاً أميناً ، ولم يتوفر لها الرجال المخلصون الذين يقومون على حراستها ، ويصدقون في اختيار الخليفة الذي تكون لديه الأهلية والقدرة على حمل هذه الأمانة .

فالشيعة - مثلا - يعتقدون أن علياً - رضى الله عنه - كان أحق بالخلافة والولاية ، وهذا الاعتقاد لا يدين به أهل السنة ، لوجود النصوص المخالفة له - والتي سنعرض لها عند النقض التفصيلي لعقائد الشيعة - ولكن الخلفاء الثلاثة قبله إنما اختارهم أهل الحُلِّ والعقد من المسلمين ، وبإيعامهم الناس ورضوا بإمامتهم ، ولذلك فإننا نجد رجال السلف يهاجمون كل من ينال من الصحابة ويتهمهم في دينهم .

يقول سفيان الثوري - رحمه الله - : (من قال : إن طمياً كان أحق بالولاية فقد خطأ أباً بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ، وما أراه يرتفع له مع هذا - سئل إلى السماء) (١)

فالقول بأحقية طمياً في الخلافة تخطفة لعامة المسلمين وخاصتهم ونسبة لهم إلى الضلال والظلم ، ومن فعل ذلك فقد طعن في الرجال الذين رآهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والطعن فيهم طعن في الدين الذي نقلوه ، واتهام للشرع الذي حملوه .

وسئل سفيان عن رجل يشتم أباً بكر ونسبه إلى الضلال فقال : إنه كافر بالله العظيم ، فقال السائل : نعلى طميه ؟ قال : لا ، ولاكرامة ، فقال الحاضرون : هو يقول : لا إله إلا الله ، مانصعبه ؟ قال : لاتمسوه بأيديكم ارفعوه بالخشب حتى تواروه في قبره . (٢)

(١) (ابن حجر الهيتمي - المواعق المحرقة ص ١٦) .

(٢) (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٧) .

ويأتى مالك بن أنس ليفصل الحكم فيمن يشتم الصحابة وبخاصة الخلفاء الراشدين فيوضح كلام سفيان رحمهما الله تعالى ، ومتى يكون الشاتم لهم من الكافرين يقول مالك : من شتم النبي - صلى الله عليه وسلم - قُتِلَ ومن شتم أحداً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - : أباً بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص - رضى الله عنهم - فإِنَّ قال : كانوا على ضلال أو كفر قُتِلَ ، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل بسسه نکالاً شديداً . (١)

ويقصد الإمام مالك - في مقدمة من يقصد - أرباب التشيخ الذين يسبسون الصحابة - وبخاصة من سبق ذكرهم منهم -

ويجمل الشاتمين على نوعين : نوع يتضمن شتمهم التخليل والتكفير ، وهؤلاء يقتلون لتكفيرهم خيار الأمة الذين شهد لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالإيمان والجنة ، ولعل سفيان رحمه الله يقصد بقوله : كافر بالله العظيم هذا النوع من الشاتمين ، وأما النوع الآخر فيقتصر شتمهم على ما دون ذلك من مشاتمة الناس .

كما يرى الإمام مالك أن من سب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فإنه يقتل كفراً لأن الله يقول فيها : (يَحِطُّكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢)

فمن رماها فقد خالف القرآن ، ومن خالفه قُتِلَ ، فالوقية فيها موجبة للقتل ، إِمَّا لأن القرآن شهد ببراءتها ، ففُذُّها تكذيب له ، وتكذيبه كفر ، وإِمَّا لكونها فراشاً له - صلى الله عليه وسلم - والوقية فيها تنقيح له ، وتنقيحه كفر . (٣)

(١) (ابن حجر الهيتمي - الصواعق المحرقة ص ٢٥٨) .

(٢) (آية رقم (١٧) من سورة (النور) .

(٣) (أبو نعيم - الحلية ٢١٧/٦) و (الزواوى - مناقب الامام مالك ٢٧/١)

(ابن قدامة - المغنى ١٠٥/٨) و (ابن حجر الهيتمي - الصواعق المحرقة

ص ٢٥٧) .

وقد أشار الإمام مالك رحمه الله إلى أنّ من انتقم الصحابة أو أبغضهم فقد ارتكب إثمًا عظيمًا ، قد يصل به إلى الكفر إن زاد في طعنهم أو استمر في تظليلهم وذلك أنه ذكر أمامه رجل ينتقم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأ مالك قوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمًا بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۝۰۰۰ الآية (١) ، ثم قال مالك : من أصبح وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد أصابته الآية . (٢)

فقد فهم رحمه الله من قوله تعالى : ليغيظ بهم الكفار : أن كل من حمل في قلبه غيظًا أو حقدًا على بعض الصحابة فهو من الكفار ، وما أكثر حقد الشيعة وغيظهم وشتيمهم لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

واعتبر أحمد بن حنبل - رحمه الله - أصحاب التشيع الذين ينالون من عثمان ابن عفان - رضى الله عنه - ويسبونه زنادقة ضالين .
يقول رحمه الله : (شتم عثمان زندقته) ، فإنه وإن كان في ظاهر الأمر شتم لشخص عثمان رضى الله عنه ، لكنه في حقيقة الأمر اتهام للمهاجرين والأنصار جميعًا وتخطئة لهم ، لأن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه (٤) أقام ثلاثة أيام يطوف عليهم ويستشيرهم فيكون خليفة ، حتى اجتمعوا على عثمان فحينئذ بايعه ، وتخطئة المهاجرين والأنصار جميعًا واتهامهم في دينهم كفر وزندقته . (٥)

-
- (١) آية رقم (٢٩) من سورة (الفتح) .
(٢) (أبو نعيم - الحلية ٦ / ٣٢٧) .
(٣) (الزواوى - مناقب مالك - ١ / ٣٦) .
(٤) (المرجع نفسه ص ٢٥٥) .

(٤) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب أحد العشرة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأحد السابقين البدرين القرشي الزهري - أحد الأتقياء وكان مجددًا في التجارة خلف أموال كثيرة ، وتوفى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ، وطاش خصاً وسبعين سنة ، ودفن بالبيح .
(انظر : (الذهبى - سير أعلام النبلاء ١ / ٦٨) .
(٥) (ابن حجر الهيتمي - الصواعق المحرقة ص ٢٥٥) .

ولاجل البدع والضلال الذي حواه التشيع فإن الإمام احمد بن حنبل حذر من الصلاة خلف الرافضي ، وذلك حين سأله رجل : أنصلي خلف رجل يقدم طياً على أبي بكر وصر ؟ قال : لاتصلّ خلف هذا . (١)

وقال في معرض الحديث عن الإيمان وتمسك السلف بالسنة ، بعد أن ذكر محاسن الصحابة وموقف المؤمن منهم : ومن طعن على أحد منهم بعمى أو نقص ، وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، وليس له أن يحفونه ، بل يعاقبه ثم يستتيبه ، فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة ، ثم خلده الحبس حتى يموت أو يرجع . (٢)

فقد اعتبر الإمام أحمد الطعن على أحد الصحابة صلاً يستحق صاحبه التاديب والعقوبة ولم يسمع للقاضي بأن يحفون فاعل ذلك ، لأن ذلك ليس له ، فمثل هذه الجريمة لا يملك أحد العفو فيها سوى الشخص المطعون فيه ، وهذا لا يتأتى في الدنيا لموت ذلك الشخص

والإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - لا يكفر الشيعة الذين يقتصرون على تفضيل عليّ على الشيخين - رضى الله عنهم - .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (وكذلك الشيعة المفضلون لعليّ على أبي بكر لا يختلف قول الإمام أحمد بأنهم لا يكفرون ، فإن ذلك قول طائفة من الفقهاء أيضاً ، وإن كانوا يبذّعون) (٣)

وفرق الإمام أحمد بين أهل البدع من الرافضة وغيرهم الذين يكفرون الصحابة والمؤمنين والذين لا يكفرون أحداً ، فرؤي عنه في الذين لا يكفرون روايتان : أصحابهما أنهم لا يكفرون ، أما الذين يكفرون الصحابة أو بعضهم فالصحيح أنهم كافرون (٤)

(١) (العليمي - المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب احمد - ٢٨٨ / ١) .

(٢) (المقدسي - الرد على الرافضة - ٢٢٥) .

(٣) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ٤٨٦ / ١٢) .

(٤) (المرجع نفسه) .

(٦) التَّحَرِّي فِي الْحُكْمِ عَلَى مَنْ يَتَّهَمُ بِالتَّشْيِيعِ :

ولم يكن الدعاة متسرعين في الحكم على الناس ، ولا آخذين بالظن والتخمين بل كانوا يتحرون الدقة في ذلك ، حتى لا ينسب إلى أحد ما ليس فيه ، فيقع الظلم والتجريح الذي لا يستند إلى حقيقة .

ولذلك نجد المحققين من طوائف السلف يردون كثيراً من التهم الملقاة ببعض البراءة من أهل العلم وغيرهم .

فعبد الرحمن بن صالح الأزدي^(١) - مثلاً - قال عنه بعض العلماء : إنه رافضى خبيث ، فلما سمع الإمام أحمد بن حنبل هذه الكلمة عن عبد الرحمن نفى ذلك وقال : (سبحان الله ! رجل أحبّ قوماً من أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم ، نقول له : لا تحبهم ! هو ثقة)^(٢)

وقال يحيى بن معين عن عبد الرحمن هذا : (هو ثقة صدوق شيعى ، لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يكذب في نصف حرف)^(٣)

فليست محبة أهل بيته النبي - صلى الله عليه وسلم - في نظر علماء السلف - دليلاً على الرفض أو التشيع المذموم عندهم ، بشرط عدم المخالفة في الحب ، والاقتصار على المودة المسموح بها شرعاً ، والتي لا توصل إلى معصية أو شرك .

(١) عبد الرحمن بن صالح الأزدي : كوفي سكن بغداد ، وكان يغشى أحمد بن حنبل فيقريه ويدنيه ، فقيل يا أبا عبد الله عبد الرحمن رافضى فقال : سبحان الله رجل أحب قوماً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، نقول له : لا تحبهم هو ثقة ، قال يحيى بن معين : عبد الرحمن بن صالح ثقة صدوق شيعى ، لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يكذب في نصف حرف ما توفي بغداد سنة (٢٣٥) هـ (تاريخ بغداد - ١٠/٢٦١-٢٦٢)

(٢) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٠/٢٦١) .

(٣) (المرجع نفسه) .

ويشترط أن لا تكون محبتهم مقرونة ببغض أحد من الصحابة أو النبل منسبه ،
فمودة قرياه صلى الله عليه وسلم أمر مطلوب ومُرَبَّب فيه فقد قال الله تعالى :
(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١)

ولكن المشكلة كل المشكلة أن يوقع التشيع أصحابه في الغلو الموصل إلى
البدعة أو الشرك ، عن طريق تفديس الأئمة ورفعهم فوق مستوى البشر ، أو تكفير
الصحابة وشتمهم ، أو اعتناق المبادئ المنحرفة ، والأفكار الضالة التي
تخالف العقيدة الصحيحة والشرع الحنيف .

ومن مظاهر التحري في الحكم رد أحمد بن حنبل أن يكون في الشافعي شيء
من التشيع وذلك عندما سأله رجل قائلاً : يا أبا عبد الله إن يحيى بن معين
وأبا عبيدة (٢) ينسبان الشافعي إلى التشيع ! فقال أحمد : لا أدري ما يقولان
والله ما رأيتنا منه إلا خيراً ، ثم قال لمن حوله : اعلموا أن الرجل من أهل العلم
إذا منحه الله تعالى شيئاً ، وحرم قرناه وأشكاله حسدوه ، فرموه بما ليس
فيه ، ويشت هذه الخصلة في أهل العلم . (٣)

إن الشافعي معروف كغيره من علماء السلف بحب أهل بيت النبوة وتقديرهم
ولكنه كان وتداً من أوتاد السنة ، وإماماً من أئمتها ، تصدى للتشيع وقاومه ،
وبيّن للناس منهج السنة الصحيح .

ولئن كان التشيع في بدايته يرمز إلى محبة علي وأهل بيته ، فقد أصبح فيما

(١) آية رقم (٢٣) من سورة (الشورى)
(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي - مولاهم البصري النحوي صاحب التصانيف
ولد سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري ، قال عنه
يحيى بن معين : ليس به بأس وقال ابو حاتم السجستاني : كان يكرهني
ظانا أنني من خوارج سجستان ، فاشقياً من مائة ، مات سنة تسع ومائتين
وقيل عشر ومائتين .

انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٤٤٥)

(٣) انظر (الرازي - مناقب الشافعي ص ٣٤)

بعد معبرا عن أفكار منحرفة لا يعتنقها عالم محيط بمنهج السلف ، عارف بمذاهبه مطلع على السنة ، فالتشيع الذميين لا يعترف بخلافة الراشدين الثلاثة أبي بكر وصر وثمان - رضی الله عنهم ، وينكرهم إنكاراً جلياً لاليس فيه ولا إبهام ، بسبل إن بعض متطرفي الشيعة لا يذكرونهم بخير أبداً ، بل كثيراً ما يذكرونهم بالسوء .

والإمام الشافعي - رحمه الله - يحب الراشدين الأربعة حباً جماً ، ويمتدح من يجلبهم ويظعن فيمن ينتقم من أقدارهم ، وهو حين يفعل ذلك إنما يسرد على التشيع ويذم أهلهم .

يقول رحمه الله :

وأشهد أن البعث حق وأخلص	شهدت بأن الله لا رب غيره
وفعل زكياً قد يزيد وينقص	وأن عسى الإيمان قول محسن
وكان أبو حفص على الخير يحرم	وأن أبا بكر خليفة ربي
وأن طيباً فضله متخمس	وأشهد ربي أن عثمان فاضل
لحا الله من إياهم ينتقم (١)	أئمة قوم نهتدي بهداهم

إلى آخر أفكار التشيع التي يخالفها الشافعي ويرد عليها ، ويذم معتقياً (٢) .

(١) (ابن عساكر - تاريخ ابن عساكر - ٦٥/٢)
(الرازي - مناقب الشافعي - ٨٧)
(العلمي - المنهج الأحمد - ٦٧/١)

(٢) ومن تلك الأفكار الوصاية حيث يرى الشيعة وصاية الإمام علي وأبنائه علي والرسالة ، وهي ركن من أركان العقيدة عندهم ، والشافعي لا يرى ذلك ، ولكنه يرى الإمامة في قرين - كما ورد - سواء كان هذا القرشي فاطمياً أو أموياً أو عباسياً .
والشيعة لا يتلقون علوم الدين إلا من آل البيت وكذلك الأحاديث ، والشافعي يقبل الحديث إذا صح ، واتصف رجاله بالضبط ، وأكثر رواة أحاديثه ليسوا من بيت النبوة .

ثانياً : النقض التفصيلي :

لقد سبق الحديث عن جهود الدعاة في نقض التشيع وتبين أنها تنقسم إلى قسمين : ردود إجمالية ، ونقض تفصيلي .

ولعل القيمة الضوئية على القسم الأول ، لا تبدأ الآن بالقسم الثاني وهو :
النقض التفصيلي لأفكار التشيع المتطرف والمعتدل منه .

ولاشك أن كل حزب أو فرقة تحيد عن طريق الجماعة ، لديها أفكار ومبادئ تكون بمجموعها البناء العام لتلك الفرقة ، وقد تلتقى في بعض أفكارها مع فرقة أخرى ، ولكنها تتميز بهيكلها المؤلف من تلك الأفكار مجتمعة ، ومن كان فيه فكرة منها كان منسويماً إلى تلك الفرقة على حسب عاق ماتبني من فكرة .

وأذكر بعض الجهود الدعوية في نقض مبادئ التشيع :

١ - إبطال (الحسول والتناسخ) : اعتقد غلاة الشيعة بالتناسخ والحلول متأثرين باليهود وغيرهم من الأمم العاضية ، فكان هؤلاء الغلاة إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون أن إله قد حلَّ بها^(١) ، وظهر الغلوس على يد ابن سبأ الذي زعم أن علي بن أبي طالب نبي ، نشم ادعى لسه الآلهية بحلول روح الإله فيه ، وتبعه قوم من غواة الكوفة ، أطلق عليهم (السبئية) وهناك فرق شيعية أخرى قالوا بالتناسخ والحلول^(٢) .

(١) (البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٥٩) .

(٢) كالبيان والجنابية والشرعية والنميرية .

(المرجع نفسه ص ٢٢٥)

(الملل والنحل ١ / ١٥٢) .

والذى دناهم إلى القول بالتناسخ وأن الروح تنتقل من جسد إلى جسد ، إنكارهم القيامة والحساب ، فظنوا أن تناسخ الأرواح - الذى زعموه - يحل محل البعث والجزاء فقالوا : إنما هى أرواح تناسخ فى الصور فمن كان محسناً جوزي بنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ، ومن كان سيئاً جوزي بنقل روحه إلى جسد يلحقه فيه الضرر ، وليس شئ غير ذلك ، وإن الدنيا لا تزال أبداً هكذا . (١)

وهب دعاة الأمة وطعام السنة يتعدون لبدع هؤلاء ، مظهرين ضلالهم ومروقهم من الدين ، وكاشفين عن فساد أفكارهم ، ويطلان ما يدعون .

وقد رأينا كيف قامهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب - وطاقيهم بالنفسي والقتل والإحراق ، وكذلك جعفر الصادق حين لعنهم وتبرأ منهم وأمر أصحابه أن يفعلوا ذلك . (٢)

وتعقبهم المنصور - الخليفة العباسي - وأرسل إليهم جيشاً كثيفاً ، حين علم أنهم يؤلهون البشر ، ويقول بالتناسخ والحلول . (٣)

وهؤلاء المغالون إن لم تجد معهم الدعوة إلى الحق والتوحيد ، فالقتل هو العلاج الذى يريح العباد والبلاد من شرهم وضلالهم ، لأنهم مرتدون مارقون من الدين ، والمرتد جزاؤه القتل .

وقد دعا السلف إلى التمسك بالتوحيد ، واجتناب الشرك بجميع صورته وكانوا يركزون على هذا الجانب العقدي أشد التركيز ، ويظهرون بطلان مذاهب المشركين أيما كان نوعهم وانتاؤهم ، وفى هذه الدعوة وهذا الإهتمام رد على أدعاء الإسلام من غلاة الشيعة وغيرهم القائلين بالتناسخ والحلول .

(١) (الأشعري - مقالات الاسلاميين ١/١١٩) و (الملقى - التنبيه ص ٢٧) .

(٢) (البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢١-٢٢٣-٢٣٤ و ٢٤٧)

(الأصفهاني - التبصير ص ٧١-٧٢) و (الشهرستاني - الملل والنحل -

١/١٦٦ - ١٧٩ - ١٨١) .

(٣) (البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٤٧)

(الشهرستاني - الملل والنحل ١/١٨٠) .

ب - رَدِّ فَكْسَرَةِ الرَّجْمَةِ : وقد أحدث الشيعة مبدأ الرجعة ، وأدّعوا
أَن أئمتهم سيرجعون بعد غيبتهم ، وبالفعل في هذه المسألة حتى اعتقدوها
دِينًا ، وركنًا من أركان التشيع . (١)

وعلم بعضهم مبدأ الرجعة ليشمل كلَّ الناس ، فإنهم بعد موتهم سترجع
أرواحهم ولكن ليس إلى أجسادهم السابقة ، وإنما إلى أجساد أخرى تتناسب
مع أعمالهم ، فالكفار تتجسد أرواحهم في حيوانات مشوهة ومضطهدة ، وكذلك
العصاة تكون أرواحهم في أجساد معذبة ، ويزعمون أن هذه حالهم أبد
الآبدين ودهر الداهرين ، وهذه قيامتهم وبعثهم وجنتهم ونارهم .
وهذه الرجعة عندهم ، فلا رجوع بعد الموت ، لأنه لا موت عندهم ، وإنما
هو تنقل للروح بين الأبدان ، فالقالب تفتى وتتلشى ولا تعود أبدًا وليس
ثمة قيامة ولا آخرة . (٢)

وقد رَدَّ السلف الصالح على هذه الغلظة ، وأبطلوا هذه الفرية ، وبينوا
للناس ما في الكتاب والسنة من آيات الحشر والحساب ، وأحاديث الثواب والعقاب
ونفوا نفيًا قاطعًا أن يكون ثمة رجعة لأحد بعد موته وقبل يوم الحشر مستدلين
بمصوص كثيرة منها قوله تعالى : (وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (٣) ،
فإنَّ الله تعالى يخبر أن أهل القبور لا يُبعثون إلى يوم البعث والنشور ، ومسئ
خالف القرآن فقد كفر . (٤)

وقد جاء تكذيب الشيعة على السنة أئمتها من كبار أهل البيت ، فهذا
محمد الباقر رحمه الله - سأل أحد أصحابه : أكان منكم - أهل البيت -
أحد يُقرُّ بالرجعة ؟ قال : لا . (٥)

-
- (١) (الشهرستاني - الملل والنحل ١ / ١٥٠) .
 - (٢) (الشهرستاني - الملل والنحل - ١ / ١٥١) .
 - (٣) (والشيباني - العلة بين التصوف والتشيع ص ١٣٤) .
 - (٤) (آية رقم (١٠٠) من سورة (المؤمنون)) .
 - (٥) (الملطى - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - ص ٢٦) .
 - (٥) (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ٥ / ٢٢١) .
 - (المقدسي - الرد على الرافضة ص ٢٠٢) .

فالرجعة إذًا فكرة دخيلة على الإسلام ، لم يُقلَّ بها أحد من العلماء
الثقات لامن الشيعة ولا من غيرها ، وهذا يدلُّ على بطلانها ، وتكذب
القائلين بها .

ويلخ من شدة السلف على القائلين بالرجعة ، رفضهم لرواياتهم ، وترك الأخذ
عنهم ، لأن من قال بمثل هذه البدعة فهو في نظر السلف مخالف لمنهج القرآن
والسنة غير مؤتمن على دينه ، ولا موثوق بعلمه وأمانته .

يقول جرير بن عبد الحميد الرازي : رأيت جابراً الجعفي ، ولم أكتب عنه
شيئاً ، فسئل عن ذلك فقال : لأنه كان يؤمن بالرجعة .^(١)

فجرد الإيمان بهذه الفكرة يعتبر مبرراً - عند السلف - لهجر
أصحابها واتهامهم في دينهم وهدم الثقة بهم .

ج (بَطْلَانُ فِكْرَةِ " الْبِدَا ") : تعتبر فكرة البداء من بدع غلاة
الشيعة التي خرجوا بها من الدين فقد ذكر بعض العلماء أن بدع الغلاة
محصورة في أربع : التشبيه ، والتناسخ ، والرجعة ، والبداء^(٢)

والبداء له معان منها : البداء في العلم ، وهو أن يظهر للشيء
شيء يخالف ما كان يحلمه .

والبداء في الإرادة : وهو أن يظهر له صوابٌ شيء على خلاف ما
أراد وحكم .

والبداء في الأمر : وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده مخالف
للأمر السابق .^(٣)

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٥٥/٧) .

(٢) (الشهرستاني - الملل والنحل ١٧٣/١) .

(٣) (المرجع نفسه ١٤٨/١) وأول من قال بالبداء على الله : المختار بن أبي
عبيد الثقفي الذي كان خارجياً ثم زهيرياً ثم شيعياً كيسانياً ، وقد وعد أتباعه
بالنصر على جيش مصعب بن الزبير لكنهم هزموا ، ورجعوا إليه معاتبين فقال
لهم : ان الله قد وعدني ذلك ، لكنه بداله واستدل على ذلك بقول الله
تعالى : (يحو الله ما يشاء ويثبت) الآية ٢٩ من سورة الرعد ، وهذا كان

فالذين أجازوا البداء على الله أجازوه بكل معانيه التي فيها نسبة الجهل والنقص إلى الله تبارك وتعالى ، وذلك ما لا يقوله مسلم ، ولا يجزؤ عليه عاقل .

ويبدو أن القائلين بالبداء خلطوا أحياناً بينه وبين النسخ في الأحكام ويؤكد هذا قولهم : بالبداء في الأمر ، وهو ما يُسمى عند أهل السنة بالناسخ والمنسوخ .

وقد صرح من أجاز البداء بوقوع هذا الخلط لديه حيث قال : إذا جاز النسخ في الأحكام ، جاز البداء في الأخبار . (١)

لكن النسخ غير البداء ، لأن نسخ الله لبعض الأحكام إنما كان عن طمأنينة سابقة ، وإحاطة تامة بما كان وما سيكون ، وهو تدريج في الأحكام ، ورحمة بالعباد وحكمة بالغة في التشريع ، حيث يأمر الله بما يناسب الحال والمقام ، ويقع في القلوب أحسن موقع ، وقد تأثر جل الشيعة بهذه الضلالة فزعموا أن الله يبدئ الشيء ثم يبدوله فيه ، وأنه تبدوله البداوات . (٢)

وأنكر السلف جواز البداء على الله تعالى ، وأنه قد يقع من البشر أصحاب العقول المحدودة والعلم القليل ، وفي بعض الآيات إشارة إلى ذلك حيث نسب الله تعالى البداء للناس في غير ما آية فقال :

" وَيَدَّأ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ " (٣)

وقال عز وجل : " وَيَدَّأ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا هَلَكُوا " (٤)

وقال جل جلاله : " ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَتِهِ حَتَّى جَاهِنُوا " (٥)

وهذه الآيات تشير إلى ظهور شيء لم يكن معلوماً لهم من قبل ،

= سبب قول الكيسانية بالبداء على الله تعالى .

انظر : (الفرق بين الفرق ص ٥٠) و (الملل والنحل ١ / ١٤٧) .

(١) (الشهرستاني - الملل والنحل ١ / ١٤٩) .

(٢) (الأشعري - مقالات الإسلاميين ص ١١١ - ١١٢) .

(٣) آية رقم ٤٧ من سورة (الزمر) .

(٤) آية رقم (٢٢) من سورة (الجاثية) .

(٥) آية رقم (٢٥) من سورة (يوسف) .

فالإبداء فيها يقابل الإخفاء ، فيصير بدياً بعد خفاء ، وهذا كله بالنسبة للإنسان ، أما بالنسبة لله عز وجل فالإبداء والغفلة والخفاء بمنتهى ، لأن طمسه تام مطلق محيط بكل شيء لا يتغير أبدياً . (١)

وكشف أهل السنة عن مكر القائلين به ، وأنهم اتخذوه ستاراً لداويهم الباطلة وغطاءً لجهلهم الفاضح ، وتمويهاً لكذبهم المعروف .

(د) - (تَهَافُتُ الْقَوْلَ بِالنَّقْصِ فِي الْقُرْآنِ) : ومن أعظم مشكلات التشيع : دعواهم تحريف القرآن ، وأنه قد حُذِفَ الكثير من آياته وسوره ، ويقولون : إنَّ الذي يعلم ذلك على حقيقة هو الإمام ، ولا يرون الكتاب والسنة اللذين في أيدي المسلمين مصدر تشريح واستدلال ، ولذلك يقولون : انه لاحجة اليوم في القياس ، والسنة ، ولا في شيء من القرآن ، لوقوع التحريف فيه من الصحابة ، وإنما الحجة هي قول الإمام المنتظر . (٢)

ويتقولون على أئمة أهل البيت كلاماً يؤيد ما يدعون ، ومن ذلك ما نسبوه إلى جعفر الصادق وهو يخاطب رجلاً من أهل السنة فيقول :
إنَّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟ ،
مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد (٣) .

فهم يبطلون مصادر التشريح التي يعتمد عليها أهل السنة والجماعة ، ولا يرون الاستدلال بها ، أو الاحتجاج بشيء منها ، وما ذلك إلا لطمعهم في صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتهامهم بالخيانة والغش ، وكتم النصوص التي تنص على خلافة علي بن أبي طالب .
ولم يكتف هؤلاء بالكفر حتى نسبوه إلى بعض أئمتهم المعروفين بالصدق ،
وتقولوا عليهم ما لم يقولوه ، زوراً وبهتاناً .

(١) (المقدسي - رسالة في الرد على الرافضة ص ١٠٠) .

(٢) (الأشعري - مقالات الإسلاميين - ١ / ١١٩) .

(البغدادي - أصول الدين ص ١٩) .

(٣) الكافي في الأصول - كتاب الحجة - باب ذكر الصحيفة - والجفر والجامعة
وهو مصحف فاطمة ١ / ٢٣٩ وما بعدها ، ط الثالثة ١٣٨٨ هـ - دار الكتب العلمية - طهران .

وقد دافع الدعاة عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -
وهاجموا هؤلاء العارفين ، مبينين كذب دعوهم ، وأن ذلك ناتج عن حقد هم
على الصحابة الكرام ومفالاتهم في حب أهل البيت .

كما اهتم الدعاة بتأكيد تكفل الله بحفظ الذكر الذي أنزله ، ونفى الباطل
من كتابه العزيز ، وإذا تكفل الله بحفظ شيء ، فلن يستطيع أحد أن يمسده
إليه يده بتغيير أو تبديل ، ومن ادعى حصول ذلك فقد خالف كلام الله تعالى ،
وأعظم طية الفرية .

وهناك نصوص كثيرة تشهد على القرآن لا يأتيه الباطل ، ولا يجوز طيه
الضباع وكلها أسلحة في أيدي السلف تصدوا بها لمدى التغيير والنقص ، ومن
هذه النصوص ، قوله تعالى :

"وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " (١)

وقوله عز وجل : (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) (٢)
وقوله تبارك وتعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (٣)

فهذه الآيات وغيرها أدلة دامغة ، وحجج ساطعة ، ترد على كل من
يدعى نقص القرآن ، أو يظن أنه كأي كتاب آخر يمكن العبث فيه ، أو تحريفه .

وكذلك فإن الله عز وجل سخر لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم - من يقوم طيه
حراستها ونفى السوء عنها ، وميزها بالإسناد الذي هو خصوصية من خصوصيات
هذه الأمة ، فقامت ثلاثة من العلماء ، ولا تزال تقوم في كل عصر ، مهمتها النظر
في إسناد الحديث والبحث عن رجاله لتمييز الثقة من غيره ، ومعرفة كل العليل
التي يمكن أن تقدر في متن الحديث أو سنده ، ولعل هذا مندرج في تكفيل
الله لحفظ دينه والذكر الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهذا من ضمن

(١) آية رقم (٤١ - ٤٢) من سورة (فصلت) .
(٢) آية رقم (٢١ - ٢٢) من سورة (البروج) .
(٣) آية رقم (٩) من سورة (الحجر) .

الأساليب التي واجه بها الدعاة مشكلات التشيع وضلالاته .

وإذا كان الأئمة قد وقفوا في وجه من زعم أن القرآن مخلوق تلك الوقفة المشرفة ، حيث بذلوا الأرواح من أجل الثبات على الحق ، ونفي شبهة الخلق من كلام الله تعالى ، فهم في نفي شبهة النقص عنه أشد غضباً ومقاومة ، ولكن شبهة النقص لم تنتشر ولم يُشغل بها الناس ، لكونها مقصورة على هؤلاء الغلاة وهم أجزء من أن يتكلموا فيها أمام العلماء ، وإنما يكتفون بتلقينها من محتسب مد هبهم ، ويدين لهم بالولاء والطاعة .

هـ - (الرد على سببهم للمصاحبة) : ومن منكرات التشيع ومشكلاته التي واجهها طوائف السلف بغض المصاحبة وسببهم ، بل إن أكثر فرق الشيعة يكفرون أبا بكر وصرى الله عنهما ، وجميع من والاها من المصاحبة وغيرهم ، ويقولون : إن الناس قد كفروا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أشخاص قلائل ، ووصل الأمر ببعضهم إلى تكفير طي بن أبي طالب - أيضا - لتركه قتال الناس جميعاً كما قاتل أهل الجمل وصفين^(١) .

وردّ عليهم السلف العالِم ، وبينوا للناس مكانة المصاحبة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنهم كانوا منه في المحل الأرفع ، وقد أثنى عليهم مولاهم تبارك وتعالى في كتابه العزيز وأكرمهم برضاه عنهم وتوبيته عليهم ومدحهم في التوراة والإنجيل .

هَبَّ الدعاة ، يحملون النصوص الكثيرة التي تنهى عن النيل من المصاحبة ، ولماذا هم بأي نوع من الأذى ، ومن فعل ذلك وآذاهم فقد احتل البيهتان والإثم المبين .

وكان أبو حنيفة رحمه الله شديداً على هؤلاء الطاغين في سلف الأئمة ،

(١) انظر : (البغدادى - الفرق بين الفرق ص ٣٠-٣٢-٥٤-٥٦) .
و (الاسفرايينى - التبصير في الدين ص ١٧-١١-٢٤) .
و (الرازى - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٦) .
و (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٢/٤٠٨ - ٤/٤٠٦) .

المكفرين لخيارها ، وهو إلى جانب شدته ، يدعو إلى المنهج الحق ، ويحثّ على حبّ الصحابة وعدم تكفير أحد من المؤمنين ، ويجعل حبّ الخلفاء الراشدين الأربعة ، وعدم التكفير بالذنوب من شروط أهل السنة والجماعة التي لا يكون الرجل منهم إلا بتوفرها فيه ، يقول رحمه الله :

من قدّم أبا بكر وصهر - رضی الله عنهما - وأحبّ عثمان وعلياً - رضی الله عنهما - ولم يكفر أحداً بذنوب ، ورأى المسح على الخفين ، ولم ينطق في الله عز وجل بشيء فهو من الجماعة . (١) ويبين طريق الجماعة وموقفهم تجاه الصحابة فيقول : ولا نذكر أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم إلا بخير . (٢)

وسلك أبو حنيفة رحمه الله أسلوباً حكيماً ، في محاولة إزالة آثار التشيع من رجل كان يشتم الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضی الله عنه - ويقول عنه بأنه يهودي ، ولينظر إلى حكمة أبي حنيفة في رده على شاتى الصحابة ، والطائفتين على عثمان .

سمع أبو حنيفة برجل يشتم عثمان ويقول فيه ما يقول ، فأناه وقال له : أتيتك خاطباً ، قال : لمن ؟ قال : أخطب ابنتك لرجل شريف ، فغىّ بالعال ، حافظ لكتاب الله عز وجل ، سخيّ ، يقوم الليل في ركعة ، كثير البكاء من خشية الله تعالى ، فقال الرجل : في دون ذلك مقنع يا أبا حنيفة قال : إلا أن فيه خصلة ، قال : وما هي ؟ قال : يهوديّ ، قال : سبحان الله تأمرني أن أزوج ابنتي من يهودي ! قال : ألا تفعل ؟ قال : لا قال أبو حنيفة : فالنبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من يهودي ، فأدرك الرجل مراد أبي حنيفة ، وفهم مقصده ، وقال : استغفر الله ، وأتسبب إليه ما كنت أعتقد وأقول . (٣)

(١) (الصميرى - أخبار أبي حنيفة - ٨٢)

و (المقدسى - الرد على الرافضة - ٣٢)

(٢) (أبو حنيفة - الفقه الأكبر - ٤) .

(٣) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٢ / ٢٦٢) .

و (محمد بن يوسف المالحي - عقود الجمان - ٢٧٢) .

وهذا عبد الله بن مصعب الزبيري الطاعين على عثمان رضى الله عنه ، ويبيِّن
أن الذين تجسروا على ذلك إنما هم أرباب الطوائف المنحرفة والفرق الغالسة ،
كالشيعة والخوارج والمبتدعة ، وها هو الخليفة هارون الرشيد يسأله :
ما تقول فى الذين طعنوا على عثمان ؟ فيقول عبد الله بن مصعب : يا أمير المؤمنين
طعن عليه ناس ، وكان معه ناس ، فأما الذين طعنوا عليه فتركوا عنه ، فهم
أنواع التشيع والخوارج وأهل البدع ، وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة
إلى اليوم

فقال له الرشيد : ما أحتاج أن أسأل عن هذا بعد اليوم . (١)

وكان عبد الله بن مصعب يعرف هؤلاء المغالين بالزندقة ، ويرى أنهم فسى
انتقامهم للمصاحبة إنما يريدون النيل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
ولذلك فإن عبد الله بن مصعب يشتد على أصحاب التشيع والرفض أمسياب
الخليفة العباسى المهدي ، حينما سأله : ما تقول فيمن ينتقم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : زنادقة ، فقال له المهدي : ما سمعت أحداً قال هذا قبلك !
فقال عبد الله : هم قوم أرادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقم فلم يجدوا
أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك ، فتنقموا هؤلاء ضد أبناء هؤلاء ، وهؤلاء ضد
أبناء هؤلاء ، فكانهم قالوا : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصحبه صحابة
السوء ، وما أقيح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء .
فقال الخليفة : ما أراه إلا كما قلت . (٢)

وتعتبر هذه الكلمات من عبد الله تنفيراً من التشيع ، ومحاربة لأهلها ،
وبياناً لما يقصد الطاعنون على المصاحبة من إيصال الأذى إلى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - ، وهذا التحليل منه أمام الخليفة يعتبر أسلوباً من أساليب
المواجهة لا فكسار التشيع ومشكلاته على طريق الدعوة ، لأن فيه تعرية للتشيع ،
وإظهاراً لحقيقته ، وكشفاً لنواياه .

(١) (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ١٠ / ١١٧) .

(٢) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٠ / ١٧٣) .

وكان يحيى بن سعيد القطان لا يُعَدُّ عثمان من بين الخلفاء ، وإنما يقول:
أبو بكر وعمر وطى ، فذهب أبو عبيد القاسم بن سلام إليه وقال له : معي
شاهدان من أهل بدر يشهدان أن عثمان أفضل من طى - رضى الله عنهما -
قال : بمن ؟

قال أبو عبيد : أنت حدثتنا - وذكر سند الحديث - إلى عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه أنه خطب فقال : (أميرنا خير من بقي ، ولم نأل) وقصد
عثمان

قال : ومن الآخر ؟

قال : الزهري - وذكر السند - إلى عبد الرحمن بن عوف قال : شاورت -
المهاجرين الأولين ، وأمراء الأجناد ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ظم أراًحداً يُحَدِّلُ بعثمان .

قال أبو عبيد : فترك قوله ، وقال : أبو بكر وعمر وعثمان وطى . (١)

— ومن أساليب الدعاة في مواجهة مشكلة الطعن على الصحابة - وبخاصة
عثمان - ما فعله يزيد بن هارون حين كان يحدث الناس بفضائل عثمان ، ولا يحدث
بفضائل طى ، فلما قيل له في ذلك ؟ قال : إن أصحاب عثمان مأمونون على
طى ، وأصحاب طى ليسوا بمأمونين على عثمان . (٢)

وما تقدم نستخلص بعض أساليب الدعوة في الرد على هذه المشكلة .
فوجد الأسلوب الحكيم والطريقة الذكية في إزالة بغض عثمان رضى الله عنه من
قلب الرجل حيث أنسى على عثمان بما هو أهله ، ثم وصفه بما يعتقد الرجل
فيه ، فجمع بين المتناقضات ، ثم ذكر له تزويج النبي - صلى الله عليه وسلم - له
من ابنته الواحدة تلوا الأخرى ، مع أنه يهودى - أى كما تزعم أيتها الرجل -
وذكر الرجل خطأه ، ويرجع عنه نادماً تائباً وصحيحاً ممن يحب عثمان ، ويكره
التشيع .

(١) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - ١٢ / ٤٠٣ وما بعدها .

(٢) (ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة - ١ / ٢٩٢) .

وتلمس الجراءة وقول الحق صريحاً واضحاً من عبد الله بن مصعب الزبيري أمام المهدي والرشيدي ، حيث وصم من يطعن طيَّ عثمان بالزندقة العارضة ، والتشيع الضال ، والخروج عن مذهب السلف الصالح ، وفي هذا تمكين للسنة في قلب الخليفة ، وسدّ لما يُحتمل أن يكون من الميل لعلی طي حساب جفوة عثمان - رضی الله عنه - .

وهذا أسلوب من أساليب المقاومة لأفكار التشيع الواضحة والخفية

وكذلك نرى العالم المتبحر في اللغة وطوم القرآن : القاسم بن سلام يناقش أحد المحدثين الذين يعتبرون خلافة طيِّ دون عثمان - رضی الله عنهما - وذلك لعدم الإحاطة الكاملة بمواقف السلف وآثارهم تجاه الخلفاء الراشدين ، ذلكم هو يحيى بن سعيد القطان الذي كان لا يذكر عثمان مع الخلفاء ، فاحتجَّ عليه القاسم بما عنده من بضاعة الحديث وأبان له مكانة عثمان الرفيعة بين الخلفاء ، وأنه يُعدُّ الثالث فيهم ، وأقنعه إقناعاً كاملاً بذلك بالأحاديث المسندة الصحيحة ، والشواهد الواضحة البينة ، مما جعل يحيى القطان يصرح بقول السلف الصالح في الخلفاء .

ونشاهد في الموقف الذي يليه يزيد بن هارون يحاول أن يطلع من حوله على فضائل عثمان - رضی الله عنه - لأنهم يحبون طياً ويعرفون فضائله ، لكنهم جاهلون بمكانة عثمان وفضله ، لذلك فهو يهتم في مواظبه وأحاديثه بذكر مناقب عثمان وفضائله أمام أصحاب طيِّ وشيعته ، وظل عمله هذا بقوله : إن أصحاب عثمان مأمونون طيَّ طيَّ ، بمعنى أنه ليس في أصحاب عثمان من ينال من طيِّ ويقدِّس عثمان ، كما يفعل أصحاب طيَّ عندما يطعنون طيَّ عثمان ، وينسبونه إلى الضلال ، في الوقت الذي يقدِّسون طياً ويخالون في ذلك .

وقد كان في أئمة أهل البيت رجال قاوموا التشيع ، وحاربوا أفكاره وزعماءه ودعوا الناس إلى محبة الصحابة وحسن الداء لهم ، ونههواهم عن إيذائهم وبغضهم مقتدين في هذا بعلي بن أبي طالب ، وطريقته في حب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكراهته أن ينال أحد منهم بكروه ، بل وتهديده لمن يُفضِّله طيَّ أبي بكر وهو مجرد تفضيل فقط .

وهكذا وقف زين العابدين على بن الحسين - رضى الله عنهما - حين جاءه نفر من أهل العراق ، فطمعوا في الخلفاء الراشدين الثلاثة ، فغضب زين العابدين عليهم وأراد أن يظهر لهم ضلالهم وخسرانهم ، وأنهم بهذا العمل يخرجون أنفسهم من بين صفوف المؤمنين المرحومين فقال لهم : ألا تخيروننى من أنفسكم ؟

المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، وأولئك هم الصادقون ؟

قالوا : لا

قال : فأنتم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ؟

قالوا : لا

قال : أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أهل هذين الفريقين .
ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم : (رينا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) (١)
أخرجوا ، فعل الله بكم . (٢)

وأدرك زين العابدين - كما أدرك غيره من أئمة أهل البيت - ظوا الشيعة في حبهم وإفراطهم في تقديرهم حتى صار هذا الحب والتقدير عاراً ودمماً لأصحابه ، من أرياب التشيع ، وتعرض الأئمة لنقد الناس وتجريحهم .

ما جعل زين العابدين يصيح مخاطباً الشيعة : يا معشر أهل العراق أحبونا حبباً الاسلام ، ولا ترفعونا فوق حقنا ، فوالله ما يرح منا حبيكم حتى صار ظينا ماراً . (٣)

(١) آية رقم (١٠) من سورة (الحشر)

(٢) (ابن حجر الهيتمي - الصواعق المحرقة ص ٥٤) .

(٣) (أبو النعمان - الحلية - ١٣٧/٢) .

(ابن حجر الهيتمي - الصواعق المحرقة ص ٥٧) .

فأهل البيت يتبرأون من بدع الشيعة وضلالهم ، ويردون عليهم حبهتهم
وولاةهم ، ولا يريدون منهم أكثر مما سمح به الدين من حبّ وولاة ، دون مبالغة
أو شطط .

وروى عن محمد الباقر رحمه الله روايات يردّ فيها على الشيعة ، ومنها هم
عن بغض الصحابة (١)

ورد مثلها عن ابنه جعفر الصادق الذي كان يقول ردّاً عليهم ، وذاماً لهم :
بلغنى أن قوماً من العراق يزعمون أنهم يحيوننا ، وهم يتناولون أبا بكر وصهر
وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يزعمون أنى أمرتهم بذلك ،
فأبلغوهم أنى يرى منهم والذى نفسى محمد - صلى الله عليه وسلم بيده ،
لو وليت لتقرت إلى الله بدمائهم ، اللهم إني أحب أبا بكر وصهر وأتولاهما ،
وأستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، وعلى سائر أصحاب نبيك - صلى الله عليه وسلم
وأبرأ من عدوهم ، وإن كان فى نفسى غير هذا ، فلا نالتنى شقافة محمد
صلى الله عليه وسلم ، وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا ويتولاهما . (٢)

ويحتقد أهل التشيع أن الشيخين وغيرهما من الصحابة قد ظلموا أهمل
البيت ويخصوهم حقهم ، ولذلك فهم يسبونهم ويقذحون فيهم ، لكن جعفر
الصادق يردّ عليهم دعواهم ويكذبهم فيما يزعمون ، فيقول ردّاً على سؤال وجه
إليه وهو : هل ظلمكم أبو بكر وصهر من حقكم شيئاً ؟ - : ومنزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيراً ، ما ظلمانا من حقنا ما يزن حبة خردل ، ويرى الله
من المغيرة بن سعيد (٣) وبيان سمعان (٤) فأنهما كذبا علينا - أهل البيت - . (٥)

(١) (ابن كثير - البداية والنهاية ٢١١/٩ - ٢٦١)

(ابو نعيم - الحلية ١٨٥/٢)

(المقدسى - الرد على الرافضة ص ٣٠٣)

(الهيثمى - الصواعق المحرقة ص ٥٣)

(٢) (الذهبى - سير أعلام النبلاء ٢٥٨/٦)

(ابن تغرى دبرى - النجوم الزاهرة ٩/٢)

(الهيثمى - الصواعق المحرقة ص ٥٣ - ٥٦)

(٣) المغيرة بن سعيد العجلي : زعم فرقة المغيرة من الشيعة الخلافة

(٤) بيان بن سمعان التميمي : زعم فرقة البيان من الشيعة الخلافة

(٥) (ابن حجر الهيثمى - الصواعق المحرقة ص ٥٤)

ويبدو من مواقف طاعة أهل البيت أنهم يخالفون الشيعة في أفكارهم المنحرفة التي ابتدئها لهم المنافقون من يهود وفرنسيين .

وأما أهل البيت فكانوا على جانب كبير من حب الصحابة وتقديرهم . كما تشير بعض مواقفهم إلى مقتهم وكرههم للحب الذي يدعيه الشيعة لهم لأنه مبني على الجهل والبدعة والشرك .
ولذلك فقد تبرأوا منهم ، وكذبوهم فيما يدعون ، وتوعدوهم بالقتل تقريباً إلى الله ، إلى غير ذلك من المواقف التي تلتقي مع مواقف أئمة السنة في ردّ بدع التشيع والتعدي لأفكارهم ورجالهم ، وتضليلهم في شتمهم الصحابة وإذائهم .

و (السردّ على فكرة الإمامة) : ومن مبادئ الشيعة التي قام بها الدعاة ، واعتبروها من ضمن المشكلات الناجمة عن التشيع (فكرة الإمامة) التي أصبحت عقيدة من عقائد الشيعة المنحرفة ، وركناً من أركان الإسلام - في زعمهم - (١)

وتعدي الدعاة لهذه المشكلة ، رادّين عليها ، ومفندين مزاعم أصحابها وسلوكوا في ردّهم أسلوبين :

الأول : مباشر ، وهو إبطال الإمامة المزعومة ، وتفنيده القول بأن طيها رضي الله عنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -

والثاني : غير مباشر ، وهو إثبات أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، وفي هذا الإثبات دلالة على نفى الإمامة التي يدّعيها الشيعة لعلي رضي الله عنه وأنه هو الإمام المبلّغ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

(١) الشهرستاني - الملل والنحل (١/١٤٦) .

(٢) ابن خلدون - المقدمة (١/١٩٦) .

أما أسلوبهم المباشر : فقد نهجه سفيان الثوري - رحمه الله - وغيره - حين سمعوا بقول الشيعة - غير المتطرفة - : وهو كون عليّ أولي بالخلافة والإمامة من أبي بكر وصر ، لأنه هو الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فردّ عليهم سفيان مبيناً أبعاد هذا القول ، وأثره على إسلام قائله :
(إن قوما يقولون : لانقول لابي بكر وصر إلا خيراً ، ولكن طياً أولي بالخلافة منهما ، فمن قال ذلك ، فقد خطأ أبا بكر وصر وثمان وطياً والمهاجر - والانتصار ولا أدري ترتفع مع هذا أهلهم إلى السماء ، فإني أخشى أن لاتنفعهم أهلهم) (١)

فالقول بإمامة عليّ - رضى الله عنه - دون الخلفاء الثلاثة اتهام للصحابة جميعاً بالخيانة والتواطؤ على إخفاء الحق ، وهذا ما يعتقده الشيعة منهم ، لكن هذا الاعتقاد فاسد متهاافت ، لا يقبله عقل ، إذ كيف يجتمع خيار الناس على كتمان الحق وتغيير أمر الله في إمامة الناس ! ، فبيّن أن تخطئة جماعة المسلمين ، والاعتقاد بأن عليّ هو الإمام ، أمر مخالف لقواعد العقل والشرع ، من استحالة الاجتماع على الضلالة ، وبخاصة في أشرف القرون ، وعند خبير الناس

وكان أبو بكر بن عياش رحمه الله من الدعاة العارفين بأحوال الناس واختلاف الفرق ، الذين يملكون الحجّة والبيان في دحض الباطل وردّ البدع .
ركب يوماً في سفينة ، وكان فيها ثلاثة من أهل الأهوا : رافضى وخارجسى ومرجسى ، فتجادل الثلاثة فيما بينهم فاختلفوا ، فجاؤوا إلى ابن عياش يحتكمون إليه ، فقال لهم :
قد مرّتم خلافي لكم كلكم ، فقالوا : نعم خلافاً ، ومع ذلك فاحكم بيننا .

(١) (أبو نعيم - الحلية ٢٧/٧) .

(ابن كثير - البداية والنهاية ١٣/٨) .

(الذهبي - سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٧) .

(ابن حجر الهيتمي - المواهب المحرقة ص ١٦) .

فقال للرافضى : هل فى الدنيا قوم أجهل منكم ! ؟ ترصون أن هذا الأمر - يعنى الخلافة والإمامة - صار لماحبكم ، فتركه حياته ، وسلّمه لغيره ثم تبغون أن تأخذوا له به بعد وفاته . (١)

فمن الجهل والحماقة التى وقع فيها أصحاب التشيع مطالبتهم بالإمامة لعليّ واعتباره الإمام الحق والمباشر بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الوقت الذى يقرون بأن طياً نفسه ترك الإمامة ، وسلّم الخلافة للخلفاء مسن قبله ، الواحد تلو الآخر ، ولم يعترض على خلافة أحد منهم ، ثم هم بعد هذا الإقرار يطالبون بإمامته ، ويحاولون أن يأخذوا حقه له بعد وفاته ، ويبين ابن عباس رحمه الله أن هذا العمل منهم يرفض العقل والمنطق السليم ، وبإساءة الشرع كل الإباء ، ولا يحد وأن يكون حمقاً وجهلاً ، ينأى العقلاء بأنفسهم عن الوقوع فيه .

وأما أسلوبهم غير المباشر - فى ردّ فكرة الإمامة وإثبات أفضلية أبي بكر وعمر وثمان وخلافتهم - فكثير جداً ، فهناك أحاديث تدلّ على تقدّمهم الشيخين وتشير إلى خلافة المدينى ، ومنها :

(أن امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : رأيته إن جئت ظم أجذك ؟ - كأنها تعنى الموت - قال : فإن لم تجد ينسى فأت أبا بكر .) (٢)

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جلس على المنبر فقال : (عِدَّ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ

(١) وقال للخارجى الحرورى : أما أنتم فتمروون عن قتل النساء والوالدان ، وتستحلون دماء المسلمين !

ثم قال للمرجى : أما أنتم فأحق الثلاثة ، لأن الرافضة والخوارج يزعمون أنكم فى النار ، وأنتم تشهدون أنهم فى الجنة !
(الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد ١٤ / ٢٧٧) .

(٢) صحيح البخارى - باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم - باب فضل أبي بكر - بعد النبى صلى الله عليه وسلم ٥ / ٥)
(وصحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر المدينى - ١٨٥٦ / ٤) رقم الحديث ٢٣٨٦ ، واسم الراوى : جبير بن مطعم رضى الله عنه ، واللفظ لمسلم

زهرة الدنيا ، وبين ماعنده ، فاختر ماعنده ، فبكى أبو بكر ، وقال :
فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان
أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ أَمَّنَّ النَّاسَ طَيْبِي
فِي مَالِهِ وَصَحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ
أَخْشَوُةَ الْإِسْلَامِ ، لَاتَّبَعِينَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ " (١)

وقد ذكر العلماء أن في هذا الحديث ورواياته الكثيرة إشارة إلى خلافة
الصديق - رضی اللہ عنہ - لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد ، لشدة
احتياج الناس إلى ملازمته له للعلاوة بهم وغيرها . (٢)

ومنها : ما روت عائشة أم المؤمنين رضی اللہ عنہا حين قالت : قال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه : " ادعى لى أبابكر وأخاك ،
حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متنى ويقول قائل : أنا أولى ، وأبى
الله والمؤمنين إلا أبابكر " (٣)

كما روى عن علي بن أبي طالب - رضی اللہ عنہ - كلام صريح في تفضيل
أبي بكر وعمر وعثمان عليه ، وفي هذا إبطال لدعوى الإمامة ، وردّ لمزاعم الشيعة
في ذلك .

يقول محمد بن الحنفية - رحمه الله : قلت لأبي : أى الناس خير بعد
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟

(١) صحيح البخارى - باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - باب فضل
أبي بكر - (٤ / ٥) .

(٢) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر ٤ / ١٨٥٤ -
رقم الحديث (٢٣٨٢) واللفظ له .

(٣) ابن حجر الهيتمي - الصواعق الحارقة - (٢٢) .

(٤) صحيح مسلم - فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر الصديق -

٤ / ١٨٥٧ - رقم (٢٣٨٧) ، ويضاف إلى هذه الأحاديث أمره صلى الله
عليه وسلم أبابكر أن يعلى بالناس ، ويقوم مقامه في أمور الدين .

(البخارى : كتاب الصلاة - باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ١ / ١٧١)

(مسلم : كتاب الصلاة - باب استخلاف الإمام إذا مرض له ذكر - ١ / ٢١٢)

رقم (٩٤) .

فقال : أبو بكر ، فقلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وخشيتُ أن يقول : عثمان
فقلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا واحد من المسلمين . (١)

وخطب طيِّ منبر الكوفة فقال : ألا إن خير الناس بعد رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - أبو بكر ثم عمر ، ولو شئتُ أن أخبركم بالثالث لأخبرتكم ، ثم
نزل من طي المنبر وهو يقول : عثمان ، عثمان . (٢)

ولم يكتفِ رضى الله عنه بهذا البيان فهَدَدَ كُلَّ من قَدَّمه طي الشيخين بالجلد
حدًّا لاتعزيراً ، وفي ذلك ما يدلُّ على أنه يُحْتَبَرُ التَّفْضِيلُ على أبي بكر وعمر
افتراءً وبهتاناً يقاس بالقذف ، فجعل عقوبته حدَّ الفرية
يقول رضى الله عنه : لَا يُفْضَلُنِي أَحَدٌ على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدًّا
المفتري . (٣)

وأنكر الإمام يحيى بن سعيد القطان على الشيعة دعواهم الإمامة وتفضيلهم
عليماً على أبي بكر وعمر - رضى الله عنهم - بقوله : لم أرَ أحداً من العلماء
الذين يُحْتَدُّ بقولهم من أئمة أهل السنة وطما أهل البيت من يقدم عليهم على
أبي بكر وعمر ، أو يشكُّ في تفضيلهما عليه . (٤)

وأكدَّ الإمام أبو حنيفة مذهب السلف في هذه المسألة ، وبين اعتقادهم
فيها فقال :

اطمأنا - أصحابي واخواني - أن مذهب أهل السنة والجماعة مبنيٌّ على

(١) صحيح البخارى : باب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وفضل
أبي بكر (١ / ٥) .

(٢) مسند احمد : ١٢٥ / ٢ عن طي بن أبي طالب نحوه .

(٣) رسالة في الرد على الرافضة للمقدسى - ص ٢٩٧ .

(٤) المواقيع المحرقة للبهيمى ص ٦٨ .

وقد روى عن طي قوله : (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر) أكثر
من ثمانين وجهاً . انظر (ابن تيمية - الفتاوى ٤ / ٤٠٦) .

(٢) (أبو نعيم - الحلية ٨ / ٣٥٩) و (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ٤ / ١)

(٣) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٢ / ٢٧٩ - ٤ / ٢٠٦)

(٤) (المقدسى - الرد على الرافضة ص ٢٩٧) و

(٤) (الذهبي - سير أعلام النبلاء - ٥ / ٤٧٣) .

انتى عشرة خصلة فمن استقام طيها لا يكون مبتدعاً ولا صاحب هوى ، فاثبتوا -
أصحابي وإخواني- على هذه الخصال ، وأولها الإيمان - وسرد بقية الخصال
إلى أن قال : ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم
أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ - رضى الله عنهم أجمعين . (١)

وجهر أبو حنيفة بأحقية أبي بكر بالخلافة قبل عليّ - رضى الله عنهما -
أمام الرافضة واحتجّ لذلك بأسلوب ذكيّ حير به خصمه .

فقد جاءه رجل رافضى وقال له : يا أبا حنيفة ، من أشدّ الناس ؟
فقال أبو حنيفة : أما عليّ قولنا ، فأشدّ الناس عليّ بن أبي طالب ، وأمّا
عندكم فهو أبو بكر الصديق ، ف

فقال الرافضى : هذا مقلوب !

فقال أبو حنيفة : نحن نقول : أشدّ الناس عليّ ، لأنه علم أن الحقّ
لابى بكر صلّمه له ، وأنتم تقولون : كان الحقّ لعليّ ، ولكن أبا بكر أخذه
منه ، ولم يكن لعليّ قوة لاسترداده منه ، فصار أبو بكر قاهراً ، أيّاه ، فتحبس
الرافضى وخسج . (٢)

وهكذا يجعل أبو حنيفة رحمه الله ترتيب الخلفاء الراشدين من حيث
الأفضلية - عليّ حسب ترتيبهم فى الخلافة - من خصال أهل السنة والجماعة
التي يتميزون بها عن غيرهم من شواذ الفرق ، كما يمتدح عليّاً رضى الله عنه
حين أدرك أحقية أبي بكر رضى الله عنه بالخلافة ، فبايعه ، وكان له نعم الوزير
والنصير .

وهذه المواقف من أبي حنيفة فى بيان مذهب أهل السنة ، وفى ردّه على
الرافضى تعتبر إبطالاً لما ينادى به الشيعة ، من مبدأ الإمامة ،
ونقياً لله .

(١) (المقدسى - الرد على الرافضة ص ٢١٢) .

(٢) (محمد بن يوسف المالحي - فتوح الجمان - ص ٢٧٧) .

وتصدى القاضى شريك بن عبد الله لبعض الرافضة وأثبت لهم من كلام طلى
ابن أبى طالب - رضى الله عنه - أن أبابكر خير هذه الأمة بعد نبيها
- صلى الله عليه وسلم - ثم عقب قائلاً :
فكيف نردّ قوله ! وكيف نكذبُ ! والله ما كان كذاباً . (١)

وكذلك فعل مالك بن أنس رحمه الله حين سأله الخليفة أبو جعفر المنصور عن
أفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأجابه : أبو بكر وصهر ،
فصوّب الخليفة قوله وقال : وهذا رأي أمير المؤمنين . (٢)

وأشار مالك إلى أفضلية أبى بكر وصهر طلى من سواهما من الصحابة فسى
ردّه طلى سؤال الخليفة هارون الرشيد حين سأله عن منزلة الشيخين من النبى
صلى الله عليه وسلم فقال : منزلتهما فى حياته كمنزلتهما بعد موته . (٣)

بمعنى أنهما كانا أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
كان حيّاً ، كما أصبحا أقرب الناس إليه بعد موتهم ، إشارة إلى قرابتهما الظاهر
منه صلى الله عليه وسلم حيث دُفنا معه فى حجرة واحدة .

وجاء الإمام الشافعى رحمه الله لينصّ بوضوح طلى أن الإمام الحق بعد رسوله
صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر رضى الله عنه ، ثم يسلسل الأحقية على الوجه
الذى أراداه الله فى الترتيب الزمنى لهم ، ويذكر ذلك الأدلة ، ليكون كلامه
أبلغ فى الردّ طلى أفكار الإمامة عند الشيعة .

يقول رحمه الله : أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ،
ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم طلى - رضى الله عنهم - ، والإمام الحق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر - رضى الله عنه - .
والدليل عليه : إجماع الصحابة على إمامته ، وانقيادهم له من آخرهم ،

(١) (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ٤ / ١) .
(٢) (السيوطى - تاريخ الخلفاء - ص ٢٦٣) .
(٣) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٤ / ٤٠٣) .
و (المقدسى - رسالة فى الرد طلى الرافضة ص ٢٩٥) .

وإطباقهم على خطابهم له بالخلافة ، فقالوا بأجمعهم : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما حصل عليه الإجماع لا يكون إلا حقاً ،

والإمام الحق بعد أبي بكر الصديق رضی الله عنه : عمر بن الخطاب - رضی الله عنه - .

والدليل عليه : أن أبا بكر - رضی الله عنه - نعى على أنه خليفة بعده ، ومهد إليه ، ثم أجمعت الصحابة - رضی الله عنهم - من غير تنساز ولا اختلاف ، وخاطبوه : يا أمير المؤمنين ، وانقادوا له .

والإمام الحق بعد عمر - رضی الله عنه - : عثمان - رضی الله عنه - : جعل أهل الشورى اختيار الإمامة إلى عبدالرحمن بن عوف ، واختياره لعثمان ، وإجماع الصحابة - رضی الله عنهم - وصوّبوا رأيه فيما فعله ، وأقام الناس على محبة الحق ، ووسط العدل إلى أن استشهد - رضی الله عنه -

والإمام الحق بعد عثمان - رضی الله عنه - : علي بن أبي طالب - رضی الله عنه - .

ثبتت إمامته ببيعة كبار الصحابة - رضی الله عنهم - ورضى الباقين به ، ولم يجدوا من أحد منهم أنه يرجع بالقدح إلى إمامته ، واستقام في خلافته ، ولم يظلم بشيء من أفعاله ، ولم يرجع من سنن العوالم في أقواله . (١)

وصرح الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - بأفضلية أبي بكر على من سواه من الصحابة ثم الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الخلافة ، وقال : وهم خلفاء راشدون مهديون ، ثم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمسند هؤلاء الأربعة خير الناس . (٢)

ومن كلام الشافعي وتلميذه أحمد رحمهما الله تعالى - يتضح السرور

(١) (المقدسي - رسالة في الرد على الرافضة ص ٣١٨ - وما بعدها) .

(٢) (ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة ١ / ٣٠) .

الحاسم على تقديم طيّ - رضى الله عنه - فى الإمامة طى الخلفاء الثلاثة ، حيث يستدل الشافعى بالإجماع القاطع ، والاتفاق الثابت طى خلافة العديق ومحتبهاشم الفاروق ، ثم ذى النورين ، ثم ابن عمّ المصطفى طيه الصلاة والسلام

(ز) (نَقَضُ مَبْدَأِ " التَّقِيَّة ") : والتقية أصلها : تخليص النفس من الأذى والضرر بكلام يخالف الحق الذى يعتقدّه المؤمن ، ويكون عند الضرورة ، ويقدر بقدرها ، وهى رخصة لمن لم يقو على الثبات والجهـر بالحق . (١)

وقد وردت فى القرآن الكريم على أنها رخصة يلجأ إليها عند الضرورة ، يقول الله تعالى :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة * ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير) (٢)

لكن الشيعة ذهبوا فى (التَّقِيَّة) مذهباً آخر ، فهى عندهم واجبة ، بل أساس الدين وقاعدة الايمان ، والذى لا تقية له لا ايمان له - فسبى زعمهم -

ونسبوا الى أئمة أهل البيت أقوالا فى وجوب التقية ، وأهميتها فى الدين ظاهرة الكذب والباطلان . (٣)

والشيعة يتكلمون بكل ما يهدون ، فاذا قيل لهم فى ذلك ، انه ليس بحق ، وظهر لهم بطلان قولهم أو فعلهم ، قالوا : انما قلناه تقية ، وفعلنا ساء تقية . (٤)

(١) انظر (النيابورى - غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣ / ١٧٨)
(وابنه الجوزي - زاد المسير فى علم التفسير ١ / ٣٧٤)

(٢) آية رقم (٢٨) من سورة (آل عمران)

(٣) (كتاب الكافى فى الأصول للكلىنى ٢ / ٢١٧ - وما بعدها)

(٤) (الشهرستانى - الملل والنحل ١ / ١٦٠)

وفسروا أفعال طيّ رضى الله عنه وبنيه من بعده التى تخالف ما يعتقد الشيعية
- طى أنها تَقِيَّة ، فسكوت طيّ - رضى الله عنه - طى خلافة الراشد يـــــــ
الثلاثة من قبله - عند الشيعية - تَقِيَّة ومخالفة الحسن بن طيّ - رضى
الله عنهما - معاوية - رضى الله عنه - كان تقيّة .

ولكن علماء السلف وأئمة السُّنة ردوا طى هذه المشكلة ، ونقضوا
هذا المبدأ الشيعى فبينوا أولاً معنى كلمة (تقاة) الواردة فى القرآن -
الكريم .

يقول عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - : التقاة : التكمم باللسان ،
والقلب مطمئن بالإيمان ولهمت التقيّة بالعمل ، وإنما هى باللسان . (١)

ويؤيده قول الله تبارك وتعالى : " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ
أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ " . الآية . (٢)

فالتقيّة لا تجوز إلا عند الإكراه ، وأحمد بن حنبل رحمه الله يذكر روايتين
فى الإكراه المبيح لذلك :

الأول : **أَنْ يُظَاهَرَ الْمَكْرَهَ طَى نَفْسِهِ أَوْ طَى بَعْضَ أَعْضَائِهِ التَّلْفُ ، إِنْ لَمْ يَفْعَلْ
مَّا أُمِرَ بِهِ .**

الثانية : **أَنَّ التَّخْوِيفَ لَا يَكُونُ إِكْرَاهًا حَتَّى يَقْتَرِنَ بِبَعْضِ الْعَذَابِ ، أَوْ مَا يَهْدِلُ
طَى إِمْكَانٍ وَقَوَعِ الْمَكْرَهِ طَيْهِ ، وَإِذَا ثَبِتَ جَوَازُ التَّقِيَّةِ ، وَأَنَّهُ يُرَخَّصُ
بِهَا عِنْدَ الْإِكْرَاهِ الطُّلُجِيِّ ، فَالْأَفْضَلُ أَنْ لَا يَفْعَلَ الْمُسْلِمُ هَذِهِ
الرَّخِصَةَ . (٣)**

ورد الإمام أحمد طى تقيّة الشيعية التى تقلب الحق باطلاً ، والباطل

(١) (العبرى - جامع البيان فى تفسير القرآن ٣ / ١٥٣)
(ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٥٧)
(٢) (آية رقم (١٠٦) من سورة (النحل))
(٣) (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى - ٤ / ٤٩٦)
(التفسير الكبير للرازى ٨ / ١٣) .

حقاً ، وتدع الناس حيارى لا يعرفون حقاً من باطل .
يقول رحمه الله : (إذا أجاب العالم تقيّة ، والجاهل بجهل ، فتسلى
بتبيهن الحق !) (١)

فكأنه يقول لأصحاب التقيّة : إن تقيتكم هذه لم تدع مجالاً لتقويهم
مواقف العلماء ومعرفة مناهجهم واتجاهاتهم ، كما زادت الجاهل جهلاً وحيرة ،
حيث لا يمكن له معرفة الحق لأن كل قول أو فعل - يمكن - في مذهب الشيعة -
أن يكون تقيّة ، وهذا تضليل وخداع لا يصلح أن يكون ديناً وخلقاً .

ولعل فكرة التقيّة كانت سبباً كبيراً في إلقاء صفة (الكذب) بالشيعة
حتى عرفوا بين الناس بالكذابين ، يقول الأضوى رحمه الله :
(أدركتُ الناس وما يُسمونُ الرافضة إلا الكذابين .) (٢)

وكان يزيد بن هارون - رحمه الله - يرى الكتابة عن المبتدع إذا لم يكن
داعية إلى بدعة ما عدا الرافضة ، فلا يكتب عنهم أبداً ، لأنهم أهل تقيّة وكذب .
يقول رحمه الله : (يُكْتَبُ عن كل مبتدع - إذا لم يكن داعية - إلا الرافضة
- فإنهم يكذبون) (٣)

ونهى الإمام مالك بن أنس عن تكليم الرافضة والرواية عنهم لأجل ذلك
فقال :
لَا تُكَلِّمُوا الرافضة ولا ترووا عنهم فإنهم يكذبون . (٤)

وقد أنكر عظماء أهل البيت فكرة التقيّة ، وهاجموا أصحابها ، ووصفوهم

(١) (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١ / ٣٧٤)

(٢) (ميزان الاعتدال للذهبي ٨ / ٢٧)

(٣) (الذهبي - ميزان الاعتدال ٨ / ٢٨)

(٤) (ابن تيمية - منهاج السنة ١ / ١٧) .

بالكذب والتضليل ويبنوا أنهم مخطئون في فهم التقية ، لأن معناها لا ينطبق على الكذب والنفاق الذي يتصف به أصحاب هذه الفكرة .

يقول الحسن العثني بن الحسن السبط - رضي الله عنه ^(١) - : أصحاب التقية إن شأؤوا صدقوا ، وإن شأؤوا كذبوا ، وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فسي (التقية) ولكم إِنْ التقية باب رخصة للمسلم ، إذا اضطر إليها ، وخاف من ذي سلطان ، أعطاه غير ما في نفسه ، يدرأ عن ذمة الله ، وليست باب فضل ، وإنما الفضل في القيام بأمر الله وقول الحق ، وإيم الله ، ما بلغ من التقية أن يجعل بها لعبد من عباد الله أن يُضِلَّ بها مباد الله ^(٢) .
فالتقية لا تسمح للإنسان أن يكذب متى يشاء ، مذهباً أن ذلك واجب ، ومطلوب ، لكنها في الحقيقة رخصة ، يفعلها المضطر ضد الخوف الشديد .

وجاء جعفر الصادق ليرد على مبادئ الشيعة ، ويتبرأ من تقيتهم فصرح بأنه لا يقول إلا ما في نفسه ، ولا يخفي في نفسه شيئاً يتناقض مع ظاهره ثم يبين ولائه لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وولائه آبائهم وأجدادهم لهما ويختتم كلامه بقوله : وإن كان في نفسي غير هذا ، فلا نالني شفاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - . ^(٣)

(ح) (ردّ بعض الأخطاء في الفروع) : ومن المشكلات التي واجهها الدعاة بالرد والنقض : نكاح المتعصبة .
فقد زعمت الشيعة أنه حلال ، ولم تكف بهذا الزعم ، بل قالت : هو

(١) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب : كان قليل الرواية مع صدقه وجماله قدره ، وكان من أشد الناس بغضاً للرافضة ، وكان من خيار أهل زمانه وهو يصلح للخلافة في طمعه وفضله وقدره ، توفي سنة تسع وتسعين ، وقيل : سبع وتسعين . انظر : (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٤/٤٨٣) .

(٢) (ابن عساكر - تاريخ ابن عساكر - ٤/١٦٥) .

(٣) (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٨) .

(ابن تيمية - النجوم الزاهرة - ٢/٩) .

(الصواعق المحرقة - ص ٥٢) .

ضرورة من ضرورات الدين ، وزادوا في الآيَة الكريمة وحرّفوها لتكون دليلاً لهم على ما ذهبوا إليه فقرأوا قوله تعالى :
(فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) (١)

هكذا : فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسمى - فآتوهن أجورهن

واستدلوا كذلك بأقوال مفتراة نسبوها إلى طمّاء أهل البيت - كذباً -
فنزوراً - (٢) .

ونكاح المتعة معناه : أن يتزوج الرجل المرأة مدّة بأجرٍ معينٍ . (٣)
فالنكاح يقتضى وجود الاقتران وبقائه واستمراره ، وشرط المدّة تتعارض
مع هذا المعنى .

لكن طمّاء السلف ردّوا على الشيعة ، وأثبتوا حرمة هذا النكاح وبطلانه وأجمعوا
على ذلك .

واستدل أئمة السنة بأدلة كثيرة ، تؤيد ما ذهبوا إليه ، وتبيّن فساد مذهب
الشيعة في هذه المسألة ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر هذه الأحاديث التي تردّ
على أصحاب المتعة ، رواها طيّب بن أبي طالب رض الله عنه .

يقول طيّب : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء
يوم خيبر ، وعن أكل لحوم السحمر الإنسية) (٤)

(١) آيَة رقم (٢٤) من سورة (النساء) .

(٢) (الملطى - التنبيه - ص ١٥٥) .

(٣) (المقدسى - رسالة في الردّ على الرافضة ص ١٠٦) .

(٤) (ابن قدامة - المغنى - ٦ / ٦٤٦) .

(٤) (صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة ١٠٢٧ / ٢ رقم الحديث
(١٤٠٧)) .

(وسند احمد عن طيّب بن أبي طالب - ١ / ٧٩) .

ويلخ طيباً أن ابن عباس يُلَيِّنُ في متعة النساء ، فقال له : (مهـسلاً
يا ابن عباس ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر ، ومن
لحوم الحمر الإنسية) (١)

وقد رجح ابن عباس - رضى الله عنهما - عن موقفه من متعة النساء ، وورد عنه
كلام يردّ فيه على القائلين بجوازها ، ويستدلّ على تحريمها بآية من كتاب
الله عز وجل ، وهذا الاستدلال يُعتبر من جملة المقاومة السنوية لهذه الفكرة
الشيعية .

يقول رضى الله عنه : إنما كانت المتعة في أول الاسلام ، كان الرجل

(١) (صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة ١٠٢٨/٢) .

- اختلف رواية حديث طي - رضى الله عنه - : هل قوله : عام خيبر توقفت
تحريم الخمر فقط أو له ولتحريم المتعة ؟

فالأول : قول سفيان بن عيينة وجماعة ، قالوا : إنما حُرِّمَت المتعة عام
الفتح .

والثاني : قول الشافعي وجماعة ، وأدعت طائفة ثالثة أنها أُجِلَّت بعد ذلك
ثم حُرِّمَت في حجة الوداع والروايات المستفيضة المتواترة متواطئة ،
على أنها حُرِّمَت بعد إحلالها ، ولم تُجَلَّ بعد أن حُرِّمَت ، وهذا
هو الصواب ، وأنها لما حُرِّمَت عام فتح مكة ، لم تُجَلَّ بعد ذلك .
ويرجح ابن تيمية وابن القيم تحريمها عام الفتح ، وأما عام خيبر
فقد حُرِّمَت لحوم الحمر الأهلية .

ولما كان ابن عباس يبيح المتعة وأكل لحوم الحمر أنكر عليه طي
ابن أبي طالب ذلك وقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم حَرَّمَ متعة النساء وحَرَّمَ لحوم الحمر يوم خيبر ، فقرن بينهما
في الذكر أمام ابن عباس لأنه كان يبيحها ، وروى عنه أنه رجح عن
ذلك لما بلغه حديث النهي عنهما .

انظر : (ابن تيمية - منهاج السنة ١٩٧/٢ - وما بعدها) .

وقد رُوِيَ النهي عن المتعة من روايات أخرى غير روايات طي بن أبي طالب ، فمن
الريبع بن سبرة الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
عن المتعة وقال : (ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة ، ومن كان
أعلى شيئاً فلا يأخذه) .

(صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة ١٠٢٧/٢) .

يُقدِّمُ البلدة ليس له بها معرفة ، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم ، فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه ، حتى نزلت هذه الآية :
(وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (١) ، قال ابن عباس - رضی الله عنهما - : فكل فرج سواهما حرام . (٢)

ويقول ابن عباس - رضی الله عنهما - تجتمع كلمة الصحابة والسلف طس في إبطال دعوى الشيعة وتفنيد زعمهم في جواز نكاح المتعة ومشروعته .

ويتلخص رد ابن عباس في بيان إباحة المتعة في أول الأمر لظروف طارئة ، ثم نسخ الجواز بالقرآن والسنة ، ففي الآية : (وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ . . . الآية .

فاستثنى الله حفظ الفروج في حالتين : مع الزوجة ، ومع ملك اليمين ، وحكم على كل حالة سواهما بالخروج عن الحد المشروع ، ومجازة الحلال الطيب وبين ابن عباس هذا بقوله : فكل فرج سواهما حرام .

وأكد السلف هذا الاستدلال مبينين أن نكاح المتعة لا يدخل تحت حالة من الحالتين ، لأن زوجة المتعة لا تتوفر فيها شروط الزوجة الشرعية ، من وجود الوالي والشاهدين في العقد ، ومن وقوع الطلاق واستحقاق الإرث ، فزوجة المتعة لا يتعلق فيها شيء من ذلك .

وكذلك فهي ليست ملك يمين من حيث الاسترقاق والتملك وإمكانية البيع وغير ذلك ، فالمتعة إذاً حالة ثالثة وراء ما أحل الله وشرع ، وفاعلها مسن العادين المتجاوزين لأحكام الشريعة .

(١) آية رقم (٢٩ - ٣٠ - ٣١) من سورة (المعارج) .

(٢) سنن الترمذی

فلو كانت زوجة المتعة زوجة شرعية لتوارث الزوجان ، ولوجب على الزوجة
هدية الوفاة ، ولحقها الطلاقُ الثلاث ، ولكن هذه الأحكام لا تنصل بنكاح المتعة
عند من يبيحه ، وانتفاؤه لوازم النكاح دليل على انتفاء النكاح الصحيح . (١)

ثم إنَّ عدَّة المتعة من باب استئجار بضع المرأة شناعةً يمجها الذوق السليم
وفيه تسهيل لعيشة الإباحة التي لا تتقيد بقيود ، ولا تتحمل عبء الزواج ، يضاف
إلى ذلك ما يستتبعه نظام إباحة المتعة من فساد المرأة واستهتارها ، وكسرة
الضحايا منهن ، لأنَّ استئجار المرأة أياماً وتركها يمرضها لأشدَّ أنواع الخطر ،
وهذا ما حدث فعلاً ، وضحَّ بالشكوى منه عقلاء فارس . (٢)

وردَّ الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد -
على نكاح المتعة الذي تمسك به الشيعة ودافعوا عنه ، وانقطع الخلاف باتفاق
الأئمة على تحريمه ، ولم يخالفهم في ذلك غير فقهاء الشيعة .

كما حذَّر طوائف السلف من كل شخص يرى جواز المتعة ، مهما بلغ من العلم
لأنه لو كان في العلم على منهج أهل السنة ، وطريقة السلف العالِم ، لعلم
طم اليقين تحريم هذا النكاح بما ورد فن النصوص الصحيحة والصرحة التي
نهت عنه .

وهذا جرير بن عبد الله الرازي يقول : رأيت ابن جريج (٣) ظم أكتب عنه
شيئاً ، لأنه كان يرى المتعة ، وقد أوصى بنيه بستين امرأة وقال : لا تزوجوا
بهنَّ فإنَّهنَّ أمهاتكم . (٤)

(١) (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ١٩٧/٢)

(٢) (لأحمد أمين - ضحى الإسلام ٢٥٩/٣)

(٣) هو عبد الله بن عبد العزيز بن جريج ، وقد سبقت ترجمته -

(٤) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٥٥/٧)

وحاول بعض أصحاب التشيع ممن يرى نكاح المتعة إقناع الخليفة المأمون بذلك ونجحوا في محاولتهم هذه ، وأمر المأمون رجلاً ينادي بجواز المتعة .

وظم العلماء والقضاة بهذه الفتنة التي أثارها الشيعة فحاولوا إطفاءها بحكمة والردّ عليها وإبطالها بالحجج والبرهان ، وجلس المأمون ذات يوم ، وحضر مجلسه العلماء والفقهاء ، فقال المأمون - وطلبه علامات الغضب - متعتان كانتا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وطلبى عهد أبيسى بكر ، وأنا أنهى عنهما !

ومن أنت يا أحول - يقصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حتى تذهبن عما فعله النبىّ - صلى الله عليه وسلم ، وجاء القاضى يحيى بسن أكثم^(١) - وهو حزين لما ظم من كلام المأمون وإيا حتمه محرّم الله ورسوله - فقال له المأمون : مالي أراك متخيراً ؟

قال : هو عمّ يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام !
قال : وما حدث فيه ؟

قال : النداء بتحليل الزنا !

قال : الزنا ؟

قال : نعم ، المتعة زنا ،

قال : ومن أين قلت هذا ؟ !

قال : من كتاب الله وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تعالى :
(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)^(٢)

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان ، من ولد أكثم بن صيفى التميمى : كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام ، ولاء المأمون القضاة ببغداد ، ثم قلده قضاة القضاة ، وتدبير أهل مملكته ، وكان سليماً من البدعة ، ناصراً لأهل السنة ، سئل عنه أحمد بن حنبل فقال : ما عرفناه ببدعة ، مات يحيى سنة ١٥٢ هـ بالريزة ، منصرفاً من الحج ، وقد بلغ (٨٣) سنة .

انظر : (تاريخ بغداد ١٤ / ١٩١) و (طبقات الحنابلة ١ / ٤١٢)

(وفيات الأعيان ٦ / ١٤٧) و (المنهج الأحمدي ١ / ١٠٥) .

(٢) آية رقم (١ - ٧) من سورة (المؤمنون) .

ياأمير المؤمنين : زوجة المتعة ملك يمين ؟

قال : لا

قال : فهي الزوجة التي ضاها الله ، تَرثُ وتُورثُ ، ويلحقُ بها الولدُ ، ولها
شرائطها ؟

قال : لا

قال : فقد صار متجاوز هذين من العاديين .

وهذا الزهري روى بسنده - عن علي بن أبي طالب قال : " أمرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كسان
أذنَ بها " (١)

فقال المأمون : استغفر الله ، نادوا بتحريم المتعة ، فنادوا بها . (٢)

وبهذه الحكمة الرفيعة وقف يحيى بن أكرم رحمه الله أمام الخليفة ناصحاً
ومنتقداً وناقضاً لفكرة من أفكار التشيع ، فأشمر نصحه ، وقبل نقده ، وحفظ
العلماء له موقفه ، وأنوا عليه فاثلين : لقد كان ليحيى بن أكرم في الإسلام
يوم لم يكن لأحد مثله ، وهو اليوم الذي نصح فيه المأمون ، حتى رجح عن قوله
في نكاح المتعة . (٣)

ولا ريب أن هذا الموقف هو أحد الأساليب التي واجه بها أئمة السلف
بدع التشيع وضلالاته ، ونجى الله الخليفة على يديه من مشكلة لو قد رلها
أن تستمر لكانت من الفتن الكبرى التي أصيب بها الإسلام ، ومُنِي بها أهل
السنة ، لكن حكمة الدعاة ، وجهودهم المتواصلة في نشر منهج السلف ، وقمع
البدع والانحراف ، قضت على الفتنة في مهدها وردت الخليفة إلى الحسنة
والصواب .

(١) صحيح مسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة - ١٠٢٧/٢ - ولغظه عن
الزهري عن الحسن وعبد الله ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي
طالب (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر ، وعن
لحم الحمر الأهلية) .

(٢) تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٩) و (طبقات الحنابلة ١ / ٤١٣) و (وفيات
الاعيان ٦ / ١٤٩) و (مرآة الجنان ٢ / ١٣٧) و (فوات الوفيات ٢ / ٢٣٨)
و (سمط النجوم العوالي ٣ / ٣١٨) و (الفكر السامي ٢ / ٧٨) .

(٣) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٩) .

ونجد استدلال القاضي متناسباً مع اتجاه الآمون العلمى ، وثقافته الواسعة حيث كان الاستدلال معتمداً على نعر من كتاب الله تعالى ، وقد استنبط منسسه القاضى حجة قوية فى إخراج نكاح المتعة من صور الزواج الحلال ، فلم يكن الدليل محتتماً بحيث لا يقوى على الإقناع ، أو لا يصلح للرد على هذه المشكلة ، بل كان صريحاً واضحاً قطعياً فى الثبوت والدلالة .

وهكذا ينبغى أن يواجهه الدعاة مشكلات الأمة بحكمة وبمهارة ودقة ، مع اختيار المنهج والأسلوب المناسبين ، بحيث يراعى الحال والمقام ويؤخذ فى الحسبان مكانة المدعى وثقافتهم ، وكل ذلك داخل فى الحكمة المطلوبة التى أمر الأنبياء وأتباعهم أن يتحلوا بها وهم يدعون الناس إلى الله تعالى .

أَمُّ الْفَضْلِ سَادَةٌ

مُقَاوِمَةٌ لِجَوْرِ النُّوَارِ

(الفصل الثانی)

(مقاومة الدعوة للخوارج)

أجد من المناسب قبل الحديث عن مقاومة الدعوة لمشكلة الخوارج أن ألقى الضوء على هذه المشكلة لنتعرف على أصل الفرقة وظهورها وأهم آرائها .

(٢) أصل الخوارج وبداية ظهورهم :

هناك روايات صحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنبئ بوضوح عن أصلهم الذي انحدروا منه ، وذلك أن رجلاً يدعى : عبد الله بن ذى الخويصرة^(١) ، تظهر منه هذه الفرقة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسمُ جا' عبد الله بن ذى الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله !

فقال : ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ! ؟

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : دعني أضرب عنقه

قال : ده ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في قُذذِهِ^(٢) فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نصلهِ^(٣) فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في

(١) عبد الله بن ذى الخويصرة التميمي ؛ ويقال له : ذوالخويصرة ، خاصم الزبير فأمر النبي صلى الله عليه وسلم باستيفاء حقه منه ، وأمر عمر بن الخطاب بقتال الهرمزان ، فاستولى على سوق الانواز ، ونزل بها ، ثم شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقتل فيمن قتل يوم النهروان ، سنة (٢٧) هـ ، وفي سيرته اضطراب . (الإصابة - رقم (١١١١-١١٦٩) (٢) قذذة : القذة : بالضم ريش السهم وجمعه قذذ ، يقال : سهم عليه القذذ ، (٣) نصله : النصل : حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن مقبض وجمعه أنصل ونصال ونصول (٥٧/٤ - القاموس - مادة النصل)

(١) نَفِيْهِ فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل إحدى يديه - أو قال ثدييه - مثل ثدي المرأة ، أو قال : مثل البُضْعَةِ تَدْرُدَر (٢) يخرجون على حين فرقة من الناس ، قال أبو سعيد :
 أشهدُ سمعت من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأشهد أن طيباً قتلهم وأنا معه ،
 جى بالرجل طى النعت الذى نعته النبي صلى الله عليه وسلم .
 قال : فنزلت فيه : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الْعَدَقَاتِ " الآية (٣) (٤)

وروى جابر بن عبد الله - رضى الله عنه (٥) هذه الحادثة فيبين بعض ما أجمل
 فى رواية أبي سعيد - رضى الله عنه - فيقول :
 " أتى رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجررانسة (٦) منصرفه من حنين
 وفى ثوب بلال (٧) فضة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبض منها يحطس
 الناس ، فقال :

- (١) نَفِيْهِ : النَّصِي : كَغَنِي السَّهْمِ بلا نعل ولا ريش ، ومن الرَّحِمِ ما فوق المقبض من صدره والحنق (٢٩٦/٤ - القاموس - مادة نضاه) .
 (٢) مثل البُضْعَةِ تَدْرُدَر : البُضْعَةُ بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم (القاموس ٥/٣ - مادة البضع)
 وتَدْرُدَرْتُ اللحم : اضطريت (القاموس مادة الدرد ٢٨ / ٢) .
 (٣) آية رقم (٥٨) من سورة التوبة () .
 (٤) (صحيح البخارى - كتاب استتابة المرتدين - باب من ترك قتال الخوارج ، للتألف ولئلا ينفر الناس - ٢١/٩) .
 (صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم - ٧٤٤ / ٢) .
 (٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى السلمى ، صحابى من الكثيرين فى الرواية ، وروى عن جماعة من الصحابة ، له ولا يبه صحبة ، فسزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى أواخر أيامه حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم (الإصابة لابن حجر ٢١٣/١) .
 (٦) الجِجْرَانِسَةُ : بكسر الجيم وسكون العين ، وقد تكسر العين وتشدد الراء ، وقال الشافعى : التشديد خطأ : بين مكة والطائف (القاموس المحيط ٣٩١ / ١ - مادة الجعسر) .
 (٧) بلال بن رباح : الحبشى أبو عبد الله مؤذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخازنه طى بيت ماله وأحد السابقين للإسلام ، كان شديد السمرة نحيفاً طويلاً خفيف العارضين له شعر كثيف شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أذن بلال ولم يؤذن بعد ذلك ، وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام فسار معهم وتوفى فى دمشق سنة عشرين للهجرة .
 (طبقات ابن سعد ١٦٩/٢) (وصفوة الصفوة ١٧١/١) (وفیات الأئمان ٧٠/٣)

يا محمد اعدل
قال : ويلك ! ومن يعدل إن لم أكن أعدل ! ؟ لقد خبتُ وخسرتُ
إن لم أكن أعدل

فقال صر بن الخطاب - رضى الله عنه : دنى يارسول الله فأقتل هذا
المنافق

فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى
إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم
من الرميّة . . (١)

وفى رواية أخرى : " إنّ من ضئفى هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز
حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام
كما يمرق السهم من الرميّة ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد . . (٢)

ونستخلص من الروايات المتقدمة ما يفيد أن أصل الخوارج ذو الخويصرة
الذى اعترض على النبي - صلى الله عليه وسلم - فى قصة الأموال على الناس ،
ويحتر هذا الاعتراض هو مبدأ الطعن فى السنة المطهرة بالظن والبهوى ، كما
طعن إبليس فى أمر ربه برأيه وهواه . . (٣)

وأن الخوارج كانوا أصحاب عبادة ، لكنها عبادة جوفاء لا خشوع فيها ولا تدبير
لمعانيها ، وأيضا فهم أصحاب فكر منحرف جعلهم يذبحون المسلمين ، ويستحيون
المشركين لمخالفة الأولين لخلالهم ، واستجارة الآخرين بهم ، والله عز وجل
يقول :

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ
مَأْمَنَهُ الْآيَةُ (٤)

(١) صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم - ٧٤١ / ٢ - رقم
(١٠٦٤) .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم - ٧٤١ / ٢ - رقم
(١٠٦٤) .

(٣) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٢ / ٢٥٠) .

(٤) آية رقم (٦) من سورة (التوبة) .

فهم لهذا ولغيره مارقون من الدين ، مقصودون بوعيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم بأنه إن أدركهم ليقتلنهم قتل عاد .

وأما ظهور الخوارج وخروجهم عن الجماعة فكان في معركة (صفين) حين رفع جيش معاوية - رضی اللہ عنہ - المصاحف طالبين تحكيم كتاب الله ، واستجاب فريق من جيش علي - رضی اللہ عنہ - وطلبوا منه قبول التحكيم وإيقاف المعركة . فقال لهم : أنا أعلم بما في كتاب الله ، انفروا اليهم ، فأصروا على رأيهم ، فاستجاب لذلك وهو كاره ، ثم إنهم ناقضوا أنفسهم ، فاعترضوا على تحكيم الرجال قائلين : لا حكم إلا لله ، طالبين من علي - رضی اللہ عنہ - التوسعة والرجوع عن التحكيم .

فقال علي - رضی اللہ عنہ : قد أردتكم على ذلك فعميتوني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً ، وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهداً ، وقد قال الله تعالى :

” وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا تَاهَدْتُمْ ” (١)

فقالوا : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه

قال علي - رضی اللہ عنہ - ما هو ذنب ، ولكن عجز عن الرأي ، وقد نهيتكم . قالوا : لكن لم تدع تحكيم الرجال لناقلتك ، مبتغين بذلك وجه الله تعالى قال : يؤسأ لكم ما أشقاكم ، ثم تركهم .

فصاروا كلما خطب أو تكلم نادوا بشعارهم (لا حكم إلا لله) فيقول طيس : (الله أكبر) كلمة حق أريد بها باطل ، ولما رجع من صفين فارقه أولئك الناس ، ولم يدخلوا معه الكوفة ، وإنما أتوا " حرورا " وكانوا قريباً من اثني عشر ألفاً ، ومينوا أميراً للقتال ، وأميراً للصلاة . (٢)

(١) آية رقم (٩١) من سورة (النحل) .

(٢) الطهري - تاريخ الأمم والملوك ٢٢/٦

و (ابن الأثير - الكامل في التاريخ ١٦٥/٣) .

و (ابن كثير - البداية والنهاية ٣٠٥/٧) .

و (ابن خلدون - كتاب العبر - ١٤١/٣) .

و (الشهرستاني - الملل والنحل ١١٤/١) .

وَعَرَفُوا مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ بِـ (الْخَوَارِجِ) لِخُرُوجِهِمْ عَلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ :
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، كَمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِمْ (الْحُرُورِيَّةُ) لِتَنْزُولِهِمْ
بِحُرُورٍ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَسُمُّوا أَيْضًا بِـ (الْمُحَكَّمَةِ) لِإِنْكَارِهِمُ الْحَكِيمِينَ
وَقَوْلِهِمْ : (لَأَحْكُمُ إِلَّا لِلَّهِ) ، وَأُطْلِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ (الشُّرَاةُ) قَائِلِينَ :
إِنَّا شَرِينَا أَنْفُسَنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، آي : بِعِنَاهَا بِالْجَنَّةِ .

وسأهم المسلمون (العارقة) لمروقهم من الدين ، ولكونهم المقصود بمن
يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق : " يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية)

والخوارج يرضون بجميع هذه الألقاب إلا العارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا
كذلك . (١)

ب) تَكْوِينُ الْخَوَارِجِ وَطَائِفَهُمْ :

يتكون الخوارج من العرب ، وبخاصة البداة منهم ، ثم انضم إليهم قبائل
العصر العباسي بعض الفرس ، وأعداد كبيرة من البربر في أفريقيا والمغرب ،
ومعظم القرائن تدل على أنهم انطلقوا في اتجاههم ، منحرفين عن السنة خارجين
على الجماعة بعد قضية التحكيم ، وطائفتهم - على ما يبدو - سياسي مبنية على
معاداة معاوية وجيشه ثم معارضة التحكيم ومن رضى به .
لكنهم صبغوا هذا الاتجاه بالصبغة الدينية ، ونحطوا بالشعارات الخادعة
أي : أن الخوارج لم يقفوا عند قضية التحكيم ، بل اتسعت دائرة تدخلهم
فشملت كثيراً من أمور الدين المتعلقة بالخلافة والمعصية والتكفير والخلود في
النار .

فتطرفوا في الدين ، كما تطرفوا في السياسة ، فضلوا عن الحق بمخالفتهم
السنة وخروجهم على الجماعة ، وظنوا أنهم أصحاب الحق والهداية ، وأنهم

(١) (الأشعري - مقالات الاسلاميين ١/١٠٦) .

أحزوها دون سائر الناس ، في الوقت الذي كانوا فيه أبعد عن الهدى -
والصواب ، وكانوا ممن شملهم قول الله تعالى :
" قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا " (١)

(ج) فِرْقُ الْخَوَاجِ وَأَرَاؤُهُمْ :

لقد كان أمراً طبيعياً أن ينقسم الخوارج على أنفسهم ويختلفوا فـسـى
الوسائل التي يتبعونها ، والأساليب التي يستعملونها ، والأفكار التي ينادون
بها ، ويبدو أنهم كانوا يقصدون من وراء أفكارهم أهدافاً سياسية تتعلق بالحكم
والخلافة ، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً غير الطعن في الخلفاء الراشدين ،
ونسبتهم إلى الضلال والكفر .

ولعل حركتهم وخروجهم كان نوعاً من النقمة البدوية على ما استأثر به
القرشيون من الحكم والغنائم وغيرها ، فمر أن الفكر السياسي مالم يثبت أن دفع
بهم إلى خلاف في صلب الدين يتناول العقيدة والأحكام ، فخرجوا بين الدين
بالسياسة ، وخلطوا بين الحكم والعقيدة ، واعتقدوا أن العمل جزء من الإيمان
فكفروا مرتكب الكبيرة رغم إيمانهم ، وتطرفوا في الدين كما تطرفوا في السياسة
ورموا بالكفر كل من يخالفهم في آرائهم ، ويحتقد خلاف ما يعتقدون .

وانقسموا إلى فرق كثيرة زادت على العشرين وهي :

المحكمة الأولى (٢) ، والأزارقة (٣) ،

(١) آية رقم (١٠٣ - ١٠٤) من سورة (الكهف) .
(٢) المحكمة الأولى : وهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب حين جرى أمر
الحكمين ثم اعتزلوه في حرورا من ناحية الكوفة ، أولهم ذو الخويصرة ، وآخرهم
ذو النديبة : انظر (الفرق بين الفرق ص ٧٤) و (الملل والنحل ١ / ١١٥)
(أصول الدين للبغدادي ص ٢٢٢) (التبيين للاسفرابيني ص ٢٦) .
(٣) الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق من بني حنيفة ، وهم أكثر الخوارج عدداً ،
وأشدهم شوكة ، وقد حاربهم المهلب بن أبي صفرة حتى فرغ منهم أيام
الحجاج (الفرق بين الفرق ص ٨٢) و (التبيين ص ٢٩) (الملل والنحل ١ / ١١٨)

والنجادات^(١) ، والصفرية^(٢) ، والمجاردة^(٣) ، وتنقسم المجاردة إلى فرق :
كالخازمية^(٤) والشعيبية^(٥) ، والمعلتية^(٦) ، والشعالبية^(٧) ، وتفترق الشعالبية
فرقاً^(٨) ، وتفترق الخازمية فرقتين^(٩) ، ولهم فرق أخرى غير ما ذكر . (١٠)

(١) النجديات : أتباع نجدة بن عامر من بضي حنيفة ، وقد انقسم أتباعه بعد موته
إلى فرق كثيرة (الفرق بين الفرق ص ٨٧) و (التبصير ص ٣٠) و (مقالات
الاسلاميين للأشعري ١ / ١٧٤) و (اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين للرازي
ص ٤٦) .

(٢) الصفرية : أتباع زياد بن الأصغر ، انظر (الفرق بين الفرق ص ٩٠)
و (التبصير ص ٣١) و (مقالات الاسلاميين ١ / ١٦٩) .

(٣) المجاردة : أتباع عبد الكريم بن عجرد وكان من أتباع عطية بن الأسود الحنفي ،
ثم كون فرقة لنفسه وافترقت المجاردة فرقاً كثيرة .
انظر (الفرق بين الفرق ص ٩٤) و (التبصير ص ٣٢)

(٤) الخازمية : وهم أكثر مجاردة سجستان ، وقد خالفوا أكثر الخوارج في الولاية
والعداوة ، وقالوا : هما صفتان لله تعالى ، وكفروا عثمان وطبأ والحكمين ،
انظر : (الفرق بين الفرق ص ٩٤) و (التبصير ص ٣٢)

(٥) الشعيبية : من المجاردة ، وزعيمهم شعيب وكان قد نازع رجلاً من الخوارج
اسمه ميمون ، طى مال فقال شعيب : أعطيكه إن شاء الله ، فقال له ميمون :
قد شاء الله ذلك الساعة ، فقال شعيب : لو شاء ذلك لم أستطع منك إيساء ،
فافترقت المجاردة بين شعيب وميمون . (الفرق بين الفرق ص ٩٥) ،
(التبصير ص ٣٢) .

(٦) المعلتية : من المجاردة أتباع صلت بن عثمان وقيل صلت بن أبي الصلت ،
وكان من المجاردة ، ثم خالفهم في بعض الآراء . (الفرق بين الفرق ص ٩٧)
و (التبصير ص ٣٣) .

(٧) الشعالبية : أتباع ثعلبة بن مشكان ، ويدهون إمامته بعد عبد الكريم عجرد ،
وقد اختلفوا إلى فرق كثيرة كالمعبدية والأخنسية والشيبانية .
(الفرق بين الفرق ص ١٠٠) و (التبصير ص ٣٣)

(٨) ومن فرق الشعالبية : الأخنسية والمعبدية والرشيديّة والمكرمية .

(الفرق بين الفرق ص ١٠١-١٠٢) و (التبصير ص ٣٣-٣٤) .

(٩) وهما : المعلومية والمجهولية : انظر : (الفرق بين الفرق ص ٩٧) ،
و (التبصير ص ٣٣) .

(١٠) ومن فرق الخوارج الأخرى : الشيبية أتباع شيب بن يزيد الشيبانسي ،
والحمزية أتباع حمزة بن أكرك ، وإلإاضية : أتباع عبد الله بن إياض .
وتنقسم الإياضية إلى فرق منها الحفصية والحارثية والميمونية وإلإيراهيمية ،
والباقية والبيهسية واليزيدية ، وفيهم غلاة مارقون ، وكهلم متفقون طسى
تكفير من خالفهم . انظر : (الفرق بين الفرق ص ٧٢-٩٨-١٠٥ -

١٠٧-١٠٨ وما بعدها) و (التبصير ص ٣٣-٣٥) .

و (مقالات الاسلاميين ١ / ١٨٣) .

(د) أَبَسُّزُ بَدِّهِمْ :

وقد ابتدعت الخوارج على اختلاف فرقها بدعاً كثيرة فكفرت بعسفسُ
فرقهم ، كالمحكمة الأولى وغيرها عثمان وطياً ، ومعاوية وأصحابهم ، وأصحاب
الجمال والحكمين ، بل واعتبروا كل من خالفهم من الأمة كافرين .

ونصر الأزارقة على كفر أصحاب الذنوب ، وأنكروا رجم المحسن ، وغير ذلك .
وأسقطت النجدات حد الخمر ، وجعلوا الإصرار على الصغيرة كالنظر شركاً ،
وأوجبوا الملاحة على الحائض حال حيضها .

وأباحت الميمونية نكاح بنات البنات وبنات البنين ، وأنكروا أن تكون مسورة
(يوسف) من القرآن .

واعتقدت الهزديسة أن شريعة الاسلام ستنسخ على يد نبي من العجم .

وقالت الإباضية : إن من خالفهم براء من الشرك والإيمان ، لكنهم كفار .

وأجمعت الخوارج بجميع فرقها على إكفار طيِّ عثمان وأصحاب الجمال والحكمين
ومن رضيّ بهما ، وطى الخروج على السلطان الجائر .

وأما دعوى إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب فغير مسلمة ، لأن بعسفس
فرقهم كالنجدات لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم ، ويعتبرونهم كفار نعمة
مع أن أكثر فرقهم يكفرون أصحاب الذنوب . (١)

ولعل القائلين بإجماع الخوارج على تكفير مرتكب الذنوب كانوا يقصدون -
بتكفير المخالفين لهم . والله أعلم .

(١) انظر : (الفرق بين الفرق ص ٧٣ - ٨١ - ١٠٣ - ١٧٩ - ٢٨١) .

• والتبصير ص ٢٦ - ٢٩ وما بعدها) .

• ومقالات الاسلاميين ١ / ١٦٧ / ٠٠) .

• والملل والنحل للشهرستاني ١ / ١١٤) .

• واعتقادات فرق المسلمة بين والمشركين للرازي ص ٤٦) .

• والارشاد للجوهرى ص ٣٨٥) .

• ولباب العقول لله كلالتى ص ٣٩٠) .

• ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢ / ٢٧٩ - ٣٥٥) .

• وفتح الباري لابن حجر ١٢ / ٢٨٥) .

(هـ) أساليب مواجهة الدعوة للخوارج :

إن المتتبع لموقف الدعاة من الخوارج يجد أنه يتنوع إلى مقاومة بالكلمة والحجة ، وإلى مقاومة بالسيف والجهاد .
أما المقاومة بالكلمة فقد جاءت في أشكال شتى : منها ما هو إجمالي ، ومنها ما هو تفصيلي ، وسوف أوضح بين أيدي الباحثين صورة لجهود الدعاة في مضمار الردّ بالقول إجمالاً وتفصيلاً ، ثم أعقبه بالردّ عن طريق السيف والجهاد - إن شاء الله تعالى -

(١) المقاومة بالكلمة :

جاءت مقاومة أهل السنة للخوارج على نوعين :
مقاومة إجمالية ، تعدى فيها الدعاة لتلك الفرقة بالمناظرة والمجادلة بالنسي هي أحسن ، ولم تأخذ المناظرات جانباً معيناً من جوانب مذهبهم بل كانت عامة شاملة لكل انتقاداتهم وملاحظاتهم ، حيث ردّ عليها الدعاة بحكمة وروية ، ومقاومة تفصيلية ردّ فيها الدعاة على أفكار الخوارج فكرة فكرة .
وأول من واجههم وقاومهم أمير المؤمنين طيّب بن أبي طالب - رضي الله عنه - فإنه لما خرجوا عليه بعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ليهدّئهم ، ويطفي غضبهم ، فناظرهم ابن عباس ، وأجاب على شبهاتهم ، فرجع فريق منهم إلى الحق ، وانضموا إلى الجماعة .
ثم أتاهم طيّب رضي الله عنه فناظره فيها خالفوا فيه فردّ عليهم بالعلم والحكمة حتى أرجع منهم ثمانية آلاف إلى الحق والجماعة ، وأصرّ أربعة آلاف منهم على الخروج والمخالفة . (١)

(١) انظر : (الفرق بين الفرق - ٧٨ - ٨١) و (الكامل لابن الأثير - ١٧٢/٢) و (مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨٢/٢) و (البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٦ / ٧) .

وممن ناظرهم وتصدى لهم : عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ^(١) ، فأبطل آرائهم ودافع عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويراها عثمان رضى الله عنه مما انتقدوه به . ^(٢)

وسلك الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله مع الخوارج أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولما ناظره جادلهم بالتى هى أحسن ، فكتب إلى عامله على الكوفة أن يدعو الخارجيين على الجماعة إلى العمل بكتساب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وكتب عمر إلى زعيمهم : بلغنى أنك خرجت غضباً لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولست أولسى بذلك منى ، فهلم إليّ أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وإن كان فى يدك نظرنا فى أمرك ، فكتب الخارجى إلى عمر : قد أنصفت وإنى باعث إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك ، فقدمنا عليه ، فناظرهما ولم يدع لهما حجة إلا كسرهما وظهر طيهما ، فاعترفا بفضله وعدله ، لكنهما طلبا منه لعن من كان قبله من أهل بيته والتبرؤ منهم ، فأبان لهم بالحجة زيف ما يطلبون ، فطلبنا منه خلع وليّ العهد بعده ، فقال : إنما ولّاه غيرى ، والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدى ، فرجع إلى الحق وصار من الجماعة ، واعترف الآخر بصدق الخليفة ومصلحته ، وودع بإبلاغ قومه بما سمع من الحق والإنصاف . ^(٣)

لكن قومه من الخوارج أبوا إلا القتال ، ولم ينماعوا لمنطق الحق والحكمة ،

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام : أبو بكر يقال أبو خبيب الصحابي بن الصحابي وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأبوه الزبير بن العوام أحد العشرة وحوارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكان عبد الله صوماً قواماً وصولاً للرحم عظيم الشجاعة ، وقد بويع بالخلافة عقب موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين وأطأه أهل الحجاز والعراق وما حولهما ، وبقي فى الخلافة إلى أن حصره الحجاج بن يوسف بمكة سنة اثنتين وسبعين ، ثم قتله سنة ثلاث وسبعين .

انظر : (تهذيب الأسماء واللغات للنووى ١ / ٢٦٦) .

(٢) (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ٧ / ٥٥) .

(٣) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٥ / ٢٤٤ - ٢٥٧) .

(وأبا نعيم - الحلية ٥ / ٣٠٩) و (ابن الأثير - الكامل فى

التاريخ ٤ / ١٥٥) و (المسعودى - مروج الذهب ٣ / ٢٠٠) و

(ابن خلدون - كتاب العبر ٣ / ١٦٢) و (المطلبى - النيهة

ما أدى بحمر بن عبدالعزيز إلى اتخاذ التدابير لذلك . (١)

وتعدى مالك بن أنس رحمه الله لأصحاب الأهل من الخوارج وغيرهم ،
ووصفهم بالشك والتردد في دين الله تعالى ، فرفضهم وترفع عن مخالفتهم ،
لأنهم أهل ضلال وفساد ومكابرة ، فهم لا يطلبون الوصول إلى الحق ، ولا يحاولون
التعرف عليه ، بل يظنون أنهم وحدهم أصحابه ودعاته .

يقول رحمه الله لأشبال هؤلاء حينما كانوا يتكلمون بيدهم وشكوكهم أمامه :
(أمّا أنا فعلى بينة من ربي ودينى ، وأمّا أنت فشاك)
اذ هب إلى شاك مثلك فخاصمه (٢)

وقدم وكيع بن الجراح الخوارج بالتحذير والتشهير ، فبين أنهم أصحاب
ضلال وشر ، ومن كان كذلك فينبغي أن يحذر الناس شره ، ويجتنبوا ضلاله
وفتنه .

يقول وكيع رحمه الله : (الرافضة شر من القدرية ، والحرورية شر منهما) (٣)

ولعل ذلك لأن الرافضة كفروا الصحابة إلا قليلاً منهم ، فأخرجوا خيمار
الامة من الاسلام ، وحكموا على الهداة المهديين بالضلالة ، ولأن الخوارج
لم يقفوا عند حد التكفير ، بل تجرأوا على تقتيل المؤمنين في الوقت الذي
يستحيون فيه المشركين ويجبرونهم ويوصلونهم إلى ما منهم ، فأى شر أظلم مسن
هذا ! وأى ضلال أكبر !

وأدلى الخليفة المأمون بدلوه ، وشارك في الرد على الخوارج بالمنطق
والحكمة والكلمة المقنعة ، ومن أمثلة ذلك : مناظرته لرجل من الخوارج جسي ،
به إليه بتهمة الخروج عليه وعدم الاعتراف بخلافته .

(١) (ابو نعيم - ا لخطبة ٢٠٩/٥) .

(٢) انظر : (ابا نعيم - ا لخطبة ٢٢٤/٦ - ١١٢/٩) .

(٣) (البخارى - كتاب خلق أفعال العباد من مجموعة عقائد السلف لعلي)

سامى النشار ص ١٣٠) .

فقال له المؤمنون : ما حملك على خلافنا ؟

قال : آية في كتاب الله تعالى

قال : وما هي ؟

قال : قوله : " **وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** " (١)

فقال المؤمنون : ألك علم بأنها منزلة ؟

قال : نعم

قال : وما دليلك ؟

قال : إجماع الأمة .

قال : فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارضُ بإجماعهم في التأويل .

قال : صدقت ، السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فلما خرج قال المؤمنون لمن حوله :

غلبة الحجة أحبُّ إليَّ من غلبة القدرة ، لأنَّ غلبة القدرة تزول بزوالها ،
وغلبة الحجة لا يزولها شيء . (٢)

فهذه المناظرة وأمثالها تكشف عن بعض أساليب الدعاة والخلفاء في مقاومة

الخوارج ذلك هو أسلوب الدعوة بالكلمة والحكمة والعقل .

وهذا الأسلوب هو المفضل في كلِّ مشكلة عندما يستجيب له الخصم ولا يكابر
أو يعاند ، فإذا كابر وعاند تعيَّن على الأمة أسلوباً آخر أكثر صرامة وجسراً ،
كما فعل الخلفاء والعلماء منذ زمن طيِّب بن أبي طالب - رضی الله عنه - مروراً ،
بالعهد الأموي وصر بن عبد العزيز إلى العهد العباسي ، الذي قام فيه
الخلفاء بقمع ثورات الخوارج المتعددة ، كما سنبين ذلك في شقِّ المواجهة
الثاني ، وهو المواجهة بالسيف والقوة .

(١) آية رقم (٤٤) من سورة (المائدة) .

(٢) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٠ / ١٨٣ - ١٨٦) .

و (السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٣١٩ - ٣٢١) .

و (الصفدي - الوافي بالوفيات ١٧ / ٦٦١) .

المقاومة بالحيلة :

وهو أسلوب من أساليب المقاومة الدعوية للخوارج ، حيث نهج بعض قادة الولاة وقادة الجيوش منهجاً يمتاز بالذكاء والفتنة وصق الحيلة من أجل إضعاف الخوارج والقضاء عليهم ، وذلك بعد الاطلاع على مذهبهم وآرائهم ، ومعرفة مواطن الضعف والقصور ، ثم الدخول إليهم عن طريقها ، لإيقاع النزاع بينهم ، وتوسيع دائرة الخلاف لديهم ، ومن أمثلة ذلك : ما فعله المهلب بن أبي صفرة والي العراق وقائد جيوشها . (١)

فإنه عرف الخوارج وأطلع على رغبتهم في المخالفة ، ورأى كثرة خوضهم في أمور العقيدة وسرعة انقسامهم وتفرقهم ، فقرر بدل أن يخوض معهم الحروب التي وقودها الأموال والأنفس أن يطرح عليهم أسئلة تؤدي نفس الغرض من إضعافهم وتفرقهم ، وإيقاع القتل فيهم دون أن يخسر المسلمون شيئاً ، ونجح في خطته فاقتتل الخوارج فيما بينهم وازدادوا تفرقاً .

ورأى المهلب أن حداداً من الأزارقة - فرقة من الخوارج - كان يمنع عمالاً مسمومة فيرى بها أصحاب المهلب ، فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله ، فوجه المهلب رجلاً من أصحابه بكتابه ومعه ألف درهم إلى صكر قطري بسن الفجاءة (٢) قائد الخوارج ، وقال للرجل : ألق هذا الكتاب في العسكر

(١) المهلب بن أبي صفرة : واسم أبي صفرة ظالم بن سارق أبو سعيد الأسدي ، والمهلب تابعي سمع ابن عمرو وابن عمرو وغيرهما ، وأدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكنه لم يرو عنه ، وقد ولي خراسان ، وكان من أشجع الناس ، ومات بمرور الروذ سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان . انظر : (النوى - تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١١٧)

(٢) قطري بن الفجاءة واسمه جمونة بن مازن بن يزيد الكنانى المازنى التميمي من رؤساء الأزارقة الخوارج وأبطالهم ، من أهل (قطر) بقرب البحرين ، كان خطيباً فارساً شاعراً ، استفحل أمره زمن مصعب بن الزبير لما ولسى العراق نيابة عن أخيه عبد الله ، وبقي قطري ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلم طيه بالخلافة ، والحجاج بن يوسف يسير إليه جيشاً بعد جيش ، اختلفت المؤرخون في مقتله ، قيل قتل في المعركة ، وقيل هُرت به فرسه فاندقت فخده فمات سنة ثمان وسبعين .

انظر : (وفيات الأعيان ١ / ٤٣٠) و (الطبى ٧ / ٢٧٤) .

والتق معه الدراهم واحذر على نفسك ، وفعل الرجل ما أمر به ، وكان فسى
الكتاب : أما بعد فإن نمالك قد وصل إليّ ، وقد وجهتُ إليك بألف درهم
فاقبضها وزدنا من النصال ، فرفع الكتاب إلى قطريّ ، فدعا الحداد وقال له :
ما هذا الكتاب ؟ قال : لأدرى ، قال : وهذه الدراهم ؟ ، قال :
لأطمم بها ، فأمر به فقتل ، فاءترض عليه بعض أتباعه قائلاً : قتلت رجلاً
على غير ثقة وتبيين !

فقال قطريّ : إن قتل رجل في صلاح الناس غير منكر ، ولالإمام أن يحكم
بما يراه صالحاً ، وليس للرمية أن تعترض عليه ، فانقسم الخوارج قسمين لذلك .

وظم المهلب بذلك ، فدس إليهم رجلاً نصرانياً ، جعل له جُعللاً يُرغب فسى
مثله ، وقال له : إذا رأيت قطرياً فاسجد له ، فإذا نهاك فقل : إنما سجدت
لك ، ففعل النصراني ذلك ، فقال رجل لقطريّ : إنّه قد عبدك من دون الله ،
والله تعالى يقول : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ " (١)

فقال قطريّ : إن النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم ، فما ضرّ عيسى ذلك
شيئاً ! ، فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله ، فأنكر قطريّ ذلك
عليه ، وأذكر قوم من الخوارج إنكاره ، وبلغ المهلب ذلك فوجه إليهم رجلاً
يسألهم ، فأتاهم فقال : أرايتم رجلين مهاجرين إليكم فمات أحدهما فسى
الطريق ، وبلغ الآخر إليكم فامتحنتموه فلم يجز المحنة ، ماتقولون ؟

فقال بعضهم : أما الميت فمن أهل الجنة ، وأما الذي لم يجز المحنة
فكافر حتى يجوزها .

وقال قوم آخرون : هما كافران حتى يجوز المحنة ، وكثر الخلاف وخرج
قطريّ إلى حدود (أصطخر) (٢) ، فأقسام شهراً والقوم في خلافهم . (٣)

(١) آية رقم (١٨) من سورة الانبياء .

(٢) أصطخر : بالكسر وسكون الخاء المعجمة : بلدة بفارس من الاقليم الثالث

ومن أعما ن حصون فارس ومدنها وكورها .

(يا قوت الحموى - معجم البلدان ١ / ٢١١) .

(٣) (المبرد أبو العباس محمد بن يزيد - الكامل - ٣ / ٣٨٢ - تحقيقه محمد أبي الفضل إبراهيم
دار نهضة مصر للطبع والنشر - الفيحاء - القاهرة ١٠)

وبهذا الأسلوب استطاع القائد المسلم تمزيق وحدة الخوارج وإضعاف شوكتهم ، وذلك بالاستفادة من واقع هؤلاء وحبهم للاختلاف النابع من نفوسهم التي أُشربت معانى الشذوذ والمخالفة والتكفير والقتل .

ولما كانوا على جانب كبير من السذاجة فى الفهم والجمود فى الفكر والتهور فى اتخاذ القرار ، فقد عملت فيهم الحيلة ، وحقق المسلمون ما أرادوا من تمزيقهم ، وإضعافهم ، وانقسامهم على أنفسهم ، وهذا أسلوب من أساليب مقاومتهم التى استخدمها السولاة والدعاة فى ذلك العصر .

مقاومة الأفكار تفسيراً :

بعد أن عرضنا للمجابهة إجمالاً ، نعرض للمجابهة الأفكار فكرة فكرة ، ونبتدىء بفكرة الخلافة لأنها ألمع أفكارهم ، ومنها انبعثت حركتهم .

- فِكْرَةُ الْخِلاَفَةِ ضِدَّ الْخِوَارِجِ :

يرى الخوارج أنه إن كان لا بدّ من وجود الخليفة ، فأصلح الناس لها هو أحق بها ، سواء أكان قرشياً أم غير قرشى ، عربياً أم غير عربى ، فالمطلوب فقط أن يكون متبعاً للحق عادلاً فى الحكم وإن غير السيرة ، وعدل من الحق وجب قتلُه أو قتلُه ، وجوزوا أن لا يكون فى الناس إمام أو خليفة ، فإن كانت الحاجة إليه ملحةً فيجوز أن يكون عبداً أو حراً ، نبطياً أو قرشياً^(١)

(١) انظر : (الشهرستانى - الملل والنحل ١ / ١١٦) .

مَوْقِفُ الْأَثْمَةِ مِنَ الْخِلاَفَةِ :

يرى طمأ أهل السنة أن الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان ،
وليس لأحد أن ينازهم فيها أو يخرج عليهم .

ولم يكن هذا رأياً اجتهداً يأتى توصل إليه المجتهدون ، بل هو النصوص -
الصحيحة الصحيحة الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث بين طيبه
الصلاة والسلام أحقية قريش بالإمامة ، ومن تلك النصوص قوله :

(الأئمة من قريش ، إذا استرحموا رحموا ، وإذا طاهدوا وطئوا ، وإذا حكموا
عدلوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (١)

وقوله :

(إن هذا الأمر في قريش ، لا يعاد بهم أحد إلا كبه الله على وجهه
ما أقاموا الدين) (٢)

وقوله :

(لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان) (٣)

ولما كانت الأحاديث في خلافة قريش صحيحة وصريحة فقد قال طمأ أهل
السنة بما دلت عليه تلك الأحاديث ، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله يصرح
أن الإمامة ينبغي أن تكون في قريش دون تعيين بطن - بعينها - من بطونها ،
بل يستوى في ذلك الهاشميون والأُمويون والمخزوميون وغيرهم ، فعلى - رضى
الله عنه - كان هاشمياً ، عثمان ومعاوية وابن عبد العزيز - رضى الله عنهم -

(١) (مسند الإمام أحمد - عن أبي بزة الأسلمي ٤/٤٢١) دار صادر .

(٢) (صحيح البخارى - كتاب الأحكام - باب الأمراء من قريش ٧٨/٩) حسن
عبد الله بن عمرو .

(٣) (صحيح البخارى - كتاب الأحكام - باب الأمراء من قريش ٧٨/٩)
(وصحيح مسلم - كتاب الامارة - باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش -
رقم الحديث (١٨٢٠)) .

وغيرهم كانوا أمويين ، وهم بين الخطاب - رضى الله عنه - كان مخزومياً ،
والعديتي - رضى الله عنه - قبل هؤلاء جميعاً كان تميمياً ، ويرى الشافعي أيضاً
أن كل قرشيّ غلب على الخلافة بالسيف حتى سُمِّيَ خليفة ، واجتمع عليه الناس فهو
خليفة . (١)

فالمعبرة عنده في الخلافة : كون المتمدي لها قرشياً ، واجتماع الناس
عليه ، سواء أكان الاجتماع سابقاً على إقامته خليفة ، كما هو الأمر في حاله
الانتخاب أو البيعة ، أم لاحقاً لتنصيب نفسه خليفة كحال المتغلب الذي أشار
إليه . (٢)

وفي موقف الشافعي هذا ردّ ونقض لمبدأ الخوارج المتعارض مع النصوص -
الشرعية ، فالنصوص تفيد أن الخلافة في قرش فينبغي أن يختار لها منهم من
هو أهل لتحمل أعبائها ، والنهوض بها ، وأن يكون ممن تتوفر فيه مقوماتها
من صفات الرحمة والوفاء والعدل وتحري الحق ، والذي لا يرحم ولا يعدل ولا يتبع
الحق فقد دعا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باللعنة ، ولو كان قرشياً ،
فالأمر فيهم ما أقاموا الدين ، فإذا وجد فيهم وفي غيرهم من هم أهل للخلافة
فالقرشي أولى من غيره ، هذا ما تفهده النصوص وتدل عليه .

وبين الإمام أحمد بن حنبل رأي أهل السنة في موضوع الخلافة ، وكان بيانه
يحمل الردّ والتعدي لبدعة الخوارج في هذا الشأن .

يقول رحمه الله : (والخلافة في قرش ما بقي من الناس اثنان ، ليس
لأحد من الناس أن ينازعهما فيها ، ولا يخرج عليهم ، ولا يُنقَرُّ لغيرهم بها إلى
قيام الساعة) (٢)

(١) (طبقات الشافعية ص ١٧) .

(٢) (الشافعي لمحمد أبي زهرة ص ١٣٨) .

(٣) انظر (ابن أبي يعلى الفراء الحنبلي - طبقات الحنابلة ١ / ٢٦) .

والإمام أحمد رحمه الله عندما يقول هذا القول إنما يأخذه من النصوص الواردة في هذه المسألة ، ثم إنه يشرح الموقف الصحيح الذي كان عليه المسلمون منذ صدر الإسلام ، ويبين أن الخلافة مختصة بقرش ، وحق من حقوقها ، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم ، ومن خالف فيه من أهل البدع فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم المبني على الأحاديث الصحيحة ، وقد احتج أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - على الأنصار يوم السقيفة بهذه الأحاديث الواردة في كون الخلافة في قرش ، ولم ينقل من أحد من السلف خلاف في هذه القضية . (١)

وينهى أحمد بن حنبل رحمه الله عن الخروج على السلطان ، ويحذّر من هذه البدعة التي أحدثها الخوارج ، وأمر بالسّمع والطاعة في غير معصية فيقول : (ولا تخرج على السلطان ، وتسمع وتطيع ، ولا تنكث بيعة فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر هو لك معصية فليس لك أن تطيعه البتة ، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقّه) (٢)

ثم يندد الإمام أحمد بسلوك الخوارج المثير للفتن والهزق لوحدة الأمة ويدلّ الناس على الموقف السليم الذي يجب اتخاذه عند ظهور الفتن فيقول : (وإلا ساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها ، فإن ابتليت فقدّم نفسك دون دينك ، ولا تُعن على فتنة بيد ولا لسان ، ولكن اكف يدك ولسانك وهواك) (٣)

وأئمة السلف حينما يحذرون من الخروج وينهون عن مفارقة الجماعة إنما يفعلون ذلك حفاظاً على أمن المجتمع وسلامته ، وأموال المسلمين ودمائهم ، لأنهم يدركون ما يعقب الخروج من فتن ، وما ينتج عنه من فساد ، وأكبر شاهد على ذلك ثورات الخوارج في العهدين الأموي والعباسي والحقها من خراب ،

(١) (ابن حجر - فتح الباري - ١٠٣/١٣ - دار المعرفة بيروت)
(وهامش صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب الناس تبع لقرش - ١٤٥١/٣)
تعليق محمد فؤاد عبد الباقي .
(٢) (ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة ١/٢٦)
(٣) (المصدر نفسه ١/٢٦)

ودمار ، وإراقة لدماء المسلمين .

وظلماء السلف لا يقصدون بكون الخلافة في قریش التمرد على من سواهم
كلا ، وإنما يبيّنون أحقية قریش بهذا الأمر ، وتقدمهم على من سواهم ، ولذلك
فإنهم كانوا يأمرّون بالسمع والطاعة لولى الأمر الذى اجتمع عليه الناس ورضوا
ولايتهم ، مهما كان انتفاءه القبلى ، شريطة أن يأمر في طاعة الله تعالى ، سواء
أكان وصوله إلى الولاية من طريق المبايعة أو الغلبة ، يقول أحمد بن حنبل
- رحمه الله :

(السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البرّ والفاجر ، ومن وليّ الخلافة
فاجتمع الناس عليه ورضوا به ، ومن ظلمهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمي أمير
المؤمنين ، والغزوماض مع الأمراء إلى يوم القيامة ٠٠٠٠ . ومن خرج على إمام
من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقرّوا له الخلافة بأى وجه كان
بالرضا أو بالغلبة ، فقد شقّ هذا الخارجُ عما للمسلمين ، وخالف الأثر عن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة
جاهلية) (١)

ولعل إنكار الخوارج لأحقية قریش في الخلافة إنما جاء حسداً لما كانت عليه
من شرف ومكانة ، وما خصّها الله به من بين سائر القبائل من الحكم والولاية ،
ومعلوم أن أكثر الخوارج من قبائل ربيعة ، وكان بينها وبين قبائل مضر إحسان
جاهلية ومداوات قديمة ، فبقيت آثارها في بعض القلوب ، فلما رأى الخوارج -
وأكثرهم ربيعةون - أن الخلفاء قوم مضرّيون ، نفروا من حكمهم ، واتجه تفكيرهم
إلى آراء في الخلافة نشأت في ظل ذلك النفور من حيث يشعرون أو لا يشعرون .
وظنوا أنه محض الدين ، وهذا أمر واضح في واقع الناس ، فإن الإنسان ينفر
من كل فكرة اقترنت بما يؤلمه ، وقد يسيطر على نفسه هوى يدفعه إلى فكرة
معينة ، ويخيل إليه أن الإخلاص رائده ، والعقل هاديه ولا يمنع أن يكون

(١) (ابن الجوزى - كتاب المناقب ص ٢٢٧) .

الحافظ لبعضهم هو الإخلاص للدين دون عرض أو غرض . (١)

ومهما كان سبب انحرافهم عن السنة ومفارقتهم للجماعة ، فلن يكون خروجهم مشروطا بحال من الأحوال ، ولا أجل ذلك فقد قامهم أئمة السلف وردوا على أفكارهم ويدعهم ، ودعوا الناس إلى المبادئ الصحيحة ، والأفكار السليمة ، ومن هذا المنطلق جاء ردّهم على فكرة الخلافة عند الخوارج ، وبيانهم لما كان عليه الصحابة والتابعون في القرون المفضلة من اعتقاد والتزام للسنة الصحيحة والمبادئ القويمة .

(١) (كتاب " أبو حنيفة " لمحمد أبي زهرة ص ١٢٦) .

مَبْدَأُ التَّكْفِيرِ عِنْدَ الْخَوَارِجِ :

يعتبر التكفير مشكلة من المشكلات الناجمة عن فرقة الخوارج ، فإنهم لما خالفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضی اللہ عنہ - وخرجوا طيغاً ، ونسبوا إليه أخطاء ارتكبها ، تجرأوا على تكفيره وتخليه ، ثم جعلوها قاعدة للظن في كل من خالفهم ، فكفروا أصحاب الذنوب ، وحكموا عليهم بدخول النار والخلود فيها ، ثم أنكروا الشفاعة في أهل الكباير ، وتطبيقاً لهذه القاعدة فإنهم حكموا بكفر والخلود في النار على خيار الأمة المشهود لهم بالجنة كعثمان وعلي - رضی اللہ عنہما - وألحقوا بهما من والاهما وأحببهما .

تَعَدِّي الدُّعَاةِ لِهَذِهِ الْمَشْكِةِ :

وقد ركز الدعاة في الرد على هؤلاء ببيان نصوص الكتاب والسنة التي تؤكد مغفرة الله تعالى للذنوب ، وتفتح للناس أبواب الرجاء والتوبة والرحمة وتعددهم بدخول الجنة في حال موتهم على التوحيد ، والذين اقترفوا الآثام واجترحوا السيئات وماتوا قبل أن يتوبوا ، فأمرهم إلى الله ، إن شاء عفا عنهم وأدخلهم الجنة ، وإن شاء قذفهم على ذنوبهم ثم أدخلهم الجنة بمشيئته ، لأنهم مؤمنون .

ومن تلك النصوص التي احتج بها الدعاة في بيان مذهب أهل السنة وإبطال مذهب الخوارج في هذه المسألة ما يلي :

قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (١)

(١) آية رقم (٥٢) من سورة (الزمر) .

وقوله عز وجل : (إِنْ أَلِهَ لَآيْخُفَّرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُخْفَرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (١)

وقوله سبحانه وتعالى : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَهُدَىٰ خَلَقَتْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢)

وقوله جل و علا : (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (٣)

وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا - وقرأ هذه الآية كلها - فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه ، إن شاء غفر له ، وإن شاء هدَّ به " (٤)

وقوله عليه الصلاة والسلام : " أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال : بشرني - أنه من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قال أبو ذر - رضى الله عنه : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : وإن زنا وإن سرق " (٥)

وقوله صلى الله عليه وسلم فيها يرويه عن تبارك وتعالى :
" ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً ، أتيتك بقرابها مغفرة " (٦)

-
- (١) آية رقم (٤٨ - ١١٦) من سورة (النساء)
(٢) آية رقم (٩) من سورة (التغابن)
(٣) آية رقم (٧٠) من سورة الفرقان)
(٤) (صحيح البخارى - كتاب الحدود - باب الحدود كفارة - ١٩٨/٨) عن
عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، واللفظ له .
(٥) (صحيح مسلم - كتاب الايه ان - باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١٤١/١ - رقم (١٧٠٩) بنحوه)
(٦) (مسند احمد - عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه ١٥٢/٥ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٦٦)
(٦) (مسند احمد - عن ابى ذر رضى الله عنه ١٤٧/٥ - ١٥٤ - ١٦٠ - ١٦٧ -
١٧٧)

وهذه النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي مسن
ضمن أدلة السلف التي استدلوا بها على ذبوت رحمة الله تعالى وسعتها وشمولها
لمن يشاء الله تعالى أن يرحمه ، وهي في الوقت نفسه حجج دامغة في أيدي
أهل السنة يردون بها على الخوارج وأمثالهم الذين يُخرجون الناس من الإيمان
ويخلدّونهم في النار لارتكاب بعض الذنوب .

والنصوص السابقة تدلنا على أن الله عز وجل إذا شاء المغفرة لأحد فإنسه
لا يحظم أمام عفوه ذنب ، لكنه تبارك وتعالى نفى أن تشمل مغفرته من أشرك به
وأيضا فإن الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح كفيلا بتكفير السيئات الماضية
بل لقد وعد الله عباده التائبين الذين يجددون إيمانهم ويستأنفون فعل الصالحات
بصدق وإخلاص أن يبذل سيئاتهم في الدنيا حسنات يوم القيامة .

كما تفيدنا هذه النصوص أن إقامة الحدّ على صاحبه يعتبر كفارة لسه ،
وأن من لم يقم عليه الحدّ بعد ارتكاب ما يوجب ، بل ستره الله تعالى ، ثم مات
قبل أن يتوب إليه فإنّ أمره إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ، أما
إذا تاب توبة نصوحاً فقد وعد الله التائبين بالقبول والمغفرة .

وكذلك فإنّ كثيراً من الأحاديث أفادت أن العبد إذا لقي ربه وهو لا يشرك به
شيئاً فإنّ ماله ونهايته إلى الجنة ، وإن فعل الكبائر ، ولكن هذا لا يعنى أنه
ناج من عذاب الله تعالى ، كلا فهناك عهد شديد لمن تجرأ على فعل ما حرم
الله عز وجل ، ثم تشمل الشفاعة لكل من قال لا إله إلا الله مخلصاً بها ، أو كان
في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ولا شك أنّ هذه المعاني كلها تردّ على الخوارج
دعواهم في تكفير أصحاب الذنوب ، والحكم عليهم بدخول النار والخلود فيها .

مع أن هذه الدعوى ومثيلاتها من أفكار الخوارج ما كانت لتقوى على النهوض
أمام الحشد الهائل من نصوص الكتاب والسنة التي تبين زيف ما يقولون ، وتهاافت
ما يدعون .

موقف أحمد بن حنبل من هذه المشكلة :

اهتم الإمام أحمد رحمه الله تعالى بالدعوة إلى السنة ، وببسطان
مذهب السلف ، وكان يردّ على أهل الأهواء والبدع من خلال هذا المنهج
دون أن يشرح بدعهم ويذكر شبهاتهم .

ولذلك فإننا نجده تجاه مشكلة التكفير التي نحن بصددها يقرر مذهب أهل
السنة ، ويرفض رأي الخوارج المخالف له ، ويدعو الناس إلى التصك بما كان
عليه السلف وينبذ البدع والأهواء التي جاء بها الخوارج وأضرابهم .

يقول أحمد : لا تشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عليه
ولا لكبيرة آتاها ، إلا أن يكون في ذلك حديث فنصده ، ونعلم أنه كما جسا
ولا تشهد على أحد أنه في الجنة بمصالح عليه ولا بخير آتاه إلا أن يكون في ذلك
حديث فنصده كما جاء ، ولا يكفر أحد من أهل التوحيد وإن علوا الكباثر . (١)

وسار أبو زرعة الرازي - رحمه الله - على المنهج نفسه من بيان مذهب
السلف في مسألة التكفير ، ونفى ما يخالفه من رأي الخوارج وغيرهم .

يقول أبو زرعة : أدركنا العلماء في جميع الأعمار : حجازا ومراقا وشامسا
وبمنا خطان من مذهبهم أن أهل الكباثر في مشيئة الله عز وجل ، ولا تكفر أهل
القبلة بذنوبهم ، ونكل أسرارهم إلى الله تعالى . (٢)

(١) انظر : (ابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة ١/٢٦٦) .

(وابن الجوزي - مناقب أحمد بن حنبل ص ٢٢٥) .

(والسفاري - مختصر لوامع الأنوار - اختصره ابن سلوم ص ٢٥٢)

(٢) أبو زرعة الرازي : عبد اللعين عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولا هم الرازي : كان
من أفراد الدهر حفظاً وذكاءً ودِيناً و إخلاصاً وعلماً وعلماً ، أحد شفعة من شيوخه : حرمله
وأبو حفص الفلاس ، وجماعة وسمع أبو زرعة ما نعيم وقبيصة وخلا د بن يحيى وطبقتهم قال البخاري
سمعت عبد اللعين أحمد بن حنبل قال نزل أبو زرعة عندنا فقال لي يا بني : يا بني قد اعلمت من نوافلي
بذاكره هذا الشيخ مات في آخر يوم من سنن ربيع وستين ومائتين .

(تذكرة الحفاظ للذهبي - ٥٥٧/٢)

(والعبر للذهبي أيضا - ٣٧٦/٢)

(٣) (اللالكائي - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٧٦) .

والناظر في هاتين الروايتين عن أحمد وأبي زرعة رحمهما الله تعالى يجسد
فيهما الدعوة إلى المذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة ، ويلصق من خلال
تلك الدعوة التحذير والتنفير مما يخالف السنة ، في هذه المسألة وأمثالها .
ولا ريب أن أمثال هذه المواقف لعلماء السلف كان لها الأثر الكبير فسي
هدم البدع وتطهير المجتمع منها ، وفي نقض المذاهب المنحرفة وتحذير المسلمين
من أصحابها .

ولقد ضلَّ الخوارج بتكفيرهم صاحب الكبيرة ، وخالفوا في ذلك النقل والعقل
فلو كان صاحب الكبيرة كافراً لكان مرتدّاً ووجب قتله ، والله تعالى قد أمر بجلد
الزاني والقاذف وقطع يد السارق ، وضمت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بجلد شارب الخمر ، مع أن جميع النصوص التي صرحت بذلك بينت أن الزانسي
والسارق والقاذف والشارب ليسوا كافراً مرتدين يستحقون القتل ، فمن جعلهم
كافراً فقد خالف نصوص القرآن وال سنة المتواترة .

وقد قامت الأدلة على ذكر الموانع من إنفاذ الوعيد ، ووقوع العذاب وتخليد
أهل الذنوب فيه ، وبعض تلك الأدلة ثبت بالنص وبعضها بالإجماع .

ومن موانع تحقيق الوعيد وإنفاذه : التوحيد وعدم الإِشراك بالله تعالى
والتوبة من الذنوب ، وفعل الحسنات العظيمة العافية للذنوب ، والصبر على
المصائب ، والرضا بالقضاء ، وإقامة الحدود في الدنيا فإن ذلك مكفر للخطايا ،
وما كان الله تعالى بفضله ورحمته ليعدّب على الذنوب مرتين مرة في الدنيا ،
ومرة في الآخرة . (١)

(١) انظر : (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ٣ / ٧٤) .
(والجويني - كتاب الإرشاد ص ٢٨٦) .
(والمكلاسي - لباب العقول ص ٢٩١) .
(والبغدادي - أصول الدين ص ٢٤٢) .
(والملطي - التنبيه ص ٥١) .
(والسفاريني - مختصر لوامع الأنوار ص ٢٥٢) .

إِنْكَارُهُمْ لِلشَّفَاعَةِ فِي الْعَصَاةِ :

ويتبع قضية التكفير لدى الخوارج إنكارهم لشفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الذنوب من أمته .

وردوا - بناءً على هذا الإنكار - الأحاديث الصحيحة الواردة في أمسّر الشفاة مستدلين ببعض النصوص المتشابهة التي إنُفعلت من النصوص الأخرى ربما يفهم منها البعض عدم نفع الشفاة لطائفة من الناس .^(١)

وهذا الفهم صحيح ولكنه ليس تاماً في جميع الناس وإنما سياق الآيات يخصه في بعضهم .

ومما استدلوا به : قوله تعالى : (فما تنفعهم شفاة الشافعين)^(٢) وقوله عز وجل : (رِنَا إِنَّكَ مِّنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ)^(٣)

ولم يقف الدعاة مسلمين لهم ، بل جاء ردُّهم على هذه المشكلة برداً ما استدلوا به أولاً ونقضه ، ثم بذكر الأدلة الواردة في إثبات الشفاة للعمارة ، وإثباتها ردُّ آخر على مسألة التكفير ، إذ الشفاة والإخراج من النار خاصٌّ بالمؤمنين دون غيرهم .

أما ردُّ السلف على أدلتهم في إنكار الشفاة فيتلخص بأن نفي نفع الشفاة الواردة في الآية خاصٌّ بالكفار الذين يموتون على الشرك وإنكار البعث ، فإنهم لا يستفيدون من شفاة الشافعين في محاولة إخراجهم من النار ، ومسئور ذلك يشفع في الكافرين ويطلب إخراجهم من جهنم وقد أهدت للكافرين !

(١) انظر دواهم واستدلاليهم في : (أعلام الموقعين لابن القيم ٢/٢٧٦) .

(٢) آية رقم (٤٨) من سورة المدثر .

(٣) آية رقم (١٩٢) من سورة (آل عمران) .

وقد أخبر الله تعالى أن الذين لا تتفهم الشفاعة هم الكافرون به ، الذين لا يعرفون الصلاة ، ولم يكونوا من أهلها ، بل كانوا يكذبون بيوم الدين .

قال تعالى : (مَا سَأَلْتُمْ فِي سَعْرِ ؟ قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمُسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِفِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (١)

وأما قوله تعالى : (رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) ، فلا شك أن عذاب النار خزي ومهانة ، سواء أكان دائماً أم منقطعاً ، وليس في الآية ما يدل على الخلود في النار لجميع المعذبين فيها . (٢)

وأما أدلة السلف في هذه المسألة فهي نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تثبت الشفاعة في أصحاب الذنوب ، وتدل على خروجهم من النار ، وعدم الخلود فيها .

ومن تلك النصوص قوله تعالى :

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٣)

وقوله : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ) (٤)

وقوله : (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) (٥)

وأحاديث كثيرة واردة في شأن الشفاعة ، ومنها الحديث الطويل الذي يقول

فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

” فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَغَفَرَ اللَّهُ

لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ ؟

أَلَا تَرَىٰ مَا قَدَّ بَلَّغْنَا ؟ !

فَانطَلَقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ طَيِّبًا وَيَلْهَمُنِي مَسْئَلَةً

مَحَامِدَةٍ وَحَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يَقَالُ : يَا مُحَمَّدُ

(١) آيات رقم (٤٢ الى ٤٨) من سورة (المدثر) .

(٢) (ابن القيم - أعلام الموقعين ٢ / ١٧٦) .

(٣) آية رقم (٢٥٥) من سورة (البقرة) .

(٤) آية رقم (٢٨) من سورة (الأنبياء) .

(٥) آية رقم (٢) من سورة (يونس) .

أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ،
وهم شركاء الناس فيها سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين
المصراعين من معارج الجنة لكما بين مكة وهجر (١) ، أو كما بين مكة ومصر (٢) .

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : " يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله
وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة "
ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة " ، ثم
يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة " (٣)

وهذا الحديث هو جزء من حديث الشفاعة المتقدم ، مما يدل على أن الشفاعة
ستشمل هؤلاء الموحدين الذين قلَّ الإيمان في قلوبهم وضعف حتى صار كالشعيرة
والذرة ، من كثرة ما فعلوا من الذنوب ، وفرطوا في الواجبات ، ومع ذلك لم يكتب
عليهم الخلود في النار ، كما تزعم الخوارج .

فهذه النصوص ترد على الخوارج زعمهم الباطل المتثل في إنكار الشفاعة
في أصحاب الذنوب ، وتؤكد ما ذهب إليه أهل السنة من نفي الكفر عن العمارة
وإثبات الشفاعة لهم يوم القيامة .

ونكتفي ببعض أدلة السلف في قضية الشفاعة ، وهي التي سقناها آنفياً ،
فأدلتهم كثرة ، ويبدو أن أحداً من الخوارج لم يجرؤ على مناقشة أهل السنة
في نفي الشفاعة ، لعلمهم بقوة أدلتهم ووضوح براهينهم ، ولكنهم اكتفوا بإثارة
الشبهات وبذر الشكوك في أذهان طائفة من الناس الذين أصفوا لهم وتأسروا
بضلالهم . (٤)

(١) (هجر) محرقة ، باليمن بينه وبين شر يوم وليلة (القاموس ١٥٨ / ٢ - مادة
(هجره)

(٢) (صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب ما يذكر في الذات والنعوت ١٤٩ / ٩)

(٣) (صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٥ / ١ -
رقم (١٩٤) .

(٣) (صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب ما يذكر في الذات والنعوت ١٥٠ / ٩)

(٤) انظر أدلة الشفاعة وتنفيذ رأى الخوارج في : (أصول الدين للبغدادي

قضية التحكيم في نظر الأئمة :

تعتبر قضية التحكيم أولى مشكلات الخوارج ، بل هي السبب المباشر لخروجهم على الإمام ، ومفارقة جماعتهم .
وقدمت الأفكار الأخرى عليها باعتبارها أفكاراً أساسية وكبيرة في مذهب الخوارج ، أما التحكيم فهو حدث تاريخي ضلّ الخوارج في فهمه فكان سبباً لانشقاقهم عن الأمة وترددهم عليها ، وجعلوا من إنكارهم له مبدأ ينادون به وهو (لا حكم إلا لله) .

وقد واجههم الأئمة وبينوا لهم خلال فهمهم ، وفي مقدمة الذين تصدّوا لهم الخليفة عليّ بن أبي طالب وابن عمّه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، حيث بينا لهم مشروعية التحكيم ، واستدلّناهم بنصوص من الكتاب والسنة تؤيد ذلك ، كقوله تعالى :

(فَابْحَثُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرَوْا إِصْلَاحًا يَوْفِقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)
وقوله : (يَحْكُمُ بِهِ ذُو عُدْلٍ مِنْكُمْ) (١)

وهذا أمر بالتحكيم في قضية مهمة وطلاقة أسرية شرعية ، وفي نسك الحج عند إتلاف المحرم للمصيد .

وقد حكّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سعد بن معاذ - رضي الله عنه (٢) في بني قريظة ولو شاء لم يفعل (٤) ، وفي هذا دلالة على أنّ التحكيم وارد مشروع وليس أمراً مبتدعاً ، والعقل يثبت ولا ينفيه ، وكذلك واقع الناس في معاملاتهم وعند خلافاتهم .

(١) آية رقم (٣٥) من سورة (النساء) .

(٢) آية رقم (٩٥) من سورة (المائدة) .

(٣) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس : الأوسى الأنصاري ، صحابي من الأبطال من أهل المدينة ، كانت له سيادة الأوس ، وحمل لواءهم يوم بدر ، وشهد أحداً وكان ممن ثبت فيها ، ورعى بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه ودفن بالبقيع وعمره سبع وثلاثون سنة ، وحزن عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يوم موته : (اهتز مرثى الرحمن لموت سعد بن معاذ) البخاري ٤٤ / ٥ وكان موته سنة خمس للهجرة . (انظر : طبقات ابن سعد ٢ / ٢) و (الأعلام للزركلي ٨٨ / ٣) .

(٤) انظر (صحاح البخاري ، الأعلام ، طبقات ابن سعد ، معاني الآثار) ٤٤ / ٥ .

ويتعرض الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - لامتحان الخوارج ومناظرتهم في هذه القضية (قضية التحكيم) فيردُّ عليهم ويُفهمهم بأسلوب بارع وفطنة - وذلك عندما دخل أحد زعماء الخوارج الكوفة^(١) ، والتقى بأبي حنيفة ، واستوقفه فجري بينهما هذا الحوار :

قال الخارجي : تَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

قال أبو حنيفة : سَمَّ أَتُوبُ ؟ !

قال : من قولك بتجوز الحكيم -

قال : تقتلني أم تناظرني ؟

قال : أناظرك .

قال : فَإِنْ اختلفنا في شيء ما تناظرني عليه فمن بيني وبينك ؟

قال : اجعل أنت من شئت

فقال أبو حنيفة لرجل خارجي من أصحاب ذاك : اقعدُ فاحكم بيننا فيما اختلفنا فيه .

ثم قال لزمهم : أترضى هذا بيني وبينك حاكماً ؟

قال : نعم .

قال أبو حنيفة : فَأَنْتَ قَدْ جَوَزْتَ التَّحْكَيمَ ! فانقطع الخارجي . (٢)

والمطلع على هذه المناظرة يراها - مع قصرها - تكشف عن فطنة أبي حنيفة وأسلوبه السهل الممتنع ، الذي ردَّ به مشكلة الخوارج الأولى التي ضلوا من أجلها ، وحااروا في فهمها ، فقد استدرك أبو حنيفة خصمهُ الخارجي إلى التسليم بأمر التحكيم والقبول به من حيث لا يدرى أنه بتسليمه وقبوله قد اعترف بضلاله وضلال أصحابه وانقطع حججهم ، وفي هذا دليل على ضعف تفكيرهم وهضم جهلهم حيث خالفوا الأمة وخرجوا على الجماعة وحااروا في مسألة لا تستحق الحيرة ، ولا تستعصي على الفهم .

(١) هو الضحاك الشامي أحد زعماء الخوارج : واسمه الضحاك بن قيس الشيباني بايعه الشراة وسار إلى العراق واستولى على الكوفة وحاصروا سطاً واحتسسل الموصل وبلغ جيشه مائة ألف وقصدته مروان الخليفة الأموي في جيش فقتل الضحاك وهزم جيشه . (الطبري ٧٦/٩) و (البيان والتبيين ٢٤٣/١) .

(٢) (محمد بن يوسف المالحي - عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان

٢٤ المقاومة بالسيف :

وتأتي بعد مقاومة الكلمة ، لأن المشكلة إذا استعمت واستفحل شرها
فليس لها إلا السيف ، يقطع دابرها وينزلها .

لقد خاض الخوارج حروباً ضارية منذ عهد الخليفة طي بن أبي طالب - رضى
الله عنه - ومروراً بالدولة الأموية ، حتى إنهم أنهكوا الدولة الأموية وأنهكتهم ،
ونالوا منها ، ونالتهم منهم ، وجاءت الدولة العباسية والخوارج فى ضعف وتفرق .

ولم تختلف نظرة الخوارج إلى خلفاء بنى العباسى عن نظرتهم إلى خلفاء
بنى أمية ، فالكل - فى رأيهم - لا يصلحون للخلافة ، لعدم وجود الاختيار
الحرفى توليتهم ، ولذ لك كانوا يرون وجوب الخروج عليهم ومقاتلتهم ،
وطلب ضمهم أن المسلمين إذا اجتمعوا على خليفة ونادوه بأمر المؤمنين وكان
اختياره بناء على أهل الحل والعقد ، فقد صحّت خلافته ، وكذلك لو غلب
على الخلافة ثم رضى المسلمون به ، لعدله ورحمته واستقامته فلا يجوز الخروج
عليه .

لقد حارب الخوارج بنى العباس فى صلابة وجلد ، ولم يتوان الخلفاء فى
إرسال الجيوش وقمع كل حركة خارجية تهدد تزيق الدولة ، ونشر الفساد والفسوس
بين صفوف المسلمين .

ولم يهز على أبى العباس^(١) - أول خليفة عباسى - سنة واحدة حتى تحرك
عليه الخوارج فى الجزيرة ومان واليمن وغيرها من بلاد المسلمين .

(١) أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
ولد سنة ثمان ومائة بالحميمة من ناحية البلقاء ونشأ بها ويوصف بالكوفة ،
وأمه ربيعة الحارثية ، ومات بالجدرى فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ،
وكانت ولايته أربع سنين وثمانين أشهر ، وقد عهد إلى أخيه أبى جعفر .
انظر : (السيوطى - تاريخ الخلفاء - ص ٢٥٦) .
(العفدى - الوافى بالوفيات ١٧ / ٤٣١) .

ففى الجزيرة تحرك بركة بن حميد الشيبانى (١) مع قبائل ربيعة التى تقطن هناك ، وتعتبر هذه المنطقة ساحة نشطة لحركات الخوارج ، فعقد إليهم أبو جعفر المنصور - وكان والى الجزيرة من قبل أخيه أبى العباس - فلقبهم فقاتلوه قتالاً شديداً ، وقتل بركة فى المعركة وتفرق أصحابه ودُحروا . (٢)

وفى أذربيجان ثار مسافر بن كثير الشيبانى (٣) وعرف بمسافر القصاب ، واستولى طيغداد من المواقع هناك ، وتبعه جماعة من أهلها ، فتولى أبو جعفر المنصور أمر قتاله ، وبعث إليه أحد قواده ، فتكن من هزيمته فتبعه فقتله ، وفر أتباعه إلى مناطق سجستان . (٤)

وفى صان تحرك الإباضية بزمامة الجلندى بن مسعود الأزدي (٥) السدى مئنه أصحابه إماماً لهم ، فأعلن استقلال منطقتهم فى طابستهم (نزوة)

كما تحرك الخوارج الصفرية بزمامة شيان بن عبدالعزيز البشكرى (٦) ففى

-
- (١) بركة بن حميد الشيبانى : ثار من الخوارج ، من بني شيبان ، خرج على بني العباس ، وذلك أيام الخليفة العباسي الأول أي العباس وكان يرد في الجزيرة ، وكان واليها أبا جعفر المنصور فخرج إليه المنصور في جيش فقتلوا بركة وأرضوا أصحابه . (تاريخ يوم الملوك ١٤٠/٩) (المجلد في التاريخ ٤ / ٣٣٥)
- (٢) انظر : (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ١٤٠/٩) . (وابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٢٢٥/٤)
- (٢) مسافر بن كثير الشيبانى : خارجي ثار ، عاتق الأرض فساداً فقتل بناس وأسرف فى القتل حتى عرف بـ (القصاب) واستولى على عدد من القرى فى ناحية أذربيجان ، وتبعه جماعة من تولى المناصب ، فتولى المنصور قتاله وأرسل إليه بواءه قواده فهرب مسافر فتبعوه فقتلوه ، وتفرق أصحابه فى مناطق سمستان . (فتوح البلدان ٤٤٦/٨)
- (٤) (البلادى - فتوح البلدان ٢٤٦/١٠) .
- (٥) الجلندى بن مسعود الأزدي : ثار من الخوارج وهو إباضى اقتل مع شيان البشكرى وهو صفرى فقتل شيان ، ثم قاتل خازم بن خزيمه الجلندى وأصحابه فقتلهم خازم وكان من قتل حوالي عشرة آلاف وذلك سنة أربع وثلاثين ومائة . (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ١٥٠/٩) (وابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٢٤٣/٤)

(٦) شيان بن عبدالعزيز البشكرى : حرورى من أمراء الحرورية وقادتهم ولوه إمرتهم سنة ثمان ومشرين ومائة وأقام يقاتل مروان بن محمد ومعه أربعون ألفاً ثم انصرف إلى الموصل بعد أن كان فى جهات كفر توتا ، وتبعه مروان إلى البصرة ثم قتل شيان فى صان (الطبرى ٧٩/٩ - ١٥٠)

في جزيرة (ابن كاوان) في الخليج^(١) ، وقد اختاره أصحابه لإمامتهم ، فأرسل أبو العباس أحسن قواده : خازم بن خزيمة التميمي^(٢) في جيش حملته البحر إلى جزيرة (ابن كاوان) فانهزم شيبان أمام المسلمين ، وهرب أصحابه إلى ساحل (عسان) لكن الجلندي نصب لهم كميناً هناك ، وقضى على شيبان وأصحابه ، وكفى الله المؤمنين قتال شيبان ومن معه .

ولما وصل القائد المسلم خازم بن خزيمة خرج لهم الجلندي على شاطئ البحر واقتتلوا قتالاً شديداً ، واستمر القتال ثلاثة أيام ، والحرب سجال ، ثم أشار بعض أصحاب خازم عليه أن يأمر جنوده فيجعلوا المشاة على أطراف الأتنة ، ويرووها بالنفط ، ويشعلوها فيها النار ، ويلقوها نحو بيوت الخوارج الخشبية ، فشغل الجلندي وأصحابه بإطفاء الحريق الذي التهم بيوتهم وفيها عيالهم ، عندها تمكن خازم من وضع السيف فيهم فقتلهم ، وانتهى على أثر ذلك التمسرد الخارجي في عسان ، وإن كان قد بقي لهم وجود ومذهب ، لكنهم آثروا السلامة على القتال والموت .^(٣)

وفي عهد أبي جعفر المنصور قامت كذلك ثورات ، لكن المنصور الذي أصبحت له خبرة وحكمة بحركات الخوارج كان يسرع في إطفائها والقضاء عليها .

ففي الجزيرة ثار ملبد بن حرمة الشيباني^(٤) فوجه إليه خازم بن خزيمة فقتله .^(٥)

-
- (١) ابن كاوان : جزيرة في الخليج (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٤٩/٩)
(٢) خازم بن خزيمة التميمي : من كبار القواد العباسيين ، الذين وجههم الخليفة أبو العباس أبو جعفر المنصور لقمع حركات الخوارج ، فقتل على كثير منهم ، وكان ذا حنكة وتجربة وعرفتم الخوارج بالشجاعة والإقدام ، فهاجوا ، ولم يثبتوا أمامه ،
(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري - ١٤٩/٩) و (الكامل لابن الأثير - ٣٤٢/٤)
(٤) انظر هذه الأحداث في : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٥٠/٩ - ١٦٩)
(٥) ملبد بن حرمة الشيباني : من كبار الثوار في صدر أيام العباسيين خرج في أيام المنصور ومعه نحو ألف فارس فسبغ المنصور لقتاله جيوشاً متتابعة انهزمت كلها ، ثم وجه إليه خازم بن خزيمة في ثانية آلاف فثبت لهم ملبد ثباتاً صلباً حتى كاد يهزمهم ثم رشقه بالنشاب فقتلوه مع جمع كبير من أصحابه .
(الكامل لابن الأثير ٣٥٧/٤) (والطبري ١٦٩/٩) .
(٥) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٦٩/٩ - ١٧٠)
(وابن خياط في تاريخه ص ٤١٧) .

وفى اليمن شار جماعة من الخوارج سنة أربعين ومائة ، فسَلَط عليهم أبو جعفر
معن بن زائدة الشيباني^(١) فهزهم وقتل كثيراً منهم .

وفى خراسان أظنت طائفة منهم التمرد والعصيان ، فأرسل إليهم أبو
جعفر معن بن زائدة فقتل منهم خلقاً كثيراً ، واستسلم الباقون ، ثم غدروا به فى
حيلة فقتلوه فى داره ، فتجرد لهم ابن أخيه : يزيد بن مزيد الشيباني^(٢)
ففتك بهم حتى جرت دماؤهم كالنهر .^(٣)

وظهر خارجى فى الحبشة ، وكان يزيد بن حاتم المهلبى^(٤) أمير مصر
من قبل أبى جعفر المنصور ، فوجه إليه يزيد جيشاً فقاتلوه فى الحبشة فقتلوه
وشردوا أصحابه ، وحُمل رأس زعيمهم إلى مصر ثم إلى بغداد .^(٥)

وفى خلافة المهدي خرج فى خراسان يوسف بن إبراهيم المعروف بالببرم^(٦)

-
- (١) معن بن زائدة الشيباني : بن عبدالله بن مطر أبو الوليد من أشهر أجساد
العرب وأحد الشجعان الفصحاء أدرك العصرين الأموى والعباسى ، ولاء
المنصور اليمن ثم ولى سجستان ، فأقام بها مدة وابتنى داراً ، ثم دخل عليه أناس
حاقدون على الإسلام فقتلوه ، وذلك سنة ١٥١ هـ .
(وفيات الأعيان ١٠٨/٢) و (الكامل فى التاريخ ٣٥/٥) .
- (٢) يزيد بن مزيد الشيباني : ابن أخى معن بن زائدة ، كان من الأمراء المشهورين
والشجعان ، كان والياً بأرمينية فعزله عنها الرشيد سنة ١٧٢ هـ ، ثم ولاء
إليها وضم إليها أذربيجان سنة ١٨٣ هـ ، تولى محاربة الوليد بن طريف
الشيباني وقتله ببلاد الجزيرة بين الفرات وشط الموصل سنة ١٧٩ هـ ، مات
يزيد سنة ٢٢٠ هـ ودفن بمدينة (دبيل) بأرمينية .
- انظر : (ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣٢٧/٦ - ٣٤٢) و (مرآة الجنان ٤٠٠ / ١)
- (٣) انظر : (ابن الاثير - الكامل فى التاريخ ٣٥/٥) و (تاريخ الخلفاء
٢٨٤/٢) و (النجوم الزاهرة ٢١/٢)
- (٤) يزيد بن حاتم المهلبى : ولى مصر سنة ١٤٤ هـ وسببه المنصور لحرب الخوارج
بأفريقية ، وبعد انتصاره استقر والياً على أفريقية سنة ١٥٥ هـ ، وكان جواداً
حكماً ولم يزل والياً على أفريقية إلى أن توفى سنة ١٧٠ هـ بالقيروان .
انظر : (ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢٢١/٦) و (اليافعى - مرآة -
الجنان ٣٦١/١ - ٣٩٦) .
- (٥) (ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ٣/٢) و (اليافعى - مرآة الجنان -
٣٢٩/١) .
- (٦) يوسف بن إبراهيم المعروف بالببرم خرج سنة ١٦٠ هـ وهو من أهل خراسان ، قيل
كان حروبياً ، خرج على المهدي فتغلب على مرو الرز وبعث بعض المدن وجسه =

وتبعه جماعة ، فتصدى لهم يزيد بن يزيد بجيشه ، فأسره في جماعة من أصحابه ، وبعث بهم إلى المهدي فأمر بصلبهم وقتلهم . (١)

وثار في الجزيرة عبد السلام بن هاشم اليشكري^(٢) سنة اثنتين وستين ومائسة وكثر أتباعه واشتدت شوكتهم ، فأرسل إليهم المهدي أحد قواده وأمدّه بجيوش متالفة فانكسر الخوارج وهرب عبد السلام إلى قنّرين^(٣) فلحقه المسلمون فقتلوه . (٤)

وخرج في الموصل ياسين التميمي^(٥) سنة ثمان وستين ومائة ، وطلب على أكثر ديار ربيعة ، فأرسل إليه المهدي قوة سحقته وهزمت بقايا جنده . (٦)

وفي خلافة هارون الرشيد ظهرت عدة حركات لهم في الجزيرة والموصل ونصيبين ، فبعث إليهم جيوشاً قضت عليهم وأخذت ثوراتهم .

-
- = اليه المهدي جيشاً بقيادة يزيد بن يزيد فاقتلا حتى صارا إلى المعانقة
- فأسره يزيد وبعث به وبأصحابه إلى المهدي فصلبهم على جسر دجلة .
 - (ابن الأثير - الكامل ٥/٥) و (النجوم الزاهرة ٢/٢٧) .
 - (١) (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٩/٢٣١) و (ابن الأثير ٥/٥٤) .
 - (٢) عبد السلام بن هاشم اليشكري - تأثر خرج في الجزيرة أيام المهدي العباسي واشتدت شوكته وكثر أتباعه وقايلته جيوش المهدي فهزمهم ثم قتل في إحدى المعارك بقنّرين . (الطبري ٩/٢٤١) (والكامل لابن الأثير ٥/٦١)
 - (٣) قنّرين : بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده ، وقد كسره قوم ، ثم سين مهولة وهي تكورة بالشام منها حلب ، ولانست مدينته بينها وبين حلب مرحلة مرصعة لهم (ياقوت الحموي - معجم البلدان ٤/٤٠٣)
 - (٤) (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٩/٢٤١) و (تاريخ خليفة ص ٤٤٢) و (النجوم الزاهرة ٢/٤٢) .
 - (٥) ياسين التميمي : رجل من الخوارج الذين ثاروا على الخلافة العباسية في زمن المهدي ، واستولى على كثير من بلاد ربيعة والجزيرة ، فبعث إليه المهدي جيشاً قضى عليه ، ومزق أصحابه ، وذلك سنة ١٦٨ هـ
 - (ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥/٧٠) حوادث سنة ١٦٨ هـ .
 - (٦) انظر : المرجع السابق .

ولعل أخطر حركاتهم في زمن الرشيد هي ثورة الوليد بن طريف التغلبي المعروف بالشاري^(١) ، وذلك سنة ثمان وسبعين ومائة ، وكان مركزه في مدينة نصيبين من الجزيرة ، فعاث فيها فساداً ، وقتل عاملها ، فأرسل إليه الرشيد جيوشاً فهزمتها ، فاختر له قائده يزيد بن مزيد الشيباني فدارت بينهما معركة حامية قتل فيها الكثير ، ثم إن يزيد القائد نادى الوليد الخارجي : ابرز يا وليد ، ولا يقتل الناس بيني وبينك ، فهزله فقتله يزيد ، واحتز رأسه ، وبعث به إلى الرشيد ، وانهمز الخوارج .^(٢)

وفي سنة اثنتين وتسعين ومائة خلت خراسان لحمزة الخارجي^(٣) فأخذ البلاد وأخاف العباد ، وهزم الجيوش ، وسلب الأموال ، وقتل الأبرياء ، وبقي الناس في فنته منذ خلافة الرشيد إلى أن مضى صدر من خلافة العأمون ، فلما استقرت الخلافة له ، كتب إلى حمزة كتاباً استداه فيه إلى طاعته ، لكنه أبى وازداد فتوراً وإفساداً ، فبعث إليه جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين^(٤) ، واشتبك الفريقان وسقط القتلى من الجانبين ، فتمكن حمزة من الهرب ، ورجع طاهر من خراسان ، ثم إن حمزة أعاد ترتيب جيشه وقصد خراسان ثانية ، فخرج إليه أحد رجالهسا^(٥)

-
- (١) الوليد بن طريف التغلبي : زعيم الخوارج وأحد أبطالها ، وكان مقيماً بنصيبين والخابور من أرض الجزيرة ، خرج في خلافة الرشيد وبغى وحشد الجموع فأرسل إليه الرشيد جيشاً كثيفاً على رأسه يزيد بن مزيد فقتله سنة تسع وسبعين ومائة . (وفیات الاعيان ٢١/٦) .
- (٢) انظر : (الطبری - تاريخ الأمم والملوك ١٠/٦٢) و (تاريخ خليفة ص ٤٥١) و (تاريخ اليعقوبي ٢/٤١٠) و (ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥/٩٧) و (الهافعي - مرآة الجنان ١/٢٧٠) و (شذرات الذهب ١/٢٨٨) .
- (٣) حمزة بن أكرح الخارجي : مدثور الخوارج المشهورين الذين عاشوا في الأرض فساداً ، وطالت مدة إفسادهم ، واستمر المسلمون في مدينتهم زمناً طويلاً وبمضروجه في صفوف الرشيد ، واستمر في الإفساد إلى صفوفه العأمون ، ثم كتب له العأمون بزعيمه إلى طاعته فأبى ، فخير له جيشاً يعاقله فمضى حمزة ثم رجع فتأثر عليه أهل نيسابور فقتلوه . (تاريخ الطبري ١٠/٦٢) .
- (٤) طاهر بن الحسين الخراساني : من كبار العذاراء والقواد أدياً وحكماً وشجاعاً وهو الذي وطد الملك للعأمون العباسي ، ولد في (بوشنج) من أعمال خراسان وسكن بغداد واتصل بالعأمون ، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد ، وولاه العأمون شرطه بغداد ثم الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب ، مات سنة سبع ومائتين (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/١٠٨) .
- (٥) والذي خرج رجل يدهي : عبد الرحمن النهساوري (الكامل لابن الأثير - ١/١٢٨)

ونادى فى الناس والغزاة ، فتجمع حوله عشرون ألف من غزاة نيسابور ونواحيها
فهزمهم وقتلوا الآلاف منهم وجرح حمزة وولى منهزماً ففات من أثر الجراح ، وكانت
هذه الواقعة من مفاخر أهل نيسابور^(١) .

وتتابعت حركات الخوارج هنا وهناك فى زمن الأمين ثم العأمون ، فأرسلت
إليهم جيوش الخلافة فأخذوها ، وقضوا على أصحابها .^(٢)

فهذه نبذة سريعة عن ثورات الخوارج فى العصر العباسى الأول وببعض
لموقف الخلفاء منها ، حيث قاموهم بالسيف ، وردوا على ضفهم بمثله أو أشد
وقضوا على زعماء الفتنة والإفساد ، بدافع المحافظة على أمن الأمة ووحدة
كلمتها ، وتأمين الحماية للقائمين على أمر الله تعالى وشئون العباد ودفن
الأخطار التى تهدد سلامة الراعى والرعية .

هذا جانب من جوانب العقامة التى يظهر فيه أسلوب القوة والبطش بعسد
أن عجزت الأساليب الأخرى عن إيقاف حركات الفتنة وثورات الفساد ، وواضح
أن هذا الأسلوب لا يستطيع التحكم فيه والسيطرة عليه إلا أولياء الأمور الذين
يملكون القوة ، ويستحقون الطاعة ، وقد بذلوا كل جهودهم فى سبيل القضاء
على الخوارج ، وقمع الفتن .

(١) انظر : (البخدادى - الفرق بين الفرق - ٩٨) .
(ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ١٢٨/٥) .
(٢) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ١٤١/٥) .
(وابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ١٦٣/٢) .

طَبِيعَةُ مَقَاوِمَةِ الْخُلَفَاءِ لِلْخَوَارِجِ :

تصدّى الخلفاء العباسيون لثورات الخوارج ، كما تعدى لها الأمويون من قبل قاصدين من وراء ذلك منع الفوضى وقطع دابر الفساد بين ، والمحافظة على الأمن والاستقرار ، وهذا لا يمنع أن يحرم البعض منهم على بقاءه في منصب الخلافة أو عدم خروجها عن أسرته ، لكنهم حينما قاموا بهم ، كان لهم الحق في ذلك ، لأن أمر الأمة جميع ، ويريد الخارجون تفريق الوحدة وتفريق الكلمة ، وإن قصدوا الإصلاح فهم يحملون أن دون ما يقصدون معائب وفتن ، ولن يتم لهم ما أرادوا إلا بآفة الدماء وهتك الحرمات ، وقد أخطأ الخارجون في تمردهم وعصيانهم ، وإحداث الفوضى والبلبلة في الأمة المسلمة .

وإذا نظرنا إلى الحروب التي خاضها الخلفاء ضد الخوارج فإننا قد نجد بعض التباين في طبيعتها ، فالحروب التي خاضها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مثلا تختلف عن التي خاضها الخلفاء من بعده ، نظراً لحال طسسى وسيرته وعدله واجتماع الناس على بيعته ، ثم زهده في الدنيا وعدم حرصه على الخلافة في الوقت الذي لا يتهاون في القيام بكامل حقوقها ، وبذل الجهد لدفع كل شر يتجه نحوها

فهذا الحال يختلف أحوال الخلفاء الذين غلبوا على الخلافة أو نالوها بالوراثة ، ثم لم تخل سيرتهم من بعض الإهمال والظلم والإسراف .

صحيح أن الأمة قد اجتمعت على خلافتهم ، ورضى الجميع أو الغالبية بهم ، إلا أنهم لم يسيروا في الناس سيرة الخلفاء الراشدين ، ولذلك فالخارج عليهم ليس كالخارج على الراشدين ، إلا أن هذا الطارق لا يبرر الخروج وإحداث الفتن لكني أريد أن أقول أن مقاومة الراشدين كعلي بن أبي طالب وصر بن عبد العزيز - على رأى من ألحقه بهم - للخوارج قد تختلف عن مقاومة سائر الخلفاء لهم ، لأن طمياً وابن عبد العزيز كانا آية في التقوى والزهد والأمانة ، ولو وجدنا في الأمة من هو أولى منهما بالخلافة ويرضى أن يتولاها لما حجبوها عنه ، لكن بيعة الناس لهم ، وثقتهم بالله ثم بأنفسهم في حمل الأمانة جعلتهم يقبلون الأمر

ويدافعون عنه ، لكن من سواهما من الخلفاء الذين جاؤوا بعدهما لم يكونوا مثلهما في أهلية الخلافة ، وفي استقامة السيرة ، والبعد عن مظاهر الإسراف والتقسير في إيصال كل حق إلى صاحبه ، لذلك فإن مقاومتهم للخوارج ربما يغلب عليها طابع الحرص على الخلافة أو عدم خروجها عن ذريتهم ، بالإضافة إلى الدافع الأخرى التي هي المحافظة على كيان الأمة المسلمة وعلى أمنها واستقرارها ورفعة دينها ووحدة كلمتها ، والتي ينبغي أن تكون هي وحدها الدافع لمقاومة الخارجيين ، وصدّ الثائرين .

ولعل جواب صر بن عبد العزيز للخوارج يوضح هذه القضية ، فإنهم قالوا له : أخبرنا عن قيامك بهذا الأمر ، أمن رضا من الناس ومشورة أم ابتزرتهم أمرهم ؟

فقال صر : والله ما سألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم عليها ، وعهد إليّ رجل كان قبلي ، فقتل ولم ينكره أحد ، ولم يكرهه غيركم ، وأنتم ترون الرضا بكل من عدل وأنصف ، فإن خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم . (١)

إن هذا القول لا يستوي مع قول أبي جعفر المنصور لعبد الصمد بن طيبي لما قال له : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو ! فقال أبو جعفر : لأن بني مروان لم تيل رممهم ، وآل أبي طالب لم تخمدهم سيوفهم ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء ، فمن تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة . (٢)

وقال في موقف آخر : من نازعا عروة قميص الإمامة أو طائناه ما في هذا الخمس (٣)

(١) انظر : (أبا نعم - الحلية ٢٠٩/٥)

(ابن الأثير - الكامل في التاريخ ١٥٥/٤)

(ابن خلدون - كتاب العبر ١٦٢/٣)

(٢) (السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٢٦٧)

(٣) (الذهبي - سير اعلام النبلاء ٨٩/٧)

طى أننا لانقصد بهذه المقارنة إبعاد الخلفاء الأئمة والعباسيين فسرى
مقاومتهم للخوارج عن الصفة الدينية ، وسلامة النية ، بل كانوا كذلك ، كما
أنهم كانوا طى صلة بعلماء السلف فى كثير من الأحيان ، يستشيرونهم ، ويتعرفون
طى آرائهم .

وأسوق مثلاً طى ذلك ، فإنه فى عهد أبى جعفر المنصور ثار بعض الخوارج
فى ناحية الموصل ، وبلغ الخبير أبى جعفر فعزم طى إنقاذ الجيوش إلى تلك الناحية
والفتك بأهلها ، لكنه قيل أن يفعل طلب بعض العلماء والفقهاء ، وكان مسن
بينهم الإمام أبو حنيفة - رحمه الله -

وقال المنصور : إن أهل الموصل شرطوا لى أنهم لا يخرجون طى ، فإن فعلوا
فقد حلت دماؤهم وأموالهم ، وقد خرجوا طى عاملى ، فسكت أبو حنيفة ، وتكلم
الحاضرون وقالوا :

إن يدك مبسوطة طيهم ، وقولك مقبول فيهم ، فإن عفوت فانت أهل للعفو ،
وإن عاقبت فيما يستحقون .

فالتفت المنصور إلى أبى حنيفة وقال :

ما تقول يا شيخ ؟ ألسنا فى خلافة نبوة وبيت أمان ؟

فقال أبو حنيفة : إنهم شرطوا لك ما لا يملكون ، وشرطت طيهم ما ليس لك ،
لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معان ثلاثة ، فإن أخذتهم أخذتهم بمسا
لا يحل ، وشرط الله أحق أن توفى به ، فأمرهم المنصور بالقيام ففرقوا ، ثم
دعا أبى حنيفة وقال له :

يا شيخ القول ما قلت ، انصرف إلى بلادك ، ولاتفت الناس بما هو شين
طى إمامك فتبسط أيدي الخوارج .

وكف الخليفة عن أهل الموصل بعد ما سمع من العلماء . (١)

وهذا يدلنا طى أن المنصور وغيره من الخلفاء إنما كانوا طى صلة وثيقة

(١) (ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٢٥/٥) .

بالعلماء وكانوا يستشيرونهم في أمر الخارجين عليهم ويخضون إلى آرائهم
ولا يستبهجون الدماء في سبيل غضب أو انتقام .
ومثل هذا الموقف يكسب المقاومة مصفاً دينياً وظلالاً راشدية .

ورسالة المهدي إلى عبد السلام البشكري الخارج في الجزيرة تؤكد هذا
الوصف وتقرّب المقاومة من نبع الحق وأساس الدين .

ومما جاء في تلك الرسالة : إن الله اختص بالسعادة جنده ، وأيسر
بالمهدي حزيه ، وأسكن من أجاب جنّته ، وأسبغ على من خشى جنّته ، وأهدف
من صاه نقصته ، إني قد عجبت من إحداثك وبغيك ، مع مناوأتك خليفته ، ونزعك
يدك من طاعته ، وشتتك أبا الحسن عليّ بن أبي طالب ووقوعك فيه ، وتنقصك
إيماه ، وولايتك من عاداه ، فالله صعبت ، ونبيه عاديت ، وفي غيِّك تماديت ، فأقسم
لاغرّينك أجناداً هطيمة وقوادك منيعة ، هم الذين يفضون جمعك ، ويهتكون
ببناءك فاصل لنفسك أودع . (١)

وإن نظرة في هذه الرسالة تكشف عن منهج صاحبها في مقاومة الخارجين ،
فهو يصرّح بما نقم على هذا الخارجى فيذكر أولاً الأحداث والابتداع ، ثم
البنى والعدوان ، ويخاطبه واصفاً بإيماه بالمناوأة للخليفة ، وشقّ صا الطامة ،
والنيل من ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخليفته ، ومن ارتكب مثل
هذه المنكرات فقد حقّ لوليّ الأمر تأديبه ومعاقبته .

فهذان الموقفان من المنصور والمهدي يدلّان على أن التصدى للخسارج
لم يكن سياسياً فحسب بل كان دينياً كذلك .

ولو أن الخلفاء أصلحوا أخطأهم ونظروا في الأسباب الدافعة على الخروج
عليهم فأخذوا بما كان وجهياً ، ثم إذا أمرّ الخارجون على عادهم قاتلوهم ،
لو أنهم فعلوا ذلك لكانت المقاومة دينية محضة ، لا حظّ فيها لنفس ، ولا تشويهاً
شائبة الحقد أو الطمع .

(١) (تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٤٣) تحقيق د / أكرم ضياء العمري .

الْفَصْلُ الثَّلَاثُ

الدَّعْوَةُ وَالْإِعْتِزَالُ

(الفصل الثالث)

(الدَّعْوَةُ وَالْإِعْتِرَازُ)

واجهت الدعوة الاسلامية وتواجه دائماً في طريقها مشكلات عقديّة وفكريّة واجتماعية ، ولكن حكمة الدعوة وكفاءة الدعاة أكبر من كل مشكلة ، فإن علماء الإسلام لم يألوا جهداً في دراسة واقع الدعوة وطبيعة مشكلاتها ، ومقاومة كل ما من شأنه تأخير سير الدعوة ، أو تعكير صفوها .

وهرضنا في الفصلين السابقين لمشكلتين كبيرتين هما التشيع والخوارج ، وسنعرض في هذا الفصل - بعون الله تعالى - لمشكلة الاعتزال .

وقبل أن نتكلم عن مواقف الأئمة من هذه المشكلة أجد من المناسب أن نعطي نبذة سريعة عن المشكلة ذاتها ، فأقول وبالله التوفيق .

ظهور الاعتزال :

يُرجَّح ظهور الاعتزال في أواخر القرن الأول ، أيام الحسن البصرى - رحمه الله - وذلك عندما سأله رجل - وهو في المسجد يُلقب دروس العلم - عن مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر ؟

فأجاب الحسن بأنه لا يخرج من أصل الإيمان ولكنه فاسق صاص .
فصام من الحلقة أحد تلاميذه وهو واصل بن عطاء الغزال (١) وخالفه فيما

(١) واصل بن عطاء الغزال : مولى بنى ضبة أول من ابتدع الاعتزال وانشق عن حلقة الحسن البصرى ، وهو أحد البلغاء المتكلمين وله طائفة تنسب إليه وهي (الواصلية) وهو الذى نشر مذهب الاعتزال فى الآفاق ، مات سنة ١٢١ هـ ، وله تصانيف كثيرة .

(وفيات الأعيان ٧/٦) و (سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥)

أجاب وقال : مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ! بل هو فى منزلة بين المنزلتين وانضم إليه فى بدته عمرو بن مهيدي^(١) ، فطردهما الحسن من مجلسه بسبب ذلك فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة ، ومن ثم أطلق عليهم (المعتزلة)^(٢)

أصول المعتزلة :

قام المذهب الاعتزالي على العقل والجدل ، ونا وتوسعت دائرة أفكاره ، فبدأته كانت حكم مرتكب الكبيرة ثم خالفوا فى مسألة القدر فنصروه ، وادعوا أن العبد هو الذى يوجد أفعال نفسه ، وليست مقدرة عليه ، وتدخلوا فى أمور كثيرة فى العقيدة وخالفوا النصوص وشاركوا الجماعة واعتدوا على العقل فضلوا وأضلوا .

وتتلخص عقيدتهم فيما أسموه (الأصول الخمسة) وهى :

التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوحد والوحد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالأصل الأول وهو التوحيد غلوا فيه وتطرفوا فى معناه حتى نفوا الصفات الإلهية وقالوا : إن الاعتقاد بوجود الصفات قول بالتعدد ، فذات الله أزلية ، وما سواها حادث ، وأدأهم هذا الفهم للتوحيد إلى أمور خطيرة منها :

(١) عمرو بن مهيدي بن باب التيمي بالولاء ، أبو عثمان البصرى شيخ المعتزلة فى عصره وأحد الزهاد المشهورين ، وكان جده من سبى فارس وأبوه ناسجاً ثم شرطياً للحجاج فى البصرة ، وكان صاحب بدعة ، توفى بمران قرب نكسة سنة أربع وأربعين ومائة . (وفيها ت الأيمان ١/٣٨٤ - ٢/٤٦٠) و (تاريخ بغداد ١٢/١٦٦) و (سير أعلام النبلاء ٦/١٠٤) .

(٢) انظر : (البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٠ - ١١٨ - ١٢١) و (الاسفرايينى - التبصير - المقدمة ص ٣) و (الشهرستاني - الملل والنحل ١/٤٧) و (الملطى - التنبيه ص ٤٠) و (الرازى - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٢٩) .

- نفس صفات الله تعالى ، ونفى أن يكون كلامه قديماً ، ولذلك قالوا بخلق القرآن .

- ومنع رؤية الله تعالى في الآخرة ، لما يتطلب ذلك - بزعمهم - من إثبات التشبيه والجسمية ، ومن ثم قالوا : من أثبت لله شيئاً من الصفات أو قال : إنه يرى في الآخرة ، أو ادعى أن القرآن غير مخلوق فهو مجسم مشبه . (١)

والأصل الثاني وهو العدل ، لكنهم فسروه على غير وجهه فزعموا أن الله لا يفعل القبيح ولا يختاره ، وأن العبد يخلق أفعال نفسه ولذلك يُسأل فسي الآخرة ، فالله تعالى لا يريد الشر ولا المعصية ، ولم يُقدّر ذلك على أحد . (٢) وهذا تكذيب للقدر ، وإخلال بركن من أركان الإيمان .

والأصل الثالث الوعد والوعيد ، وهو متفرع - عندهم - من العدل ، فالعدالة الإلهية - في اعتقادهم - تقتضي أن يُثاب الأخييار ويُعاقب الأشرار لامحالة ، فلا يجوز أن يعفو الله عن المعاصين إلا إذا تابوا توبة صادقة ، والمعاصي - عندهم - فاسق مخلد في النار ، وهم بهذا يردون على المرجئسة القائلين : لا تضمن الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فالمعتزلة يقولون بوجود إنقاذ الوعد ، ولذلك وافقوا الخوارج في القول بأن الشفاعة لأتثال العمارة فهم معذبون أبداً . (٣)

والأصل الرابع : المنزلة بين المنزلتين ، ويُطلق عليه أيضاً : الكلام في الأسماء والأحكام ، والمراد بهذا الأصل : أن صاحب الكبيرة له اسم يبيِّن

(١) انظر : (عبد الجبار المعتزلي - شرح الأصول الخمسة ص ١٥١ وما بعدها)
(والشيخ ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٣٨٦/١٣)
(والبغدادى - الفرق بين الفرق ص ١١٤)

(٢) (شرح الأصول الخمسة ص ٢٠١ وما بعدها) و (مجموع الفتاوى ٣٨٦/١٣ وما بعدها) و (الفرق بين الفرق ص ١١٤) و (مروج الذهب للشعوبى ٢٣٤/٣)

(٣) انظر : (عبد الجبار المعتزلي - شرح الأصول الخمسة ص ٦١١)
(وابن تيمية - مجموع الفتاوى ٣٨٦/١٣)
(وعبد الفتاح أحمد فؤاد - ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفى - ص ٨١ - ١١٥)

الاسمين ، وحكم بين الحكمين ، فلا يسمى مؤمناً - خلافاً لأهل السنة ، ولا كافرًا - خلافاً للخوارج - بل هو في منزلة بين المنزلتين ، وحكم بين الحكمين فليس بمؤمن ولا كافر ، بل هو فاسق ، وإذا مات على غير توبة فهو في النار خالدًا فيها .
فهم خالفوا بدعة الخوارج والمرجئة ببدعة أخرى زاعين أنهم وسط بين إفسراط الخوارج في التكفير، وتفريط المرجئة في التهاون بالمعاصي . (١)

والأصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو واجب عندهم على حسب الطاقة بالسيف فما دونه ، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق ، ويتضمن هذا الأصل وجوب الخروج على الأئمة ضد ظهور الجور ، وقد علوا بهذا الأصل في وجه تيار الزندقة ، ثم استغلوا بعض الخلفاء في نشر ما يروونه حقسًا فوق الجميع في القسوة المقوتة ومحاولة فرض عقيدتهم بالقوة والإرهاب ، وما القول بخلق القرآن إلا صورة من تلك القسوة . (٢)

أَبْرَزُ شُبُوحِ الْأَقْسِرَالِ :

- وأصل بن مطاء الغزال ، وهو أول من اعتزل الجماعة وخالف السنة ، وله فرقة تسمى الواصلية . (٣)

- وصرو بن مبيد وهو أول من انضم إلى وأصل في بدعته وله فرقة تسمى العمريية . (٤)

-
- (١) (شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٧) (ومجموع الفتاوى ١٣ / ٢٨٦) (ومروج الذهب ٢ / ٢٤٥) .
(٢) (شرح الأصول الخمسة ص ٧٤١) (ومجموع الفتاوى ١٣ / ٢٨٦) و (مروج الذهب ٣ / ٢٣٥) .
(٣) انظر : (الفرق بين الفرق ص ١١٧) و (الملل والنحل ١ / ٤٦) .
(٤) (الفرق بين الفرق ص ١٢٠) و (سير أعلام النبلاء ٦ / ١٠٤) و (وفيات الأعيان ٣ / ٤٦٢) .

- ومحمد بن الهذيل المعروف بالعلّاف^(١) ، وقد أوغل في فلسفة العقيدة والصفات متأثراً بالفلسفة اليونانية والنصرانية ، وله فرقة تُسمى الهذلية .^(٢)
- وأبو إسحاق بن سيار المعروف بالنظام^(٣) ، وقد خلط الفلسفة بالاعتزال ، وظل في القدر والرفض ، وله فرقة تُسمى النظامية .^(٤)
- وطى الأسواري^(٥) ، وكان من أتباع أبي الهذيل ، ثم انتقل إلى مذهب النظام ، وزاد في الغلظة ، وفرقته تُسمى الأسوارية .^(٦)
- ويشر بن المعتز^(٧) وأتباعه يُسمون البشيرية .^(٨)

(٧) محمد بن الهذيل المعروف بأبي الهذيل العلاف ، كان مولى لعبد القيس ، وقد كفر سائر فرق الأمة حتى بعض أصحابه المعتزلة ، وله فضائح كثيرة خالف فيها النقل والعقل ، وقد صرَّحوا في قرن من الزمان ، ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين . (تاريخ بغداد ٢/٣٦٦) و (شذرات الذهب ٢/٨٥) .

(٢) (الفرق بين الفرق ص ١٢١) .

(٣) أبو إسحاق بن سيار المعروف بالنظام وهو ابن أخت العلاف ، ومنه أخذ الاعتزال وهو شيخ الجاحظ ، ومن أدكها المعتزلة ، اتبع الفلاسفة وقسّر مذهبهم في القدر . (الفرق بين الفرق ص ١٢١) (والملل والنحل ١/٥٣) (واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤١) (والنجوم الزاهرة ٢/٣٣٤)

(٤) انظر : (الفرق بين الفرق ص ١٢١) (والملل والنحل ١/٥٣) .

(٥) طى الأسواري من أصحاب أبي الهذيل ومن أطمهم ، لكنه تركه وانتقل إلى مذهب النظام وقد ابتدع أموراً كثيرة أوصلته إلى الكفر فنفي عن الله القدرة المطلقة وأمثال هذا الضلال . (الفرق بين الفرق ص ١٥١) .

(٦) (المصدر نفسه)

(٧) بشر بن المعتز : أبو سهل الهلالي من أهل بغداد ، ويقال إنه كوفي انتقل إلى بغداد ، وهو رئيس المعتزلة فيها ، وله قصيدة من أربعين ألف بيت ردّها طى المخالفين وهو شيخ ثمامة بن أشرس .

(الفرق بين الفرق ص ١٥٦) .

(٨) (الفرق بين الفرق ص ١٥٦)

(والتبصير ص ٤٥) .

(والملل والنحل ١/٦٤) .

- وهشام بن عمرو الفوطى (١) وأتباعه الهاشمية (٢)
- وهيب بن صبيح المعروف بأبي موسى المرذار (٣) ، وكان يقال له : راهب المعتزلة ، ووافق النظام فى قوله بأن الناس قادرون على الإتيان بمثل القرآن ، ويأصح منه وفرقة المرذابية . (٤)
- وشامة بن أشرس النميرى (٥) من موالهيم وكان زعيم المعتزلة أيام الأمويين والمعتمد والواثق ، وقيل : هو الذى أغوى المؤمنون بالاعتزال ، وفرقته تسمى الثمامية . (٦)
- وصرو بن بحر الجاحظ (٧) ، وكتبه طليئة بالجَهل فى الدين والضلال عن الحق، وأتباعه الجاحظية (٨) .
- وغير هؤلاء ممن لا يتسع المجال لذكرهم .

-
- (١) هشام بن عمرو الفوطى الشيبانى كان أيام المؤمن وكان له مكانة عنده وله بدع كثيرة . (الفرق بين الفرق ص ١٥٩) (والتبصير ص ٤٦) .
- (٢) انظر (المعدرين نفسيهما) .
- (٣) هيب بن صبيح المعروف بأبي موسى المرذار كان من علماء المعتزلة وهيب تلميذ بشر بن المعتمر ، وكان يسمى راهب المعتزلة لزهده وعبادته . انظر : (الفرق بين الفرق ص ١٦٥) و (التبصير ص ٤٧) .
- (٤) انظر : (الملل والنحل ١/٦٨) (والتبصير ص ٤٧) .
- (٥) شامة بن أشرس النميرى ، زعيم المعتزلة ، وله معرفة بالأدب والفلسفة . (الفرق بين الفرق ص ١٧٢) (والتبصير ص ٤٨) (والملل والنحل ١/٧٠) .
- (٦) انظر : (المراجع المتقدمة) .
- (٧) صرو بن بحر الجاحظ : تلميذ شامة والنظام ، كان رأسا فى الاعتزال ، له ضاية بالأدب والتصنيف ، مات سنة خمسين ومائتين . (الفرق بين الفرق ص ١٧٥) (والتبصير ص ٤٩) .
- (٨) انظر (المعدرين المتقدمين) .

العلاقة بين المعتزلة والجهمية :

كثيراً ما يطلق لقب (الجهمية) على المعتزلة وبالعكس ، ولو نظرنا في أصل الفرقتين لوجدناهما متفتحتين في بعض المبادئ ومختلفتين في البعض الآخر .

فالجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي^(١) الذي نفى الصفات عن الله تعالى ، وأخذ مذهبه من الجعد بن درهم^(٢) ، وأظهره بعد مقتل أستاذه الجعد في أواخر عهد بني أمية .^(٣)

وقد وافق جهم المعتزلة في : نفي الصفات ، ونفي الرؤية ، والقول بخلق القرآن ، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع .

وخالفهم في : القدر أو في أفعال العباد ، فقال بالجبر ونفى مسن العبد القدرة على فعل شيء وزعم أنه مجبر على كل ما يفعله ، وقال : لا يفسر مع الإيمان ذنوباً .^(٤)

والناظر في كلام أئمة السنة المتقدمين أمثال أحمد بن حنبل والبخاري^(٥) يجد

(١) جهم بن صفوان السمرقندي : تلميذ الجعد بن درهم ، والجهم من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمز وقته مسلم بن أحوز العازني بعرو في آخر فلول بني أمية سنة ١٢٨ هـ ، وقد وافق المعتزلة في نفي الصفات وزاد عليهم أشياء وكان مع ضلالتهم يحمل السلاح ويقاتل السلطان .
(الفرق بين الفرق ص ٢١١) (والملل والنحل ١/٨٦) (سير أعلام النبلاء ٦/٢٦٦) .

(٢) الجعد بن درهم / مبتدع ضال ، ابتدع القول بخلق القرآن وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، فضحى به خالد القسري يوم النحر بأمر هشام بن عبد الملك ، وذلك سنة أربع وخمسين ومائة .
(الكامل لابن الأثير ٤/٢٥٥) (البداية والنهاية لابن كثير ٩/٢٩٥) (سير أعلام النبلاء ٥/٤٢٣) .

(٣) انظر (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٨/٤٦٠) (والمقدس - رسالة في الرد على الرافضة ص ٤٤٤) .

(٤) (الشهرستاني - الملل والنحل ١/٨٦) (والبغدادي - الفرق بين المعتزلة والرافضة ص ٦٨) (والرازي - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨) .

(٥) البخاري : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي .

أنهم كانوا يطلقون لفظة (الجهمية) على فرقة المعتزلة ويردُّون عليهم في الأمور التي ابتدعوها ، وهذا واضح في كتاب (الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد) وكتاب (الرد على الجهمية للبخاري) ، وفيهما من الكتب ، حيث كانوا يخاطبون المعتزلة ويظهرون أخطأهم وضلالهم .

ولفظة الجهمية كانت أشهر وأفكارهم أقدم لأنَّ جَهْمًا تلقى عن الجعد، وهو تلقاها عن سبقة من أشياخه ، وظلت نسبة الفرقة إليه لمبالغته في الدعوة إلى أفكاره وتبنيه تلك الأفكار ، حتى بدا وكأنه صاحبها والمحدث لها . (١)

أولا : (فِكْرَةُ الْقَدْرِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ بِهَا) :

الكلام في إرادة الله تعالى وولايتها بأفعال العباد لم يكن وليد العصر العباسي أو الأموي ، فقد حكى القرآن الكريم في غير موضع اعتذارات المشركين عن شركهم بمشيئة الله تعالى ، وأنه لو شاء الله ما أشركوا ، وهي اعتذارات - لا شك - مرفوضة ، لجهلهم بمشيئة الله تعالى ، واتباعهم للهيوى والشيطان ، ويمثل ذلك اعتذر مشركو الأمم العاضية محاولين تبرير شركهم وضلالهم ، بقول الله تعالى :

« وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا : لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَدَأْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ » كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَبَلَغُوا رُءُوسَهُمْ فَأَنبَتُوا كَبِدَ السَّرَابِ « (٢)

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه : (جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله

* بالولاء البخاري الحافظ صاحب الجامع الصحيح والتاريخ ، رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأعمار ، ولد سنة ١٩٤ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ ، (وفيها الأيمان ١٨٨/٤) (ومراة الجنان ١٦٧/٢) (وتذكرة الحفاظ ٢٥٥/٢) .

(١) جمال الدين القاسمي - تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٥٩ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ مؤسسة الرسالة - بيروت ، وعلى سامي النشار - عقائد السلف ص ٢٥ (٢) آية رقم (٢٥) من سورة (النحل) .

- على الله عليهم - في القدر فنزلت : " يَوْمَ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ " إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (١) (٢)

ويقول عطاء بن أبي رباح : أتيت ابن عباس رضي الله عنهما وهو ينزع في زمزم ، وقد ابتليت أسافل شيا به ، فقلت : قد تكلم في القدر ، قال : أوقد فعلوها ؟ فقلت : نعم ، فقال : فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم : " ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " أولئك شرار هذه الأمة . (٣)

وقال الأوزاعي : أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له : (سومن) كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر ، فأخذ منه معبد الجهني (٤) وأخذ غيلان (٥) من معبد . (٦)

ورد في صحيح مسلم (٧) عن يحيى بن يعمر أنه قال : (أول من قال في

- (١) آية رقم (٤٨ - ٤٩) من سورة (القمر) .
- (٢) (صحيح مسلم - كتاب القدر - باب كل شيء بقدر ٢٠٤٦/٤ رقم (٢٦٥٦) .
- (٣) (اللالكائي - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٤٦/٤) .
- (٤) معبد الجهني : هو معبد بن خالد الجهني البصري ، أول من تكلم في القدر من أهل البصرة ، خرج مع ابن الأشعث فأخذه الحجاج بن يوسف فعذبه ثم قتله ، وقيل : صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين للهجرة ، أو بعدها .
انظر : (الملل والنحل للشهرستاني ٣٠/١) (والعبر ٩٢/١) .
- (٥) غيلان الدمشقي أبو مروان غيلان بن مسلم ، أخذ بدعته من معبد ، ثم استتابه صر بن عبد العزيز فتاب ، ثم رجح فقتله هشام بن عبد الملك .
(الفرق بين الفرق ص ١٩) (والملل والنحل ٣٠/١) .
- (٦) انظر : (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٧٤٦/٤)
(والتووي - شرح صحيح مسلم ١٥٦/١) .
- (٧) مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد أبو الحسين القشيري النيسابوري صاحب الصحيح وأحد الأئمة الحفاظ ، رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وآخرين ، توفي بنصر أبان ظاهر نيسابور ودفن هناك سنة ٢٦١ هـ ، وهو خمس وخمسون سنة .
(وفيات الأعيان ١٩٤/٥) (تاريخ بغداد ١٠٠/١٣) .
- (٨) يحيى بن يعمر : القاضي العدواني البصري قاضي مرو ، روى عن أبي ذر وهار واثشة وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر ، روى عنه قتادة وعطاء ، وصحب يزيد ابن المهلب إلى خراسان ، مات سنة تسع وشرين ومائة .
(طبقات ابن سعد ٢٦٨/٧) (وتذكرة الحفاظ ٧٥/١) .

القدر بالبصرة معبد الجهنسى (١)

فكرة القدر قالها الجهم عن الجعد عن غيلان عن معبد عن سوسن النمراني
فهي فكرة واردة من أهل الكتاب ، وتلقفها أمثال هؤلاء الذين يروجون لكل باطل
وفاسد .

انتقال الفكرة إلى المعتزلة :

تشدد المعتزلة في نفي القدر تشبهاً مع أصل (العدل) الذي هو
من أصولهم الخمسة ، وجزوا عن التوفيق بين إثبات القدر لله تعالى وحصول
الحساب يوم القيامة على الأفعال ، وردوا النصوص الصحيحة الصريحة في المسألة
واشتهروا بنفي القدر حتى أطلق عليهم (القدرية) وذهب عليهم هذا اللقب
مع أنهم لا يتفقون مع فرقة القدرية في كل شيء ، لأن القدرية - وبخاصة -
الغلاة منهم ينكرون علم الله المتقدم على الأشياء ، وكتابتها السابقة لوجودها
ويعزمون أن الله تعالى أمر ونهى دون أن يعلم من يطيعه ممن يعصيه ، فالأمر
أنفس : أي مستأنس لم يسبقه علم ولا تقدير . (١)

رد تلك الفكرة :

لا شك أن فكرة القدر تعتبر إحدى المشكلات الكبرى التي آثارها
أرباب السبل المتفرقة ، لكن أصحاب المراط السوى والمهتدين من هذه الأمة
تعذوا لهذه المشكلة كما تعذوا لغيرها ، فبينوا ضلالها وتبرأوا من أصحابها
وحذروا الأمة من التأثر بها .

(١) انظر : (صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان - ٢٦ / ١) ،
رقم الحديث (٨) .

(٢) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٤٥٠ / ٨) .

١ (مَوْقِفُ الْمُحَابِبَةِ مِنْهَا :

سمع بعض الصحابة بحديث الناس من القدر ، وبلغهم نفي أهل البدعة له فأنكروا ذلك وتبرأوا من خاض فيه ونفاه ،

فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه بسنده قال : جاء رجلان إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فقال أحدهما : " يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلْنَا ناسٌ يقرأون القرآن ، ويتقنون العلم ، وذكر من شأنهم : وأنهم يزعمون أَنَّ لِقَدْرَ ، وأن الأمر أنف .

قال : فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنني بريء منهم ، وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر (١)

وتقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما عن هؤلاء : (فوالله ما نزلت هذه - الآية إلا فيهم : (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ » إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (٢) أولئك شرار هذه الأمة .) (٣)

فغاة القدر هادمون لركن من أركان الإيمان ، ولا يقبل الله منهم طاعة ، وهذا ما أشار إليه ابن عمر - رضي الله عنهما - كما أنهم سيعدون في النار ويحلون سقر ، لأنهم كذبوا بالقدر ، فهم شرار الأمة كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما ، وفي هذين الموقفين كفاية لدم القدرية والتحذير منهم وبيان طاعتهم .

(١) (صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان ١٠٠٠ / ٢٦ رقم (٨)

(وابن أبي يعلى الحنبلي - طبقات الحنابلة ٢ / ٢٠٢)

(٢) آية رقم (٤٨ - ٤٩) من سورة (القصر) .

(٣) اللالكاسي - شرح أصول الاعتقاد ٤ / ٧٤٦) .

ب (إِبْثَاتُ الْقَدْرِ ضِدَّ رِجَالِ السَّلْفِ :

جاءت نعوم الكتاب والسنة تبين مسألة القدر وأنها ركن من أركان الإيمان ، فلا يتم إيمان مؤمن حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، وأدلة القدر من الكتاب والسنة كثيرة جداً ، مما يجعل إنكار القدر معها ضرباً من العناد والجهل .

ولهذا فقد آمن أهل السنة بالقدر ، وتمدئ رجال السلف لكل من أنكره والقدر وسط بين الجبر والتفويض ، ولقد ضلَّ الجُهْمِيَّة بِعِلْمِهِمْ إِلَى الْجَهْرِ كَمَا ضَلَّتَّ الْمُعْتَزَلَةُ وَالْقَدْرِيَّة بِتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَى الْعَبْدِ ، وَأَنَّهُ يَخْلُقُ أَعْمَالَ نَفْسِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ ثَمَّة تَقْدِيرٌ مِنَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

ولما سُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْقَدْرِ أَجَابَ : بِأَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ قَسَدٌ اسْتَصْعَبَتْ عَلَى النَّاسِ فَأَنْسَى يَطْلِقُونَهَا فِيهِ مَسْأَلَةً مُقَلَّةً قَدْ ضَلَّ مِفْتَاحُهَا ، فَإِنَّ وُجِدَ مِفْتَاحُهَا طَمَّ مَا فِيهَا ، وَلَنْ تُفْتَحَ إِلَّا بِمُخْبِرٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَتَسِسِي بِمَا عِنْدَهُ وَيَأْتِي بِبَيِّنَةٍ وَيُرَاهَا ، وَقَدْ فَاتَ ذَلِكَ ، فَمُهَيَّبَنَّ مَعْنَى الْقَدْرِ فَقَالَ :

والذى نقول قولاً متوسطاً بين القولين : لا جبر ولا تفويض ولا تسليط والله تعالى لا يكلف العباد بما لا يطيقون ، ولا أراد منهم ما لا يعلمون ، ولا طاقبهم بما لم يعملوا ، ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم ، والله أطم بما نحن فيه ، والصواب الذى عنده ، ونحن مجتهدون ، إلا أنه لم يكلفهم الاجتهاد فيما ليس لهم به طم (١)

ومرح الأوزاعى - رحمه الله - أن القضاء والقدر ثابت في الكتاب والسنة بخلاف الجبر والإكراه ، يقول رحمه الله :

(لا أصرف للجبر أصلاً في الكتاب والسنة ، فأهاب أن أقول ذلك ،

(١) (ابن البرزى - كتاب المناقب ١ / ٨٥) .

ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل ، فهذا يُعرف في القرآن والحديث من رسول الله - صلى الله عليه وسلم (١)

ودعا سفيان الثوري - رحمه الله - إلى الإيمان بالقدر وبين أن العبد لمن ينتفع بشيء من الأعمال حتى يؤمن بالقدر كله ، ثم رد على القدرة الذين نفوا تقدير المولى عز وجل ، ونسبوا إيجاد الأشياء إلى أنفسهم دون أن يسبق ذلك كتابة أو تقدير ، وجاء بالأدلة من كتاب الله تعالى على السنة الأنبياء والملائكة والناس .

يقول سفيان : (والله ما قالت القدرة ما قال الله تعالى ، ولا ما قالت الملائكة ولا ما قال النبيون ، ولا ما قال أهل الجنة ، ولا ما قال أهل النار ، ولا ما قال أخوهم إبليس .

قال الله عز وجل : (أفرأيت من اتخذ إليه هواه فاضله الله على علمٍ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) (٢)

وقال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) (٣)

وقالت الملائكة : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) (٤)

وقال نوح عليه السلام : (ولا ينفعكم نعحي إن أردت أن أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٥)

وقال موسى عليه السلام : (إِنْ هِيَ إِلَّا أَفْتَتِكَ تَعْلَمُ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ) (٦)

وقال أهل الجنة : (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) (٧)

(١) (اللالكائي - شرح اصول الاعتقاد ٤ / ٧٠٠) .

(٢) آية رقم (٢٣) من سورة (الجاثية) -

(٣) آية رقم (٣٠) من سورة (النساء) و (٢٩) من سورة (التکویر)

(٤) آية رقم (٢٢) من سورة (البقرة) .

(٥) آية رقم (١٥٥) من سورة (الأعراف) .

(٦) آية رقم (٢٤) من سورة (هود) .

(٧) آية رقم (٤٣) من سورة (الأعراف) .

وقال أهل النار : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنَّا لَكَاظِمُونَ) (١)

وقال آخوهم إبليس : (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَالآن أَنِّي تَوَّابٌ) (٢)

ثم قال سفهان بعد هذا : ولا ينتفع العبد بشيء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره كل من عند الله عز وجل . (٣)

وربط الشافعي رحمه الله - مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى ، وصرح بأن مشيئة الله قبل كل مشيئة ، وليس للخلق مشيئة إلا أن يشاء الله تعالى لهم ذلك ولما سئل عن القدر قال :

ما شئتُ كان وإن لم أشأ	وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت المباد على ما علمت	ففى العلم يجرى الفتن والمسين
على ذا منت وهذا خذلت	وهذا أمت وذا لم تعين

وساق رحمه الله الآيات الدالة على مشيئة الله تعالى كقوله تعالى :

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) (٤)

وقوله : (يَخْتَارُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) (٥)

وقوله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ أُنْثَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ) (٦)

وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله - : (الاستطاعة لله ، والقوة لله ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وليس كما يقول المعتزلة : (الاستطاعة إليهم) (٧)

(١) آية رقم (١٠٦) من سورة (المؤمنون) .

(٢) آية رقم (٣٩) من سورة (الحجر) .

(٣) انظر : (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ١/١٥١) .

(٤) والمعنى - رسالة في الرد على الرافضة - (٢٢١) .

(٥) آية رقم (٢٠) من سورة (البقرة) .

(٦) آية رقم (٧٤) من سورة (آل عمران) و (١٠٥) من البقرة .

(٧) آية رقم (٤٨ - ١١٦) من سورة (النساء) .

(٨) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٤/٧٠١) .

(٩) (وابن حجر - فتح الباري - كتاب التوحيد باب المشيئة ١٣/٤٤٩) .

(١٠) (ابن أبي عمير - الفرائد الحنبلي - وطبقات الحنابلة ١/١٤٥) .

ووصف رحمه الله القدرية بأنهم مفترون على الله تعالى فقال :

ومن زعم أن الله شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة ، وأن العباد شائوا لأنفسهم الشر والمعصية ، فعملوا على مشيئتهم ، فقد زعم أن مشيئته العباد أغلظ من مشيئة الله تبارك وتعالى ، فأى افتراء أكثر على الله عز وجل من هذا !

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قهمل له : رأيت هذه المرأة حملت من الزنا ، وجاءت بولد ، هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد ، وهل منى فسى سابق طمه ؟

فإن قال : لا ، فقد زعم أن مع الله خالقاً ، وهذا هو الشرك صراحاً .

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضا وقد فقد زعم أن هذا الانسان قادر على أن يأكل بزق غيره ، وهذا صراح قول المجوسية ، بل أكل بزقه ، وقضى الله أن يأكله من الوجه الذى أكله .

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل ، ولا بمشيئته فى خلقه فقد زعم أن المقتول مات بخير أجله ، وأى كفسر أوضح من هذا !

بل ذلك بقضا الله عز وجل ، ومشيئته فى خلقه ، وتدبيره فيهم ، وما جرى من سابق طمه فيهم ، وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد ، ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقصر . (١)

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله فقال له : تلجئنى القدرية إلى أن أقول :

الزنا بقدر ، والسرقة بقدر ، فقال أحمد : الخير والشر من الله تعالى (٢) .

(١) انظر : (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ١ / ٢٤ وما بعدها)
(وابن عساكر - تهذيب تاريخ دمشق - هذبه عبد القادر بدران -
١٧٧ / ٦) .

(٢) (أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث - ملحق فى الجهمية من كتاب مسائل الإمام أحمد - مجموعة عقائد السلف لعللى سامى النشار - ١١٢) .

ومما تقدم نعلم أن القدر سرٌّ من أسرار الله تعالى ، أوجب على عباده الإيمان به ، ولم يكلفهم البحث فيه أو الاطلاع عليه ، بل أمرهم ونهاهم ، وكلفهم مسن العمل ما يطيقون ، فعليهم التقيد بأمره ونهيهِ ، والإيمان بقضائه وقدره .

ونستفيد أيضا أن سلفنا الصالح كان مع القرآن والسنة يُثبتون كل ما أثبتته القرآن والسنة ، وينفون ما نفياه .

ويطلبنا سبحانه رحمه الله على ضلال القدرة ، حيث خالفوا الله تعالى ورسله وملائكته والناس أجمعين ، لأن الجميع أثبت لله العلم والمشية والتقدير ، وهو لا ينفوه .

ويؤكد الشافعيُّ - رحمه الله - أنه لا يكون شيء في الوجود إلا إذا شاء الله له أن يكون ثم ينسب الخلق والرزق وتحديد المصير من سعادة وشقاوة إلى الله عز وجل .

وكذلك يفعل أحمد بن حنبل - رحمه الله - ، ثم يُضيف بأن مزام القدرة ماهي إلا افتراء وشرك ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ج (خَلَقَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ :

زم المعتزلة - بناءً على أصل العدل عندهم - أن الله تعالى لا يبرئ الشرَّ والمعصية ، ولا يخلق أفعال الناس ، ولم يُقدِّرْها عليهم ، بل العباد يخلقون أفعالهم ، ويوجدون تصرفاتهم ، دون أن يكون لإرادة الله تعالى أو تقديره دخل في ذلك . (١)

(١) انظر : (شرح الأصول الخمسة ص ٣٠١ وما بعدها) .
و (مجموع الفتاوى ٢٨٦/١٣ وما بعدها) .
و (والفرق بين الفرق ص ١١٤) .
و (مروج الذهب ٢/٢٣٤) .

وهذا الزعم باطل تخالفه كثير من نصوص الكتاب والسنة ، ولذلك فقد تصدى رجال السلف الصالح لهذه الفكرة ، وفندوها ، وذكروا القول الصحيح فيها ، مستندين إلى الآيات والأحاديث الواردة في هذه المسألة .

ومن تلك النصوص :

قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (١)

وقوله : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا) (٢)

وقوله : (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ، قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (٣)

وقوله : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (٤)

وقوله عليه الصلاة والسلام : " إِنَّ اللَّهَ يَمْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَمَنْعَتَهُ " (٥)

يقول البخارى - رحمه الله - : فأخبر الله أن الصناعات وأهلها مخلوقة . (٦)

وجاء سراقه بن مالك بن جعشم (٧) ، فقال : يا رسول الله بين لنا

(١) آية رقم (٤٩) من سورة القمر .

(٢) آية رقم (٢) من سورة الفرقان .

(٣) آية رقم (١٦) من سورة الرعد .

(٤) آية رقم (٩٦) من سورة العافات .

(٥) البخارى - خلق أفعال العباد - من مجموعة عقائد السلف لعلى سامسى النشار ص (١٢٧) .

(٦) (المصدر نفسه) و (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢ / ٣١) .

(٧) وابن القيم - شفاء العليل ص (١٠٩) .

(٧) سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى الكنانى صحابى له شعر ، كان ينسزل قد يداً ، وكان فى الجاهلية قائماً بقتن الأثر ويصيب فى الفراسة ، وقد اشتهر بالقيافة بنو مدلج ، أخرجهم أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين هاجر ، وكان المديق معه فى هجرته ، وأسلم سراقه بعد غزوة الطائف سنة ثمان للهجرة ، ومات سنة أربع وعشرين .

(الإصابة - رقم الترجمة (٣١٠٩)) .

ديتنا كأننا خلقنا الآن ، فيما العمل اليوم ؟ أفما جفَّتْ به الأَقْلَامُ ، وجرتْ به المقادير ، أم فيما تستقبل ؟

قال : لا ، بل فيما جفَّتْ به الأَقْلَامُ ، وجرتْ به المقادير .
قال : ففهم العمل ؟ فقال : اعلموا فكلُّ ميسرٍ . (١)
وفى رواية : كلُّ ميسرٍ لما خلقَ له . (٢)

وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله - : (من زعم أن الزنا ليس بقدر فيسئل له : رأيت هذه المرأة ، حملت من الزنا ، وجاءت بولدٍ ، هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد ؟ وهل مضى في سابق طمسه ؟
فإن قال : لا ، فقد زعم أن مع الله خالقاً ، وهذا هو الشركُ صراحاً) (٣)
إلى آخر النصوص الواردة في هذا الشأن .

ومن أدلة السلف المتقدمة ما هو نمر في محل النزاع كقوله تعالى :
" اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ " ، وقوله : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَاتَعْمَلُونَ) ،
وقوله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ يَمْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَمَنْعَتَهُ "
فالكفر والشر والمعصية أشياء خلقها الله عز وجل .

وهذا ما أكده الإمام البخارى - رحمه الله - بقوله : فأخبر الله أن المذاهبات وأهلها مخلوقة .

وردَّ السلف العالِم على تحليل المعتزلة موقفهم من نفي خلق الله لأفعال العباد بتنزيهه عما لا يليق به - بأن الله تعالى خلق إبليس ، ولا أحد يشكُّ في هذا وهو شرُّه ، وقد أثبت الله تعالى في سورة الفلق أنه خلق الشرَّ فقال : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) (٤) ، وقد أُطبِق القراء حتى

(١) (صحيح مسلم - كتاب القدر - باب كيفية الخلق الآدمي ٢٠٤٠/٤ - رقم (٢٦٤٨)) .

(٢) (المصدر نفسه ٢٠٤١/٤ - رقم (٢٦٤٩)) .

(٣) (ابن أبي عمير - طبقات الحنابلة ١/٢٤١-٢٦) .

(٤) (وابن عساکر - تهذيب تاريخ دمشق ٦/١٧٧ - وما بعدها) .

(٤) آية رقم (١-٢) من سورة (الفلق) .

أهل الشذوذ على إضافة شر إلى (مَأ) إلا عمرو بن عبدي رأس الاعتزال فقرأها
بتنوين شر ، ليصح مذهبه ، وهو محجوج بالإجماع على قراءتها بالإضافة (١)

فإذا كان المعتزلة قد أرادوا التنزيه فقد أخطأوا طريقه ، لأنه لا يكون
يرد آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنما
بإثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه ، وما أثبتته الرسول - صلى الله عليه وسلم - له
دون تشبيه أو تعطيل .

وأما رد الإمام أحمد رحمه الله فقد كان قوياً مفتحاً ، حيث ضرب لهم مثل
المرأة التي زنت فحملت ثم جاءت بولد ، هذا الولد هو أثر للجريمة ، فمن
الذي خلقه ، ومن الذي أراد له أن يكون بشراً ، أليس قد جاء نتيجة معصية
قبيحة ، فإله تعالى لم يخلق ذلك وقدره ، فإن قالت المعتزلة لم يشأ الله خلقه ،
ولم يخلقه ، فقد أشركوا لأنه لا خالق غير الله .

ولإشكال البتة في أن الله تعالى يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدرُ بها على
الفعل والترك ، ثم يصرّف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته إلى ما سبق
به طمعه فيأتيه العبد طامعاً مختاراً ، غير مقهور ولا مجبور ، وغير مستقل به دون -
قدرة الله وإرادته ، كما قال تعالى : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (٢) .

وكلُّ مخلوقٍ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له ، فمن هداه الله تعالى وتفضل عليه بالتوفيق
فهذا فضل منه ورحمة ، ومن لم يفعل له ذلك فما ظلمه ، بل هذا عدل منه
وحكمة ، لأنه لم يكن ذلك دُنياً له على الله تعالى ولا واجباً مستحقاً ، بل إن -
أعطاه الهدى ففضلٌ منه وإن لم يُعطه فعدلٌ منه ، وقد أقام الله الحجّة على
الجميع ببعث الرسل وتأييدهم بالمعجزات التي لا تترك في الحق كِباً ، ثم إن الله
تعالى وفق من شاء توفيقه ، ولم يُوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي ،

(١) (ابن حجر - فتح الباري ١٣ / ٥٢٩) ط / جامعة الامام محمد بن سعود
الإسلامية - الرياض .

(٢) آية رقم (٣٠) من سورة (الإنسان) .

وَخَلَقَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْرَةَ وَإِرَادَةَ يَقْدِرُ بِهَا عَلَى تَحْصِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَمَصْرُفِ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ يَقْدِرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ إِلَى مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ الْمُسْتَوْجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ ، وَأَعْمَالِ الشَّرِّ الْمُسْتَوْجِبَةِ لِلشَّقَاةِ ، فَاتُوا كُلُّ مَا اتُّوا ، وَفَعَلُوا كُلُّ مَا فَعَلُوا طَائِعِينَ مَخْتَارِينَ ، غَيْرِ مُجْبُورِينَ مَقْهُورِينَ . (١)

(قُلْ ظَلَمَ الْحِجَّةُ الْبَابَ لِقَوْلِهِمْ قُلُوشًا لِهَدَاكُمُ أَجْمَعِينَ) (٢)

د (المناظرات للإفحام :

أخذت مقاومة رجال السلف للقدرية أساليب متعددة كالأسلوب الذى يعنى بنشر السنة وبيان المذهب الحق ، أو الذى يأخذ شكل الانتقاد للقدرية وبيان خطئهم ويطلان مذاهبهم ، أو كأسلوب المناظرات الذى ستعرض له الآن ، أو أسلوب الكتابة والتأليف للرد والنقض .

وما إن ظهر حديث أهل البدعة فى القدر وخوضهم فيه حتى تعدى لهم سلف الأمة يدعونهم إلى الحق والتمسك بالسنة ، ويناظرون من التبس عليهم الحق ، وضل عن الهدى ، لعله يتوب ، أو يسكت عن نشر بدعته سكوت اقتناع أو خوف .

وأصل عصر البحث بالذى قبله فأشير إشارة طابرة إلى ما كان من مناظرات فى عصر الذى سبق عصرنا .

لقد تكلم غيلان الدمشقى فى القدر ودعا إليه ، وعلم الخليفة عربى بن بسد العزيز - رضى الله عنه - بذلك ، فاستداه وناظره ، فكان مما قال له : يا غيلان بلغنى أنك تتكلم فى القدر ! ؟

(١) انظر : (محمد الأمين بن محمد المختار الحكنى الشنقى سنة ١٢٩٣ - أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ٢٢٣/٧ وما بعدها ، المطابع الأهلية للأوقاف - الرياض - سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
(٢) آية رقم (١٤٩) من سورة (الأنعام) .

قال : يكذبون طيبي يا أمير المؤمنين
قال : اقرأ طسّي سورة " يس " فقرأ : (يَسْنُ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ
قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *
إِنَّا جَعَلْنَا فِي آصَافِهِمْ أَغْلَالًا فَهَبِي إِلَى الْآدَمِ أَنِ ادْخُلِهَا إِنَّهَا بِهِنَّ مُعْجَنَةٌ * وَجَعَلْنَا مِنْ
بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَعْيَنَانَهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ) (١)
فقال غيلان : والله - يا أمير المؤمنين - لكأنى لم أقرأها إلا اليوم ، أشهد
أنتى تائب من قولى يا لقد ر ،
فقال صر : اللهم إن كان صادقاً فب طيه ، وإن كان كاذباً فاجعله آية
للمؤمنين .

وسكت غيلان عن الكلام فى القدر فى خلافة صر - رضى الله عنه - ، فلما مات
رجع إلى بيده ، ثم ولي الخلافة هشام بن عبد الملك (٢) فأرسل إليه وقال له :
أليس كنت طاهدت الله لِعَمْرٍ لا تتكلم فى شىء من هذا أبداً ؟
قال : أظنى فوالله لا أعود ،

قال : لا أقالنى الله إن أقلتك ، هل تقرأ فاتحة الكتاب ؟
قال : نعم .

قال : اقرأ ، فقرأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ
يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (٣)

قال : قف ، طلام استعنته ، طلى أمر بيده لا تستطيعه ، أو طلى أمر بيديك ؟
اذ هبنا فاطعنا يديه ورجليه ، واضربنا عنقه واصلبناه . (٤)

لقد أشفق طيه أمير المؤمنين أن يضل عن الحق فناظره ، ودله طسى

(١) آية رقم (١ الى ٩) من سورة (يس) .

(٢) هشام بن عبد الملك : ولد طام اثنين وسبعين ، أنته الخلافة وهو بالرصافة
وكان صره يوم استخلف أربعاً وثلاثين سنة وأشهرأ ، بقى فى الخلافة تسع
عشرة سنة وتسعة أشهر وواحد وعشرين يوماً ، أصابه مرض الذبحة وهو وجع
يا مرض فى الحلق من الدم ، وقيل قرحة تظهر فيه ، فمات سنة خمس وعشرين
ومائة ، وصلى طيه ابنه مسلمة ، ودفن بالرصافة .

(ابن الاثير - الكامل فى التاريخ ١٩٢/٤ - ٢٥٤) .

(٣) آية رقم (١ - ٤) من سورة (الفاتحة) .

(٤) انظر : (اللالكائى - شرح اصول الاعتقاد ٧١٣/٤ - ٧١٥) .

(وابن الاثير - الكامل فى التاريخ ٢٥٥/٤) .

الحق ، وأسمعه من كتاب الله ما يجلو عن قلبه الريب ، فأظهر التوبة ، وماكسان صادقاً ، بدليل رجوعه إلى الضلال بعدما سكت ، فكان سكوته خوفاً من الموت ، فلما زال سبب الخوف ، وذلك بموت أمير المؤمنين عمر ، رجع إلى بدعته .

واستمر يدعوا إليها إلى أن ولي هشام بن عبد الملك فأقام عليه الحجة بنقضه للعهد وكذبه في توبته ، فقتله ، فكان آية للمؤمنين ، كما دعا عليه أمير المؤمنين .

وناظرهم إياس بن معاوية^(١) فأفحمهم ، يقول إياس :

(ما كلمت أحداً من أهل الأهواء بعقلى كله إلا القدرية ، فإني قلت لهم :

أخبرونى عن الظلم وما هو؟

فقالوا : أن يأخذ الإنسان ما ليس له .

فقلت لهم : فإن لله كل شىء)^(٢)

فالذى يتصرف فى ملكه ، وليس لأحد حق عليه ، لا يكون ظالماً ، وهذا لا ينطبق الا على الله تعالى الذى له ملك السموات والأرض ، أما غيره فلا يملكون شيئاً ملكاً مطلقاً ، ثم الذى بأيديهم أمانة يجب وضعها فى مكانها الذى شرع الله تعالى ، فإذا أخذ الإنسان ما ليس له أو منع الآخرين ما لهم فقد ظلم ، فلمسا كان لله كل شىء ، ولا يسأل ما يفعل ، فله أن يفعل ما يشاء ، وكل أفعاله جل جلاله بحكمة بالغة ، وماريك بظلام للعبيد .

(١) إياس بن معاوية : أحد العلماء النجباء والأذكياء النادرين وقاضى البصرة كان على مذهب أهل السنة والجماعة ، يرد على أهل الأهواء والبدع ، وثقه ابن معين ، قال الذهبى ، مات بضبعة له يعبدس وهى قرية من أعمال دست ميسان بين البصرة وخوزستان وذلك سنة احدى وعشرين ومائة ، وكان عمره ست وسبعون سنة . (وفيات الاعيان ٢٥٠/١ و ٤٦٦) و (مرآة الجنان

٢٥٧/١) و (سير أعلام النبلاء ١٥٥/٥) .

(٢) (الالكانى - شرح أصول الاعتقاد ٦٩١/٤) .

(وابن خلكان - وفيات الاعيان ٤٦٦/١) .

(وابن كثير - البداية والنهاية ٣٧٧/٩) .

(والسفارينى - مختصر لوائح الأنوار ص ٢٢٢) .

وجاء رجل إلى جعفر المادق فقال له : إنَّ القدرية تقول : إنكم كفتار ، فقال جعفر : (إن الله عز وجل لا يعصى قهراً ، ولا يطاع قهراً ، فإذا أراد العطافة كانت ، وإذا أراد المعصية كانت ، فإنَّ عذب فبحق ، وإن عفا فبالفضل) (١)

وكان أبو حنيفة يقول : (إذا كلمتُ القدرى فإنما هما حرطان ، إما أن يسكت وإما أن يكفر ، يقال له : هل علم الله فى سابق علمه أن تكون هذه الاشياء كما هي ؟ فإن قال : لا ، فقد كفر ، وإن قال : نعم ، يقال له : أفأراد الله أن تكون كما علم ، أو أراد أن تكون بخلاف ما علم ؟ فإن قال : أراد أن تكون كما علم فقد أقرَّ أنه أراد من المؤمن الإيمان ومن الكافر الكفر ، وإن قال : أراد أن تكون بخلاف ما علم ، فقد جعل ربه متمنياً متحسراً ، لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون ، أو أراد أن لا يكون ما علم أنه يكون ، فإنه متمن متحسراً ، ومن جعل ربه كذلك فقد كفر) (٢)

فالعلم والإرادة عند أبي حنيفة اختباران لا يجتازهما القدرى إلا أن يرجع عن بدعه أو يكفر ، فإن أقرَّ بسابق علم الله ويتطابق إرادته مع علمه فقد رجس عن القدر ، ووافق السنة ، وإن أنكر العلم أو تطابقه مع الإرادة فقد نسب إلى الله الجهل أو العجز والضعف ، وكلاهما كفر - والعيباد بالله تعالى - .

وناظر الأوزاعي رحمه الله رجلاً من القدرية كان قد أغوى خلقاً كثيراً ، فاجتمع الناس فى دار الخلافة ، وتوجه الأوزاعي إلى القدرى وقال له : إن شئت سألتك عن واحدة ، وإن شئت عن ثلاث ، وإن شئت عن أربع ؟ فقال : سل ما بدا لك .

قال الأوزاعي : أخبرنى عن الله عز وجل هل تعلم أنه قضى على ما نهى ؟ قال : ليس ضدى فى هذا شىء .

(١) انظر : (الالكاى - شرح أصول الاعتقاد ٦٨٥/٤) .

(٢) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٨٢/١٣) .

قال الأوزاعي : هذه واحدة .

ثم قال : أخبرني هل تعلم أن الله حال دون ما أمر ؟

قال : هذه أشد من الأولى .

فقال : هاتان اثنتان .

ثم قال : هل تعلم أن الله أعان على ما حرم ؟

قال : هذه أشد منهما .

فقال الأوزاعي : هذه ثلاث قد حلّ بها ضرب عنقه ، فضربت عنقه ، ثم قال

ثم قال الخليفة للأوزاعي : يا أبا هريرة فسر لنا هذه المسائل

فقال : سألت هل يعلم أن الله قضى على ما نهى ؟ نهى آدم عن الأكل من

الشجرة ، ثم قضى عليه بأكلها .

وسألته : هل يعلم أن الله حال دون ما أمر ؟ أمر إبليس بالسجود لآدم ثم

حال بينه وبين السجود .

وسألته : هل يعلم أن الله أعان على ما حرم ؟ حرم الميتة والدم ، ثم أعاننا

على أكله في وقت الاضطرار إليه .

فقال الخليفة : وما هي الرابعة يا أبا هريرة ؟

قال : كنت أقول : مشيئتك مع الله أم دون الله ؟

فإن قال : مع الله ، فقد اتخذ مع الله شريكا ، وإن قال : دون الله فقد

انفرد بالريوبية ، فأيهما أجابني فقد حلّ ضرب عنقه بها .

فقال الخليفة : حياة الخلق وقوام الدين بالعلماء . (١)

وطلب الخليفة المهدي جماعة من الزنادقة والقدرية فضربهم ، وكان فيهم

غلام فاستأذن الخليفة في الكلام ، ثم قال : أنا رجل من أهل المدينة ، قطن

أبي فيها فعلمني القرآن ، ثم أمرني أن أذهب إلى حلقة ابن أبي ذئب ، وأروح-

إلى ربيعة الرأي ، فعن لي شيخ لم أكن رأيت من قبل فقال لي :

يا بني قد بلغت من العلم ، وما أراك استبصرت في دينك !

(١) انظر : (اللالكاسي - شرح أصول الاعتقاد ٧١٨/٤) .

فقلت : وماذاك يا عم ؟

فقال : هل رأيت مقعداً قط ؟

قلت : نعم

قال : فلو رأيت رجلاً كلفه صعود شخلة ، ماكنت تقول ؟

قلت : جاهل .

قال : فلو ضربه على قصوره عن صعودها ؟

قلت : ظالم

فقال : يا بني هذا حكمك على إنسان ، فكيف بالله سبحانه وتعالى في عدله ،

أتقول إنه يكلف عباده ما ليس في وسعهم ثم يعاقبهم عليه ، مع قوله تعالى :

(لا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (١) ؟ !

فتعدنسى يا أمير المؤمنين بالمقعد .

فأدناه المهدي ثم قال له : أجبنى وأنت آمن ، لو أنك في سفر فرأيت عبيداً

في بئر ، فاستطعم رجلاً فلم يطعمه ، وتركه ومضى ، ماكنت قائلاً ؟

قال : ظالم .

قال : فهل علمت أن أحداً من خلق الله كان في بئر عبيلاً عادماً للطعام

والشراب ؟

قال : كثيراً .

قال المهدي : فإن دعا ربه أن ينجاه هل كان الله قادراً على أن يطعمه

ويسقيه ؟

قال : اللهم نعم .

قال : فهل تقول - إن دعا ربه أن يطعمه ويرويه ، فلم يجب دعاه - : إن

الله ظلمه ؟

قال : لا .

قال : فكيف تقول لمن أقعدك مثل هذا ؟ ! والأشياء كلها لله تعالى لا طبع

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين قد - والله - تلج بحجاجك صدري وأنا

تائب ، فأمر له بجائزة ، وخلق سبيله . (٢)

(١) آية رقم (٢٨٦) من سورة (البقرة) .

(٢) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٧٢٠/٤ - وما بعدها) .

ويبيد وأن الغلام تلقى فكرة القدر عن ذلك الشيخ المجهول الذي أشار إليه ، ثم اضطر على أهل السنة في إثباتهم القدر ، وقاس قياساً باطلاً ، لأن الله تعالى لا يُقاس بخلقه ، فليس كمثله شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، فمن كَلَّفَ مَقْعَدًا صَعُودَ نَخْلَةٍ ثُمَّ ضَرَبَهُ عَلَى تَقْصِيرِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ .

لكنَّ اللهَ لا يظلمُ النَّاسَ مثقالَ ذرةٍ ، فإذا علم من عبده المعصية وجرت إرادته بذلك ، ثم عذبه على تعطيل عقله واتباع شهوته ، وعصيانه لربه ولنبيه - صلى الله عليه وسلم ، فليس له بظالم ، لأن العبد حينما عصي لم يقصد بعصيانه تحقيق ما قدر الله لأنه محبوب عنه ، وإنما قصد نيل لذته والوصول إلى شهوته ، وسلك لأجل ذلك طريق المخالفة والتعبد ، فاستحق عقوبة الله تعالى ، فإن عذبه بذلك عدل ، وإن عفا عنه فذلك فضل .

وقد أدرك الأعرابي بفطرته فساد مذهب القدرية فسخر منه ومن أصحابه .

وهذه مناظره غير مقصودة جرت بين أعرابي وبين شيخ المعتزلة عمرو بن عبيد لقد سرقت ناقة الأعرابي فخرج يبحث عنها ، فمر على حلقة عمرو بن عبيد فقال : إن نائتي سرقت فادع الله أن يردها عليّ فقال عمرو : اللهم إن ناقة هذا الفقير سرقت ، وأنت يا رب لم ترد سرقتها اللهم فارددها عليه .

فقال الأعرابي : يا هذا لا حاجة لي في دنانك ، والآن قد ذهبت نائتي وبقيت منها

قال : وكيف ؟!

قال : لأنه إذا أراد الله أن لا تسرق سرقت ، فأخشى أن يريد رجوعها فلا ترجع ، ولا ثقة لي بربِّ يعق في ملكه ما لا يشاؤه ، فالتصه حَجْرًا . (١)

فقد أدرك الأعرابي بإيمانه وسلامة فطرته أنه لا يكون شيء في الكون إلا بإرادة الله تعالى ، بخلاف القدرية الذين يقولون بأن الله لا يريد وقوع الشر

(١) انظر : (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٧٤٠/٤)

و (ابن أبي العز الدمشقي - شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٩)

و (والشنقيطي - أضواء البيان ١٢٢٦/٧) .

واله عصية وإلا فكيف يحاسب عليه ! ، فلما قصرت عقولهم عن فهم القدر والإيمان به وقعوا في محاذير أظلم ضرراً وإثماً من التي اجتنبوها ، فضلوا عن سوا السبيل .

وناظر أبو اسحق الاسفرايينى - رحمه الله (١) - عبد الجبار المعتزلى (٢) ، فقال عبد الجبار : سبحان من تنزه عن الفحشاء - يعنى أن السرقة والزنا ليسا بمشيتة الله ، لانه فى زعمه منزّه عن أن تكون هذه الرذائل بمشيتته - فقال أبو اسحق : كلمة حقّ أريدُ بها باطل ، ثم قال : سبحان من لا يقمع فى ملكه إلا ما يشاء .

فقال عبد الجبار : أتراه يشاءُ ويعاقبني عليه

فقال أبو اسحق : أتراك تفعله جبراً عليه ، أنت الرب وهو العبد ! ؟

قال : آي شاءُ ربنا أن يعصى ؟

قال : أفيعصى ربنا قهراً ! ؟

قال : رأيت إن دعا نبي إلى الهدى ، وقضى عليّ بالردى ، دطاني وسدّ

الباب أتراه أحسن أم أساء ؟

قال أبو اسحق : إن كان منعك ما هولك فقد أساء ، وإن كان منعك ما هولسه فإنه يختص برحمته من يشاء ، فهبت عبد الجبار وانقطع . (٣)

فهذا هو الجواب الحق الذى لا اعتراض عليه : إن كان الله منسج

(١) أبو اسحق الاسفرايينى :

(٢) عبد الجبار المعتزلى بن أحمد بن عبد الجبار الهمزانى الأسد ابادى أبو الحسين ، كان شيخ المعتزلة فى صره ، ولقبوه بقاضى القضاة ، ولقى قضاة الرى ومات فيها ، له تصانيف كثيرة منها : (شرح الأصول الخمسة) ، (وتنزيه القرآن عن المطامن) ، وغير ذلك .
(تاريخ بغداد ١١٢/١١) .

(٣) انظر : (ابن حجر العسقلانى - فتح البارى - كتاب التوحيد - باب فسى المشيئة والإرادة ٤٥١/١٣) ط جامعة الامام - الرياض .
(والسفارينى - مختصر لولا مع الأنوار ص ٢٢٢) .
(والشنقى - أضواء البيان ٢٢٥/٧) .

عبده حقاً واجباً له عليه فقد ظلمه ، سبحانه وتعالى عن ذلك طوعاً كبراً ،
وإن كان ملكه المحض ، فإن أعطاه فضل ، وإن منعه فعدل .

هـ (التأليف للرد :

ومن الأساليب التي استعملها الدعاة للرد على القدرية أسلوب
الكتابة والتأليف ، وربما يكون هذا الأسلوب هو الأكثر بقاءً والأعظم نفعاً
للأجيال القادمة .

ومن كتب أو صنف في الرد على هؤلاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فإنَّه
كتب كتاباً ووجهه إلى نكره بوا بأقدار الله تعالى ، فأبطل حججهم ودحض
أدلتهم ، وبين لهم القول الحق في المسألة ، وأذكر جزءاً من هذه الكتابة ،
يقول - رحمه الله - :

(٠٠٠) إنكم ذكرتم أنه بلغكم أبي أقول : إن الله قد علم ما العباد عا ملون
وإلى ما هم صائرون ، فأنكرتم ذلك طي ، وقتم إنه ليس يكون ذلك من الله فسي
علم حتى يكون ذلك من الخلق صلاً ، فكيف يكون ذلك ، والله تعالى يقول :
" إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ " (١) يحنى عائد بين في الكفر
وقال تعالى : " وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢)
فرعتم بجهلكم في قول الله تعالى : " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ (٣)
أن المشيئة في أي ذلك أحببتم فعلتم من ضلالة أهدى ، والله تعالى يقول :
" وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " (٤)

فبمشيئة الله لهم شأوا ، ولولم يشأ الله لم ينالوا بمشيئتهم من طاعته
شيئاً قولاً ولا عملاً ، لأن الله تعالى لم يملك العباد ما بيده ، ولم يفوض إليهم

-
- (١) آية رقم (١٥) من سورة (الدخان)
 - (٢) آية رقم (٢٨) من سورة (الاحقاف)
 - (٣) آية رقم (٢٩) من سورة (الكهف)
 - (٤) آية رقم (٢٩) من سورة (التکویر)

ما يمنعه من رسله ، فقد حرصت الرسل على هدى الناس جميعاً ، فما اهتمدى منهم إلا من هداه الله ، وقد حرص إبليس على ضلالتهم جميعاً ، فما اهتمدى منهم الا من كان في ظم الله ضالاً .

تقولون : لو شاء العبد لعمل بطاعة الله وإن كان في ظم الله أنه غير عالم بها ، ولو شاء ترك معصيته وإن كان في ظم الله أنه غير تارك لها ، فأنتم إذا شئتم أصبتموه وكان ظمماً له وإذا شئتم رد دتموه وكان جهلاً له وإن شئتم أحدثتم من أنفسكم ظمماً ليس في ظم الله له وقطعتم به ظم الله عنكم له وهذا ما كان ابن عباس رضي الله عنهما يعدّه للتوحيد نقضاً ، وكان يقول : إن الله لم يجعل فضله ورحمته هماً ، بخير قسم منه ولا اختيار ولم يبحث رسله بإبطال ما كان في سابق ظممه ، فالخلق صائرون إلى ظم الله تعالى ونازلون عليه ، وليس بينه وبين شيء هو كائن حجاب يحجبه عنه ، ولا يحول دونه وإنه ظم حكيم (١)

وهذه الكتابة وأمثالها تعتبر مفخرة باقية في سجل الرجال الذين جمعوا بين الخلافة والدعوة وقليل ما هم أمثال الخلفاء الراشدين وصهر بن عبد العزيز - رضي الله عنه ، وكتب أبو حنيفة رحمه الله كتاباً سماه (الرد على القدرية) (٢)

ولابى صهر بن العلاء - رحمه الله - كلام كثير مدون في بطون الكتب يذم فيه القدرية وينتقد شيوخها البارزيين . (٣)

وصنف مالك بن أنس رحمه الله كتاباً في القدر والرد على القدرية . (٤)

وللشافعي رحمه الله كتاب في الرد على أهل الأهواء ومنهم القدرية . (٥)

وكتب أحمد بن حنبل كتاباً في الرد على القدرية والجهمية وأهل البدع .

وللاشمسي - الذي طرد الجاحظ من مجلسه وقعه بنعله وقال : نعم

(١) انظر : آبا نعيم - الحلية ٥ / ٢٤٦ وما بعدها ()

(٢) (ابن النديم - الفهرست ص ٢٨٤) .

(٣) (الپغدادى - أصول الدين ص ٢١٦) .

(٤) (الداودى - طبقات المفسرين ٢ / ٢٩٨) .

(٥) (الپغدادى - أصول الدين ص ٣٠٨) .

قِصَّةُ الْقَدْرِ النَّمْلُ - كتابات في ذمّ القدرية وذكر أخطائهم . (١)

وما كتب في هذا الشأن كثير ، يمكن اعتباره مصدراً معتدداً في فضح القدرية وأمثالها ، وفي نقد مذهبهم وردّ شبهاتهم ، وبيان مذهب السلف ومنهجهم تجاه المحدثات والبدع ، وكيف كانوا يعاملون أصحابها المعتنقين لها أو الداعمين إليها .

و (ذمّ القدرية على السنة الدعاة :

اطلع الدعاة على حقيقة القدرية ورأوا خطر هذه البدعة وخبثها ، فتصدوا لها ولاصحابها بالطمع والجرح وحذروا الناس من كذبهم ووضعهم في الرواية ، كما حذروهم من مجالستهم والركون إليهم ، جاء رجل إلى يونس بن عبيد^(٢) ، وقال له : يا أبا عبدالله تنهانا عن مجالسة عمرو بن عبيد وقد دخل عليه ابنك ! فقال : ابني؟! قال نعم ، فتفحظ يونس ، ثم قال لابنه حين جاء : يا بنسى أنهلك عن الزنا والسرقه وشرب الخمر ، فلأن تلقى الله بهنّ أحبّ إليّ من أن تلقاه برأي عمرو وأصحابه ، يعنسى : القدرية . (٣)

وذلك لأن البدعة المتعلقة بالعقيدة - كالقدرية الذين يجحدون القدر وهو

(١) (المصدر السابق ص ٣١٦) .

(٢) يونس بن عبيد بن دينار العبدي بالولاء البصري ، أحد الحفاظ وأعلام الهدى كان من أصحاب الحسن البصري ، وكان يبيع الخبز ويعمل بالتجارة ، قال عنه أحد الغزاة ، والله إنا لنكون في نحر العدو فإذا اشتدّ طيننا الأمر قلنا : اللهم ربّ يونس فرج لنا فرجاً ، مات سنة تسع وثلاثين ومائة ، ولما مات حملته بنو العباس على أعناقهم .

(انظر : (الذهبى - تاريخ الاسلام ٣١٨/٥) .

(٣) (أبا نعيم - الحلية ٢٠/٣) .

(والخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٧١ / ١٢) .

أحد أركان الإيمان كما هو معلوم في حديث جبريل عليه السلام وغيره ، حيث
يسأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان فيقول :
(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتابه ، ولقائه ، ورسوله ، وتؤمن بالبعث ،
وتؤمن بالقدر كله) (١) - هذه البدعة أعظم خطراً على الدين من ارتكاب
الكبائر لأنها تهدم العقيدة وتقوّض بنيان الإيمان ، أما الكبائر فهي لا شك تؤثر
على الإيمان فتضعفه ، لكنها لا تلمس أصل التوحيد ولبّ العقيدة .

وكان مسعر بن كدام يجعل التكذيب بالقدر أصل الزندقة فمن كذّب به فهو
زنديق ، يقول رحمه الله : (التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة) (٢)

ونهى مالك بن أنس رحمه الله عن مجالسة القدرية ، فقال : قوم سسوء
لا تجالسوهم ولا تصلوا وراهم (٣)

وذكر له رجل قدرى جاء إلى المدينة فقال مالك للناس : لا تأتوه ، لا يجتمع
عند رجل مبتدع في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٤)

وسئل عن تزويج القدرى فقال : (ولعبد مؤمن خير من مشرك) (٥) (٦)

وحذر الفضيل بن عياض من معاملة القدرى ومماهرته ، ووصف الرجل السذى
بزوج ابنته أو قريبته بأنه قاطع لرحمها ، مضحّ لحقوقها ، مسئول عن طسه
أمام الله تعالى ، يقول الفضيل : (من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع
رحمها) (٧)

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان - ٤٠/١ رقم (١٠)

(٢) (أبا نعيم - الحلية ٢١٨/٧)

(٣) (والذهي - سير أعلام النبلاء ١٦٨/٧)

(٤) (عيسى بن سمود الزواوى - مناقب مالك ٣٧/١)

(٥) (الذهي - سير أعلام النبلاء ٢٤٤/٦)

(٦) آية رقم (٢٢١) من سورة (البقرة)

(٧) (اللالكائى - شرح أصول الاعتقاد ٧٢٠/٤ - ٧٢٢)

(٧) (المعدر نفسه)

وقيل لسفيان بن عيينة : إن فلاناً يتكلم في القدر ، فقال :
(مَرَّفُوا النَّاسَ بِدَعْوَتِهِ ، وَسَلُّوا رِيكَمَ الْعَافِيَةِ) (١)

ووافق القاضي أبو يوسف صعر بن كدام في اعتبار القدرية زنادقة لردِّهم
النصوص العريضة في الكتاب والسنة التي تثبت القدر ، وتبين أن لله تعالى
إرادة وطماً يسبقان كلَّ حادث . (٢)

وهذه بعض الآثار الواردة عن السلف ، والتي تذكُّم القدرية ، وتجعلهم
زنادقة ، وتنهي عن مجالستهم والتقرب إليهم بأيِّ نوع من أنواع التقرب ، تعتبر
أسلوباً جديداً من أساليب المقاومة السنية ضدَّ أصحاب البدع والأهواء ، وقد
أثر هذا الأسلوب بين أوساط المسلمين فعرفوا حقيقة القدرية وصق بدعتهم
فاجتنبوهم واعتزلوهم .

ز (الْحُكْمُ طَهُرَهُمْ) :

اختلفت أقوال العلماء في الحكم على القدرية ، فمنهم من كفرهم
ومنهم من فسقهم ، ويرجع سبب ذلك إلى اختلاف القدرية أنفسهم في مقسدار
إنكارهم للمصافات ، وردَّهم لنصوص الكتاب والسنة .

فالذي ينكرون علم الله تعالى ، أو يزعمون أنه لا يعلم الشيء قبل حدوثه
فقد كفروا ، لأن العلم صفة كمال لله تعالى ، وصفها بنفسه ، ووردت بذلك
نصوص الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : (وَأَطْمَأْأَنَّا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٣)
وقال : (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٤)

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٥ / ٤١٤) .

(٢) (والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٧١) .

(وأصول الدين ص ٢٤٢) .

(٣) آية رقم (٢٣١) من سورة (البقرة) .

(٤) آية رقم (٧) من سورة (العائدة) .

وقال : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(١) ، إلى آخر النصوص الدالة على سعة علم الله تعالى ، وأنه أحاط بكل شيء .

واستدل العلماء على تكفير هؤلاء ببعض الأحاديث الواردة ، كقوله صلى الله عليه وسلم :

" إِنْ لَكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدْرَ ، فَمَنْ مَسَرَفٌ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُ لَهُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُ لَهُ ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ ، حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِهِ " ^(٢)

وتسميتهم بالمجوس لأنهم يعتقدون أن كل شخص يخلق أفعال نفسه ولا يؤمنون بالقدر ، فقد أثبتوا خالقين لا يحصون ، " هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ " ^(٣) لهذا ولغيره فإن أئمة السلف جعلوا من ينفي العلم عن الله تعالى كافراً .

يقول مالك بن أنس رحمه الله : (القدرة يستتابون ، فإن تابوا وإلا قتلوا) قيل له : من القدرة ؟ قال : الذين يقولون : إِنْ اللَّهُ لَمْ يَخْلُقِ الْمَعَاصِيَ وَلَا يَعْلَمِ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ ^(٤)

وسئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن قال بالقدر : هل يكون كافراً ؟ فقال : (إذا جحد العلم ، إذا قال : إِنْ اللَّهُ لَا يَعْلَمُ ، أو لم يكن عالماً حتى خلق طمأً فعلم فجحد بما علم الله ، فهو كافر) ^(٥)

(١) آية رقم (١٠١) من سورة (الأنعام) .

(٢) انظر : (مسند أحمد عن حذيفة بن اليمان - ٤٠٦/٥) المكتب الاسلامي ودار صادر - بيروت .

(٣) وسنن أبي داود - كتاب السنة - رقم الحديث (٤٦٩١) .

(٤) (مستدرك الحاكم - كتاب الإيمان ٨٥/١) .

(٥) (واللائكاثي - شرح أصول الاعتقاد ٦٦٤/٤) .

(٦) آية رقم (٢) من سورة (فاطر) .

(٧) (اللالكاثي - شرح أصول الاعتقاد ٧٠١/٤) .

(٨) انظر : (العليبي - المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ٣١١/١) .

وقال أيضا : (من زعم أن الزنا ليس بقدر ، قيل له : رأيت هذه المرأة حملت من الزنا ، وجاءت بولد ، هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد ؟ وهل مضى في سابق طعمه ؟ ، فإن قال : لا ، فقد زعم أن مع الله خالقاً ، وهذا هو الشرك صراحاً ، ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضا وقدر ، فقد زعم أن هذا الانسان قادر على أن يأكل رزق غيره ، وهذا صراح قول المجوسية) (١)

ونلاحظ من الآثار السابقة أن الاثمة ، كمالك وأحمد وغيرهما لم يحكموا بما لكفر بمجرد القول بالقدر ، لكنهم صرحوا بأن من جحد طم الله تعالى ، وزعم أنه لا يعلم الشيء قبل حدوثه ، أو نفى أن يكون الله خالقاً لبعض الموجودات ، فقد كفر .

أما من أقر بالعلم ، واعتقد بأن الله خالق كل شيء فلا يكون كافراً إذا لم يتعمق في البدعة ، أو لم يدرك ما يترتب عليها من الأمور التي قد توصله إلى الكفر .

ولم نرَ طمأً السلف يتسرّعون في إطلاق وصف الكفر على أحد إلا بعد التأكيد من استحقاقه ، وفعل ما يوجب به ، فالتكفير للمسلمين الذين ينطقون بالشهادتين ويقومون بأركان الإسلام والإيمان - ليس بالسهل ،

فمن ابن عمر - رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" أيما امرئ قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ،
وإلا رجعت عليه " (٢)

فإذا لم ينكر الإنسان ما هو معلوم من الدين بالضرورة وارتكب بعض المخالفات والمحدثات فقد ينسب إلى الفسوق والمعصية إن لم تعمل به بدعته إلى حد الكفر - والعياد بالله - .

(١) (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ٢٤ / ١ وما بعدها) .

(واپن صاكر - تهذيب تاريخ دمشق ١٧٧ / ٦) .

(٢) (صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم : يا كافر ٧٩ / ١ - رقم الحديث (٦٠) والذي بعده .

ح (ردّ شهادتهم وترك الصلاة خلفهم) :

لقد ردّ علماء السلف شهادة أهل الأهواء والبدع ، وبخاصة الذين يعرفون بالكذب ، والدعوة إلى بدعهم ، أو ينكرون صفات الله تعالى ويكذبون بآياته .

يقول مالك بن أنس رحمه الله : (لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ، وفسر أصحابه كلامه بأنه يقصد أهل الكلام من القدرية والمعتزلة) (١)

وردّ القاضي معاذ بن معاذ العنبري (ت ١٩٦ هـ) (٢) شهادة أناس جاؤا ويشهدون في قضية ، فبلغ ذلك هارون الرشيد فأرسل في طلبه وقال له: ما بعثت إليك بموجدة وجدتها عليك ، ولكن لم أزل أحب رؤيتك ومعرفتك ، ثم قال له : ما قوم ردّدت شهادتهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين قدرية ومعتزلة قال : أصبت - وفقك الله - . (٣)

وقد رجح الشافعي رحمه الله عن قبوله شهادة المعتزلة وأهل الأهواء بعد خوضهم في القدر روى الصفات . (٤)

وكيف يقبلون شهادة من يصفونهم بالكفر والزندقة !

وكذلك الصلاة خلف القدرية ، فقد نهى الأئمة عنها ، جاء رجل إلى

(١) انظر : (الخزالي - إحياء علوم الدين ١ / ٩٥) .

(٢) معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري التميمي أبو العثنى ، قاض بصرى ، من الأثبات في الحديث ، قال ابن حنبل ، ما رأيت أعدل ممن معاذ كأنه صخرة ، وولي قضاة البصرة للرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وتوفي بالبصرة سنة ست وتسعين ومائة .

(انظر : (تاريخ بغداد ١٣ / ١٣١)) .

(٣) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٤ / ٧٣٤) .

(٤) (البغدادى - الفرق بين الفرق ص ١٧١) (وأصول الدين ص ٢٤٢) .

سفيان الثوري وقال له : يوجد امام قرية لكنه يكذب بالقدر فهل نصلي خلفه ؟
فصاح سفيان : لا تتقدموه لا تتقدموه . (١)

وقال مالك بن انس : هم قوم سوء لا تجالسوهم ولا تصلوا وراءهم . (٢)

وكان أحمد بن حنبل يقول : لا يصلي خلف القدرية والمعتزلة . (٣)

(١) انظر : (أبا نعيم - الحلية ٢٦/٧) .

(٢) انظر : (عيسى بن سعود الزواوي - مناقب الإمام مالك ٣٧٨) .

(٣) انظر : (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٧٣٠/٤ - ٧٣٣) .

ثانها : (الصفات)

لقد نفى المعتزلة جميع صفات الله تعالى وزعموا أن توحيد الله تعالى يقتضى ذلك ، فالصفات - فى مذهبهم - ليست شيئاً غير الذات ، وإلا تعدد القدماء ، والذين يُثبتون الصفات لهم - فى نظرهم - مشبهة مجسمة .

وشبهتهم فى هذه المسألة : أن الصفات أعراض لا تقوم إلا بجسم وما قام به الكلام وغيره من الصفات لا يكون إلا جسماً ، ولا يُرى إلا ما هو جسم أو قائم بجسم . (١)

فأنكروا صفات الله تعالى الواردة فى الكتاب والسنة ، ووافقوا الفلاسفة فى أن البارى عالم بعلم ، وطمه ذاته ، وقادر بقدرته ، وقدرته ذاته . فقد اقتبس شيوخ المعتزلة - كالعلاف وغيره - مسائل كثيرة من الفلسفة فوقعوا فى هذه المخالفات والبدع . (٢)

هذا موقفهم من صفات الله تعالى ، كالسمع والبصر والعلم والقدرة ، وكذلك فإن موقفهم من الصفات (الموهمة للتشبيه) - كاليد والوجه والعين والاستسواء والنزول وغيرها - لا يختلف عن سابقه .

لكن إنكارهم لصفات العلم والقدرة كان الدافع إليه منع تعدد القدماء ، وإثبات التوحيد - بزمهم - أما إنكارهم لهذه فهو لمنع التشبيه والتجسيم ، فلم يكمله شئ ، وقد خالفوا السنة ، وجانبوا الصواب فى كلا الموقفين .

-
- (١) انظر : (ابن تيمية - منهاج السنة ٧٧/٢) .
و (البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١١٤) .
(٢) انظر : (الأشعري - مقالات الاسلاميين ٤٨٥/١) .
و (ابن قتيبة - معاني السلف ص ٢٢٢) .
و (الشهرستاني - الملل والنحل ٢٠/١) .

(١) (مَوْصِفُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ مِنَ الصِّفَاتِ)

أنكر السلف الصالح على المعتزلة موقفهم من صفات الله تعالى ، وبينوا للناس فساد مذاهبهم ، وضلال رأيهم ، حيث نفوا ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته الرسول - صلى الله عليه وسلم - أيضاً ، بحجة أن ذلك يقتضى تعسّد القدماء ، أو يوهم مشابهة الخالق للمخلوق ، لكن علماء السنة ردوا هذه الشبهة ، وأبطلوا تلك المزاعم ، وكان منهجهم فى الصفات واضحاً لا خفاً فيه وهو إثبات ما أثبتته الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ونفى ما نفاه الله ورسوله دون كيف أو تمثيل أو تشبيه .

يقول أبو حنيفة - رحمه الله - : إِنْ اللهُ تَعَالَى لَا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرويتنا . (١)

ويبين الشافعى - رحمه الله - أن المعتزلة والقدرية يُنكرون صفات الله تعالى ، ويدلُّ أهل السنة على ضعف حجة هؤلاء ، ويتجلى ضعفهم أكثر أمام صفة العلم ، فإن اعترفوا بها لله تعالى فقد عُلبوا ورجعوا عن مذاهبهم وإن جحدوها ولم يعترفوا بها ، فقد كفروا لا عقادهم بأن الله لا يعلم وهذا تكذيب للكتاب والسنة ، ووصف الله تعالى بما لا يليق بكماله .

يقول الشافعى : ناظروا القدرة بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وإن أنكروا كفروا ، فإن الله تعالى يعلم أنّ هذا مستطيع يفعل ما استطاع فيشبهه ، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاع فيعذّب به ، فإنما يعذّب به لأنه لا يفعل مع القدرة ، وقد علم الله ذلك منه ، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذّب به على ما لم يستطعه . (٢)

(١) انظر : (ابن أبي العزالدشقى - شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٠) .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٩ .

وقال القاضي أبو يوسف ليُشر المرسي : يا بشر بلغني أنك تتكلم في القرآن إن أقررت لله علماً خُصمت ، وإن جُددت العلم كُفرت (١)

وقال نعيم بن حماد (٢) : من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيها وصف الله به نفسه ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - تشبيهه . (٣)

وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله - : إذا أردت أن تعلم أن الجهمسي لا يترب علم الله فقل له : الله تعالى يقول : (وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) (٤) ويقول : (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ يَعْلَمُهُ) (٥) ويقول : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ) (٦) ثم يقال له : أتقر بعلم الله - هذا الذي وقفك عليه بالإعلام والدلالات - أم لا ؟

فإن قال : ليس له علم بكفر ، وإن قال : لله علم محدث كفر ، حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم ، حتى أحدث له علم فعلم ، فإن قال لله علم وليس مخلوقاً ولا محدثاً ، رجع عن قوله كله ، وقال بقول أهل السنة . (٧)

-
- (١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٦١/٧)
(وابن تيمية بردى - النجوم الزاهرة ٢٢٨/٢)
(وابن أبي العز الدمشقي - شرح العقيدة الطحاوية ص ١١)
(٢) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام الخزاعي الأعمى المروزي : سكن مصر ، وأشخص منها لمحنة خلق القرآن أيام المعتصم فأبى أن يجيب فسُجن حتى مات ، وهو أول من جمع المسند وصرفه ، وكان موته سنة تسع وعشرين ومائتين . (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٠٦)
(٣) (ابن أبي العز الدمشقي - شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٠)
(٤) آية رقم (٢٥٥) من سورة (البقرة)
(٥) آية رقم (١٦٦) من سورة (النساء)
(٦) آية رقم (١٤) من سورة (هود)
(٧) (أحمد بن حنبل - الرد على الزنادقة والجهمية - من مجموعة عقائد السلف لعلي سامي النشار ص ٩٦)

ومما تقدم يتبين لنا أن رجال السلف أثبتوا لله تعالى من الصفات ما أثبتوه
لنفسه وما أثبتوه له رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فصفة العلم والقدرة والسمع
والبصر وغيرها ثابتة لله تعالى ، وليست هي بأعراض كصفات الحوادث - على حد
قول المعتزلة - بل هي صفات قديمة لله تعالى ليست بحادثة .

وصفة العلم من بين الصفات تجعل المعتزلة والقدرية أمام خيارين :
إما أن يعترفوا بها ، وعندئذ يؤمنوا بالصفات ويصدقوا بالقدر ، لأنهم آمنسوا
أن الله يعلم الأشياء قبل حدوثها ، وهو عالم بأفعال العباد ، ومقدر ذلك
عليهم .

وإما أن ينكروها ، ومن أنكرها فقد كفر ، لأنها صفة كمال لله تعالى ، ومن أنكرها
فقد أثبت ضدّها ، وهو نقص لا يليق بالمولى تبارك وتعالى .

ب (إثبات السلف لصفة الكلام :

موقف المعتزلة من هذه الصفة كموقفهم من سائر الصفات ، وهو
النفى ، فالله تعالى - في مذهبهم - لم يتكلم ، ولم يكلم أحداً ، لأن ذلك
يعنى مشابهته للمخلوقين ، والكلام لا يد له من فم ولسان وشفتين - كما يقولون -
وهذا غير جائز بالنسبة لله تعالى ، لكنه قد يخلق كلاماً في غيره كالنباتات
أو الجماد فيتكلم ، وهذا القول كقول جهم بن صفوان تماماً ، حيث يقول :
إن الله لا يتكلم ، أو يتكلم بطريقة المجاز . (١)

لكن أهل السنة من سلفنا الصالح نقضوا هذا المذهب ، واستدلوا على
إثبات صفة الكلام كغيرها من الصفات ، وبيّنوا أن الله تعالى كلم بعض أنبيائه

(١) انظر : (مبد الجبار المعتزلى - شرح الأصول الخمسة ص ٥٢١ - ٦١٠)
(وابن تيمية - مجموع الفتاوى ١١٩/١٢ - ١٧٧) .
(وابن حجر - فتح البارى ٤٥٥/١٣ - كتاب التوحيد - بساب
ولا تنفع الشفاعة منه إلا لمن أذن - طبعة جامعة الامام - الرياض .

ورسله ، وذكر ذلك في كتابه العزيز ، وصرح باسم من كلمه وهو نبيّه موسى عليه
العلاة والسلام كليه ومصطفاه .

يقول الله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ
اللَّهُ) (١)

ويقول : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ) (٢)

ويقول : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (٣)

ويقول : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) (٤)

فهذه الآيات الكريمة هي بعض الأدلة النقلية التي واجه بها علماء السلف
بدعة المعتزلة ، وتدلتنا هذه الآيات على أن الله تعالى قد كلم - فعلاً - بعض
الرسول بأشكال مختلفة من الكلام ، فمنهم من كلمه الله عن طريق الوحي والإلهام
ومنهم من كلمه من وراء حجاب ، ومنهم من كلمه بواسطة رسول يرسله إليه
فيبلغه ما أمره الله به ، أما نبيّ الله موسى عليه العلاة والسلام فقد صرحت الآيات
بأن الله كلمه تكلّماً دون واسطة ، وزعم المعتزلة أن موسى هو الذي كلمه
أما الله تعالى فلم يكلمه .

وردّ عليهم السلف بأن الله تعالى قال : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) فأبان
في هذه الآية ما أجمله في قوله : (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) ، فسمى كليهما
وهو موسى عليه العلاة والسلام ، وهذه الآية هي من أقوى الردود على المعتزلة
فقد أجمع علماء النحو والعربية أن الفعل إذا أكد بالمصدر تعيّن حقيقة معناه
ولم يتطرق إليه احتمال المجاز الذي تدعيه المعتزلة هما ، فقوله (تَكْلِيمًا)
يحتم أن يكون المراد حقيقة الفعل وهو الكلام . (٥)

(١) آية رقم (٢٥٣) من سورة (البقرة) .

(٢) آية رقم (٥١) من سورة (الشورى) .

(٣) آية رقم (١٦٤) من سورة (النساء) .

(٤) آية رقم (١٤٣) من سورة (الأعراف) .

(٥) انظر : (ابن حجر - فتح الباري - ٤٧٩/١٣ - كتاب التوحيد - باب

ما جاء في قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) .

وأما شبهة المعتزلة في كون فاعل كَلَّمَ هو موسى ، تأخَّر عن لفظ الجلالة فقد أجاب عنها أهل السنة بأنَّ قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) يَرُدُّ هذه الشبهة ، ويؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الذي كَلَّمَ هو الله تعالى ، كَلَّمَ موسى عليه الصلاة والسلام . (١)

وقد أجاب أبو عمرو بن العلاء رحمه الله - أحد القراء السبعة - على هذه الشبهة وأبطلها وأثبت أن الله كَلَّمَ موسى بالدليل القاطع والآية المحكمة ، وذلك حين جاء إليه أحد رجال المعتزلة وقال له :
أريد أن تقرأ قوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) ينصب لفظ الجلالة ليكون موسى هو المتكلم لا الله تعالى !
فقال أبو عمرو : هبْ أني قرأت هذه الآية كذا ، فكيف تصنع بقوله تعالى :
(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ . . .) ؟ ! فبهت المعتزلي . (٢)

فالأدلة كلها توضح أن الله تعالى قد كلم موسى عليه السلام ، وأن الكلام صفة من صفاته عز وجل ، وصفاته كلها قديمة ، لكن نفي المعتزلة للصفات ومنها الكلام جعلهم يقولون بخلق القرآن كما قالت الجهمية .

ج (مُشْكَلَةُ الْقَوْلِ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ :

قالت المعتزلة إنَّ القرآن الذي هو كلام الله تعالى مخلوق وحادث وليس بقديم ، لأنَّ بعضه يتقدم على بعضه ، وما هذا سبيله لا يكون قديماً إذ القديم ما لا يتقدمه غيره . (٣)

-
- (١) (ابن أبي العزالدمشقي - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٤) .
 - (٢) (المصدر نفسه) .
 - (٣) (عبد الجبار المعتزلي - شرح الأصول الخمسة ص ٥٣١ - ٦١٠) .

١ - أَصْلُ الْفِكْرَةِ :

ويرى المؤرخون أنّ فكرة خلق القرآن مأخوذة من اليهود حيث كان بعضهم يقول : التوراة مخلوقة ، ثم ورثها الجعد بن درهم ونسبها إليها ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان فأظهرها وتحصن لها فنسبت المقالة إليه ولما جاء المعتزلة ، ونفوا صفات المعاني ثم بالغوا فأنكروا أن يكون الله متكلماً وإنما يخلق الكلام في شجرة أو في غيرها ، وطى هذا الاعتقاد بنوا دواهم أن القرآن مخلوق لله تعالى ، والذي حمل الفكرة عن الجهم هو بشر المريسي ، وكان أبوه يهودياً صباغاً في الكوفة ، وأخذها عن بشر أحمد بن أبي دؤاد^(١) فدعا إليها ، وسعى في نشرها ، وامتحان العلماء للقول بها .^(٢)

٢ - مَوْقِفُ الدُّعَاةِ مِنَ الْمَشْكِلَةِ :

هناك روايات عن الصحابة تنفي أن يكون القرآن مخلوقاً ، وتذمُّ الذين يقولون بهذا ، وتصفهم بالكفر .

فمن طى بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال يوم صفين حين رضى بالتحكيم : ما حكمت مخلوقاً ، وإنما حكمت القرآن ، وكان معه ومع معاوية عدد كبير من الصحابة ، ورؤى عن ابن عباس وابن عمر - رضي الله عنهم - مثله .^(٣)

(١) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الإيادي ولي قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق وكان رأس المعتزلة في زمانه ، وهو الذي حمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن ، وقام بامتحان العلماء ، وقد غضب عليه الخليفة المتوكل فصادر أمواله ثم توفي أحمد سنة ٢٤٠ هـ عن ثمانين سنة .

(٢) تاريخ بغداد (١٤٢/٤) و (وفيها الاعيان ٨٤/١) .

(٣) روى هذا القول عن الجعد بن درهم الذي أخذه عن إبان بن سمعان ، وأخذه إبان عن طالوت وأخذه طالوت عن لبيد بن الأعصم - خال طالوت - وتلقاه عن الجعد الجهم وعن الجهم بشر وعن بشر ابن أبي دؤاد .

انظر : (ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٢٩٤/٥)

و (وابن كثير - البداية والنهاية ٣٩٤/٩) .

(٣) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٢٢٧/٢) .

وقال عمرو بن دينار : (أدركتُ تسعةً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، وأدركتُ مشايخنا والناسُ منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله ، منه بدأ ، وإليه يعود ، وليس بمخلوق) (١)

وكان جعفر الصادق يقول : (إنهم يسألوننا عن القرآن ، مخلوق هو ؟ القرآن ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله) (٢)

وقال أبو حنيفة لابن المبارك : ما هذا الذي دبَّ فيكم ؟

قال : رجل يقال له : جهنم

قال : وما يقول ؟

قال : يقول : القرآن مخلوق !

قال أبو حنيفة : " كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا " (٣) (٤)

وكان أبو حنيفة ينهى أصحابه عن الكلام في هذه المسألة ، ويقول لهم : احفظوا عنى وصيتي : لا تكلموا في هذه المسألة ، ولا تسألوا عنها أبداً ما أحسب هذه المسألة تنتهي حتى توقع أهل الإسلام في أمر لا يقومون ولا يقعدون عنه . (٥)

وسئل القاضي أبو يوسف : أكان أبو حنيفة يقول بخلق القرآن ؟

قال : معاذ الله ، وأنا أقوله ، ومن قال هذه المقالة ، فحرام كلامه وفرض مباحته . (٦)

(١) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٢/٢١٧ - ٢٣٤) .

(٢) انظر : (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد - ٢/٢٤١ - ٢٤٤) .

(٣) آية رقم (٥) من سورة (الكهف) .

(٤) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٢/٢٧٠ - ٢٧١) .

(٥) (ابن عبد البر - كتاب الانتقاء ص ١٦٥) .

(٦) (ابن عبد البر - كتاب الانتقاء ص ١٦٥) .

(٧) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٢/٢٧٠ - ٢٧١) .

(٨) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ١٤/٢٥٣) .

وقال أحمد بن حنبل : (لم يصحّ عندنا أنّ أبا حنيفة كان يقول : القرآن مخلوق) (١)

فلم يتكلم أبو حنيفة ولا أصحابه في القرآن بذلك ، وإنما تكلم بشر المريسي وابن أبي دؤاد وآخرون ، وكان لهم صلة بأصحاب أبي حنيفة ، فشانهم البعض لذلك . (٢)

وكذّب سفیان بن عيينة رحمه الله المعتزلة في مقالاتهم هذه ، واستدلّ على بطلانها وزيفها ، فقد قيل له : إنّ هؤلاء يزعمون أنّ القرآن مخلوق ، فقال : كذبوا ، يقول الله تعالى : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (٣)

ألا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر ، والخلق : هو المخلوقات ، والأمر : كلامه ، فلو كان كلامه مخلوقاً لم يُفَرَّق . (٤)

ثم قال ابن عيينة : وما أشبه قولهم هذا بقول النعاري ، لا تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم . (٥)

وأكد الشافعي رحمه الله هذا المعنى في الفرق بين الخلق والأمر إذ على المعتزلة مقالاتهم ، ومظهرها فسادها وضلالها فقسال :
(إِنَّمَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِ (كُنْ) فَإِذَا كَانَتْ (كُنْ) مَخْلُوقَةً ، فَكَيْفَ مَخْلُوقًا خُلِقَ بِمَخْلُوقٍ) (٦)

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨٤) .

(٢) (المصدر نفسه) .

(٣) آية رقم (٥٤) من سورة (الأعراف) .

(٤) انظر : (البخاري - خلق أفعال العباد من كتاب عقائد السلف للنشاسر ص ١٣٦) .

(٥) (والأشعري - الإبانة عن أصول الديانة ص ٦٥) .

(٦) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٩ / ٨٨) .

(٧) (وابن حجر - فتح الباري - ١٢ / ٥٢٢ - كتاب التوحيد - باب والله خلقكم وما تعملون) .

(٨) (البخاري - خلق أفعال العباد من كتاب عقائد السلف ص ١٢٣) .

(٩) (وأبا نعيم - الحلية ٧ / ٢٩٦) .

فقد أثبت الله لنفسه الخلق والأمر ، وأنهما له وحده ، والعطف يقتضيه
المغايرة ، فالخلق غير الأمر ، والخلق هو كل ما خلقه الله تعالى ، والأمر
هو كلامه ، وكلمة (كُنْ) من الكلام والأمر ، وبها خلق الله الكائنات ،
خلقها بأمره ، فالكائنات مخلوقة ، وأمره غير مخلوق ، والخلق والأمر كلاهما
لله عز وجل .

وكتب بشر المريسي إلى منصور بن صار^(١) : أَخْبِرْنِي عَنِ الْقُرْآنِ ، خَالِصًا
أَوْ مَخْلُوقًا ؟

فكتب إليه منصور : عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكَ مِنْ أَهْلِ
السَّئِلِ وَالْمَجِيبِ ، تَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ ، وَتَكَلَّفَ الْمَجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ ،
وَمَا أَعْرَفَ خَالِقًا غَيْرَ اللَّهِ ، وَمَادُونَ اللَّهَ مَخْلُوقًا ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ ، فَانْتَسَبَ
بِنَفْسِكَ وَيَا الْمُخْتَلِفِينَ مَعَكَ إِلَى أَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّاهُ اللَّهُ بِهَا تَكُنْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ
وَذُرِّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .
وَلَا تُسَمِّ الْقُرْآنَ بِاسْمٍ مِنْ عِنْدِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ .^(٢)

ويبدو موقف السلف واضحاً في كراهة الخوض في مثل هذه المسائل ، لكنه
لما عمَّت البلوى ، وكثر السؤال كانت إجاباتهم مُجمِعةً على إنكار تلك المقالة
وذم أصحابها ، وتنزيه كلام الله عن ذلك ، فالقرآن كلامه ، والكلام صفته
وصفاته منزهة عن التمثيل والتعطيل ، فليس كمثله شيء في ذاته وفي صفاته
وفي أفعاله ، يقول أحمد بن حنبل رحمه الله : (٠٠٠ وأنا أكره الكلام في
هذا ، ولكنهم يسألون)^(٣)

(١) منصور بن صار بن كثير الواظظ البليخ المالح الخراساني وقيل : البصري
كان عديم النظر في الموضطة والتذكير ، روى عن الليث وغيره ، ووصف
بالعراق والشام ومصر وتزاحم عليه الخلق ، وكان زاهداً ، حضر الليث بن
سعد وخطبه فأعجبه ، قال عنه الذهبي : لم أجد وفاة لمنصور ، وكأنها في
حدود المائتين . (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٩٣/٩) .
(٢) (أبو نعيم - الحلية ٩ / ٢٢٦)
(٣) (الأشعري - الإبانة عن أصول الديانة ص ٨٩) .

٣ - الإنكار على اللفظية :

ولما كثرت الأقوال بالنسبة لهذه المسألة وجد من يقول : لفظي بالقرآن مخلوق أو القرآن بلفظي مخلوق فأنكر الأثمة هذا الكلام أيضا ، لأن - القول باللفظ له احتمالان ، أحدهما : أن يكون المقصود به المفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ، وليس فعلاً له ، فليس بمخلوق . ثانيهما : أن يُقصد باللفظ التلفظ به والأداء له ، وفعل العبد القائم بسسه عند قراءة القرآن . (١)

فالقول بأن اللفظ مخلوق قد يُوهم المعنى الأول ، وهذا غير جائز .

والبخاري رحمه الله قد تكلم في مسألة اللفظ فميز وفصل ، وفرق بين ما قام بالرب سبحانه وما قام بالعبد ، فنفى أن يكون المفوظ مخلوقاً ، وبين أن أفعال العباد من الأصوات والحركات والأكساب مخلوقة .

وقد ظنَّ البعض أن البخاري خالف أحمد - رحمهما الله تعالى - وليس كذلك ، بل من تدبير كلامه ، لم يجد فيه خلافاً معنوياً ، لكن العالم من شأنه إذا ابتلي في ردِّ بدعة يكون أكثر كلامه في ردِّها دون ما يقابلها .

فلما ابتلى أحمد بمن يقول : القرآن مخلوق ، كان أكثر كلامه في الرد عليهم حتى من يقول : القرآن بلفظي مخلوق ، مع أن الفرق بينهما لا يخفى عليه ، لكنه قد يخفى على البعض .

وأما البخاري فابتلي بمن يقول : أصوات العباد غير مخلوقة ، وبالنخ بعضهم فقال : والمداد والورق بعد الكتابة ، فكان أكثر كلامه في الرد عليهم ، وبالنخ في الاستدلال بأن أفعال العباد مخلوقة ، بالآيات والأحاديث ، وأطنب في ذلك حتى نُسب إلى اللفظية . (٢)

(١) (ابن قيم الجوزية - مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٣١٠) .

(٢) انظر : (ابن حجر - فتح الباري ١٣ / ٤٩٢ - كتاب التوحيد - باب فسلا تجعلوا لله أنداداً) .

وسئل البخارى عن رأيه فى المسألة فقيل له : إنَّ الناس يزعمون أنك تقول:
ليس فى المصحف قرآن ولا فى صدور الناس ؟ !
فقال : (أستغفر الله أن يشهد طيّ أحد بما لم يسمعه منى ، إنى أقول
كما قال الله تعالى : (والطور * وكتاب مسطور * فى رق منشور . . .)^(١)
أقول : فى المصحف قرآن ، وفى صدور الرجال قرآن ، فمن قال غير هذا
يُستتاب ، فإن تاب وإلا سبيله سبيل الكفر .
ومن زعم أنى قلت : لفظى بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فانى لم أقول
هذه المقالة ، إلا أنى قلت : أفعال العباد مخلوقة)^(٢)

فالإمام أحمد رحمه الله احتاط فى المسألة ومنع كل ما يؤدى إلى الشبهة
فيها فنفى الخلق عن القرآن ، وعن لفظه حتى لا يساء فهم ذلك ، أو يلتبس
على العامة .

والإمام البخارى رحمه الله فصلَّ فى المسألة بقصد إثبات أن الله خالق
لأفعال العباد من الأصوات والحركات والأكساب ، فظنَّ البعض أن ذلك مخالفت
لذهاب السلف وليس كذلك ، كما صرح به البخارى نفسه .

٤ - موقف الخلفاء من المشكلة :

تصدى الخلفاء والولاة - منذ أن ظهر القول بخلق القرآن -
لزعماء الفكرة والدايمين إليها ، وقاموهم ، وهددوا كل من يقول بها بالقتل
والتكبير .

-
- (١) آيات رقم (١ - ٣) من سورة (الطور) .
 - (٢) (اللالكائى - شرح أصول الاعتقاد ٢/٣٩٨ وما بعدها) .
 - (والخطيب البهدادى - تاريخ بغداد ٢/٣٢) .
 - (وابن أبى يعلى - طبقات الحنابلة ١/٢٧٧) .
 - (والعليى - المنهج الأحمد ١/١٣٥) .

فحين أظهر الجعدُ بن درهم هذه المقالة ، وذلك زمن هشام بن عبد الملك أخذ هـشام وأرسله إلى خالد القسري - أمير العراق - وأمره بقتله ، فحبسه خالد ولم يقتله ، فكتب إليه هشام يلومه ويعزّم عليه أن يقتله فأخرجه خالد من السجن في وثاقه ، وفي يوم عيد الأضحى ، وفي آخر الخطبة قال : أيها الناس : انصرفوا وضحّوا ، يقبلُ الله منكم ، فإنّي أريد أن أضحيّ اليوم بالجعد بن درهم ، فإنه يقول : ماكلّم الله موسى ، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ، ثم نزل وذبحه . (١)

ورث الجهم الجعد ، ودعا إلى المقالة نفسها ، وبالغ في الدعوة إليها حتى اشتهر بها ، وعُرفت به فقييل : مقالة جهّم ، مع أنها معروفة قبله .
وأُسِرَ الجهم - عقب معركة خاضها مع جماعة خرجت على الخلافة وقاتلوا جيشها - ، ثم قتل لقوليه بخلق القرآن ، ثم لخروجه على الخليفة وطمعته طامته . (٢)

ومن مصير الجعد بن أو الجهميين يظهر موقف الخلفاء المؤمنين في إنكارهم لهذه المقالة ، واستعمالهم لرجالها ، لكن الفكرة لم تمت فقد نهض بها تلاميذها ، واستمروا يدعون إليها .

وجاء زمن العباسيين فأنكر أبو جعفر المنصور مقالة الجهم ، وتوعد من يقول بها بالقتل . ، وروي أن ملك الروم أراد إثارة هذه المشكلة لإشغال

(١) انظر : (البخاري - كتاب خلق أفعال العباد - من مجموعة عقائد السلف ص ١١٨)

(واللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٢/٣١٩)

(الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٢/٤٢٥)

(وابن الأثير - الكامل في التاريخ ٤/٢٥٥)

(وابن تيمية - مجموع الفتاوى ٨/٢٢٨ - ١٢/٢٦)

(وابن كثير - البداية والنهاية ٩/٣٩٤)

(وابن أبي العز - شرح الطحاوية ص ٥٢٦)

(والصفدي - الوافي بالوفيات ١١/٨٦)

(٢) (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٣/٢٧٨)

(والذهبي - سير أعلام النبلاء ٦/٢٦)

(والصفدي - الوافي بالوفيات ١١/٢٠٧)

المسلمين بها ، فأرسل يسأل الخليفة المنصور عن أشياء منها :
هل لا إله إلا الله مخلوقة أم خالقة ؟
فردّ عليه المنصور بأنها ليست خالقة ولا مخلوقة ، ولكنها كلام الله عز وجل
ويلغسه أن رجلاً قال : القرآن مخلوق ، وشهد عليه الناس ، وأقصر
إمام القاضى ، فكتب المنصور إلى القاضى : إن هو رجع وإلا فاضرب عنقه ،
فتاب الرجل ورجع عن قوله . (١)

وفى عهد هارون الرشيد أثار المعتزلة المشكلة نفسها فتصدى لهم الخليفة
ومنح الخوض فيها ، وأتى برجل يقول بها ، فأمر بضرب عنقه ، وخاطب الناس
بقوله : قُتِلْتُ لَأَنَّهُ قَالَ : القرآن مخلوق ، أبتغي بذلك التقرب إلى الله
تعالى . (٢)

وبلغ الرشيد خوض بشر المريسي في المقالة ، فغضب وقال : لئن ظفست
به لأقتله قتلة ما قتلتها أحداً قبله ، فظلّ بشر مستخفياً مدة خلافته ، وذلك
نحواً من شهرين سنة . (٣)

وأنكر الأئمة على رجل قال بخلق القرآن ، واستداه وهدّده إن هو
قالها بعد ذلك ، حتى إن أحمد بن حنبل رحمه الله كان يقول :
إنسى لأرجو أن يرحم الله الأئمة بإنكاره بدعة خلق القرآن على فلان . (٤)

ولما آلت الخلافة إلى المأمون ، وذلك سنة ثمان وتسعين ومائة - وكان
تلميذاً لآبى الهذيل العلاف أحد شيوخ المعتزلة - أحاط به المعتزلة فقرّبهم
وجعلهم من حاشيته ، فرأى منهم اهتماماً بالعقل وطومه ، ودراية بالفلسفة
وأصولها ، فصادف ذلك رغبة في نفسه ، وحباً لهذا المنهج من التفكير .

-
- (١) انظر : (اللالكاسي - شرح أصول الاعتقاد ٢ / ٢٤٥) .
(٢) انظر : (ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢١٥) .
(٣) انظر : (السفاريني - مختصر لوامع الأنوار البهية ص ٨٨) .
(٤) انظر : (السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٣٠٣) .

وكان في مقدمة المقرئين لديه : ثمامة بن أشرس النهمري ، ويشرب بن غمسات المريس ، وأحمد بن أبي دؤاد الرؤاسي ، وخص الأخير منهم بالعناية والقرب ، فجعله كاتبه ووزيره وصاحب السلطان في دولته ، ولما أحسن المعتزلة بهذه المنزلة زينوا له القول (بخلق القرآن) ، وبينوا له أنه الحق ، وما يخالفه باطل ، فراودته نفسه بإظهاره ، لكنه خشي الفتنة واختلاف الناس ، وخشاف من تصدّي رجال السلف له ، وكان خوفه من العالم المحدث يزيد بن هارون (١) - رحمه الله - (ت ٢٠٦ هـ) ، أكثر ، لأنه كان يعدّ من كبار رجال عصره الأبرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

يقول الخليفة العأمون : لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق ، فقال له بعض جلسائه من بطانة السوء : ومن يزيد حتى يتقسي ! ؟ فقال العأمون : ويحك ! إني لا أتقيه لأنّ له سلطاناً ، ولكن أخاف إن أظهرت أن يردّ يزيد عليّ فيختلف الناس وتكون فتنة ، وأنا أكره الفتنة فقال الرجل : أتريد أن أمرفك ذلك من يزيد ؟ قال : نعم

فخرج إلى واسط ، ودخل المسجد الذي فيه يزيد ، وقال له : يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك : إني أريد أن أظهر القول بخلق القرآن .

فقال يزيد : كذبت عليّ أمير المؤمنين ، إن أمير المؤمنين لا يحبل الناس على ما لا يعرفونه ، فإن كنت صادقاً فاقعد إلى المجلس ، فإذا اجتمع الناس فقل . فلما أن كان من الغد اجتمع الناس فقام الرجل فقال : يا أبا خالد - رضى الله عنك - إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك : إني أردت أن أظهر (القرآن مخلوق) فما عندك في ذلك ؟

(١) يزيد بن هارون بن زاذي بن ثابت أبو خالد السلمي من أهل واسط ، سمع يحيى بن سعيد الأنصاري وسليمان التيمي وجماعة ، وروى عنه أحمد بن حنبل وابن المديني وآخرون ، قدم بغداد وحديث بها ، ثم عاد إلى واسط ومات فيها ، كانت ولادته سنة ثمان عشرة ومائة ، ووفاته سنة ست ومائتين . انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٣٧/١٤) .

قال يزيد : كذبت علي أمير المؤمنين ، أمير المؤمنين لا يحمل الناس علي ما لا يعرفونه ومالم يقل به أحد
قال : فقدِم فقال : يا أمير المؤمنين كنت - أنت - أعلم ، لقد كان من القصة
كَيْتَ وكَيْتَ ، فقال المأمون : ويحك تَلَحَّبَ بِكَ . (١)

وتظهر من هذه حكمة يزيد بن هارون ، ويُعدُّ نظره ، حيث أطلع الناس على ما قد يحدث في الأيام المقبلة من العقالة السيئة والفتنة العامة ، ثم بيّن لهم الموقف المطلوب تجاهها وهو الإنكار والمقاومة ، وردَّ علي المأمون ردًّا قويًّا بأسلوب غير مباشر ولا مثير حيث كذَّبَ رسوله وبيّنه ، وبيّن أن أمير المؤمنين الذي يخاف ربه لا يحب إثارة الفتنة ولا يحمل الناس على ما لا يعرفونه من البدع والمنكرات ، وأدرك المأمون أبعاد هذا الموقف ، وازداد خشية ورهبة ، وسكت عن إظهار البدعة .

وما كادت سنة اثنتي عشرة ومائتين تطلّ علي الناس حتى عزم المأمون على إظهار البدعة ، فأظهرها ودعا الناس إليها ، وعقدت المناظرات بشأنها ولم يكره الناس على اعتناقها حتى دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين ، فأرسل كتبه وهو بالرقبة إلى نائبه في بغداد : إسحاق بن إبراهيم يأمره فيها بامتحنان العلماء وحملهم على القول بما يراه الخليفة حقًّا .

وأجاب كثير من العلماء مكرهين تحت سطوة التهديد والوعيد ، ومن أجاب في المحنة : أبو عثمان الواسطي المعروف بسعد وية البزاز (٢) ، فقد رأى خارجا من دار الأمير ، وهو يقول لخلامه : يا غلام قدم الحمار ، فان مولاك كفر . فقبل له : ما فعلت يا أبا عثمان ؟
قل : كفرنا ورجعنا . (٣)

(١) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٤ / ٣٤٢) .
(٢) سعيد بن سليمان أبو عثمان الواسطي المعروف بسعد وية البزاز ولد بواسط ونشأ بها ثم خرج إلى بغداد فأقام بها ، ومات فيها سنة خمس وعشرين ومائتين وعصره مائة سنة ، امتحن فأجاب مكرهًا .
(٣) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٩ / ٨٦) .
(٣) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٩ / ٨٦) .

وَأَمْتَجَنَ أَبُو نَعْمَانَ التَّمَسَّارَ فَأَجَابَ ، وَأَجَابَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ (٢) ، وَلَمَّا هَوَّتْ فِي ذَلِكَ قَالَ : إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَوِيَ عَلَى السُّوْطِ ، وَأَنَا لَا أَقْوَى وَمَا فِي قَلْبِي مِمَّا قَلْتُ وَأَجَبْتُ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَلَكِنِّي خَفْتُ أَنْ أَقْتَلَ وَجِسْمِي ضَعِيفٌ ، فَلَمَّا ضَرَبْتُ سُوْطًا وَاحِدًا لَمَسْتُ . (٣)

وَأَمْتَنَعَ مِنَ الْإِجَابَةِ عِدَّةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَمْثَالُ : بِشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيِّ (٤) ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَسْرَةَ (٥) ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَالْحَسَنُ بْنُ حَمَادٍ الْمَعْرُوفِ بِسَجَادَةِ (٦) ،

-
- (١) أَبُو نَعْمَانَ التَّمَارُ : عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي نَعْمَانَ التَّمَارِ ، وَهُوَ مِنْ أَيْبَانِ خِرَاسَانَ وَمِنْ أَهْلِ (نَسَا) وَوُلِدَ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِي مُسْلِمِ الْخِرَاسَانِيِّ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَنَزَلَ بَغْدَادَ ، وَتَاجَرَ فِيهَا بِالتَّمْرِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ ثِقَّةً فَاضِلًا وَرِعًا تَوَفَّى بِبَغْدَادَ وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبِ سَنَةِ ٢٢٨ هـ وَهُوَ ابْنُ ٩١ سَنَةً ، وَكَانَ بِبَصْرَةَ قَدْ ذَهَبَ . (تَارِيخُ بَغْدَادَ ١٠ / ٤٢٠) (النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢ / ٢٥٢) .
- (٢) عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَيَعْرَفُ بِأَبِي الْمَدِينِيِّ أَحْمَدَ الْحَفَاطِ وَالْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ ، قَالَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ : مَا اسْتَصْفَرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أَحْمَدَ إِلَّا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ ، وَقَدْ أَمْتَحَنَ عَلِيٌّ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فَأَجَابَ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مِمَّنْ يُنْكِرُ هَذِهِ الْبِدْعَةَ ، لَكِنَّهُ أَجَابَ مُكْرَهًا ، وَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ الْفِتْنَةِ : (الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ) مَاتَ سَنَةَ ٢٣٤ هـ ، قَبْلَ فِي الْبَصْرَةِ ، وَالصَّحِيحُ فِي سَامَرَاءَ . (تَارِيخُ بَغْدَادَ ١١ / ٤٧٢) .
- (٣) (الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - تَارِيخُ بَغْدَادَ ١١ / ٤٥٨ وَمَا بَعْدَهَا) .
- (٤) بِشْرِ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ : كَانَ جَمِيلَ الْمَذْهَبِ حَسَنَ الطَّرِيقَةِ وَلِي الْقَضَا ، بَعْسُكِرَ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ صَاحِبُ أَبِي يُوْسُفَ الْقَاضِي وَمِنْ الْمَقْدَمِينَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عَيْنَةَ فَإِذَا وَرَدَتْ - سَأَلَتْهُ مَشْكَالَةٌ ، قَالَ ابْنُ عَيْنَةَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ ؟ فَيَقَالُ : بَشْرٌ فَيَقُولُ : أَجِبْ فِيهَا ، فَيَجِيبُ فَيَقُولُ ابْنُ عَيْنَةَ : التَّسْلِيمُ لِلْفَقْهَاءِ سَلَامَةٌ فِي الدِّينِ ، أَمْتَحَنَ بِشْرٌ فِي الْفِتْنَةِ وَسُجِنَ وَأَخْرِجَهُ الْمَتَوَكِّلُ ، مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٢٢٨ هـ وَعِمرُهُ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً . (طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٧ / ٣٥٥) .
- (٥) (تَارِيخُ بَغْدَادَ ٧ / ٨١) .

(٥) مُحَمَّدُ بْنُ نُوحِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ عَبْدِ حَمِيدِ الْعَجَلِيِّ صَاحِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَكَانَ طَالِمًا زَاهِدًا مَشْهُورًا بِالسَّنَةِ وَالدِّينِ ، أَمْتَحَنَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، فَثَبَّتَ طَسِي السَّنَةِ حَتَّى حُمِلَ مَعَ أَحْمَدَ فِي الْقَيْدِ إِلَى الْعَامُونَ فَمَاتَ ابْنُ نُوحٍ فِي الطَّرِيقِ « بَعَانَهُ » ، وَهُوَ بِلَدٍ بَيْنَ الرِّقَّةِ وَهَيْبَتٍ مِنْ أَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ سَنَةَ ٢١٨ - قَبْلَ أَنْ يَرَى الْعَامُونَ . (الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٥ / ٢٢٤) وَ(مَرَاةُ الْجَنَانِ ٢ / ٧٩) .

(٦) الْحَسَنُ بْنُ حَمَادٍ بْنِ كَسْبِيبِ الْحَضْرَمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِسَجَادَةِ ، كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ النَّبِيَاءِ ، سَأَلَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَقَالَ : صَاحِبُ سَنَةِ وَمَا بَلَغَنِي عَنْهُ إِلَّا خَيْرٌ وَكَانَ مِمَّنْ أَمْتَحَنَ فَلَمْ يُجِبْ ، مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٢٢٤ هـ (تَارِيخُ بَغْدَادَ ٧ / ٢٩٥) .

وعبيد الله بن عمر القواريري^(١) ، فقيدهم الوالي ليعبث بهم إلى المأمون ، فأجابوا غير أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، فأكثر قيودهما وجمعهما في الحديد وبعث بهما إلى المأمون ، وكان بطرسوس ، وقيل وصولهما إليه مات المأمون واستجاب الله دعاء أحمد ، وكفاه مؤنة لقائه ، وأمر بهما بالعودة إلى بغداد بعد أن ولي المعتصم ، فمات محمد بن نوح في الطريق ، وأودع أحمد في السجن قريباً من ثمانية وعشرين شهراً .^(٢)

وطادت المحنة أيام المعتصم كما كانت من قبل وأشد ، لأنه لم يكن رجل عظيم بل كان رجل سيف لا يضعه عن طاقه ، فترك أمر المحنة إلى ابن أبي دؤاد يفعل بأهل السنة ما يشاء ، فضربوا وأوذوا ، وضرب أحمد بن حنبل رحمه الله أروع - الأملثة في الصبر والثبات .

(١) عبد الله بن عمر القواريري : أبو سعيد البصري الحافظ الشهير ، مولى بني هشيم ، من كبار أئمة الحديث ببغداد ، سجع عمار بن زيد وصاحباً الزبني وطبقتهما ، دروي عنه أبو زرعة والبخاري وأبو داود مسلم وآخرون ، قال عنه ابن معين والنسائي : ثقة ، وقال ثعلب : سمعت عمر القواريري عاثة ألف حديث ، قال الذهبي : مات بالقواريري سنة خمس وثلاثين ومائتين .
(الذهبي - تذكرة الحفاظ ٤/٤٣٨) و (العبر في أخبار صفير ١/٣٣٤)

(٢) انظر : تفصيل المحنة في : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٧/٣٥٤) .

(وأبي نعيم - الحلية ٦/١٩٦ - ٩/٢٠٢)

(والتميمي - كتاب المحن ص ٤٣٨) .

(وابن الجوزي - صفة الصفوة ٢/١٩٨) .

(وابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ١/٨٥ - ١٦٣) .

(وابن خلكان - وفيات الأعيان ١/٦٤) .

(وابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥/٢٢٣) .

(واليحقوي - تاريخ اليحقوي ٢/٤٧٢) .

(والسعودي - مروج الذهب ٤/٥٢) .

(وابن كثير - البداية والنهاية ١٠/٢٢٢) .

(والدميري - حياة الحيوان ١/٧٩) .

(وابن تفرى بردي - النجوم الزاهرة ٢/٢٣٠) .

(والياضي - مرآة الجنان ٢/٧٩) .

(والعلمي - المنهج الأحمد ١/٣٢ - ٣١٦) .

ومات المعتصم وقام من بعده ولده الواثق فسار سيرة أبيه وصه ، فامتحن العلماء وسجنهم وقتلهم ، فقد حُمل إليه أبو يعقوب البويهى (ت ٢٢١ هـ)^(١) مع عدد من العلماء فى مصر مقيدّين إلى بغداد ، فأرادوه على القول بخلق القرآن ، فامتنع وقال : إنما خلق الله الخلق بكسُنْ ، فإذا كانت كُن مخلوقسة فكأنّ مخلوقاً خلق مخلوقاً ! والله لا موتن فى حديدى هذا حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه قد مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم ، ثم سُجِنَ ، فكسان يمشى كلما سمع نداً الصلاة وبخاصة يوم الجمعة ، ويأتى إلى باب السجن فيقول له السجنان : ارجع رحمك الله !
فيقول أبو يعقوب : اللهم أجبتُ دعوتك فصعوني ، ثم مات فى السجن .^(٢)

(١) أبو يعقوب يوسف يحيى البويهى الفقيه صاحب الشافعى ، سمع منه وروى عنه وكان صالحاً متعبداً زاهداً ، وهو من بوط من قرى مصر من الصعيد الأدنى ، وكان الشافعى يُجِلُّه ويقول : (ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب ، وليس أحد من أصحابي أعلم منه) . امتحن فى الفتنة فأبى فحُمل مقيداً إلى بغداد ، فسجن حتى مات فى قيوده سنة ٢٢١ هـ .

(تاريخ بغداد ١٤ / ٢٩٩)

• (وصفة الصفوة ٤ / ٢٨٥)

• (والنجوم الزاهرة ٢ / ٢٦٠)

• (طبقات الشافعية للحسينى ص ١٦)

(٢) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٤ / ٢٩٩)

• (وابن الجوزى - صفه الصفوة ٤ / ٢٨٥)

• (وابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ٢ / ٢٦٠)

• (وأبا بكر بن هداية الله الحسينى سنة ١٠١٤ هـ - طبقات الشافعية

ص ١٦ - تحقيق عادل نويهض - الطبعة الأولى سنة ١٩٧١ م -

دار الآفاق الجديدة - بيروت

• (والياقنى - مرآة الجنان ٢ / ١٠١)

وجىء إلى الواثق بأحمد بن نصر الخزاعي (ت ٢٣١هـ) ، وامتحان فسي القرآن ، فأجاب بأنه كلام الله غير مخلوق ، واستشار الواثق من حوله فأشاروا عليه بقتله ، فقال : إذا رأيتموني قتل إلي فلا يقوم أحد معي ، فإني أحسب خطاي إلي ، ثم قتله وهو يذكر ربه ويتلو آياته صابراً محتسباً . (٢)

وأعاد الواثق المحنة بالنسبة لأحمد بن حنبل بعد أن أخرجه المعتصم قبل موته من السجن ، وفرض الواثق عليه الإقامة في بيته بعيداً عن الناس لإستطيع الخروج لصلاة أو غيرها حتى مات الواثق . (٣)

(١) أحمد بن نصر الخزاعي واحد من العلماء الأئمة المعروف والناهين عن المنكر امتحن في القول بخلق القرآن فأبى وأغظ للواثق في الخطاب فاستشسار الخليفة من حوله من شيوخ المجتلة فأشاروا بقتله ، فقام بنفسه وقتله سنة ٢٣١ هـ ، وكان من الصالحين التالين للقرآن حتى ساعة قتله واستشهاده ، وُصِّل بعد قتله حتى أنزله المتوكل سنة ٢٣٧ هـ ، ودُفن بالجانب الشرقي من المقبرة المالكية (تاريخ بغداد ١٧٦/٥) (صفة الصفوة ٢/٢٠٥) .

(٢) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٥/١١ وما بعدها) .

- (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٧٦/٥)
- (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ٨٠/١)
- (ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٢٧٣/٥)
- (ابن كثير - البداية والنهاية ٣٠٣/١٠)
- (ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ٢/٢٥٩)
- (العليمي - المنهج الأحمد ٩١/١)

(٣) انظر : (ابن سعد - الطبقات الكبرى ٣٥٤/٧)

- (وابن الأثير - الكامل في التاريخ ٢٣٣/٥)
- (وابن خلكان - وفيات الأعيان ٦٤/١)
- (وابن كثير - البداية والنهاية ٢٣٢/١٠)
- (والدميري - حياة الحيوان الكبرى ٧٩/١)
- (والعليمي - المنهج الأحمد ٢٩/١)

٥ - نهاية المحننة :

ويموت الواثق وولاية أخيه المتوكل على الله انتهت المحنة ، وزالت المشكلة ، وكتب المتوكل إلى الأقاق بمنح الخوض في مسألة الكلام وخلق القرآن وهدّد من يتكلم في ذلك بالسجن حتى الموت ، ثم أكرم أهل السنة وبخاصة أحمد بن حنبل - رحمه الله - وقرّبه منه وأغدق عليه العطايا والجوائز وخلص عليه خلعاً سنياً من ملبسه فلبسها أحمد حياً منه ثم خرج إلى مكان إقامته فنزعها نزفاً عنيفاً وهو يبكي ، واعتبر هذا الإكرام محنة أخرى ربما تكون أشد فتكاً ، لذلك كان يمنع نفسه من كل ذلك ، ولولا أن بنيه أسروا بالعودة إلى السبي ببغداد لمات أحمد جوعاً ، لأنه كان يصوم ويواصل .

ثم إن الله تعالى انتقم من الذين عذبوا عباده وآذوا أوليائه ، فسَلَط عليهم البلاء والمحن ، فما منهم من أحد إلا وكان موته عبرة (١) . ونصر الله

(١) حين ظم المتوكل بملاح أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق بمشورة - أحمد بن أبي دؤاد ومحمد بن عبد الملك الزيات وغيرهما ، حين ظم المتوكل بذلك حزن وأمر بدفن الخزاعي بعد أن كان مصلوباً طول تلك الفترة ، ثم طاب الزيات فقال له الزيات : أحرقتني الله بالنار إن قتله الواثق إلا كافراً . وقال ابن أبي دؤاد : حبسني الله في جلدى - يحنى مرض الفالج - إن لم يقتل كافراً .

وقيل إن الذي طابهم هو الواثق في آخر حياته ، فاستجاب الله دعاه كل واحد على نفسه .

فأما ابن الزيات فدخل الحمام وسقط في أتونه فمات بين الماء والنار . وأما ابن أبي دؤاد فحبسه المتوكل وصاد أمواله فأصابه الفالج فبقي في جلده محبوساً .

وأما الرجل الذي ضرب أحمد بن حنبل بالسياط فكث أربعين يوماً ينبسح نباح الكلب .

وأما الجاحظ الذي شارك في امتحان أهل السنة فتواترت عليه العبر والمصائب ودخل عليه المبرد في آخر أيامه وهو طليل فسأله : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مغلوج لو نشر بالمناشير ما أحسّ به ، ونصفه منقرس لو طمار الذباب بقره لآله . انظر (البغدادى - الفرق بين الفرق ص ١٧٤) ،

(والشهرستاني - الملل والنحل ٧٠/١)

(والخطيب البغدادى - تاريخ بغداد ١٧٨/٥ و ١٥٥/٤)

(وابن خلكان - وفيات الأعيان ٨٩/١ - ٤٧٠/٣)

(والياقنى - مرآة الجنان ١١٧/٢ - ١١٢)

(والعلمى - المنهج الأحمد ٤٠/١)

السنة وأهلها ، وقمع البدعة وأصحابها ، وأزال هذه المشكلة التي أتعبت العلماء وأجهدتهم كثيراً ، وضحى الكثير بأرواحهم في سبيل الله تعالى وإعلاء الحق ، في الوقت الذي كان الخلفاء الثلاثة المأمون والمعتصم والواثق ومن حولهم يظنون أنهم على الحق ويحتسبون جهودهم عند الله ، ولكن الشيطان لبس عليهم الأمر فحاربوا جميع أئمة السلف وأكروههم على اتباع ما يقولون ، ولم يثبت أمامهم إلا القليل الذين صبروا وتحملوا من الشدائد ماتوا بحمله الجبال وكان من أشهر هؤلاء إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - .

(د) (المناظرات في إثبات الصفات)

وكانت هناك مناظرات بين أهل السنة والمعتزلة ، وهي أسلوب مـــــــن أساليب المواجهة ، سلكه أئمة السلف لإفحام أصحاب الاعتزال ، ونشر السنة بين الناس ، ومن تلك المناظرات ماجرى بين عبدالعزيز الكنانى رحمه الله وبشر المريـس حول طم الله تعالى ، وذلك بحضور المأمون .

واستدل الكنانى بنصوص الكتاب المثبتة لعلم الله تعالى ، كقوله عز وجل :

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) (١)

وقوله : (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ، أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ) (٢)

وقوله : (فَإِنَّ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَطِئُوا أَنْأ أَنْزَلْنَا بِعِلْمِ اللَّهِ) (٣)

وقوله : (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) (٤)

ثم قال لبشر : أتقر - يا بشر - أن لله طمًا كما أخبر ، أو تخالف التنزيل ؟!

فحاد بشر عن الجواب ، وأبى التصريح بالكفر ، وقال :

(١) آية رقم (٢٥٥) من سورة (البقرة) .

(٢) آية رقم (١٦٦) من سورة (النساء) .

(٣) آية رقم (١٤) من سورة (هود) .

(٤) آية رقم (١١) من سورة (فاطر) .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْهَلُ ، فقال عبدالعزیز : صدقَ بشر - یاأمیر المؤمنین - إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْهَلُ ولم تكن مسألتی له عن الجهل ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ عَنِ الْعِلْمِ ، فليقرَّأَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا ، كما أخبرنا فی كتابه ، وأثبتته لنفسه ، فلم یقرَّ بشر بذكر .
فقال المأمون لعبد العزیز : قد جاد بشر عن جوابك ، فماذا تتكلم عنه فسی الإقرار بذكر ؟

قال : إذا قرَّأَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا سَأَلْتُهُ عَنِ عِلْمِ اللَّهِ : هل هو داخل فی الأشياء المخلوقة ؟ ، كما احتجَّ علیّ - قبل قليل - بقوله تعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (١) ، وزعم أنه لم یبق شیءٌ إلا وقد أتى علیه هذا الخبر .
فإن قال : عِلْمُ اللَّهِ دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ ، فقد شبه الله بخلقه الذین الذین أخرجهم من بطون أمهاتهم لا یعلمون شیئاً ، وكلٌّ مَنْ تَقَدَّمَ قَبْلَ عِلْمِهِ ، فقد دخل علیه الجهلُ فیما بین وجوده إلى حدوث علمه ، وهذه صفة المخلوقین ، والله أعظم وأجلُّ أَنْ یُوصَفَ بِذَلِكَ ، ومن قال ذلك فقد كفر وحلَّ دمه .
وإن قال : إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ خَارِجٌ عَنِ جَمَلَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ ، وغير ذلك داخل فیها فقد رجح عن قوله وأكذب نفسه (٢)

ویظهر من هذه المناظرة قوة الحق وضعف الباطل ، فقد عجز بشر عن الجواب وحاد محنه ، وأجاب علی غیر السؤال إجابة لا تُثبت صفة العلم لله تعالى ، حیث قال : إنه لا یجهل ، فلو أنه أثبت صفة العلم لله تعالى لتضمَّن هذا الإثبات نفی الجهل والنقص عنه سبحانه وتعالى ، لكنّه لم یثبت صفة العلم حين نفی الجهل ، والله تعالى حیما مدح ملائکته وعباده المتقین لم یمدحهم بنفی الجهل عنهم فحسب لیدل علی إثبات العلم لهم ، وإنما مدحهم بإثبات العلم لهم فنفی بذلك الجهل عنهم ، فقال تعالى عن الملائکة :
(کَرَامًا کَاتِبِینَ ۝ یَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (٣)

(١) آية رقم (٦٢) من سورة (الزمر) .
(٢) انظر : (عبدالعزیز الکنانی - کتاب الحیة ص ٢٨ وما بعدها - الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥ مطبعة الجامعة الاسلامیة بالمدينة المنورة .
(وابن أبی العز الدمشقی - شرح العقیة الطحاویة ص ٨٩ وما بعدها)
(٣) آية رقم (١١ - ١٢) من سورة (الانفطار) .

وقال في مدحه المؤمنين : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١)
فعلى الخلق أَنْ يُشَبِّتُوا مَا اثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ ، وَيَنْفُوا مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَيُمْسِكُوا
عما أمسك عنه .

وناظر الإمام عبدالعزیز الکنانی بشراً المرسی فی مشكلة (القول بخلق القرآن)
أي : معتدة على نصوص القرآن الكريم دون استعمال لادلة العقل وأقيمته
فانتصر الکنانی رحمه الله وحاد بشراً عن الجواب وعجز .

ثم طلب بشر أن تكون المناظرة بأدلة العقل والنظر والقياس فقبل الکنانی ،
وسأل بشراً سؤالاً دقيقاً ، لكن بشراً حاداً عن الجواب مرة أخرى وظهر الحق وبطل
قول المعتزلة ومذاهبهم ، لكن العصبية والحسد أعيا قلوبهم ، وبقيت المشكلة
قائمة تنتقل من مرحلة إلى مرحلة حتى وصلت إلى أقصى درجات العنف والشدة ،
أما المناظرة فطويلة جداً ، واكتفى ببعض فقراتها :

قال عبدالعزیز الکنانی رحمه الله لبشر المرسی : ما حجتك أن القرآن مخلوق ؟
فقال بشر : أتقول القرآن شيء أم غير شيء ؟ فإن قلت : شيء ، فقد أقسرت
أنه مخلوق ، إذ كانت الأشياء كلها مخلوقة بنصر التنزيل ، وإن قلت : أنه ليس
بشيء فقد كفرت ، لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء .

فقال الکنانی : سألت عن القرآن : هو شيء أم غير شيء ، فإن كنت ترید أنه
شيء إثباتاً للوجود ونفيًا للعدم ، فنعم هو شيء .
وإن كنت ترید أن الشيء اسم له ، وأنه كالأشياء فلا .

ثم التفت إلى العامون وقال : إن الله أجرى كلامه على ما أجراه على نفسه ،
إذ كان كلامه من ذاته ومن صفاته ، فلم يتسم بالشيء ، ولم يجعل الشيء اسماً
من أسمائه ، ولكنه دل على نفسه أنه شيء ، وأنه أكبر الأشياء ، إثباتاً للوجود ،
ونفيًا للعدم وتكديماً للزنادقة ، فقال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : " قُلْ

(١) آية رقم (٢٨) من سورة (فاطر) .

أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٌ ؟ قُلْ : اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ * (١) ، فدل على نفسه أنه شيء ، وأنزل في ذلك خبراً خاصاً مفرداً ، فقال عز وجل : (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) (٢)

فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر تكديفاً لمن ألحد في كتابه واخترى عليه ، وشبهه بخلقه .

فقال بشر : يا أمير المؤمنين قد أقرَّ عبد العزيز أن القرآن شيء ، وادعى أنه ليس كالاشياء ، فليأت بنص التنزيل أنه كذلك .

قال عبد العزيز : يقول الله تعالى : (إِنَّا قَوْلْنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٣)

ويقول : (إِنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ) (٤)

ويقول : (إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا نَقُولُ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ) (٥)

فدل عز وجل بهذه الاخبار وأشباهاها على أن كلامه ليس كالاشياء ، وأنه غير الاشياء ، وأنه خارج عن الاشياء ، وأنه يكون الاشياء .

ثم أنزل الله تعالى خبراً مفرداً ذكر فيه خلق الاشياء كلها ، وأخرج كلامه

وأمره من جملة الخلق ليدل على أن كلامه غير الاشياء المخلوقة وخارج عنها فقال : (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُخَشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يُطَلِّبُهُ حَشِيئًا * وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (٦)

فجمع في قوله : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ) جميع ما خلق فلم يدع شيئاً ، ثم

قال : (وَالْأَمْرُ) يعني : والأمر الذي كان به الخلق خلقاً ، فرقاً بين خلقه

وأمره ، فجعل الخلق خلقاً والأمر أمراً ، وقال : (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمُحٍ

بِالْبَصْرِ) (٧) ، وقال : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) (٨) ، يعنى :

(١) آية رقم (١٩) من سورة (الانعام) .

(٢) آية رقم (١١) من سورة (الشورى) .

(٣) آية رقم (٤٠) من سورة (النحل) .

(٤) آية رقم (٨٢) من سورة (يس) .

(٥) آية رقم (٤٧) من سورة (آل عمران) .

(٦) آية رقم (٥٤) من سورة (الاعراف) .

(٧) آية رقم (٥٠) من سورة (القمر) .

(٨) آية رقم (٤) من سورة (الروم) .

من قبل الخلق ومن بعد الخلق ، وهذا نصر التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة ، وليس كالأشياء ، وبه تكون الأشياء .

قال بشر : يا أمير المؤمنين قد أقرب بين يدك أن القرآن شيء فليكن عنده كيف شاء ، فقد اتفقتا جميعاً على أنه شيء ، وقد قال الله تعالى :

" اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (١) ، فهذه لفظة لم تدع شيئاً إلا أدخلته في الخلق لأنها لفظة قد استوعبت الأشياء كلها فصار القرآن مخلوقاً بنصر التنزيل .

قال عبدالعزيز : قال الله تعالى في قصة عاد : (تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) (٢) ، فهل أبقيت الريح - يا بشر - شيئاً لم تدمره ؟

قال : لا ، قد دمرت كل شيء كما أخبر الله عنها فلم يبق شيء إلا وقد دخل تحت هذه اللفظة .

فقال عبدالعزيز : قد أكذب الله عز وجل من قال هذا بقوله : (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) (٣) ، فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم ، ومساكنهم أشياء كثيرة ، وقد قال :

(مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ) (٤) ، ومثل هذا في القرآن كثير .

فتحير بشر وعجز عن الجواب ثم تذكر آية من كتاب الله تعالى فظن أنها حجة له فقال : يقول الله تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (٥) ، وجعلناه بمعنى خلقناه .

فقال عبدالعزيز : يا أمير المؤمنين ذهب نصر التنزيل الذي ادّعاه ، ورجعنا إلى معناه وتأويله ، إن القرآن نزل بلسانك ولسان قومك - يا أمير المؤمنين - وبشر رجل أعجمي ، يتأول كتاب الله تعالى على غير ما أنزل ، ويحرّف عن مواضعه ، ويكفر الناس ، ويستبيح دماءهم بتأويل لا يتنزل .

-
- (١) آية رقم (٦٢) من سورة (الزمر) .
 - (٢) آية رقم (٢٥) من سورة (الاحقاف) .
 - (٣) آية رقم (٢٥) من سورة (الاحقاف) .
 - (٤) آية رقم (٤٢) من سورة (الذاريات) .
 - (٥) آية رقم (٣) من سورة (الزخرف) .

ثم قال : يا بشر أخبرني عن (جَعَلَ) لا يحتل غير (الخلق) ؟
قال : لا ، ولا فرق بين جعل وخلق .
قال : فأخبرني ، لافرق بينهما في هذا الحرف وحده ، أو في سائر ما فسى
القرآن من (جعل)

قال بشر : بل في سائر القرآن ، وفي الأخبار والأشعار .
قال : زعمت أن معنى (وجعلناه) خلقناه قرآناً عربياً ؟
قال : نعم .

قال : أخبرني تفرد الله بخلق القرآن أو شاركه في خلقه أحد غيره ؟
قال : بل تفرد في خلقه .
قال عبد العزيز : أخبرني عن قال : بعض ولد آدم خلق القرآن من دون الله ،
أمؤمن هو أم كافر ؟

قال بشر : كافر حلال الدم .
قال عبد العزيز : صدقت ، فأخبرني عن قال : التوراة خلقتها اليهود مسن
دون الله عز وجل ، أمؤمن هو أم كافر ؟
قال : بل كافر حلال الدم .

قال عبد العزيز : صدقت ، فأخبرني عن قال : إن بني آدم خلقوا الله ،
وأن الله أخبر بذلك في كتابه ، أمؤمن هو أم كافر ؟
قال بشر : بل كافر حلال الدم .
فقال عبد العزيز : الله خلق الخلق كلهم ؟

قال : نعم .
قال : فهل شاركه في خلقه أحد ؟
قال : لا .
قال : صدقت ، فأخبرني عن قال : إن بني آدم شاركوه في خلقه ، أمؤمن
هو أم كافر ؟

قال : بل كافر حلال الدم .
قال عبد العزيز : صدقت ، وهكذا أقول .
ثم قال عبد العزيز : يقول الله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ،
وَلَاتَتَّقُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) . (١)

أي خلقت الله عليكم كفيلاً ، لامعنى له عند بشر غير ذلك ، ومن قال ذلك فهو كافر حلال الدم ، ولم يرضُ بشرًا أن يقول : بنو آدم خلقوا الله حتى زعمهم أن الله قال وشهد لهم في كتابه ، ومن قال هذا فقد أعظم على الله الفرية ، وكفر به ، وحلّ دمه بإجماع الأمة .

ويقول الله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ)^(١) ، فزعم بشر أن معنَى ولا تجعلوا : ولا تخلقوا !

ويقول الله تعالى : (وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ...)^(٢)

ويقول : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ)^(٣)

ويقول : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً)^(٤)

والآيات في هذا الشأن كثيرة .

فقال المأمون : ما أقبح هذه المقالة وأشنعها ، ولكن - يا عبد العزيز - ما معنَى (جَعَلَ) التي في القرآن ؟

قال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين إن (جعل) في القرآن يحتمل عني العرب معنيين : معنى خلق ، ومعنى صيّر ، ولما كان كذلك لم يدع اللسان في القرآن اشتباهاً على خلقه فيلحد الملحدون ، فأما جعل الذي هو على معنى (خلق) فإن الله جعله من القول المفصل ، فأنزل القرآن به مفصلاً ، والقول المفصل ما يستغنى السامع إذا أخبر به عن أن توصل له الكلمة بغيرها من الكلام ، إذ كانت قائمة بذاتها على معناها ، فمن ذلك قول الله عز وجل : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ (وَجَعَلَ) الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)^(٥) ، فسواء عند العرب أقال جعل أم خلق ، لأنها علمت أنه أراد بها خلق ، لأنه أنزله من القول المفصل ، ومثلها كثير .

وأما جعل الذي هو على معنى التصيير لا الخلق ، فإن الله عز وجل أنزله من القول الموصول الذي لا يدرى المخاطب به حتى يوصل الكلمة بكلمة بعد ها

(١) آية رقم (٢٢٤) من سورة (البقرة) .

(٢) آية رقم (٥٧) من سورة (النحل) .

(٣) آية رقم (٣٠) من سورة (إبراهيم) .

(٤) آية رقم (١٩) من سورة (الزخرف) .

(٥) آية رقم (١) من سورة (الأنعام) .

فيعلم ما أراد بها ، وإن تركها مفصولة ولم يصلها بغيرها من الكلام لم يفهم السامع ما يعنى بها ، فمن ذلك قوله تعالى :
(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ)^(١) ، فلو قال : (إِنَّا جَعَلْنَاكَ) ولم يصلها (بِخَلِيفَةٍ فِي الْأَرْضِ) لم يحقل داود ما خاطبه الله عز وجل به ، لأنسه خاطبه وهو مخلوق - ثم ذكر عبد العزيز آيات كثيرة من كتاب الله وضح بهها المفصل والموصل من القرآن - وإن قال : خلق كلامه قائماً بنفسه وذاته فهذا هو المحال الباطل ، لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم ، كما لا تكون الإرادة إلا من مرید ، ولا العلم إلا من عالم .

ولأرؤى ولا يرى أبداً كلام قائم بنفسه متكلم بذاته ، وهذا ما لا يحقل ولا يثبت من قياس ولا نظر ولا غيره .

فلما استحال أن يكون القرآن مخلوقاً من هذه الجهات ، ثبت أنه صفة لله عز وجل ، وصفات الله تعالى غير مخلوقة ، فيبطل قول بشر من جهة النظر والقياس ، كما بطل بأدلة الكتاب والسنة^(٢)

ويستفيد قارىء هذه المناظرة والمتدبر فيها المعرفة الكاملة بثبات أهـل السنة وانتصارهم على المعتزلة في ميدان الفكر والاستدلال ، وشعر بالفطنة والذكاء والشجاعة الأدبية التي كان يتمتع بها الإمام عبد العزيز الكنانى رحمه الله أمام الخليفة وشيخ الاعتزال .

كما يحس القارئ عجز المعتزلة ممثلة في بشرى شقى المناظرة بالتنزهـل وبال نظر ، وانتصار أهل السنة ممثلة في الكنانى .

ومن العجيب أن نرى العامون بعد كل ماسمع من ظهور الحق ، وضعسـف المعتزلة يوصى ولي عهداه بالتزام موقفه ، وتقرب رجال الاعتزال قائلوا له : خذ بسيرة أخيك فسى خلق القرآن .^(٣)

(١) آية رقم (٢٦) من سورة (صـ) .

(٢) انظر : (كتاب الحيدة - للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنانى المكى

المتوفى سنة ٢٤٠ هـ من ٨ الى ٦٦) .

(٣) (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٢٩٣) .

(وابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٠) .

وفي الوقت الذي نرى شيخ المعتزلة بشراً يصرح قبل موته قائلًا :
القول في القرآن قول من خالفني ، وأنه غير مخلوق ، فقبل له : فلماذا -
لا ترجع عنه ؟ قال : أرجع عنه وقد قلته منذ أربعين سنة ، ووضعت فيه
الكتب واحتججت فيه بالحجج (١) ، فهل كان المانع من الرجوع لهما واحداً ؟
أو أن المؤمن كان قد التبس عليه الأمر واعتقد صواباً ما كان خطأ ؟
فسكت بشر المريسي ولم يجز جواباً ، ثم قال : أريد مناظرته بالنظر والقياس
يا أمير المؤمنين .
فقال المؤمن : نقول لرجل يناظر بالكتاب والسنة : دعهما واخرج إلى النظر
والقياس ! هذا ما لا يجوز .
فقال عبدالعزيز : إن رأيت أن تأذن يا أمير المؤمنين كما يريد ، ولا أحتج عليه
بشيء من الكتاب والسنة ، ولكن بالنظر والقياس .
ثم قال لبشر : تسألني أم أسألك ؟
قال : أسأل أنت .
فقال عبدالعزيز : تقول : إن الله خلق كلامه ؟
قال بشر : أنا أقول : إن الله خلق القرآن
قال : يلزمك في قولك هذا واحدة من ثلاث :
أن تقول : إن الله خلق كلامه في نفسه .
أو خلقه في غيره .
أو خلقه قائماً بنفسه وذاته ، فقل ما عندك ؟
قال بشر : أقول : إنه مخلوق ، خلقه كما خلق الأشياء كلها .
قال عبدالعزيز : تركنا المناظرة بالكتاب والسنة ضد هريك عنهما ، وطلببت
المناظرة بالقياس ، وشرطت على نفسك إجابة وعدم الحيدة ، وقد جردت
ونقضت شرطك ، وطلب المؤمن من بشر أن يجيب فقال : ما عندى جواب غير
هذا
فقال المؤمن : قد جاد بشر من الجواب ، فما تقول يا عبدالعزيز ؟

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٦٥/٧) .

قال عبدالعزیز : قلتُ له : يلزمك واحدة من ثلاث :
أن تقول : إن الله عز وجل خلق كلامه في نفسه ، أو خلقه في غيره ، أو خلقه قائماً بنفسه وذاته ، فإن قال : خلق كلامه في نفسه ، فهذا محال باطل ، لأن الله لا يكون محلاً للحوادث ، ولا يكون فيه شيء مخلوق ، ولا يكون ناقصاً فيزيد بشيء إذا خلقه ، ومن قال هذا فقد كفر بالله العظيم ، وحلّ دمه .
وإن قال : خلق كلامه في غيره ، فهذا أيضاً محال باطل ، لأنه يلزم قائل ذلك أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله ، فيجعل الشعر وقول الزور وغيره لله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -

وردَّ الإمام أحمد على الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن ، وجاء بعض رده على شكل حوار ومناظرة : يقول رحمه الله :
(ثم إنَّ الجهم ادَّعى أمراً فقال : إِنَّا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق .

فقلنا : أى آية ؟

قال : قول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (١) وعيسى مخلوق

فقلنا : إن الله منعك الفهم في القرآن ، عيسى تجرى عليه ألقاظ لا تجرى على القرآن ، لأن القرآن يُسميه : مولوداً وطفلاً وصبيّاً وولداً وولداً ويشرب ، وهو مخاطب بالأمر والنهي ، يجرى عليه الوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح وإبراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى هل سمعتم الله تعالى يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟

ولكن المعنى في قول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) ، هو أن الكلمة التي ألقاها إلى مريم فكان عيسى كلمة (كُنْ) ، فالكلمة هي (كُنْ) وليس عيسى هو (كُنْ) ، ولكنه كان ب (كُنْ) فـ (كُنْ) من الله قول وأمر وليس مخلوقاً .

(١) آية رقم (١٧١) من سورة (النساء) .

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك أنّ الجهميّة قالوا : عيسى روح الله وكلمته ، إلا أنّ الكلمة مخلوقة .
وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله ، وكلمة الله من ذات الله
وقلنا : إن عيسى بالكلمة كان ، وليس هو الكلمة .

وقول الله تعالى : (وروح منه) أي : من أمره كان الروح فيه كقول الله تعالى : (وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ)^(١) ، أي : من أمره ،

ثم إن الجهم ادّعى أمراً آخر - وهو من المحال - فقال :
أخبرونا عن القرآن : أهو الله أو غير الله ؟ فادّعى في القرآن أمراً يوهّم الناس ، فإذا سئل الجاهل هذا السؤال فلا بدّ له من أن يقول بأحد القولين ، فإن قال هو الله ، قال له الجهمي : كفرت ، وإن قال : هو غير الله ، قال : صدقت فلم لا يكون غير الله مخلوقاً ؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك شيء .

وهذه المسألة من الجهمي من المغالط ، فالجواب أن يقال :
إن الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن : إنّ القرآن أنا ولم يقل : هو عيسى وقال : هو كلامي ، فسمّياه باسم سمّاه الله به ، فقلنا : كلام الله / فمن سمّى القرآن باسم سمّاه الله به كان من المهتدين ، ومن سمّاه باسم غيره كسان من الضالين ، وقد فصل الله بين قوله وخلقه ، ولم يسمّه قولاً ، فقال : (ألا له الخلق والأمر)^(٢) ، فلمّا قال : (ألا له الخلق) لم يبق شيء مخلصوق إلا كان داخلًا في ذلك ، ثم ذكر ما ليس بخلق فقال : (والأمر) فأمره هو : قوله ، وتبارك الله رب العالمين أن يكون قوله خلقاً .

وقال : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا)^(٣)

(١) آية رقم (١٢) من سورة (الجاثية)

(٢) آية رقم (٥٤) من سورة (الاعراف) .

(٣) آية رقم (٢) من سورة (الدخان) .

وقال : (ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ) (١) (٢)

ويبدو من خلال هذا الأسلوب الذى هو على شكل المناظرة والحوار أن -
الإمام أحمد بن حنبل كان يورد شبهة خصومه من الجهمية والمعتزلة ثم يبطلها
ويذكر وجه الصواب فى المسألة ، ويظهر أيضا من رده وإجاباته تَسْكُكُهُ
بالنص والأثر ، والابتعاد عن الابتداع حتى فى إطلاق الأسماء على القرآن بغير
ماورد فيه ، لأن الاتباع سبيل المهتدين ، والابتداع طريق الضالين .

وناظرهم أحمد بن حنبل رحمه الله فى إثبات صفة الكلام لله تعالى ، وكونه
كَلِمَ موسى عليه الصلاة والسلام كما أخبر عن ذلك
فقال لهم أحمد : لم أنكرتم أن يكون الله كلم موسى ؟
قالوا : إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ، إنما كَوَّنَ شيئا فعبّر عن الله ، وخلق صوتا
فأسمع ، وزعوا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين !
فقال أحمد : هل يجوز لمكوّن أو أحد غير الله تعالى أن يقول :
(يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) (٣) ، أو يقول :
(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (٤)
فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية ، كما زعم الجهم أن الله
كَوَّنَ شيئا كان يقول : (يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (٥) ، وقد
قال الله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (٦) ، وقال :

-
- (١) آية رقم (٥) من سورة (الطلاق) .
(٢) انظر : (الإمام أحمد بن حنبل - الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٠٦ - ١٢٣)
تحقيق عبدالرحمن عميرة .
(وابن تيمية - درر تعارض العقل والنقل ٧ / ٢٥٨ - ٢٦٢) و
(مجموع الفتاوى ٤ / ٢١٧ - ٢٢٠) .
(٣) آية رقم (١١) من سورة (طه) .
(٤) آية رقم (١٤) من سورة (طه) .
(٥) آية رقم (٣٠) من سورة (القصص) .
(٦) آية رقم (١٦٤) من سورة (النساء) .

وقال : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) (١) ، فهذا منصوب القرآن .
وأما قولكم : إن الله لا يتكلم فكيف تمنعون بحدِيث الأعمشى ، أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال : " ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه
ترجمانٌ " (٢)

وأما قولكم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان ، أليس
الله قال للسموات والأرض : (ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (٣)
أتراها قالتا ذلك بجوف وفم وشفتين ولسان !
وقال : (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ) (٤) أتراها سبحت بجوف
وفم ولسان وشفتين !

والجوارح إذ شهدت على الكافر فقالوا : (لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا
اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (٥) ، أتراها نطقت بجوف وفم ولسان !
ولكن الله أنطقها كيف شاء ، وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول
بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان .

فلما خنقته الحجج قال : إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره
فقال أحمد - : وغيره مخلوق ؟

قال : نعم

قال أحمد : هذا مثل قولكم الأول ، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة
بما تُظهِرون (٦)

(١) آية رقم (١٤٣) من سورة (الاعراف) .

(٢) انظر : (صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولو بشق
تمر ٧٠٣/٢٠٠٠ - تحت رقم (١٠١٦))

(٣) ومسنَد أحمد - عن عدي بن حاتم ٢٥٦/٤ - (٣٧٧) .

وبقية الحديث : فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا
ما قدّم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمره "

(٤) آية رقم (١١) من سورة (فصلت) .

(٥) آية رقم (٧٩) من سورة (الأنبياء) .

(٦) آية رقم (٢١) من سورة (فصلت) .

(٦) انظر : (الإمام أحمد بن حنبل - الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣٠ ،
وما بعد ها - تحقيق د / عبدالرحمن عميرة - دار اللواء - الرياض
سنة ١٣٩٧ هـ .

وقد أقام أحمد رحمه الله الحجّة على المعتزلة وأثبت بالأدلة الواضحة أن الله متصف بصفة الكلام ، وأنه كلم بعض عباده ، وسيكلم الناس يوم القيامة دون أن يكون بينه وبينهم ترجمان .

وردّ ابن حنبل رحمه الله على شبهة القوم في أن الكلام لا يكون إلا من جوف لسان ، وكشف عن فساد هذه الشبهة وبطلانها ، وذكر نعاذج من أثبتت القرآن لهم القول والنطق والتسبيح وهي جوامد ، فالذي أنطقها بدون آلات النطق هو الذي أخبر عن نفسه بأنه يقول ويتكلم ، وقوله وكلامه ليس كقول المخلوق وكلامه ، بل قول وكلام يليق به سبحانه وتعالى .

وجاء أحمد بن أبي داود بشيخ من أهل الشام يدعى : أبا عبد الرحمن عبدالله الأذرمي^(١) ، مقيداً إلى الخليفة الواثق ، فقال له الواثق : يا شيخ ناظر ابن أبي داود ، فقال الشيخ :
يا أمير المؤمنين إنّه يصغر ويضعف عن المناظرة ، فغضب الواثق فقال له الشيخ : هوّن عليك يا أمير المؤمنين واثن في مناظرتي ، وإن رأيت أنّ تحفظ عليّ وعليه ما تقول ؟

قال : افعل

قال ابن أبي داود : يا شيخ ما تقول في القرآن ؟

قال الشيخ : لم تنصّني ، أنا أسألك ، ما تقول أنت في القرآن ؟

فقال : مخلوق

قال الشيخ : أخبرني عن مقالتك هذه ، أهي مقالة واجبة داخلية في عقيد الدّين ، فلا يكون الدّين كاملاً حتى يقال فيه بما قلت ؟

(١) أبو عبد الرحمن عبدالله بن محمد الأذرمي من أذنة من الشام ، وهو شيخ ابن داود والنسائي ، كان صاحب سنة وطريقة حسنة ، وكان قوى الحجّة ، امتحن في القول بخلق القرآن أمام الواثق وابن أبي داود وكانت المناظرة بينه وبين ابن أبي داود فظهرت حجة الشيخ وأفحم ابن أبي داود ، ويقال : إن الواثق تأثر كثيراً بكلامه ولم يناظر أحداً بعده .
انظر : (تاريخ بغداد ٧٥/١٠) (وتاريخ الخلفاء ص ٢٤١)
(والنجوم الزاهرة ٢/٢٦٦) (وسماط النجوم العوالي ٣/٢٣١) .

قال : نعم

قال : فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله إلى عباده هل ستر عنهم شيئاً مما أمره الله بتبليغهم ؟

قال : لا

قال : فهل دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة إلى مقاتلك هذه ؟ فسكت ابن أبي دؤاد .

قال : تكلم ، فسكت ، فالتفت الشيخ إلى الواثق فقال : يا أمير المؤمنين هذه واحدة .

ثم قال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن الله عز وجل حين أنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم

فقال : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)

هل كان الله الصادق في إكمال دينه ، أو أنت العادق في نقصانه حتى يقال فيه بمقاتلك هذه ! ؟ فسكت ابن أبي دؤاد

فقال الشيخ : أجب يا أحمد ، فلم يجب .

فقال الشيخ : ثنتان يا أمير المؤمنين

ثم قال : يا أحمد أخبرني عن مقاتلك هذه ، علمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون : أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أو لم يعلموها ؟

قال : لم يعلموها

قال : سبحان الله ! شيء لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ، علمته أنت ! ؟

فخجل ابن أبي دؤاد وقال : أقلني ، لقد علموه

قال : فهل دعوا الناس إليه ؟ فسكت

قال الشيخ : ثلاث يا أمير المؤمنين

ثم قال : فاتسع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين أن -

علموا مقاتلك وأمسكوا عنها - كما زعمت - ولم يطالبوا الناس بها ؟

قال : نعم ، فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق فقال :

يا أمير المؤمنين ، لقد قدمت القول أن أباي دؤاد يعجز ويضعف عن المناظرة ،

ثم قال : أفلا سمعت ما وسعهم ! ؟
فإن لم يتسع لك من الإمساك من هذه المقالة ما اتسع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، فلا وسع الله طلي من لم يتسع لسه ما اتسع لهم .

يقول المهتدي^(١) ولد الواثق : فقام أبي فدخل حجرته وهو يقول : علمت أنت ؟ ! سبحان الله ! شيء ظموه ولم يدعوا إليه ووسعهم السكوت عليه ، تدعو إليه أنت ، ولا يسمعك ما وسعهم ! ؟
أفلا سمعت ما وسعهم ! إن لم يتسع^{لنا} ما اتسع لهم فلا وسع الله طينا ، وأعجب أبي هذا الكلام وسقط ابن أبي دؤاد من عينه ولم يمتحن أبي بعد ذلك الشيخ أحداً .

ثم أمر بقطع القيود عنه ، فأخذ الشيخ القيد ، ووضعه في كفه ، فسأله الواثق لم فعلت هذا ؟ فقال : حتى يجعل بيني وبين كفى إذا مت لأخاصم به هذا الظالم - ابن أبي دؤاد - عند الله يوم القيامة ، وأقول : يا رب سئل عبدك هذا لم قهّدي ، وروّع أهلي وولدي وإخواني بلا حقّ أوجب ذلك طي .
فسأله الواثق أن يجعله في حلّ ما ناله ؟

فقال له : والله - يا أمير المؤمنين - لقد جعلتك في حلّ من أول يوم ، إكراماً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إذ كنت رجلاً من أهله
فقال الواثق : لي إليك حاجة : أن تُقيم عندنا فننتفع بك ؟
فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين إن ردّك إليّ إلى الموضع الذي أخرجني منسبه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عندك ، حتى أصير إلى أهلي وولدي فأكسب دعاتهم طيك ، فقد خلّفتهم على ذلك .

قال الواثق : فتقبل مناصلة تستعين بها طي دهرك ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، لا يحلّ لي ، فأنا عنها غيبي ، وذو مرة سوي

(١) المهتدي بالله أبو إسحاق محمد بن الواثق بالله هارون بن المعتصم بالله محمد بن رشيد كان ورعاً تقياً متعبداً عادلاً فارساً شجاعاً قوياً في أمر الله خليفاً للإمامة ، لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً على الخير ، وكان يشبه بعمر بن عبد العزيز في زهده وتقشفه وورعه وكانت له جبة صوف وكساء يتعبد فيها في الليل ، وكان قد سدّ باب المراهي والقناد ، ومنع الرمز من الظلم ، وكان يجلس بنفسه ليعمل حساب البراويين بين يديه ثم له الأثران فرجوا عليه ، فلبس السلام وشهر سيفه وجمع عليهم ، فمضى

قال : سل حاجة

قال : أو تقضيها يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم

قال : تأذن أن يخلني لي السبيل إلى الشجر لا رابط في سبيل الله

قال : قد أذنت لك ثم خرج

يقول المهتدي : فرجعت من هذه المقالة ، وأظن أن الواثق رجع منها منذ ذلك الحين . (١)

وتتاز هذه المناظرة بوضوح الحجّة وقوة الاستدلال ، وقارنها بلمس صدق اللهجة من الشيخ الأدي ، والمراحة التامة ، مع ما هو فيه من ضيق ، وتألّم لعنّج ابن أبي دؤاد وظلمه .

ويبدو من خلال المناظرة أن الشيخ لم يتطرق إلى منهج فلسفي أو أسلوب كلامي أو أدلة معقدة ، وإنما ساق الأدلة الفطرية الإيمانية ، في بداهة ووضوح ، مما جعل ابن أبي دؤاد يفتأ بأسلوب جديد لم يكن يتوقعه ، فقد كان يتوقع من الشيخ أسلوباً كلامياً ، لأنه وصفه في البداية بأنه ممن أهل الكلام واللسان .

ويظهر أثر هذا الحوار جلياً حتى على الخليفة الواثق الذي مضى فسي نهائيه يكرّر مقاله الشيخ ويتدبر معناه ، وأكبر دليل على تأثره وتغيير فكرته أنه لم يمتحن أحداً بعد تلك المناظرة ، لكنه لم يقو على تغيير موقف الدولة السابق ، لتمكن المعتزلة من السيطرة ، ولعلاقتهم القوية به ، وهذا ضعف منه ، إذا صحّ رجوعه عن تلك المقالة .

-
- (١) انظر : (تاريخ بغداد ١٥١/٤ - ٧٥/١٠)
• (البداية والنهاية ٢٠٩/١٠ - ٢٢١)
• (تاريخ الخلفاء - ٢٤١)
• (والنجوم الزاهرة ٢٦٦/٢)
• (وفوات الوفيات ٢٢٩/٤)
• (وسقط النجوم العوالي ٢٢١/٣)
• (وحياة الحيوان الكبرى ٨٧/١)

هـ (حكم من يقول بخلق القرآن :

كثرت الروايات عن علماء السلف بشأن القائلين بخلق القرآن ، حيث إن كثيراً منهم صرحوا بكفرهم وزندقتهم .

لكن الناظر في تلك الروايات يجد أن الحكم بالتكفير ليس لمجرد القول فقط بل هناك أمور مكفرة استنتجها الأئمة من تلك المقالة .

مثال ذلك : الأئمة سفيان الثوري ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم يقولون : من زعم أن (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (١) مخلوق فقد كفر . (٢)

وعبد الرحمن بن مهدي يقول : من زعم أنه الله لم يكلم موسى فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل . (٣)

وأحمد بن حنبل يقول : كنت لا أكفرهم حتى قرأت آيات من القرآن ، كقوله تعالى : (وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِسُوقٌ الظالمين) (٤)

وقوله : (وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (٥)

وقوله : (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) (٦)

فالقرآن من علم الله ، ومن زعم أن طم الله مخلوق فهو كافر ، ومن زعم أنه لا يدرى : طم الله مخلوق أو ليس بمخلوق فهو كافر أشد من يقول : القرآن مخلوق . (٧)

(١) آية رقم (١) من سورة (الاخلاص) .

(٢) انظر : (ابا نعيم - الحلية ٢٨١/٨) .

(٣) (والذهبي - سير أعلام النبلاء ٢٧٢/٧) .

(٤) (البخاري - كتاب خلق أفعال العباد من مجموعة عقائد السلف ص ١٢٩) .

(٥) آية رقم (١٤٥) من سورة (البقرة) .

(٥) آية رقم (١٢٠) من سورة (البقرة) .

(٦) آية رقم (١٦٦) من سورة (النساء) .

(٧) (ابن أبي بعلى الفراء الحنبلي - طبقات الحنابلة ٤١٤/١) .

(والعلمى - المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الامام احمد ١٢٧/١) .

فسفيان والقطان رحمهما الله تعالى حكما بالكفر على من زعم أن (قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ) مخلوق ، وذلك لأن هذه الآية ومثيلاتها تشتمل على ذكر الله
وصفاته ، ومن جعلها مخلوقة فما فيها من معاني فهي كذلك ، ومن زعم ذلك
فكفره واضح .

وأما ابن مهدي رحمه الله تعالى : فقد حكم على من نفى تكليم الله لموسى
بأنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، والذي ينفى ذلك إنما يكذب كلام الله تعالى
ويردّ خبره إذ يقول : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)^(١) ، ومن كذب آيات الله
وردّ كلامه فلا شك في كفره .

وأما ابن حنبل رحمه الله تعالى فقد صرح بأنه كان لا يكفرهم - أي المعتزلة
القائلين بخلق القرآن - حتى قرأ بعض الآيات وتدبرها ففهم منها ما يستدعي
تكفير طائفة من الناس كالذين يزعمون أن علم الله مخلوق ، ومن زعم ذلك ففسد
زعم أن الله كان لا يعلم ثم علم ، وهذا نقيض لما يليق بالله تعالى ومن نسب الجهل
والنقص إلى الله عز وجل فقد كفر ، ثم أشار الإمام أحمد إلى أن من قال :
لا أدري هل علم الله مخلوق أو ليس بمخلوق فهو كافر أشد من يقول القرآن
مخلوق ، أي أن كفر من يشك في قديم صفة العلم لله تعالى أوضح من كفر من
يقول القرآن مخلوق أو أن كفره أشد من كفره .

وبما أن القرآن كلام الله ، وكلامه صفة من صفاته ، فقد جعل عبد الله بن
إدريس القائلين بخلق القرآن بمنزلة القائل بأن الله مخلوق ، فإذا قلنا :
إن صفات البشر مخلوقة فهذا يعني أن ذاتهم مخلوقة ، أما ذات الله تعالى
فلا أول لها وكذلك صفاته ، فالصفات تأخذ حكم الذات تماماً .

جاء رجل إلى عبد الله بن إدريس فقال : يا أبا محمد إن قيلنا أناساً
يقولون : القرآن مخلوق ! فقال ابن إدريس : من اليهود ؟

(١) آية رقم (١٦٤) من سورة (النساء) .

قال : لا

قال : فمن النصارى ؟

قال : لا

قال : فمن المجوس ؟

قال : لا

قال : فمن هم ؟

قال : من الموحديين .

قال : كذبوا ، ليس هؤلاء من الموحديين ، هؤلاء زنادقة ، فمن زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله مخلوق ، ومن زعم أن الله مخلوق فقد كفر ، هؤلاء - زنادقة . (١)

وطى كل حال فقد اشتد أئمة السلف في ذم أصحاب تلك المقالة ونظروا في أبعادها وما يترتب عليها فأروا أنها تصل بأصحابها إلى الكفر والزندقة ، ويستحقون عليها القتل إن لم يرجعوا عنها ويتوبوا منها .

مع أننا نجد الإمام أحمد بن حنبل يدعو للخليفة ولغيره من ضريبه وجبسه ويستغفر لهم ، ويحللهم مما فعلوه به من الظلم (ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم ، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع .

وهذه الأقوال والأفعال من الإمام أحمد وغيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون : القرآن مخلوق ، وأن - الله لا يرى في الآخرة .

وقد نقل عن الإمام أحمد ما يدل على أنه كفر به قوماً معينين !

فإما أن يذكره في المسألة روايتان ، ففيه نظر ،

أو يحمل الأمر على التخصيل فيقال :

(١) (البخارى - خلق أفعال العباد ص ١١٨) .
(واللالكائى - شرح أصول الاعتقاد ٢٤٧/٢ - ٢٥٧) .

من كفره بعينه فليقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير ، وانتفست
موانعه ، ومن لم يكفره بعينه فلا نتفاء ذلك في حقه ، هذا مع إطلاق قولـــــــــــــــــه
بالتكفير على سبيل العموم . (١)

والذى يبدو - والله أعلم - أن تكفير الأئمة للجهمية والمعتزلة القائلين
بخلق القرآن ليس فقط لمجرد هذا القول بل لأسباب أخرى وأقوال مفصلة
نقلت عنهم في مسائل الصفات أو بعض الآيات كإنكار ما نصت عليه الآيات من
الصفات ، أو القول بأن صفات الله حادثة ، أو أن الآيات التى تنص على
صفات مخلوقة ، فنقل هذا التفصيل يجعل الأئمة يكفرون قائله ، ومنع بعض
العلماء من تكفير المعتزلة وأمثالهم ، واعتبرهم مجتهدين ، وبخاصة أن خلفاء
الإسلام وبعض طوائفهم وقفاثه ، اعتقدوا ذلك وحملوا الناس عليه ابتغاء نجاتهم
- بزعمهم - . (٢)

وفى حمل هذا الرأى على إطلاقه نظر ، وقد تقدم تفصيل
ذلك ، والله أعلم .

و (موقف المعتزلة من الصفات (الموهمة))

لقد أنكر المعتزلة سائر الصفات ، ونفوا أن تكون هناك صفات لذات
الله تبارك وتعالى ، لكنهم أثبتوا الأحكام المعنوية لبعض الصفات دون أن يثبتوا
الصفات الدالة عليها ، كقولهم : إن الله حىّ قادر مرهد عليم سميع بصير ،
ولكن ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصير ، ولا صفة أزلية .

وأما الصفات التى وردت فى الكتاب والسنة وتوهموا منها التشبيه والتجسيم

(١) (الشيخ ابن تيمية - مجموع الفتاوى ١٢ / ٤٨٩) .

(٢) (جمال الدين القاسمى - تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٠٣ - ١٠٥) .

بجهلهم وقياسهم الخالق على المخلوق فقد أولوها ، وصرفوها عن ظاهرها -
المتبادر منها ، وذلك كالاتيات التي ورد فيها ذكر الوجه والعين واليأس
والاستواء والنزول وغير ذلك . (١)

ز (موقف السلف من هذه الصفات :

رد العلماء على موقف المعتزلة ، وأنكروا طيهم تأويلهم وتعطيلهم -
وجراتهم ويبنوا أن الحق في موضوع الصفات هو : تنزيه الله تعالى عن مشابهة
الخلق والإيمان بكل ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم -
إثباتاً أو نفياً ، وهذا هو معنى قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢) .

فالسلف رضي الله عنهم ما كانوا يشكون في شيء من ذلك ، ولا كان يشكّل
طيهم ، (فمن اعتد أن وصف الله يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال
ومن أثبت لله ما أثبت لنفسه أو أثبت له رسوله صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن جامع
بين الإيمان بصفات الكمال والجلال والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم مسر
ورطة التشبيه والتعطيل ، والآية التي أوضح الله بها هذا : هي قوله تعالى :
(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ، فنفي عن نفسه جلّ وعلا مع ثلاثة
الحوادث بقوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال
بقوله : (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ، فصّح في هذه الآية الكريمة بنفي المعادلة
مع الإتيان بصفات الكمال والجلال .

(١) انظر : (ميد الجبار المعتزلي - شرح الأصول الخمسة ص ١٥١ - ٢٢٦)
و (والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ١١٤) (وأصول الدين ص ٩٠)
و (وابن تيمية - مجموع الفتاوى ٢ / ٢٨٦)
و (والشنقيطي - أضواء البيان ٢ / ٣٠٩)

(٢) آية رقم (١١) من سورة (الشورى) .

والظاهر أن السرفى تعبيره بقوله : (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) دون أن يقول
مثلا : وهو العليّ العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة ، أن السميع
والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات ، فيبين أن الله تعالى متصف بهما ، ولكن
وصفه بهما على أساس نفى المماثلة بين وصفه تعالى وبين صفات خلقه ، ولهذا
جا' بقوله : (وهو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ، بعد قوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ،
ففى هذه الآية الكريمة إيضاح للحق فى آيات الصفات ، لا لبس معه ولا شبهة
البتة) (١)

وقد وصف الله تعالى نفسه فى سبع آيات من كتابه بالاستواء على العرش (٢) ،
ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات . (٣)

فالمعتزلة أولوا الاستواء بالاستيلاء ، أما أهل السنة فقد أثبتوا ذلك وغيره
من الصفات ، كما أثبتها الله لنفسه .

فروى عن أبى حنيفة والأوزاعى والسفيانين قولهم : (أمرؤها كما جاءت
بلا كيف) (٤)

جا' رجل إلى مالك بن أنس رحمه الله فقال : يا أبأ عبد الله (الرحمن على
العرش استوى) (٥) ، كيف استوى ؟

فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرخضاء أى العرق وأطرق القوم الذين كانوا
حوله وجعلوا ينتظرون ما يأتى منه فيه ، ثم رفع رأسه وقال :

(الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال
عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا ، ثم أمر به فأخرج) (٦)

(١) انظر : (الشنقيطى - أضواء البيان ٢ / ٢٥٥) .

(٢) انظر : آيات الاستواء (٥٤) الأعراف و (٤) يونس و (٢) الرعد - و (٥٥)

طه - و (٥٩) الفرقان - و (٤) السجدة - و (٤) الحديد .

(٣) وذلك كقوله تعالى : (لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ تَدْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ
عَلَيْهِمْ) (١٣) الزخرف ، وقوله : (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ)

(٢٨) المؤمنون . (٤) اللالكائى شرح اصول الاعتقاد ٣ / ٥٠٢) .

(٥) آية رقم (٥) من سورة (طه)

(٦) انظر : (اللالكائى - شرح اصول الاعتقاد ٣ / ٢٩٧ وما بعدها)

(وأبأ نعيم - الحلبة ٦ / ٢٢٥) .

(وابن تيمية - مجموع الفتاوى ٥ / ٤١) .

(وابن حجر - فتح البارى ١٣ / ٤٠٧ - كتاب التوحيد - باب وكان
عرشه على الماء .

وروى نحو قول مالك عن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن وأم المؤمنين أم سلمة
رضي الله عنهما . (١)

وسئل الشافعي عن الاستواء فقال :

(آمنت بلا تشبيهه ، وصدقت بلا تمثيل ، واتهمت نفسي في الادراك وأمسكت
من الخوف ظيئة الإمساك) (٢)

وقال أحمد بن حنبل : (استوى كما ذكر ، لا كما يخطر للبشر) (٣)

فهذه الروايات وأمثالها التي تناقلها السلف الصالح ، وعبرت عن مواقفهم
الثابتة والمحددة تجاه صفات الله تعالى تدل على اشتغال موقفهم طي أمرهم :
أحد هما : تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث .
وثانيهما : الإيمان بكل ما وصف الله تعالى به نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله
عليه وسلم .

فمعاني الصفات من الاستواء والنزول وغيرها غير مبهولة ، لكن الكيف فسي
جانب الله تعالى غير معقول ، فيجب الإيمان بما ورد ، وترك الخوف في مثل
ذلك .

وأبطل علماء السلف ما ذهب إليه المعتزلة من التأويل ، روى أن أحد شيوخ
المعتزلة جاء إلى العالم اللغوي المشهور محمد بن زياد المعروف بابن الأقرابي^(٤)
(ت ٢٢١هـ)

(١) انظر : (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٢٩٧٢ وما بعدها) .

• (وابن تيمية - مجموع الفتاوى ٤٠/٥) .

• (وابن حجر - فتح الباري ٤٠٦/١٣) .

• (والسفاريني - مختصر لوامع الأنوار ص ١٤٨) .

(٢) (السفاريني - مختصر لوامع الأنوار ص ١٤٨) .

(٣) (المصدر نفسه) .

(٤) محمد بن زياد ابو عبد الله مولى بني هاشم المعروف بابن الأقرابي صاحب
اللغة وأحد العالمين بها ، وقد قيل : انتهى علم اللغة والحفظ لها السي
ابن الأقرابي ، فإنه كان رأساً في كلام العرب ، توفي في سامراء سنة ٢٢١هـ
انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٨٢/٥) .
• (وابن خلكان - وفيات الأعيان ٤٩٢/١) .

فسأله عن معنى قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (١) ؟

فقال ابن الأعرابي : هو على عرشه كما أخبر .

فقال المعتزلي : ليس كذلك ، إنما معنى (استوى) : استولى

فقال ابن الأعرابي : اسكت وما يدريك ما هذا ! ؟

العرب لاتقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما

غلب

قيل : استولى عليه ، والله تعالى لا مضاد له ، والاستيلاء يكون بعد المغالبة

فأله على عرشه كما أخبر . (٢)

وقال أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي لابن الأعرابي نفسه : أتعرف في اللغة

استوى بمعنى استولى ؟ فقال : لا أعرفه . (٣)

فما ذهب إليه المعتزلة لا يستقيم بالنسبة لله تعالى ، لأن ذاته ليست

كذوات المخلوقين ، وكذلك صفاته ليست كمفاتيهم ، فالذهب الذي يجمع

السلامة والحكمة هو مذهب السلف ، لأنه ينزه الله تعالى عن أن يكون له مثل

في ذاته وصفاته وأفعاله ، ويثبت ما أثبتته لنفسه دون تأويل أو تعطيل .

وكما أول المعتزلة آيات الاستواء ، فقد ردوا حديث النزول الذي اتفق على

صحته ورواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه

قال : " يُنزلُ ربنا تباركُ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث

الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيبُ له ، ومن يسألني فأعطيهِ ومَسْئِنُ

يستغفرني فأغفرُ لهُ .

(١) آية رقم (٥) من سورة (طه) .

(٢) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٨٣/٥)

(وابن تخرى بردى - النجوم الزاهرة ٢٦٤/٢) .

(وابن حجر - فتح الباري ٤٠٦/١٣ - كتاب التوحيد - باب وكان

عرشه على الماء)

(محمد جمال الدين القاسمي - محاسن التأويل من كتاب عقائد

السلف ٥٧٢) .

(٣) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٨٣/٥)

وفى لفظ آخر : " ينزلُ اللهُ إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يمضي ثلثُ الليلِ الأولِ ، فيقول : أنا الملكُ ، من ذا الذي يدعوني فأستجيبُ له من ذا - الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرنِي فأغفرُ له ، فلا يزالُ كذلكُ حتى يَهسي الفَجْرُ " (١)

وأنكر الفضيل بن عياض طي المعتزلة ردّها لحديث النزول ، ودعا الناس إلى الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - دون أى معارض عقلية فليس للعقل أن يردّ النص الثابت ، أو يجتهد مع وجوده فيخالفه أو يهمله ، يقول الفضيل : (إذا قال لك الجهمي : أنا أكرر برب يزول عن مكانه ، فقل : أنا أومن برب يفعل ما يشاء ، وروى نحو ذلك عن يحيى بن معين . (٢)

ورفض أحمد بن حنبل تأويل حديث النزول ، و غضب ممن يخوض في مثل هذه المعاني الخبيبة ، وأرشد إلى المنهج القويم تجاه الصفات ، وذلك بتعمد يسق النصوص وإمضائها كما وردت من غير تشبيه أو تعطيل .

فقد جاء رجل يسأله : يا أبا عبد الله ينزل الله إلى سما الدنيا ؟

قال : نعم

قال : نزوله بعلمه أم بماذا ؟

قال : (اسكت من هذا ، و غضب غضباً شديداً ، ثم قال : مالك ولهذا أمض الحديث كما ورد ، بلا كيف ولا تحديد ، إلا بما جاءت به الآثار ، وبما جاء به الكتاب ، قال الله تعالى :

(١) (صحيح البخارى - كتاب التوحيد - باب قول الله : يريدون أن يعدلوا كلام الله ١٧٥/٩)

(وكتاب الدعوات - باب الدعا - نصف الليل ٨٨/٨) .

(وكتاب الجمعة - باب التهجد بالليل - الدعا - والعلاة في آخر الليل ٦٦/٢)

(وصحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب الترفيب في الدعا - والذكسر

في آخر الليل ١٢ / ٥٢١ - رقم (٧٥٨) .

(٢) انظر : (الشيخ ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٢٧٧/٥) .

(وابن قيم الجوزية - مختصر المواقيت المرسله ٢٥٢/٢) اختصار

محمد الموصيل .

(فَلَا تَعْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) (١) ، ينزل كيف شاء بقدرته وطمه وظلمته
أحاط طمه بكل شيء (٢)

وأراد المعتزلة أن يسيثوا إلى إسحق بن راهوية (٣) أما الامير : عبدالله
بن طاهر (٤) ، فقالوا له : أيها الامير إنك تقدم إسحق وتكرمه وتعظمه وهو كافر
يزعم أن الله ينزل إلى السماء كل ليلة ، ويخلو منه العرش !
فغضب ابن طاهر ، وبعث إلى إسحق ثم قال له :

ما يقول هؤلاء ؟ !

قال : لأدرى

قال : تزعم أن الله ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة ، ويخلو منه العرش ؟ !
قال : أيها الامير أنا لم أقله ، قاله النبي صلى الله عليه وسلم - ، وذكر
حديث النزول بسنده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فكن غضب الامير
وأمر إسحق بالجلوس ، وطلب من حوله من المعتزلة أن يناظروه ، فبادرهم
إسحق بقوله : هل يستطيع رينا أن ينزل ولا يخلو العرش منه أو لا يستطيع ؟
فسكتوا وأطرقوا رؤوسهم ، فقال إسحق :

أيها الامير : مَرَّهم يجيبوا ، فسكتوا

فقال الامير : ويحك يا إسحق ماذا سألتهم ؟ !

قال : قلت لهم : هل يستطيع أن ينزل ولا يخلو العرش منه أم لا ؟

قال : فأبش هذا ؟

قال : إن زعموا أنه لا يستطيع أن ينزل إلا أن يخلو منه العرش ، فقد زعموا
أن الله عاجز مثلي ومثلهم ، وقد كفروا

وإن زعموا أنه يستطيع أن ينزل ولا يخلو منه العرش فهو ينزل إلى السماء الدنيا

(١) آية رقم (٧٤) من سورة (النحل) .

(٢) (ابن قيم الجوزية - مختصر الصواعق المرسلات ٢ / ٢٥١) .

(٣) إسحق بن راهوية :

(٤) عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء ، أمير
خراسان ومن أشهر الولاة في العصر العباسي أصله من (باذغيسي) بخراسان
وكان جده الأعلى (زريق) من موالى طلحة بن عبدالله المعروف بطلحة =

كيف يشاء دون أن يخلو العرش منه . (١)

ونجد إسحاق رحمه الله في هذا الموقف يسير بحكمة وروية ، وينهج طريق السلف أمام حديث النزول وأمثاله من الصفات .

فهو - أولاً - يحتج بالنصر الصحيح ويرفعه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمضى أن يشرح الله صدور القوم فيؤمنوا بالنصر ، ويثبتوا ما فيه لكنه رأى أن لا بد من إيصال العقل والإدلاء بحججه وأدلته ، لأن القوم يخضعون لهذا النوع من الأدلة ، حيث إنها لا تحتل الشك والاحتمال عندهم ، أما الأدلة النقلية فيمكن تأويلها أو ردّها إن أمكن ذلك - وهذا كثير في مذهب الاعتزال - .

لأجل هذا سألهم إسحاق سؤالاً فأعجزهم وحيرهم وهو قوله :

هل يستطيع ريكتم أن ينزل كل ليلة ولا يخلو العرش منه ؟

فإن أجابوا بـ (لا) كفروا ، لأنهم اعتقدوا عجز الله الذي هو على كل شيء قدير ، وإن أجابوا بـ (نعم) أكدوا أنفسهم ، ورجعوا عن مذهبهم ، وآمنوا بما آمن به أهل السنة والجماعة .

وأدرك الأمر أن الحق في جانب إسحاق ، وأنه أحق أن يتبع .

وفى الحقيقة : إن جميع صفات الله تعالى - سواء صفات المعانسي أو الصفات الموهمة كما يقسمونها ويمنفونها - لا يمكن التفريق بينها ، أو اتخاذ موقفين مختلفين تجاهها ، لأن الموصوف بها واحد ، ولا يجوز في حقها مشابهة الحوادث ، فمن أثبت أنه : سميع بصير ، وسمعه وبصره مخالفاً لآسماع

الطلحات ، وولى عبدالله بن طاهر امرة الشام مدة ونقل الى مصر سنة ٢١١هـ فأقام سنة ، ونقل الى الدينور قم ولاء المأمون خراسان وما حولها واستمر الى أن توفي بنيسابور ، وقيل بمرور سنة ثلاثين وماقتين .
(تاريخ بغداد ٤٨٣/٩) (وفيات الأعيان ٢٦٠/١) .
(١) انظر : (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٢٧٥/٥ - ٢٨٨) .
(وابن القيم - مختصر المواعق المرسلية ٢٥١/٢) .
(والسفارييني - مختصر لوايح الأنوار ص ١٧٣) .

الحوادث وأيضاً لهم لزمه مثل ذلك في جميع الصفات ، كالاستواء والهد ونحو ذلك من صفاته جل و علا ، ولا يمكن الفرق بينهما بحال .
وإن الذات والصفات من باب واحد أيها ، فكما أنه جل و علا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق ، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق .

وقد غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة ، فزعموا أن الظاهر اعتبار السابق إلى الفهم من معنى الاستواء والهد - مثلاً - في الآيات القرآنية ، وهو مشابهة صفات الحوادث ، وقالوا : يجب علينا أن نصره من ظاهره ، لأن اعتقاد ظاهره كفر ، لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر ، ولا يخفى على أدنسى عاقل أن حقيقة هذا القول : أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه ، السابق إلى الفهم ، الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل و علا ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - الذى قيل له : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (١) ، لم يبين حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يحتد بسبه من العلماء على أنه - صلى الله عليه وسلم - لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه ، وأحرى في العقائد ، ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين ، حتى جاء من زعم أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه ، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتداد على كتاب أو سنة .

والحق الذى لا يشك فيه : أن كل وصف وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم المؤمنين هو : التنزيه التام عن مشابهة شئ من صفات الحوادث ، فبمجرد إضافة الصفة إليه جل و علا يتبادر إلى الفهم أن لامناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق وبين شئ من صفات المخلوقين . (٢)

(١) آية رقم (٤٤) من سورة (النحل) .

(٢) انظر : (فحمد الأمين الشنقيطى - أضواء البيان ٢ / ٣١٨) .

ثالثاً : رؤية الله تعالى في الآخرة :

ومن البدع التي تبناها المعتزلة فأصبحت من المشكلات التي واجهها الدعاة وتصدوا لها :

قولهم : باستحالة رؤية الله تعالى في الآخرة ، لما يترتب على ذلك - بزعمهم - من التجسيم والتشبيه .

ومن النصوص التي استدلوا بها لدم موقفهم قوله تعالى :
(لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (١)
وردوا النصوص المعارضة لهم ، والتي تثبت الرؤية ، فأولوا الآيات ولم يقبلوا الأحاديث الصحيحة . (٢)

موقف رجال السلف من هذه المشكلة :

أشار العلماء إلى أن هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها ، وهي الغاية التي شمر إليها المشركون ، وتنافس لنيلها المتنافسون ، وحرمها الذين هم عن ربهم محجبون .

فالإمام الأوزاعي يرى أن رؤية الله تعالى في الآخرة هي أفضل ما يثاب به المؤمن في الجنة ، وطاب جهنماً والمعتزلة ومن وافقهم ، وشنع عليهم انكارهم ومنعهم لأعظم نعمة قد أخبر الله عباده بأنه سيكرمهم بها في دار النعيم .

يقول الأوزاعي رحمه الله : (إني لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهنماً

(١) آية رقم (١٠٣) من سورة (الأنعام) .

(٢) انظر : (عبد الجبار المعتزلي - شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢ وما بعدها) .

وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعده أولياءه حين يقول : (وَجِئْتُ بِكُمْ نَاصِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً) (١) ، فجدد جهنم وأصحابه أفضل ثواب الله الذى وعده أولياءه) (٢)

وقال رجل للإمام مالك بن أنس : إن قوما يقولون : إلى ربها ناظرة .
أى : إلى ثوابه ! ، قال : كذبوا ، فأين هم عن قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (٣)

ويوضح الإمام الشافعى استدلال شيخه مالك بالآية السابقة على إثبات الرؤية فيقول : وفيها دلالة على أن أولياء الله تعالى يرون ربهم يوم القيامة ولما حُجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أنهم يرونه فى الرضا . (٤)

ويرد الإمام سفیان بن عيينة على بشر المريسي وأصحابه فى نفهم رؤية الله تعالى فى الآخرة فيقول : إن بشرأ المريسي يقول : إن الله لا يرى يوم القيامة قاتل الله الدّويبه ، ألم يسمع إلى قول الله تعالى :
(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) ، فإذا احتجب عن الأولياء والأعداء فأى فضل للأولياء على الأعداء ! ، فالله تعالى قد جعل احتجابه عن أعدائه عقوبة لهم . (٥)

ونستخلص من الأقوال السابقة اتفاق الأئمة على رفض فكرة المعتزلة واعتبارها رأياً مخالفاً لنصوص الكتاب والسنة ، وما كان كذلك فهو خلال وفواية .

(١) آية رقم (٢٢ - ٢٣) من سورة (القيامة) .

(٢) (اللالكائى - شرح أصول الاعتقاد ٥٠٣/٣) .

(٣) آية رقم (١٥) من سورة (المطففين) .

(٤) انظر : (اللالكائى - شرح أصول الاعتقاد ٥٠٣/٣) -

(٥) انظر : (أبا نعيم - الحلية ٢٩٦/٧) .

(والخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٦٥/٧) .

واستدلوا على حصول رؤية الله تعالى للمؤمنين وحجب الكافرين عنها يوم
القيامة بقوله تعالى : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)^(١) .
ويقوله : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) .

ففي الآية الأولى دليل على فوز المؤمنين بها ، وفي الثانية تأكيد على
حجب الكافرين عنها وحرمانهم منها .

وأشار في استدلالهم إلى أن الجميع متفقون على أن الكفار محجوبون عن
رؤية الله تعالى ، فإذا كان منهم من الرؤية عقاباً لهم على كفرهم ، ونتيجة
لسخط الله عليهم ، فإن أهل الجنة من المؤمنين لن يحجبوا عن الرؤية لأنهم
من أهل الجنان والرضوان ، فلا نار ولا سخط ولا حرمان .
فلما كان حجب الكافرين عن الرؤية نوعاً من العقاب ، كانت رؤية المؤمنين
لربهم نوعاً من الثواب ، بل هي أعظم الثواب وأجل النعم .

وبناظرهم الإمام أحمد بن حنبل ويرد على شبهاتهم بعد إيرادها ، فيسألهم
ثم يذكر رأيهم ، ويجيب على إشكالاتهم ، ويرد على أخطائهم ، ويؤكد لهم
في ختام المناظرة بالأدلة الصحيحة والمرحة ثبوت ما أخبر به الله تعالى
ورسوله - صلى الله عليه وسلم - من حصول رؤيته يوم القيامة .

يقول أحمد رحمه الله : قلنا لهم : لِمَ أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى
ربهم ؟!

فقالوا : لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه ، لأن المنظور إليه معلوم موصوف
لا يرى الأشياء بفعله .

فقلنا : أليس الله يقول : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)^(١)
فقالوا : إن معنى (إلى ربها ناظرة) أنها تنتظر الثواب من ربها ،
وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته - وتلوا آية من القرآن - (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ۖ)^(٢) ، وقالوا : إنه حين قال : ألم تر إلى ربك

(١) آية رقم (٢٣) من سورة (القيامة) .

(٢) آية رقم (٤٥) من سورة (الفرقان) .

فإنهم لم يروا ربهم ، ولكن المعنى : ألم تروا إلى فعل ربك .
فقلنا : إن فعل الله لم يزل العباد يرونه .
وإنما قال : (كَجَوَّةٍ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ « إِلَىٰ رَبِّهَا نَظِيرَةٌ »)
فقالوا : إنما تنتظر الثواب من ربها .
فقلنا : إنما مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها .
فقالوا : إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، وتلوا آية من المتشابه مسبق
قول الله تعالى : (لَا تَدْرِكُهُ الْآبْعَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْعَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ) (١)

قلنا : قد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرف معنى قول الله تعالى :
(لَا تَدْرِكُهُ الْآبْعَارُ) ومع ذلك فقد قال : (إنكم سترون ربكم) وذلك
أن ناسا قالوا له : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (هل تضارون في رؤية القمر
ليلة البدر ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : فإنكم ترونه كذا لك الحديث . (٢)

وقال الله لموسى : لن ترانى ، ولم يقل : لن أرى !

فأيهما أولى أن نتبع : النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال : (إنكم سترون ربكم) ، أو قول الجهمي حين قال : لاترون ربكم .

والأحد يث في أيدي أهل العلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم أن أهل

(١) آية رقم (١٠٣) من سورة (الانعام) .

(٢) (صحيح البخارى - كتاب الدعوات - باب الصراط جسر جهنم ١٤٧/٨) .

(صحيح مسلم - كتاب الايمان - باب معرفة طريق الرؤية ١٦٣/١ - عن

أبي هريرة .

الجنة يرون ربهم ، لا يختلف فيها العلماء ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
” إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تبارك وتعالى : تُريدون شيئاً
أزيدكم ؟

فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار .
قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلي ربهم
- عز وجل - ثم تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (١) ،
فالزيادة هي النظر إلى الله تعالى . (٢)

وأما ما استدل به المعتزلة فهو خاص في الدنيا بدليل النصوص الأخرى التي
ثبتت الرؤية في الآخرة ، بل إن قول الله لموسى : (لئن ترانيسى) يعكس
اعتباره من أقوى الأدلة على جواز الرؤية ، لأن من اصطفاه الله لرسالته ، واختاره
لنبوته ، وخصه بتكليمه ، يستحيل أن يجهل من حكم ربه ما يدركه أمثال المعتزلة ،
فيقول لربه : (أرني أنظر إليك) فسؤاله دال على جواز ما سأل ، ولو كانت
الرؤية مستحيلة لم يسألها ، لأنه ليس أقل من المعتزلة معرفة ، وكيف يُطلب
بالكليم أن يسأل ربه ما يعلم استحاله ، ثم إن سؤاله كان عن رؤية في الحال ،
فحمل النفي على موضع السؤال . (٣)

وإذا كان تأليف الكتب أسلوباً من أساليب المواجهة ، فقد صنف الإمام
عثمان بن سعيد الدارمي (٤) كتاباً ردّ فيه على المعتزلة وناقشهم في أفكارهم
وأثبت لهم فيه بالأدلة النقلية والاستنباط الدقيق ثبوت الرؤية في الآخرة

(١) آية رقم (٢٦) من سورة (يونس) .
(٢) (صحيح مسلم - كتاب الايمان - باب اثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة
١٦٢ / ١ - عن صهيب الروسى .
(٣) (الأشعري - الابانة عن أصول الديانة ص ٢٥ - ٤١) (والجويني -
كتاب الارشاد ص ١٨١ - ١٨٤) (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية -
١ / ٢٤٧) .

(٤) عثمان بن سعيد الدارمي السجزي : نزيل هراة قد سمع من هشام بن صرار
وغيره وذلك بدمشق مع جماعة آخرين ، وسمع نعيم بن حفاد وابن العديني
وابن راهوية ، وكتب الحديث مع يحيى بن معين ، وله تصانيف في الرد على
الجهمية ، منها : النقض على بشر المريسي ، وكتاب الرد الذي نقبش منه ،
وله مسند كبير ، توفي في مدينة هراة - سنة ثمانين ومائتين .
انظر (الذهبي - تذكرة الحفاظ ١٧٧ / ٢) .

وسمى الكتاب : (ردّ الدرّامى عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد^(١))

وما جاء فيه قوله . . . (. . . وادعى الجاهل أن تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - " سترون ريكم لاتغامون فى رؤيته ، كما لاتغامون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر " ^(٢) : تعلمون أن لكم رياءً لاتشكون فيه ، كما لاتشكون فى القمر أنه قمر ، لا على أن أبحار المؤمنين تدركه جبهة يوم القيامة ! لأنّ نفى ذلك عن نفسه بقوله : (لاتدركه الابصار^(٣)) ، فتوهمت المشبهة الرؤية جبهة .

فيقال لك - أيها المريسي - : أقررت بالحديث وقد فسّره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوضححتى لم يدع لمأول فيه مقالاً ، وأخبر أنه رؤية العيان نصاً ، فالتفسير فيه مأثور مع الحديث ، وأنت تفسره بخلاف ما فسّره الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غير أثر تأثره عن هو أظم منك ! فأى شقى من الأشقياء يتسرك تفسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المقرون بحديثه ، المعقول عند العلماء ، الذى يمدقه ناطق الكتاب ، ثم يقبل تفسيرك المحال ، الذى لاتأثره إلاّ عن هو أجهل منك وأضل ! ؟ لأنّ الشك فى ربوبية الله تعالى زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة ، فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم أنه ربه ، لا يحترههم فى ذلك شك ، فما موضح بشرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المؤمنين برؤية ربه يوم القيامة ، إذ كل مؤمن وكافر فى الرؤية يومئذ سوا عندك ، لأنّ الجميع لا يحتره فيه شك ولا ريبه ! ؟

أيها المريسي : تقرأ كتاب الله وتطلبك غافل عما فيه ، ألا ترى أن أصحاب موسى عليه السلام سألوا موسى رؤية الله تعالى فى الدنيا الحافاً فقالوا :
" لَسَنَ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً " ^(٤)

(١) أشار الشيخ ابن تيمية وضمه إلى كتاب الدرّامى هذا الذى يرد فيه على المريسي وقد أثنى ابن تيمية على الكتاب . انظر (مجموع الفتاوى : لابن تيمية ٥ / ٣٢٠)
(٢) انظر : (صحيح البخارى - كتاب الدعوات - باب الصراط جسر جهنم ٨ / ١٤٧)
ولفظ البخارى : عن ابي هريرة قال : قال أناس يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ ، قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك الحديث .

(٣) آية ١٠٢ : الأنعام . (٤) آية ٥٥ : البقرة .

ولم يقولوا : حتى نرى الله فى الآخرة ، ولكن فى الدنيا ، فأخذتهم الماعقة
بظلمهم وسؤالهم ما حظره الله على أهل الدنيا .

ولو سأله رؤيته فى الآخرة كما سأل أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -
لم تصيبهم تلك الماعقة ، ولم يقل لهم إلا ما قال محمد - صلى الله عليه وسلم -
لأصحابه إذ سأله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : نعم ، لا تغارون فسى
رؤيته .

فلم يحبهم الله ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - بسؤالهم عن ذلك ، بل حسنه
لهم ، وبشرهم بشرى جميلة ، قد بشرهم الله بها فى قوله : " وجوة يومئذ
ناظرة " إلى ربها ناظرة .
وقال للكفار : (كلاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجبون)

فقوم موسى سألوا نبيهم ما قد حظره الله على أهل الدنيا بقوله : (لا تدركه
الابصار) ، وسأل أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - نبيهم ما أخبر الله أنسه
سيعطيهم وبشيتهم به يوم القيامة ، فصعق قوم موسى بسؤالهم ما لا يكون ، وسلم
أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - بسؤالهم ما يكون ، ومتى غاب الله على قوم
موسى سؤال الرؤية فى الآخرة ! فتفترى بذلك عليهم ، وتكذب على الله ورسوله
- صلى الله عليه وسلم - ، والله لا يحب الكاذبين (١)

ويلاحظ من هذا الرد الدقيق والمفضل تركيز الإمام الدارمى على إظهار
خطأ المعتزلة فى فهم أحاديث الرؤية ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أتبع النمر بتفسيره كى لا يساء فهم النمر أو يشك فى معناه .

فقول المعتزلة فى تفسير الحديث : إنكم ستعلمون أن لكم رباً لا تشكون فيه ،
قولهم هذا مردود ولا طبل ، لأن المؤمن والكافر يوم القيامة يعلمون جميعاً
هذا المعنى ، وذلك حين يرون الحقيقة ، ويكشف عنهم الغطاء ، وإذا كان

(١) انظر : (عثمان بن سعيد الدارمى - رد الامام عثمان بن سعيد طبرى
بشر المهسي العنيد ص ٥٥ ، وما بعدها - الطبعة الأولى
سنة ١٣٥٨ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

المعنى ، كما تؤوله المعتزلة بالعلم اليقيني ، فلا معنى لبشارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإخباره برؤية الله تعالى في الآخرة ! فثبت بطلان قولهم وتأويلهم ، وضح ما ذهب إليه أهل السنة ، لأن الأدلة تؤكد ذلك كـ
كل التأكيد .

رابعاً : مشكلة مرتكب الكبيرة :

كان الناس قبل ظهور المعتزلة مختلفين في الحكم على أصحاب الذنوب والكبائر من المسلمين على أقوال :

الأول : أن مرتكب الذنب الصغير أو الكبير مشرك بالله ، وهذا قول طائفة من الخوارج تدعى (الأزارقية) .
وزعت النجدات منهم أن صاحب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه كافر مشرك .

الثاني : أن صاحب الكبيرة من هذه الأمة منافق ، والمنافق شر من الكافر العظير لكفره .

الثالث : أن صاحب الكبيرة من المسلمين يكون مؤمناً ، لما فيه من معرفة الرسل والكتب المنزلة ، وإيمانه بما جاء عن الله تعالى عن السنة الرسل .

ولكنه يعتبر فاسقاً بكبيرته ، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان ولا يخلده في النار ، فيتاب على إيمانه ، وأما ذنوبه فأمرها إلى الله تعالى إن شاء فذبه وإن شاء عاقبه ، وهذا قول أكثر الأمة ، وطهيمه منى الصحابة والتابعين .

الرابع : ثم خالف واصل بن عطاء المعتزلي جميع هذه الأقوال ، فزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، فالفسق عنده منزلة

بين الإيمان والكفر ، ثم زعم أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار .
وليس لله أن يعفو عنه ، وهذا معنى قولهم في أصولهم الخمسة (إنفساد
الوعد والوعيد) .

وغالى بعضهم فقال : يجب على الله أن يشيب المطيح ، ويعاقب مرتكب
الكبيرة ، وإذا مات قبل أن يتوب من كبيرته فلا يجوز أن يعفو الله عنه ، لأنَّه
أود بالعباق على الكبائر وأخبر به ، فلولم يعاقب لزم الخلف في وعده . (١)

ردّ علماء السلف على المشكلة :

تقدم الكلام في فصل (مقاومة الدعوة للخوارج) عن مشكلة التكفير وردّ أهل
السنة طيها .
وأكتفى هنا بالإشارة إلى بطلان مبدأ وجوب تحقيق الوعيد الذي جعله
المعتزلة أصلاً من أصولهم ، والإجابة على شبهاتهم وأخطائهم في فهم بعض
النصوص .

لقد ردّ علماء السلف هذه الفكرة المبتدعة ، من إحداث المنزلة بين المنزلتين
وتخليد أصحاب الكبائر في النار ، فأجابوا عن استدلال المعتزلة بالآية الكرسي :
(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ۗ ۝١٠٠ الآية (٢)
بأن هذا الوعيد الشديد لِمَنْ أقدم على فعل جريمة قتل المؤمن وهو مستحل لها
واحتجوا لذلك بتفسير ابن عباس رضي الله عنهما وبيانه لهذا الأمر حيث فسّر الآية
بقوله : أي مستحلاً لقتله . (٣)

(١) انظر : (عبد الجبار المعتزلي - شرح الأصول الخمسة ص ٦١١)

(والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ١١٧) .

(والشهرستاني - الملل والنحل ٤٦/١) .

(وابن تيمية - رسالة العبودية من كتاب مجموعة التوحيد ص ٦٨٣)

(ومجموع الفتاوى ٣٨٧١٣) .

(٢) آية رقم (٩٣) من سورة (النساء) .

(٣) انظر : (الجويني - كتاب الارشاد ص ٢٨٨ وما بعدها) .

(وابن تيمية - رسالة العبودية من مجموعة التوحيد ص ٦٨٣) .

(والمكلاشي - لباب العقول ص ٢٩٠ وما بعدها) .

والعمد على الحقيقة إنما يصدر من المستحيل ، فأما من يعتقد أن القتل من أعظم الكبائر ، فبجرته هواء ، وبزه اعتقاده ، فلا يقدم على الأمر إلا خائفاً وجلاً ، وآية ذلك : أن الرب تبارك وتعالى لما ذكر القصاص ووجوبه لم يقرنه بالوعد والخلود ، وحيث ذكر الخلود لم يتعرض لوجوب القصاص ، وذلك أصدق دلالة على أن التوعد بالخلود للكافر المستحيل الذي لا تجرى عليه ظواهر الأحكام . (١)

وإذا كانت هذه الآية مطلقة في تخليد قاتل المؤمن في النار ، فإن النصوص الكثيرة التي تبين دخول المؤمنين الجنة ، وخروج العماة والذنبيين من النار بسبب الإيمان الذي في قلوبهم ولو كان مثقال ذرة - إن هذه النصوص تقيد النصوص المطلقة في الوعيد وتجعلها خاصة بالكفار والمستحلين لما حرم الله تعالى .

ويرد شيخ القراء والعربية أبو عمرو بن العلاء على هذه المشكلة ويفند أدلة المعتزلة ، وذلك في مناظرة جرت بينه وبين شيخ المعتزلة عمرو بن عبيد . يقول عمرو بن عبيد لابن العلاء : يا أبا عمرو هل يخلف الله وعده ؟ ! قال : لن يخلف الله وعده .

قال ابن عبيد : فقد قال الله تعالى : " ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه . الآية . (٢) "

فقال ابن العلاء : ويحك يا عمرو ! إنك لأنكس الفهم ومن العجمة أتيت إنما الوعد غير الوعيد ، والعرب لاتعد خلفاً ولا طاراً خلف الوعيد بل تعتبره جوداً وكرماً ، إنما الخلف أن تعد خيراً ثم لاتفعله ، والكرام إذا وعد وفى ، وإذا توعد عفا .

فقال ابن عبيد : هل ذكرت العرب ذلك ؟

(١) (المعادل المتقدمة) .

(٢) آية رقم (٩٣) من سورة (النساء) .

قال ابن العلاء : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :
وإنسى إن أوعده أو وعدتُه لمخلفاً إيعادى ومنجزاً موعدي^(١)

فالجهل باللغة ، والقصور في فهم الشريعة هما اللذان أوقعا المعتزلة
وأمثالهم في أخطاء جسيمة ، بالإضافة إلى أسباب أخرى كان لها أثر في ذلك
فعدم التفرقة بين الوعد والوعد جعل المعتزلة يوجبون عقاب العاصي كما
أوجبوا إثابة الطائع ، مع أنه لا يوجب مخلوق على الخالق شيئاً ، ولكن الله
يفعل ما يشاء ، ويكتب على نفسه ما يشاء من الرحمة والثواب فضلاً منه وكرماً .

وقد التزم أئمة السنة أمثال أحمد بن حنبل رحمه الله جانب الأدب مع الله
تعالى وآياته ، ولم يجرؤوا على تكفير أحد أو تخليده في النار إلا من ورد في
حقه نص صحيح وصريح ، وبالمقابل فإنهم لم يحكموا لأحد بدخول الجنة ،
إلا من ورد باسمه حديث المعصوم - صلى الله عليه وسلم -

وردة أحمد رحمه الله على المعتزلة والخوارج وغيرهم ممن يكفرون أهل التوحيد
بسبب ذنوبهم أو يخلدوهم في النار ، فقال رحمه الله : (ولا نشهد على أحد
من أهل القبلة أنه في النار لذنب صله ، ولا لكبيرة أتاها ، إلا أن يكون في ذلك
حديث فنصده ، ونعلم أنه كما جاء ، ولا نشهد على أحد أنه في الجنة بما لم
صله ولا بخير أتاه ، إلا أن يكون في ذلك حديث فنصده كما جاء ، ولا يكفر
أحد من أهل التوحيد وإن صلوا الكبائر)^(٢)

فالحكم بالكفر والخلود ليس أمراً سهلاً ، بل كان السلف يخرجون من
أشد التحرج ، فمن لم يظهر كفره ، وتأكد ردته لم يسرعوا إلى تكفيره

(١) انظر : (اللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٧٢٧/٤)
(والمفضل بن محمد التنوخي المعري سنة ٤٤٢ هـ - تاريخ العلماء
النحويين ص ١٤٤)
• (والخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٧٥/١٢)
• (والسفاري - مختصر لوامع الأنوار ص ٢٥٨)
(٢) انظر : (ابن أبي عمير - طبقات الحنابلة ٢٦/١)
• (وابن الجوزي - كتاب المناقب ص ٢٥٥)
• (والسفاري - مختصر لوامع الأنوار ص ٢٥٢)

وتخليده في النار ، فأصحاب الكبائر الذين يموتون على غير توبة ^{٥٠}مرجون لا يسر الله إيماناً يحذّبهم أو يتجاوز عنهم ، لأنهم مؤمنون ، وهم في الحالين بين عدل الله وفضله ، فهو يغفر لمن يشاء ويحذّب من يشاء ، ولا يسأل عما يفعل ، تبارك الله رب العالمين .

خامساً : الطعن في الصحابة :

- ومن مشكلات المعتزلة وضلالاتهم تشكيكهم في عدالة الصحابة ، واتهامهم بالكذب والفسق والفسلال .
- فزعمهم أبو إسحق النظام طعن في عدالة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ونسبه إلى الضلال ، وردّ فتاوى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقضاة ، واحتسب عليه في جلد شارب الخمر ثمانين جلدة .
- وقبح في فتاوى عثمان وطلّ رضي الله عنهما وفقههما .
- واتّهم أبا هريرة رضي الله عنه بالكذب ، فردّ جميع رواياته وسبب ذلك ما رواه من أحاديث القدر التي تذم القدرة وتكشف عن ضلالهم ، وانتقد اجتهادات الصحابة جميعاً ، واتّهمهم بالجهل والنفاق ، وردّ إجماعهم ، وكذلك فعل غيره من شيوخ الاعتزال ، حيث لم يسلم منهم أحد . (١)

موقف رجال السلف من المشكّلة :

تعدى العلماء لكل من سولت له نفسه النيل من سلف هذه الأمة

(١) انظر : البخدادى - الفرق بين الفرق ص (٣١٩)
(والشهرستاني - الملل والنحل ١ / ٥٧) .

الصالح وصحابة نبيها الأبرار ، فردوا على المعتزلة والخوارج والشيعة وغيرهم من منحرفي الفرق ومخالفى الجماعة ، الذين تعرضوا لصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأذى والطمع بدل أن يعرفوا لهم فضلهم وسبقهم وحد قهم .

وكان ردّ السلف على هذه المشكلة بياناً لفضل الصحابة ومكانتهم عند الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، حيث أثنى عليهم ربهم فى كتابه وأوصى بهم رسوله - صلى الله عليه وسلم - فى سنته .

وكان الردّ أيضاً تحذيراً من لبس عليهم إبليس فأضلهم الله على علم قدّموا من مدحه وأثنى عليه وهم المهاجرون والأنصار .

وقد اشتدّ الإمام مالك بن أنس على المعتزلة وأمثالهم من كرهوا الصحابة وطعنوا فيهم ، وحدّث أن ذكر أمانه رجل منهم كان قد انتقص الصحابة فغضب مالك ، وتلا قوله تعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمًا بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِئْتِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شِعْطًا فَازْرَهُ فَاسْتَفَلَطَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعُ لِيخِطَّ بِهِمْ ۗ الْكُفَّارَ ۖ ۝۰۰۰۰ الْآيَةَ . (١)

فقال مالك : من أصبح وفى قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد أصابته الآية . (٢)

وهذا فهم دقيق من الآية أدركه الإمام مالك رحمه الله بشأن مبغضى الصحابة الذين أنكروا فضلهم ، ولم يعرفوا قدرهم ، فكيف يكون موقفه مع من كفرهم ونسبهم إلى الضلال !

-
- (١) آية رقم (٢٩) من سورة (الفتح) .
(٢) انظر : (أبان نعم - الحلية ٦ / ٢٢٧) .
(والزواوى - مناقب مالك ١ / ٣٦) .

وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله لا يقبل رواية من سبَّ السلف ، ولا يشق بحدِيثه، بل ويحذّر الناس منهم ، ويأمرهم برّد أحاديثهم ، يقول رحمه الله :
(دعوا حديث هؤلا ، فإنّهم كانوا يسبون السلف) (١) ، ويقصد بهم الفرق المخالفة للسنة والمطابقة للجماعة من أهل الاعتزال والرفض وغيرهم ، واعتبر الشافعيّ - رحمه الله - كلّ من سبَّ الصحابة فاسقاً ، أما أحد - رحمه الله - فقد حكّم عليه بالزندقة . (٢)

فمن أوصله حقه وغيظه إلى تكفير الخلفاء الراشدين أو بعضهم فقد كفر ، لأنه كفر خيار الصحابة الذين بشرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدخول الجنة .

وهو زنديق أيضاً ، لأنه أضمر لهم الشر ، واعتقد فيهم الكفر ، ثم يحتسب نفسه من المسلمين ، ومن شتم الصحابة شتماً دون التكفير والتفليل فهو فاسق ضعيف الإيمان يوشك إن لم يتب إلى الله ويستغفر لصحابه نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يوصله فعله هذا إلى بغض الدّين الذي حملوه والشريعة التي نقلوها ، فيميروا من الكافرين - والعيساذ بالله تعالى - .

هذا، وإن مشكلات المعتزلة كثيرة ، ولعلماء السلف مواقفهم وتمدد بهم لجميع المشكلات التي أثارتهما الفرق ، حيث اهتموا بالجانب التأسيسي فبينوا أمور العقيدة ، ودعوا إلى ما كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ثم قاوموا الأفكار المنحرفة والمبادئ الباطلة ، فأظهروا فسادها وتهاافتها ، وأوضحوا جانب الحق في كل مسألة ، فزالت الشبهات ، وانحلت المشكلات ، ولم يلتبس على العقلاء شيء من أمور الدين .

(١) (صحیح مسلم - المقدمة - باب بیان أن الإسناد من الدین ١/١٦) .

(٢) (ابن حجر الهيتمي - المواضع المحرقة ص ٢٥٧ - ٢٦٠) .

الْبَيْتُ السَّابِقُ

الدَّعْوَةُ فِي بَجَابِهَا تَلْقَافًا لَتَيْلَا الْمُنْتَحَدِ كَرَّةً

الفصل الأول

وجرت العادة في مقامها بالبيع

الباب الثالث : (الدَّعْوَةُ فِي مَجَاهِدَةِ الثَّقَافَاتِ وَالتَّيَّارَاتِ المتعددة)

(الفصل الاول)

(وَجْهَةُ الدَّعْوَةِ فِي مَقَاوِمَةِ البِدْعِ)

تُعتبرُ الامور المستحدثة في الدين بدعاً واجهها علماء السلف على أنها مشكلات يجب إزالتها ، فكان للتحذير منها ، والتنفير من فعلها ، وبيان حكم الشرع فيها نصيب كبير من جهودهم واهتمامهم .

وأجد من المناسب قبل بيان وجهة الدعوة في مقاومة تلك البدع - أن أحدّد معنى البدعة ، وتتعرف على أقوال السلف الواردة في ذلك .

(١) تعريف البدعة :

البدعة لغة : اسم من الابتداع ، يقال : بدع الشيء بيده دعاً .
وابتدعه : أي أنشأه وابتدأه . (١)

واصطلاحاً : تُطلق على الحوادث المذمومة الذي لا أصل له في الشريعة يدلّ عليه ، ويُنسب هذا القول إلى الامام مالك بن أنس فالبدعة في هذا المعنى لا تكون إلا قبيحة منهيّاً عنها . (٢)

(١) انظر (ابن منظور - لسان العرب - مادة بدع ٢٥١/٩) .
(٢) هامش الفروق - محمد علي بن حسين مفتي الكلية ٢٢٩/٤) . دار المعرفة - بيروت
وتبعه مالكاً ابن رجب الحنبلي حيث يقول : المراد بالبدعة ، ما أحدثت من لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، أما ما كان له أصل يدل عليه فليس ببدعة وان كان بدعة لغة : انظر : (جامع العلوم والحكم ص ١٦٠) .
وكذلك رأى ابن حجر العسقلاني فإنه قال : البدعة أصلها ما أحدثت على غير مثال سبق ، وتطلق في الشرع في مقابل السنة ، فتكون مذمومة ، والمراد بها ما أحدثت وليس له أصل في الشرع ، أما ما كان له أصل يدل عليه فليس ببدعة ، والبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فإن كل شيء أحدثت على غير مثال =

ونص أصحاب هذا القول على أن البدعة تطلق في مقابل السنة فتكون مذمومة ويكون المراد منها : كل ما أحدث وليس له أصل في الشرع .
وأما ما كان له أصل من الشرع ، فليس ببدعة ، وإن سمي بدعة من حيث اللغة . (١)

واستدل القائلون بهذا بما ورد من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي ذم فيه البدع وحذر الأمة منها .

كقوله - صلى الله عليه وسلم - : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بمسئتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتسكوا بها ، وضوا عليها بالنواجز وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " (٢)

وقوله طيه الصلاة والسلام : " أما بعد فإن خير الحديث كتاب اللس ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " (٣)

ومن العلماء من توسع في تحديد مدلول البدعة ومفهومها ، فهي - ضد هم - تشمل كل شيء حادث سواه أكان مذموماً أم مبرراً ، وتكون حسنة كما تكون سيئة ، وينسب هذا القول إلى الشافعي رحمه الله ، وذلك حيث يقول :

(البدعة بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم) (٤)

ووافق على هذا جماعة من العلماء . (٥)

= يسمى بدعة يسواً أكان محموداً أو مذموماً . انظر (ابن حجر - فتح الباري ٢٠٢/١٢) (١) (المصدر نفسه) .

(٢) (مسند أحمد - عن العرياض بن سارية ١٢٦/٤ - ١٢٧) وإسناده صحيح .

(سنن ابن ماجه - ١٥/١ - ١٦ - رقم (٤٢) - عن العرياض بن سارية .

(٣) (صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب قول الله تعالى : (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (٣٠/٨) و (١١٤/٩)

(وصحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ رقم

(٨٦٧) .

(٤) (أبو نعيم - الحلية ١١٢/٩) و (ابن حبان - جامع العلوم والحكم ص ٢٥٣)

(٥) ومنهم : ابن حزم الظاهري حيث يقول : البدعة في الدين : كل ما لم يأت

ويوضح الشافعي قوله السابق فيقول : (المحدثات من الأمور ضريان :
أحدهما : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً ، فهذه البدعة
الضاللة .

وثانيهما : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من العلماء فهي محدثة
غير مذمومة (١)

واستدل أصحاب هذا القول ببعض الأحاديث والآثار التي تقسم المحدثات
إلى سنة خير وسنة شر ، وتثنى على ما كان حسناً ، مع وصفه بالبدعة .
وذلك كقوله - صلى الله عليه وسلم - : " من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله
أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ
في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص
من أوزارهم شيء " (٢)

وقوله عليه الصلاة والسلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " (٣)
وكقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (نعم البدعة هذه ، والتسبي
ينامون منها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون
أولها) (٤)

يقصد صلاة التراويح وذلك بعد أن جمع الناس على إمام واحد ثم رأهم
يعلمون بصلاة قارئهم .

(=) في القرآن ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما يؤجر عليه صاحبها يكون
حسناً ، ومنها ما يكون مذموماً ولا يُحذر صاحبه . (عزت على عطية - البدعة
ص ١٩٦) .

ومنهج : ابن الأثير سنة ٦٢٠ هـ حيث يقول : البدعة بدعتان ، بدعة هدى ،
وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو
في حيز الذمّ والإنكار ، وما كان واقعاً تحت صوم مانتدب الله إليه ، وحضر عليه
أو رسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز المدح الخ .
أنظر : (النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين المبارك بن محمد الجزيري بن الأثير ١٠٦٧ / ١٠٦٨)
ومنهج : العزبن عبد السلام سنة ٦٦٠ هـ حيث يقول : والبدعة هي فعل مالم
يُحمد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي منقسمة إلى بدعة واجبة
وبدعة محرمة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة وبدعة مباحة . . . الخ .
انظروا : قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعزبن عبد السلام ١٧٢ / ٢ -
ط / الاستقامة .

(١) (أبو شامة - الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ١٢) .
(٢) (٣) (٤)

وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن صلاة الضحى : (بدعةٌ ونعمتٌ)
البدعةُ هُي ، ولقد قُتِلَ عثمانُ وما أُحْدِثُ بِسَبِّحِهَا ، وما أُحْدِثُ النَّاسُ شَيْئاً أَحْسَبُ
إِلَى مِنْهَا) (١)

فاعتبر صلاة الضحى بدعة حسنة ، ولعل هذا الاعتبار محمول على صلاتها
في المسجد والتظاهر بها كما كانوا يفعلونه ، أو محمول على المواظبة عليها ،
لعدم مواظبتها - صلى الله عليه وسلم عليها ، أو على صلاتها جماعة . (٢)

وورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان مستنذا إلى حجرة عائشة ،
وأناس يحملون الضحى في المسجد ، فسئل عن صلاتهم ؟ فقال : بدعة . (٣)
فقد سماها بدعة ، ولم ينكر طيبهم .

ويعد النظر في أدلة الفريقين مستخلفاً أن الفريق الأول نفى أن يكون ثمة
ما يُسمَّى بدعةً حسنة ، لأن البدعة المعنية في نصوص الشرع هي الذمومة ، والتي
لا أصل لها في الشريعة ، فصلاة التراويح - مثلاً - لا تُسمى بدعة ، لأنَّ لها
أصلاً في السنة ، حيث فعلها النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثر من مرة ، وحثَّ
على قيام ليالي رمضان في أحاديث كثيرة .

= (٢) انظر : (صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولو يشق

تمرة ٧٠٤/٢٠٠ - رقم الحديث (١٠١٧)

(٣) (صحيح مسلم - كتاب الأقضية - باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد

محدثات الأمور - ٣٩/٢ رقم (١٧١٨) برواية عبد الرحمن بن عوف .

(٤) (صحيح البخاري ٥٨/٣ - كتاب الصوم - باب فضل من قام

رمضان - طدار احياء التراث العربي - بيروت . (والنهاية لابن الأثير)

(١) (ابن حجر - فتح الباري ٢٩٥/٣ - ٧٩٥) - (٤٥٥) - ١٠٦/١

(٢) (د . عزت علي عطية - البدعة ص ٢٠٦) .

(٣) مسند أحمد - عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - ١٢٩/٢ - ١٥٥ -

المكتب الاسلامي - دار صادر - بيروت .

ونرى أن الفريق الثاني ينظر إلى المستحدثات فيراها مختلفة في طبيعتها ونوعيتها فيرى فيها الحسن والسيء ، فيسلك طريق تقسيمها وتصنيفها إلى السي محمودة ومذمومة ، ثم إنه يحمل المطلق من الروايات على المقيد ، ويجمع فسي العمل بين المنطوق والمفهوم ، فيفهم من قوله عليه الصلاة والسلام : " مَكَّنْ أَحَدَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " ، أن كلمة (ما ليس منه) تدل على أن هناك أموراً محدثة قد تكون منه ، فما كان منه قَبْلَ ، وما لم يكن منه رَدٌّ .

ويوجه أصحاب هذا القول النصوص العامة والمطلقة الواردة في ذم البدع إلى التحذير من البدع والتنفير منها ، وأما عند الحكم على الأمور المستحدثة التسي استحسانها بعض الأئمة فيحملون المطلق على المقيد ، والعام على الخاص ، ليتحدد الحكم ، ويحرف المدوح من الذموم ، مع أن هذا الرأي لم يسلّم من النقد والنقض .

وقد اتفق الفريقان على أن كل بدعة خالفت السنة والآثار الصحيحة فهي مردودة ومذمومة ، وما وافق السنة فهو صحيح ومقبول .

لكنهما اختلفا في تسمية ما أُحدث وكان موافقاً للسنة ، أو دلّ الشرع على حسنه فالغريب الأول لم يُسمَّ بدعة من حيث المعنى الشرعي ، وأجاز أن يكون بدعة من حيث المعنى اللغوي ، وطى هذا فقول عمر - رضي الله عنه - (نِعِمَّتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ) من قبيل الإطلاق اللغوي الذي هو أعم من الشرعي .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ ابن تيمية - رحمه الله (١) - : (وما سُمِّيَ بِدْعَةٍ وَثَبَتَ حَسَنُهُ بِأَدْلَةٍ الشَّرْعِ ، فَأَحَدُ الْأَمْرَيْنِ فِيهِ لَازِمٌ : إِمَّا أَنْ يُقَالُ :

(١) ابن تيمية هو : تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الخضر بن تيمية النمري الحراني ، قال عنه الذهبي : قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين وصنف التمانيف ، وصار من كبار العلماء فسي حياة شيوخه ، وتمانيفه نحو أربعة آلاف كراسة أو أكثر .
ولد سنة ٦٦١ هـ ، ومات سنة ٧٢٨ هـ ، بعد حياة مليئة بالدعوة والتضحية والجهاد .

ليس ببدعة في الدين ، وإن كان يُسمى بدعة من حيث اللغة ، كما قال عمر
- رضى الله عنه - : (نَعِمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ) .

وأما أن يُقال : هذا عام خصت منه هذه الصورة لمعارض راجح ، كما يبقى
فيها عداها على مقتضى العموم كسائر صومات الكتاب والسنة . (١)

وأما الفريق الثاني فأطلق على هذا النوع من المحدثات اسم البدعة ووصفها
بكونها حسنة مستنداً على قول عمر - رضى الله عنه - في الترويح ، وقول ابن عمر
رضى الله عنهما في صلاة الضحى في المسجد وحملوا النصوص العامة والمطلقة
الواردة في ذم البدع على الخاصة والمقيدة الدالة على تقسيم السنة إلى حسنة
وسیئة ، والتي تشير إلى وجود محدثات لا تتعارض مع الدين بل تندرج تحت
أصوله الشرعية .

وكذلك فإن لفظ البدعة إذا أُطلق لا يدل إلا على ما هو مخالف للشرع ويكسبون
في مقابل السنة ، وفي هذا إيقاعاً للنصوص المطلقة الواردة في ذم البدع والتي
تصفها بالضلالة على إطلاقها وعمومها ، وأما قول عمر وابنه - رضى الله عنهما -
وقول الشافعي وغيره رحمهم الله فتَحَمَّلَ على البدع اللغوية التي تشمل كـ
مستحدث ، وهذا ما يتفق مع تلك النصوص التي وَصَفَتِ المحدثات بالبدع والضلال .

وأما إذا قُصد بلفظ (البدعة) معناه اللغوي - وهو مُطلق الحدث سواً
كان حسناً أم سيئاً - وَجَّهَها كان موافقاً للشرع فلا بد حينئذ من وصف البدعة

(١) انظر : (ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ١٠ / ٢٧٠ - ٢٧١) .

(واقتضاه الصراط المستقيم ص ٢٧٦) .

(وابن حجر العسقلاني - فتح الباري ١٣ / ٢٥٣) .

ويقول الشيخ ابن تيمية أيضاً : (ومآل القولين واحد ، إذ هم متفقون على
أن ما لم يستحب أو يوجب من الشرع فليس بواجب ولا مستحب ، فمن اتخذ عملاً
من الأعمال عبادة ودينياً ، وليس ذلك في الشريعة واجباً ولا مستحباً فهو ضال
باتفاق المسلمين .

إذ البدعة الحسنة عند من يقسم البدع إلى حسنة وسيئة لا بد أن يستحبها أحد
من أهل العلم الذين يُقتدى بهم ، ويقوم دليل شرعي على استحبابها .

انظر : (مجموع الفتاوى ٢٧ / ١٥٢) .

أو تقيدها بما يفيد حسنها صراحة أو بالمفهوم ، تمييزاً لها عن مطلق البدعة في الاصطلاح الشرعى .

وبناءً على ما سبق فيمكن اعتبار الخلاف بين الفريقين فى معنى البدعة اختلافاً نظرياً ، لا أثر له فى الناحية العملية . والله أعلم .

ب (ذم البدع عامة) :

كان السلف الصالح يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه ويستقلون مسج الصواب حيث استقلت مضاربه ، إذا بدالهم الدليل طاروا إليه ذرافات ووجداناً ، وإذا دعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أمر انتدبوا إليه ، ولا يمالسون عما قال برهاناً ، ونصوم الكتاب والسنة كانت أجلّ فى صدورهم وأعظم من أن يُقدّموا عليها قول أحد من الناس ، أو يعارضوها برأى أو قياس .

ثم خلف من بعدهم خلف فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كلُّ حزب بما لديهم فرحون تركوا السنة واتبعوا البدعة ، فتصدى لهم رجال السلف ، وقاموهم بالأساليب الحكيمة المتناسبة مع نوع البدعة وضررها وأثرها .

وانقسمت مقاومة السلف إلى قسمين :

مقاومة إجمالية ، وذلك بدم البدع عامة والتحذير من الوقوع فيها ، والنهي عن مجالسة أصحابها ، والركون إليهم ، ومقاومة تفصيلية تناولت أنواع البرع المتصلة بالمعيبة ، والمتعلقة بالأحكام .

(١) المقاومة الإجمالية :

اهتم الصحابة الكرام ورجال السلف الصالح ببحث الناس على السنن وتحذيرهم من البدع ، لما فى ذلك من سلامة الدين للفرد والمجتمع والمحافظة على النهج الصحيح الذى رسمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للفرقة

الناجية ، وهو التمسك بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه .
ولهذا فقد جاءت الآثار الكثيرة التي تؤكد على هذا الجانب المهم
من جوانب الإسلام العملية والسلوكية ، ومن تلك الآثار :
قولُ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (إِنْ أَصْحَابَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ هُمْ
الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا) (١)
وقول ابن عباس - رضي الله عنهما - : (إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلٌ صَاحِبِ بَدْعَةٍ
حَتَّىٰ يَتُوبَ مِنْ بَدْعِهِ) (٢)

وقول أبي قلابه - رضي الله عنه - : (لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنِّي
لَأَمِنُ أَنْ يَخْسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ ، وَلْيَبْسُوا طَيْبَكُمْ بَعْضُ مَا تَعْرِفُونَ) (٣)
وتفسير مجاهد بن جبر للآية الكريمة : (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (٤) بقوله : هي البدع والشبهات . (٥)

فهذه الآثار تدلنا على أن أصحاب البدع هم كل من انحرف عن سبيل الله
تعالى ، التي دعا إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بصيرة هو وأتباعه ،
فمن تفرقت به السبل ، وأهوجت به الطرق فقد ضلّ وابتدع .
ومن خالف نهج السلف وطريقه فلن يقبل الله عمله حتى يتوب من ضلاله
وزيغته .

وأخذاً فإن مجالسة أهل البدع شؤم على الإنسان ، لأنهم يريدون إيقاع
الناس في الضلالة كما وقعوا ، ويودّون لو يستطيعون تحقيق ذلك ، فجالستهم

(١) انظر : (أبا نعيم - الحلية ٤ / ١٣٨) .
(٢) انظر : (ابن ماجه - كتاب السنن - المقدمة - باب اجتناب البدع والجدل
١٩ / ١ رقم (٥٠))
(٣) (وابن حجر الهيتمي - الصواعق المحرقة ص ٤) .
(٤) (أبا نعيم - الحلية ٩ / ٢١٧) .
(٥) (والدرامي - عبد الله بن عبد الرحمن سنة ٢٥٥ هـ - سنن الدرامي - تحقيق
عبد الله هاشم يماني - ٩٠ / ١) . نشر حديث أكادمي سنة ١٤٠٤ .
(٤) آية رقم (١٥٢) من سورة (الأنعام) .
(٥) (أبا نعيم - الحلية ٣ / ٢٩٢) .

داً لا يضرَّ جسم الإنسان بل يُصيبُ دينهُ وَيَقِينُهُ .

ويبلغ من اهتمام السلف بهذا الأمر أن كانت كلماتهم الأخيرة تومى المؤمنين
ببندِ البدع والحذر منها ، فهذا عبد الله بن عوف - رحمه الله - سنة ١٥١ هـ ،
وهو فى مرضه الأخير كان يحفظ زواره ويوصيهم فيقول : السنةُ السنةُ ، وإياكم
والبدع ، ومات وهو يقول ذلك . (١)

وكان الإمام الأوزاعي سنة ١٥٧ هـ كثيراً ما يقول لأصحابه إذا أراد أن يوصى
أحدهم :

(اصبرْ نفسك على السنةِ ، وقفْ حيث وقفَ القومُ ، وقلْ بما قالوا ، وكفَّ عما
كفوا عنه ، واسلكْ سبيلَ سلفك الصالح ، فإنه يسمعك ما وسعهم ، وقد كان أهل
الشام فى غفلة من هذه البدع حتى قد فيها ربههم بعض أهل العراق ممن دخلوا
فى تلك البدعة بعد ما ردها عليهم علماءهم وفقهاؤهم ، فأسرَّ بها قلوب طوائف
من أهل الشام ، فاستحلَّتْها ألسنتهم ، وأصابهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف) (٢)

ويقول سفیان الثوري - رحمه الله - سنة ١٦١ هـ : (البدعة أحبُّ إلى
إبليس من المعصية ، المعصية يُتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها ، ومن أصغى
سمعه إلى صاحب بدعة ، فقد خرج من عصمة الله تعالى ، ووكل إلهه بها ،
- يعنى : إلى البدع - . (٣)

ويحذّر الليث بن سعد - رحمه الله - سنة ١٧٥ هـ من صاحب البدعة ،
ويبين أنه منبوذ ، وأن عمله مردود ، مهما عمل من أعمال قد توهم أنه على
جانب من الرفعة والمكانة . يقول رحمه الله :

(لو رأيتَ صاحبَ هوىٍ يحشى طينَ الماءِ ما قبلتُهُ) (٤)

(١) - (أبا نعيم - الحلية ٢/٣٩٢) .

(٢) (أبا نعيم - الحلية ٨/٢٥٤) .

(٣) (المصدر نفسه ٧/٢٦) .

(٤) (وابن أبي عمير - طبقات الحنابلة ٢/٤٢) .

(٤) (أبا نعيم - الحلية ٩/١١٦) .

وكان الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - سنة ١٧٩ هـ كثيراً ما يقول :
(وخيرُ أمورِ الدِّينِ ما كانَ سنَّةً ، وشرُّ الأمورِ المحدثاتُ البدائعُ)^(١)

واهتم الغضيل بن عياض - رحمه الله - سنة ١٨٧ هـ بهذه المسألة كثيراً
فكان يذم البدع وأصحابها ، ويحذر المسلمين من مخالطتهم أو معاملتهم
أو الجلوس معهم ، يقول رحمه الله :
(من جالس صاحب بدعة لم يُعط الحكمة ، ومن أحبه أُحبط الله عليه ،
وأخرج نور الإسلام من قلبه .
ومن تبسم في وجهه فقد استخفَّ بما أنزلَ الله على محمد - صلى الله عليه
وسلم .

ومن زوّج كرمته من مبتدع فقد قطعَ رحمها .
ومن تبع جنازة مبتدع لم يزلْ في سخطِ الله حتى يرجع ، ومن قرَّ صاحبُ
بدعة فقد آتان طينَ هدمِ الإسلام .
وإني أكل مع يهودى ونعمرانى ، ولا أكل مع مبتدع ، وأحبُّ أن يكون بينى
وبينه حصنٌ من حديد .
وهلَّ قليلٌ في سنة خيرٍ من عملِ صاحبِ بدعة .
ولا بدّ لقبولِ العملِ أن يكون خالصاً وصواباً ، والخالع ما كان لله تعالى
والعواب ما كان على السنّة)^(٢)

ويقول سفيان بن عيينة - رحمه الله - سنة ١٩٨ هـ : (ليس في الأرض -
صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تخشاه ، وهي في كتاب الله تعالى .
فبئس له : فأين هي من كتاب الله ؟

(١) (الشاطبي - الاعتصام ٥٧/١)

(٢) انظر : (أبا نعيم - الحلية ١٠٣/٨)

(وابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ٤٢/٢)

(واللالكائي - شرح أصول الاعتقاد ٦٣٦/٤)

(وابن تيمية - مجموع الفتاوى ٦٠٠/١١)

(ورسالة العبودية لابن تيمية أيضا من مجموعة التوحيد ص ٧٤)

(وابن قيم الجوزية - أعلام الموقعين ١٦٢/٢)

قال : أما سمعتم قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ قَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلِيلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (١)

وذكر قوم من أهل البدع أمام عبدالرحمن بن مهدي - رحمه الله - سنة ١٩٨ هـ وأنهم مجتهدون في العبادة ، فقال رحمه الله :
(لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا مَا كَانَ عَلَى الْأَمْرِ وَالسُّنَّةِ ، وَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
" وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ " (٢) ،
وقال : فلم يقبل الله تعالى ذلك منهم ، ويؤخهم عليه ، ثم قال لمن حوله :
الزموا الطريق والسنة . (٣)

وكان الإمام الشافعي - رحمه الله - سنة ٢٠٤ هـ من أئمة السنة وناصرها ، وكان يحذر من تركها والالتفات إلى غيرها من الأقوال المخالفة ، لأن الخيبر كله في اتباعه ، وفي تركها واتباع البدع الشرر مجسداً .

يقول رحمه الله : (إذا وجدت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاتبعوها ، ولا تلتفتوا إلى أحد ، فليس لأحد قول مع سنة سننها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (٤)

فمن ترك قول الله تعالى وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - وقال بخيرهما فهو مبتدع ضال ، ولهذا غضب الشافعي من رجل سأله عن مسألة ؟ فأجابته الشافعي وقال له : قضى فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكذا وكذا فقال الرجل : ماتقول أنت ؟

فغضب الشافعي وقال : سبحان الله ! تراني في كنيهة ! ؟
تراني في بيهة ! ؟ ترى على وسطي زئاراً ! ؟
أقول : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا ، وأنت تقول لسي :
ماتقول أنت ! (٥)

(١) آية رقم (١٥٢) من سورة (الأعراف) .

(٢) آية رقم (٢٧) من سورة (الحديد) .

(٣) (أبانعيم - الحلية ٨/٩) .

(٤) (المصدر نفسه ١٠٧/٩) .

(٥) (وابن قيم الجوزية - مختصر الصواعق المرسله ٢٠٠/٢) .

(٥) (أبانعيم - الحلية ١٠٦/٩) .

(٥) (وابن القيم - مختصر الصواعق المرسله ٢٠٠/٢) .

وجعل الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - سنة ٢٤١ هـ ترك البدع أصلاً من أصول المنهج السنّي ، فلا بدّ من اجتنابها وهجر أهلها حتى يكون المسلم على المنهج الصحيح الذي كان عليه السلف الملاح ، يقول رحمه الله :

(أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم والاقترافُ بهم ، وترك البدع ، وكلّ بدعة ضلالة ، وترك الخصومات ، وترك المراء والجدال ، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء) (١)

ويمكن أن نستخلص من الآثار السابقة بعض الفوائد ، وهي التركيز الشديد من رجال السلف على دعوة الناس إلى اتباع السنة واجتناب البدعة لما في ذلك من سلامة الدين ، والأمن من الفتنة .

وكذلك فقد اهتم رجال السلف ببيان آثار البدعة وأضرارها على صاحبها وعلى المجتمع ، فمن آثارها على صاحبها : غلبة الشيطان له ، وتلبسه عليه حتى يلتبس عليه الحق بالباطل ، فيتبع البدع ويهجر السنن .

ومن آثارها عليه ، بعده عن رؤية الصواب ، وإصراره على باطله وعدم توبته من بدعته ، وشموه بالذلة والهوان ضد ربه وعند نفسه وعند الناس ، ومنها عدم قبول أعماله ، وذلك إذا كانت بدعته في العقيدة حيث تفسدها وتدخل الشرك إليها فيحبط عمله - والعياذ بالله تعالى .

وأما آثار البدعة على المجتمع فكثيرة ، منها تزهيد الناس بالكتاب والسنة وإشغالهم فيها ، وهذا خطر فادح يهدّد كيان الأمة ، ويسلبها هويتها ، ويجعلها لقمة سائغة أمام أعدائها ، يطمعون فيها ، ولا يرهبون منها .

ومنها أيضا كثرة انتشار المنكرات والمعاصي ، مما يضعف الوازع الديني من قلوب الناس ، ولم يترك قوم السنة ويميلوا نحو البدعة إلا أصبحوا بضعف

(١) (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ١/٢٤١) .

و(ابن الجوزي - مناقب الإمام أحمد - ص ٢٤٤)

الإيمان بالله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وضعف المحبة كذلك ،
فمن علامات الحب لله تعالى اتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - وترك كل بدعة
تخالف هديه وتتعارض مع سنته .

كما يفهم القارىء للآثار السابقة أسباب تحذير رجال السلف من البدع
وأصحابها ، وأغراضهم من ذمها وصرف الناس عنها .
ومن تلك الأسباب : المحافظة على تراث الأمة الصحيح والعناية بعقيدتها
ومنهج أسلافها ، لتبقى صورة النهج السننى بيضاء نقية تضىء لسالكها سبيل
الهداية وطريق الفلاح .
ومنها أيضا عزل أصحاب البدع ، وفرض الحصار عليهم ، وإشعارهم بالذلة
والمهانة ، لأنهم خالفوا السنة ، وفارقوا الجماعة .

٢ (المَقَاوِمَةُ التَّفْصِيلِيَّةُ :

تقدم الحديث عن المقاومة الإجمالية والذم للبدع بعامة ،
وهو جهد تجلى فيه حرص العلماء على تبصير الناس بأضرار البدع على الفرد
والمجتمع ، وآثارها السيئة على الأمة جمعها .

ونحن الآن بعدد الحديث عن المقاومة التفصيلية التى سجل فيها رجال
السلف مواقف طيبة فى مجال بيان المنهج الصحيح الذى ينبغى على المسلم
أن يتحراه فى العقيدة والأحكام والآداب .

وقد شملت هذه المقاومة جميع أنواع البدع ، سواء ما يتصل بالعقيدة أو
بالأحكام .

أما البدع العقيدية فقد طمنا وجهة الدعوة فى مقاومتها ، وذلك من خلال
حد يثنا عن الفرق ومشكلاتها وأفكارها ، ومواجهة الدعاة لها .

وقد حوى البابُ الثاني من الرسالة أهمَّ الفرقِ التي انحرفت عن السبيلِ القويمِ سبيلِ السلفِ ومنهجه مثل : الشيعةِ والخوارجِ والمعتزلةِ .

وحرصاً على عدم التكرارِ فإني أذكر فقط إِنْ أفكار التأييم والتنبؤ وجواز البداءِ والتناسخ والحلول ، وعصمة غير الأنبياء ، وغيرها كانت من بدع الشيعةِ فيما كانت بدعة الخروج على الإمام ، واستحلال الدم المسلم ، والتكفير بسبب أصغر الذنوب وغيرها من بدع الخوارجِ .

وكذلك كانت مسائل التعطيل وإنكار القدر والرؤية والشفاة وتخليد العمارة في النار من أشهر بدع المعتزلة وضلالاتها .

وكل هذه البدع وأمثالها تعدى لها رجال السلف وبينوا ضلالها وبعدتها عن الحق ، وكشفوا عن مخططات أصحابها الهادفة إلى إفساد المجتمعات وتحويل الناس من عقيدتهم العاقية إلى الأهواء الضالة ، ثم التحكم في رقاب الناس وقلوبهم عن طريق الوصول إلى الحكم أو الهيمنة على الخلفاء ليملأوا عليهم ما يريدون من أفكار وبدع وضلال ، ويجبروا الناس على اعتناق ذلك بالقوة والعنف مخالفين قواعد العقل والدين في اجتناب الإكراه والإفساد ، فقد تبين الرشد من الغي ، ووضح الطريق أمام العقول لتختار الرشد والحق .

وأما البدع في الأحكام فهي كثيرة ومتنوعة ، وقد اعتبرها السلف فسوقاً وعصياناً ، كما أنها شؤم على الفرد والمجتمع ، ولذلك أنكروها ، واجتهدوا في تضييقها وإزالتها ، والدعوة إلى السنة عوضاً عنها .

وطبيعي أن توجد المخالطات الشرعية والبدع المنكرة من ذوى النفوس المريضة الذين ضعف الإيمان في قلوبهم ، وهدم الوازع الديني أو كان ينعدم .

وسأقتصر على البدع الظاهرة التي كان للأئمة فيها موقف ، وروي لهم فيها أثر وذلك انسجاماً مع ترجمة الفصل التي هي (وجهة الدعوة في مقامة البدع)

ولن أتتبع كل ما حدث من مخالطات ، فإن ذلك يطول ، ولن أحقق في الأمور التي ورد فيها خلاف بين الأئمة من حيث الإقرار والإنكار .

ولكن الذى سأعولُ عليه هنا هو بيان منهج الدعاة وأساليبهم فى إنكار
البدع ومقاومة المحدثات .

ويمكن تقسيم بدع الأحكام إلى ما يلى :

(١) ما يتعلق بالعبادة : كإحداث تغيير فى مواقيتها الزمانية أو المكانية
ومخالفة السنة فى ذلك .

ومن هذا النوع : الإحرام بالحجّ أو العمرة قبل الوصول إلى الميقات
طمعاً فى زيادة الأجر ، وظناً أن هذا خيرٌ مما ورد فى السنة - من
الإحرام عند الميقات المحدد ، فقد وقت النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل
الأمصار فى مختلف الجهات والبلدان مواقيت يُحرّمون منها ، فالتقيس
بذلك عبادة ، وتركه مُخلٌ بها .

فمن زاد فى مسافة الميقات بقصد إطالة مدة الإحرام واستعجاله طلباً
للأجر وطمعاً فى الثواب فقد ضلّ وابتدع .

وهذا ما أنكره الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - حين جاءه رجل يسأله :
من أين أحرم ؟ - وكان من أهل المدينة -

قال : من ذى الحليفة حيث أحرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

فقال الرجل : إنى أريد أن أحرم من المسجد .

فقال : لا تفعل ، فإنى أخشى عليك الفتنة .

قال : وأى فتنة هذه !؟ وإنما هى أميال أزيدها .

قال مالك : وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر ضرتها

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إن الله تعالى يقول : (قُلْ حَسْبُ

الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١)

(١) آية رقم (٦٣) من سورة (النور) .

فالمبتدع مخالف لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسنته ، والمخالف مبهَّدد بأن تصيبه فتنة في دينه ، وهي أعظم الفتن وأخطرها على مصير الإنسان وخاتمته ، ولذلك أنكر الإمام مالك على الرجل فكرته ، وبيّن له أن الذي يظن أنه اهتدى إلى فضيلة أو أطلع على خير فقل عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقصر فيه ، فذلك هو الفتنة والغلال البعيد .

وما أحدث الناس من البدع واجتهد السلف في ردّها : (جلوسُ النَّاسِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي الْمَسَاجِدِ يَدْعُونَ وَيَذْكُرُونَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ)

وأنكر ذلك العلماء منذ عصر التابعين ، ومروراً بعصر البحث زمن العباسيين ، وذلك أن الناس اجتمعوا بعد العصر من يوم عرفة في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعون فخرج نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما فقال :

(أيّها الناس : إنّ الذي أنتم فيه بدعة ، وليس بسنة ، وقد أدركت الناس لا يمتنعون هذا) (١)

وكان إبراهيم النخعي رحمه الله يقول : (الاجتماع يوم عرفة أمر محدث) (٢)

وأنكر سفیان الثوري رحمه الله هذه البدعة فقال :

(ليست عرفة إلا بمكة ، وليس في هذه الأعمار عرفة) (٣)

وكان الليث بن سعد رحمه الله ينصرف بعد العصر يوم عرفة فلا يرجع إلى قرب المغرب) (٤)

وسئل مالك بن أنس رحمه الله : ما تقول في الجلوس يوم عرفة ، يجلس أهل البلد في مسجدهم ، ويدعو الإمام رجالاً ، يدعون الله تعالى إلى غروب الشمس ؟

فقال : (ما نعرف هذا ! وإنّ الناس عندنا ليفعلونه .

(١) (محمد بن وضاح القرطبي سنة ٢٨٦هـ - البدع والنهي عنها ص ٤٦ تحقيق محمد احمد دهان ط / الثانية سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م دار البعائر دمشق) (والطراطوشى - الحوادث والبدع ص ١١٩) .

(٢) (البدع والنهي عنها ص ٤٧) (والحوادث والبدع ص ١٢٠) .

(٣) (البدع والنهي عنها ص ٤٧) .

(٤) (الحوادث والبدع ص ١٢٠) .

وسئل في مقام آخر فقال : ليس هذا من أمر الناس ، وإنما مفاتيح هذه الأشياء من البدع ، وإنني أكره أن يجلس أهل الآفاق يوم عرفة في المساجد للدعاء ، ومن اجتمع إليه الناس للدعاء فليصرف ، ومقامه في منزله أحب إليّ ، فإذا حضرت الصلاة رجع فسلم في المسجد ، ولقد رأيت رجالاً أقتدى بهم يتخلفون عشية عرفة في بيوتهم .

ولأحبّ للرجل - الذي قد علم - أن يقعد في المسجد في تلك العشيّة مخافة أن يقتدى به ، وليقعد في بيته . (١)

فمن الواضح أن إنكار الإمام مالك لهذه البدعة وكرهه لهذا الاجتماع ليس إنكاراً أو كرهاً للذكر والدعاء ، كلا ، لكنه نفور وتحذير من مستحذات الأمور ، ومبتدئات الدين ، التي لم تكن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يفعلها صحابته الكرام وخلفاؤه الراشدون .

فالإعلان السابق للاجتماع ودعوة الناس إليه ، واعتقاد أن الناس الآن واقفون على عرفات ، وهؤلاء يعتبرون أنفسهم مثلهم في العبادة ، فهم كذلك في المسجد يدعون ويبكون ويذكرون ، لأنهم لم يقدروا على السفر للحج فهم يجتمعون كسل عام في يوم عرفة ، هذا الاعتقاد والتفكير هو المرفوض لأنه بدعة .

وأما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمه الله حيث قال الحسن :

أول من جمع الناس في هذا المسجد يوم عرفة ابن عباس - يعني - :

(١) انظر : (أبابكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى سنة ٢٥٠ هـ - كتاب الحوادث والبدع ص ١١٦ - وما بعدها - تحقيق محمد الطالبسي - دار الأصفهاني وشركاه - جدة .
(وأباً محمد شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبسي شامة الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ - الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٢٢ ، وما بعدها .

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن إجماع يوم عرفة ؟ فقال : أرجو أن لا يكون به بأس قد فعله غير واحد إنما هو دعا وذكر لله ، قيل له : تفعله أنت ؟ قال : أما أنا فلا .
انظر : (أباً شامة الشافعي - الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٢٦) .

• مسجد البصرة •

ثم إن الحسن البصرى جلس يوم عرفة بعد العصر فدا و ذكر الله تعالى
فاجتمع الناس ، فإن ابن عباس حضرته نيةً فقمعد ، وكذلك الحسن من غير قصد
الاجتماع ومضاهاة أهل عرفة ، وإيهام العوام أن هذا شعيرة من شعائر
الدين ، مع أن ابن عباس لما جلس يوم عرفة فى المسجد قام فصعد المنبر ،
وقرأ سورة البقرة ، وآل عمران ، وفسرها حرفاً حرفاً ، فجلوسه وتعريفه
كان تفسيراً للقرآن وتعليماً للناس ، واجتماع الناس كان لاستماع العلم . (١)

فالعلماء الذين قاموا هذه البدعة كانوا يخشون اتخاذ بعض
الناس يوم عرفة موعداً لاجتماع يهاهون به اجتماع الحجيج ،
وعبادتهم ، فيظنُّ بعض الجهلة أن هذا الاجتماع أمر مطلوب فى
الدين لا ينبغى تركه أو التخلّف عنه .
فأراد الدعاة إزالة هذه البدعة ، وصرف الناس عنها .

(القراءة بالأحسان)

ظهر فى القرن الثالث الهجرى أصحابُ الأحسان ، ونقلوا
القراءة إلى أوضاع لحن الأغانى ، فدّوا المقصور ، وقصروا المدود ، وحركوا
الساكن ، وسكّنوا المتحرك ، وذلك لاستيفان الأغانى المطربة ،
ثم اشتقوا لها أسماءً ابتدعوها فى كتاب الله تعالى ما أنزل الله بها من سلطان (٢)

(١) (أبو شامة - الباعث على ارتكاب البدع والحوادث ص ٤٥)

(٢) ومن الأسماء التى ابتدعوها : شذر ، ونبر ، وتفريق ، وتعليق ، وهمز ،
وخز ، وزجر ، وحذف ، وتشريق ، واسجاج ، وصباح ، وغير ذلك...
انظر : (الطرطوشى - الحوادث والبدع ص ٨١) .

فصار التالى منهم والسامع لا يقصدون فهم معانى القرآن من أمر ونهْي
ووعيد ووعد ، ووظف وتخويف وضربٍ مثل ، واقتضاهُ حُكْمٌ ، وغير ذلك ممَّا
أُنزل به القرآن ، وإنما هو اللذة والطرب ، والنهفات والألحان ، كنفرا الأوتار
وصوت المزمار ، وقد قال الله تعالى فى ذم المشركين :

(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَعَدُّبَةً) (١)

وأما موقف العلماء من هذه البدعة ، فإنهم كرهوها ونهوا عنها ،
وكشفوا عن مساوئها ،

يقول إبراهيم النخعي - رحمه الله - : كان السلف إذا قرأوا القرآن قرأوه
حدرًا مرسلًا بحزن ، وكانوا يكرهون القراءة بتطريب . (٢)

وسمع سعيد بن المسيب - رحمه الله - عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه -
يقرأ هذه القراءة قبل خلافته فنهاه عن التطريب فانتهى . (٣)
وقال محمد بن سيرين : (أصوات القرآن محدثة) (٤)

وكان مالك بن أنس - رحمه الله - يقول : (لاتعجبني القراءة بالألحان ،
ولأحببها فى رمضان ولا فى غيره ، لأنه يُشبه الغناء ، ويُضحك بالقرآن ، ويقال :
فلان أقرأ من فلان) (٥)

(١) آية رقم (٣٥) من سورة (الأنفال) .

(٢) (الطرطوشى - الحوادث والبدع ص ٨٠) .

(وابن حجر - فتح البارى ٢٧/٩) .

(والسفارينى - غذاء الألباب ١٧٧/١ - ٣٩٧) .

(٣) (الطرطوشى - الحوادث والبدع ص ٧٩) .

(وابن الحاج محمد بن محمد بن محمد العبدري القاسى المالكي سنة ٧٢٧هـ

كتاب المدخل ٧٨/١ و ١١٠/٣) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩م

المطبعة المصرية بالأزهر .

(٤) (الطرطوشى - الحوادث والبدع ص ٨٠) .

(ابن حجر - فتح البارى ٢٧/٩) .

(السفارينى - غذاء الألباب ١٧٧/١ - ٣٩٧) .

(٥) (الطرطوشى - الحوادث والبدع ص ٧٩) .

(وابن الحاج - كتاب المدخل ٧٨/١ - ١١٠/٣) .

سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْقِرَاءَةِ بِالْأَلْحَانِ ؟ فَقَالَ :
مَحْدَثٌ وَيُدْعَى ، فَإِنْ حَصَلَ مَعَهَا تَغْيِيرُ نَظْمِ الْقُرْآنِ ، وَجَعَلَ الْحَرَكَاتَ حُرُوفًا
حَسْرًا . (١)

فهذه الآثار الواردة عن أئمة السلف ترشد الناس إلى قراءة القرآن
بطريقة سليمة تبعد عن التدبر والخشوع والخشية ، ثم إنها تبين موقف
الأئمة من القراءة بالألحان ، حيث إنهم كرهوها ونهوا عنها ، ووصفوها
بأنها محدثة ودعة ، ولكنها لا تكون محرمة إلا في حالة يتغير معها نظم
القرآن وذلك بإشباع الحركات أكثر من المد الطبيعي حتى تبدو حروفاً فتصير
الفتحة ألفاً والضمه واواً والكسرة ياءً ، وهذا تحريف للقرآن ، وتغيير لنظمه
وكلماته .

وأشار الإمام مالك إلى بعض الأسباب التي جعلته يكره هذه القراءة ولا يرغب
في سماعها أو انتشارها ، وهي شبيهها بالغناء الذي يطرب سامعه ويصرفه
عن ذكر الله وعن تدبر القرآن ، وأيضا فإن القارئ بالألحان يقصد إلى إدخال
السرور على الناس وربما أضحكهم بنغماته ومدوده ، وصرفهم بالحنان من فهم
الآيات والتأثر بمعانيها .

ثم لأن هذه القراءة مدعاة للرياء والعجب ، حيث يحاول كل قارئ أن ينال
إعجاب سامعيه ، ويزيد من قاصديه طمعا في الجاه والعال ، ثم قد يدخله
الحسد أو الحقد على أقرانه من القراء والملحنين ، وغير ذلك من الأسباب
التي جعلت علماء السلف يكرهون هذا النوع من القراءة ، ويمنعون منها ،
ويحكمون عليها بالتحريم إذا أدت إلى تغيير نظم القرآن ، والخروج به عن
النطق الصحيح والمشروع .

(١) انظر : (الطرطوشي - الحوادث والبدع ص ٨٠)

(وابن حجر - فتح الباري ١/٢٧) .

(والسفاري - غذاء الألباب ١/١٧٧ - ٢٩٧) .

وفسر رجال السلف الأحاديث الواردة في التغنى بالقرآن وشرحوها شرحاً يخالف فهم بعض الناس الذين مالوا إلى القراءة المطرية ، وظنوها من معانسي التغنى الوارد في الحديث ، وما ورد في هذا المعنى ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " ما أذن الله لشئٍ ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ، يجهر به " (١) ، فليس معنى التغنى : التاكين والتطريب .

وإنما كما قال الشافعي - رحمه الله - : والمقصود بالتغنى تحزين القراءة وترقيقها ، وتحسين الصوت بها . (٢)

وللعلماء في معنى التغنى تفسير آخر ، يقول سفیان الثوري - رحمه الله - يتغنى بالقرآن : يستغنى به .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - : التغنى هو الاستغناء وقد جاء في اللغة يتغنى بمعنى يستغنى . (٣)

وذكر العلماء أن يتغنى بمعنى يجهر ، فمن معاني التغنى الجهر ، ويتغنى بالقرآن أي : يجهر به ويحلي صوته بقراءته .

ووافق كثير من العلماء الشافعي على أن معناه تحسين الصوت ، وهو الترتيل والحدرد والتحزين . (٤)

وقد أجمع العلماء على أن استحباب تحسين الصوت بالقرآن مالم يخرج من حدّ القراءة بالتنطيط ، فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حُرِّمَ . (٥)

(١) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٥٤٥/١ - رقم (٢٢٣) .

(٢) صحيح مسلم ١٤٥/١ - في التعليق على الحديث .

(٣) انظر : (الفهرز اباضي - القاموس المحيط مادة (غنى)) .

(٤) انظر : (الطرطوشي - الحوادث والبدع ص ٨٧) .

(٥) انظر : (ابن الحاج - المدخل ١١١/٣) .

(٦) انظر : (الطرطوشي - الحوادث والبدع ص ٨٨) .

(٧) انظر : (ابن حجر - فتح الباري ٢٧/٩) .

طبقات شافعية
١٣٠٠ - ط ١٩٦٢
عصافه الباشاوي

وينسأ على ماسبق فالتغنى المستحب هو تحسين الصوت بالتلاوة والجهير
بها والقراءة بتحزن وتدبر ، وطلاوة على كل هذا أن يكون المسلم مستغنياً
بالقرآن عما سواه ، أما التلحين والتنطيط الزائد عن حدّ القراءة فحرام بإجماع
العلماء كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(قراءة سورة معينة في ركعة مراراً)

قد يوجد من يكثر من قراءة بعض السور ويكررها في ركعة
واحدة ، رجاء بركتها، وطمعاً في ثوابها .

وهذا العمل لم يكن في صدر الاسلام ، ولم يعرف في زمن النبي - صلى الله
عليه وسلم - ولا خلفائه الراشدين ، لكنه وجد بعد ذلك .

وقد كرهه رجال السلف ، واعتبروه من المحدثات ، ونهوا عن تخصيص شئ
من القرآن بالتكرار في الركعة الواحدة ، وإهمال ما بقي من القرآن .

جاء رجل إلى سفیان الثوري رحمه الله - وسأله عن قراءة (قل هو الله أحد)
في الصلاة والإكثار منها وترك ما سواها ؟ فكره سفیان ذلك وقال :
إنما أنزل القرآن ليقرأ ، ولا يختم منه شئ دون شئ ، وإنما أنتم متبعون ،
فاتبعوا الأوّلين ، ولم يبلغنا منهم مثل هذا . (١)

وسئل مالك بن أنس - رحمه الله - عن قراءة (قل هو الله أحد) مراراً
في ركعة ، فكره ذلك وقال : هذا من محدثات الأمور التي أحدثوها . (٢)

فكرار سورة معينة في ركعة واحدة أمر مبتدع ، والأولى أن يقرأ غيرها من

(١) انظر : (محمد بن وضاح القرطبي - البدع والنهي عنها ص ٤٢) .

(والطرطوشي - الحوادث والبدع ص ١٤٢) .

(٢) انظر : (البدع والنهي عنها ص ٤٤) .

(والحوادث والبدع ص ١٤٢) .

آيات القرآن ، ولا يحول على سورة أو آية يكررها ويهجر ما سواها ، هذا إذا لم يكن شمة سبب يدعو إلى الإعادة كتدارك خطأ ، أو تأثير ببعض المعاني ، أما الذي كرهه السلف - والله أعلم - فهو التركيز على سورة أو آيات يشغل نفسه بتكرارها وإعادتها حال قيامه ، وليس المقصود بالكراهة هنا التحريم ، وإنما ذلك شيء لم يحمله السلف العالِم ، وقد كان الأئمة أمثال سفیان ومالك يكرهون كل شيء لم يفعلوه الصحابة والتابعون ، ويعتبرونه محدثاً ، والأولى تركه .

(التكبير بعد الصلاة)

وقع الخليفة العَامون نتيجة تأثيره ببعض حاشيته^{في بعض البدع} ، وقد نصحه رجال السلف ، وبينوا له ما فيها من خطأ وضلال ، فرجع عن بعضها بعد أن تبين له الحق فافتتح واستسلم .

ومن تلك البدع : التكبير بعد صلاة الجمعة والصلوات الأخرى ، وذلك أن العَامون كتب إلى نائبه ببغداد أن يأخذ الجند بالتكبير إذا قضاوا الصلاة ، فكانوا يقومون بعد الصلاة ، ويكبرون ثلاث تكبيرات ، وفعلوا ذلك في شهر رمضان ، فتصدى العلماء لهذا وقالوا : بدعة فأمر بتركه . (١)

ولم يسكت العلماء على هذه المسألة التي قد تبدو صغيرة وسيطة ، ولكنها إحداث شيء في الدين لم يكن في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنكرها العلماء ، حتى إن عوام الناس نفروا منها ، ولم يستجيبوا لفعلها لإدراكهم بأنها بدعة لم يشرها الله تعالى ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

(١) انظر : (ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة ٢ / ٢١٣)

- وقد سجل الناس على العَامون بعض تلك البدع فقالوا : كانت بدعة الأولى : لبس الخضرة وتقريب آل علي وإعساد آل العباس .

والثانية : القول بخلق القرآن ، وهي المصيبة العظمى .
والثالثة : التكبير بعد الصلاة ، كما تقدم .
والرابعة : إباحة نكاح المتعة ، فقال الناس : هذه بدعة رابعة . (المصدر نفسه) .

(ب) (البِدْعُ فِي الْمَسَاجِدِ)

للمسجد رسالته العظمى ، ومجاله الكبير في حياة الأمة المسلمة ،
فهو المكان لعبادتهم وتعلمهم وتعارفهم وانطلاق كتائب جهادهم واستسلام
مهام أعمالهم في الولايات والقضاء وغيرها .

وقد حدثت في المساجد بعض الأمور التي لم تكن ، فقاومها رجال السلف
وأنكروها ، ومن تلك الأمور :

(الْقَصْرُ)

حيث ظهر القصار الذين يختارون غرائب القصر ومجائبها
ليجذبوا الناس إليهم ، حتى إن كثيراً منهم كان يقع في الكذب ، ويتجراً على
الوضع فينسب الأحداث والآثار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومحابته
دون تأكد منها فيقع في الكذب عن عمد أو وهم .

وهذا القصر الذي ظهر لم يعرفه الناس في زمن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ولم يكن أحد يتجراً على مثله ، ولما أخذ القصر طابع الإغراب والتنافس
في الشهرة والظهور، والجرأة على الكذب والوضع فقد منع الصحابة والسلف الصالح
منه ونهوا عنه ، وفي بعض الأحيان كانوا لا يسمحون به مهما كان حال صاحبه ،
حتى لا يتصدى له من لا يسلم من غوائله .

رَوَى أَنْ تَمِيمًا الدَّارِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ^(١) جَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقَصْرِ وَيَقُولُ : دَعْنِي أَقْصِّ وَأَذْكَرُ النَّاسَ؟
فَقَالَ عُمَرُ : لَا ، فَأُطَادَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ : أَنَا تَمِيمٌ
الدَّارِيُّ فَأَعْرَفُونَنِي . ^(٢)

(١) تميم الداري هو تميم بن أوس بن خارجة الداري أبو رقية صحابي أسلم سنة ٩هـ
وكان يسكن المدينة ، ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان بمنزلة بيت المقدس
وكان راهب عصره ، مات في فلسطين سنة ٤٠هـ .
(تهذيب ابن عساکر ٣ / ٣٤٤) (صفة الصفوة ١ / ٣١٠) .
(٢) (الطرطوشي - الحوادث والبدع ص ١٠٣) .

ودخل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - المسجد الحرام ، فسمع رجلاً
يقص فقال للذي يقوده : امشي بي حتى تقف عليه ، فلما وقف قال له : اتل كتاب
الله تعالى وأكثر من ذكره ، وأياك والبدع في دين الله عز وجل . (١)

ولاجل ما صاحب القصاص من المنكرات فقد كان الخليفة صرب بن عبدالعزيز -
رضي الله عنه - يسجنهم ويعاقب من يجلس إليهم . (٢)

ولسليمان الأعشى سنة ١٤٨ هـ موقف مع بعض هؤلاء القصاص ، وذلك أنه
دخل البصرة فرأى قاصاً يقص في مسجدها ويقول : حدثنا الأعشى عن فلان عن
فلان ، ثم يذكر أحاديث على لسان الأعشى ، فتقدم الأعشى الحلقة ورفع
يديه ، وجعل ينتفش شعر إبطيه ، فقال له القاصس :
يا شيخ ألا تستحي ! نحن في علم وأنت تفعل مثل هذا !
فقال الأعشى : الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه

قال : كيف ذلك ! ؟
قال : لأنسى في سنة ، وأنت في كذب ، أنا الأعشى ، وما حدثك ممسا
تقول شيئاً .

فلما سمع الناس كلام الأعشى انفضوا من حول القاصس ، واجتمعوا حول الأعشى
وهم يقولون : حدثنا يا أبا محمد . (٣)

ويقول سفيان الثوري - رحمه الله - : (لم يقص على عهد النبي - صلى الله
عليه وسلم - ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ، وأول ما كان القص حين كانت الفتنة) (٤)

(١) (محمد بن وضاح القرطبي - البدع والنهي عنها ص ٢١) .

(٢) (المصدر نفسه ص ١٩) .

(٣) (الطرطوشي - الحوادث والبدع ص ١٠٥ وما بعدها)

(وابن الحاج - المدخل ١٤٦/٢) .

(٤) (محمد بن وضاح القرطبي - البدع والنهي عنها ص ٢٠) .

(والطرطوشي - الحوادث والبدع ص ١٠٣) .

سُئِلَ : أَسْتَقْبِلُ الْقَاصِيَ بِوَجْهِهَا ؟

فَقَالَ : وَلَوْ الْبِدْعَ ظَهَرَ كُمْ . (١)

وكان الإمام مالك بن أنس رحمه الله ينكر على القصاص ، ويحذر من الجلوس إليهم ، ويقول : إِنِّي لَا أَكْرَهُ الْقَصْرَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَلَا أَرَى أَنْ يُجْلَسَ إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّ الْقَصْرَ لِبِدْعَةٌ . (٢)

وكشف الإمام أحمد بن حنبل عن مساوي القصاص ، ويبيِّن أن فيهم أسوأ الخصال وهي الكذب يقول - رحمه الله - :

(أَكْذِبُ النَّاسَ الْقَاصِمَ وَالسَّوَّالَ ، فَيَجِبُ مَنَعُهُمْ مِنْ يَكْذِبٍ مُطْلَقًا ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ يَكْذِبُ وَيَسْأَلُ وَيَتَخَطَّى ! وَكَيْفَ بَعَثَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فِي مِثْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَهِيَ مِنْ يَكْذِبٍ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ) (٣)

ويمكن أن نستنتج من الآثار السابقة أن القصر أمر محدث لم يكن في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ، وإنما ظهر وقت الفتنة ويد الفوضى بين الناس ، وانشغالهم بالخليفة وشئون الخلافة .

ثم إن ظهور القصر اقترن بكثرة الكذب وفشو الوضع في الحديث ، فأخذ صورة سيئة في الأذهان ، وهذا لا يمنع أن يوجد ممن كان يقرُّ أو يرغب في القصر أناس صادقون أمثال تميم الداري - رضي الله عنه - ، ولعل منع عمر - رضي الله عنه - كان لأن القصر لم يكن معروفًا في ذلك الوقت ، ولم يجد عمر - رضي الله عنه - حاجة إليه لأنَّ دروس العلم كانت منتشرة في كل مكان ، ورواية الحديث وتلقيه عن الصحابة كانت الشغل الشاغل للناس ، فلم ير في القصر كبير فائدة ، بسبب رأى فيه أمورًا قد تضرَّ صاحبها وتتسلل إلى نفسه فتهلكه ، مثل حب الشهرة والظهور وما إلى ذلك .

(١) (البدع والنهي فيها ص ٢٠) (والحوادث والبدع ص ١٠٥) .

(٢) (الحوادث والبدع ص ١٠٢) .

(٣) (المصدر نفسه ص ١٠٦) .

(والمقدسي - الآداب الشرعية ٢/٨٩-٩٢) .

(وابن الحاج - المدخل ٢/١٤٦) .

وما يجعلنا نفرّق بين أهل الصدق والكذب من القصاص ، ولا نجعلهم فسى الاعتبار والحكم سواء ، أن الصادق منهم يهتم بقصص القرآن والسنة ، ويتورع عن الزيادة والنقصان في الرواية ، ويبذل الجهد في إخلاص النية وسلامة القصد وصدق الحديث ، وهذا النوع لا يستوى مع من تجرأ على الكذب ، وأقدم على الوضع فافتري على الله وعلى الرسول وعلى الناس .

وإن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين كثر القصاصون وانتشروا هنا وهناك ، كان يمنعهم وينهاهم ، ولكنه سمح لبعضهم ممن عليهم صدقة وورع وزهد^(١) ، كما أن الجهل كان سبباً مهماً في منح القصاص ، فالجاهل إذا تصدّر للمصير والتقصير كان ضرره محققاً، وكثير من القصاص جا هلون بالاحلال والحرام ، فقد روى أن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - مرّ على قاص فقام إليه فقال له عليّ : هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ ، قال : لا ، قال : هل تعرف المحكم من المتشابه ؟ ، قال : لا ، قال : هل تعرف الزجر من الأمر ؟ قال : لا ، فأخذ بيده فرفعها وقال : هذا يقول : اعرفوني اعرفوني ، علام تعرف على الناس ، وتغرّهم في دينهم ، وأنت لا تعرف حلال الله من حرامه .^(٢)

ثم إن أحمد بن حنبل رحمه الله - حين ذم القصاص ذكر حاجة الناس إلى قاص يتحرى الصدق في قصصه ، يحفظ الناس ويرقق قلوبهم ، ويذكر لهم أخبار الموت وآثاره ، وما ورد في ذاب القبر وأهواله ، وأحوال الجنة والنار وأهلها ، يقول رحمه الله :

(وما أحوج الناس إلى قاص صدوق ، يذكر الموت وذاب القبر .

فهل له : أفتسرى الذهاب إلى مثله ؟

قال : إي كعمري

وأما هؤلاء الذين أحدثوا من وضع الأخبار والاحاديث فلا أراء)^(٣)

(١) (الطرطوشي - الحوادث والبدع - ١٠٢) .

(٢) (وابن الحاج - المدخل - ١٤٥/٢) .

(٣) (المقدسي - الآداب الشرعية - ٩٣/٢) .

(٤) (الغزالي - إحياء علوم الدين - ١٢٤٦/٣) .

فهذا يدل على أن القصر الذي أنكره رجال السلف ما كان مشوباً بالكذب والجهل ، وكان أصحابه يقصدون الجاه والعال والشهرة .

وعلى هذا فيحمل تهيُّ الأئمة وكراهتهم على ما عرف في زمانهم من القصر الكاذب والقصاص الجاهلين ، والقاصر الذي يكذب في أخباره فهو فاسق ، والإنكار طيه واجب ، وكذا الواظ المبتدع فإنه يجب منعه ، ولا يجوز حفضه في مجلسه إلا بقصد الردّ طيه . (١)

(ج) (بُدْفَسَةُ التُّغْيِيبِ)

وهي الضرب بالقضيب على جلد أو نطح أو مخدّة عند الغنساء ، ويسمى أيضا الطقطقة بالقضيب . (٢)

وقد أحدثها الفساق والزنادقة ، وأرادوا منها صرف الناس عن سماع كتاب الله تعالى وتلاوته ، فكانوا يأمرّون رجلاً يُغْنَى بشيخ يزعمون أنه يزهد في الدنيا ويضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطح أو مخدّة على توقيع غناه ، وسمي (تغيباً) لأنهم كانوا إذا تناشدوا الشعر طربوا فرقصوا وأزهجوا ، فسّموا المغيّبة لهذا المعنى . (٣)

وأما موقف أئمة السلف منه : فإنهم عرفوا الناس بحقيقتة وبمن ابتدءه ،

-
- (١) (الغزالي - إحياء علوم الدين ١٢٤٦/٣) .
 - (٢) انظر : (ابن الجوزي - تلبيس إبليس - ٢٣٠) .
 - (وابن أبي حاتم الرازي - آداب الشافعي ومناقبه ٣١٠/٤) .
 - (وابن تيمية - مجموع الفتاوى ٥٦٩/١١ - ٦٢٩) .
 - (وابن القيم - إغاثة اللهفان ٢٢٩/١) .
 - (٣) (السفاريني - غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب ١٥٢/١) .

ثم حدّ روهم منه ، ونهّوهم عن سماعه ومجالسة أصحابه .
يقول الشافعي - رحمه الله - : (خَلَفْتُ بِيغْدَادَ شَيْئاً أُحْدِثُهُ الزِّنَادِقَةَ
يَسْمُونَهُ (التَّخْبِيرَ) يَزْهَوْنَ أَنَّهُ يَرْتَقِقُ الْقُلُوبَ ، يَصُدُّونَ بِهِ النَّاسَ عَنِ الْقُرْآنِ) (١)
وقال يزيد بن هارون - رحمه الله - : (مَا يُخْبِرُ إِلَّا الْفَاسِقُ ، وَمَتَى كَانَ
التَّخْبِيرُ !) (٢)

وسئل أحمد بن حنبل - رحمه الله - عن التخبير ؟ فقال :
كُرِّهَهُ ، وَهُوَ مُحَدَّثٌ وَبِدْعَةٌ ، قَبِيلٌ لَهُ :
أَتَجْلِسُ مَعَهُمْ ؟ قَالَ : لَا . (٣)
وكذلك فقد كرهه سائر الأئمة وحدّروا منه . (٤)

فالتخبير إذاً لهو وباطل يضل عن سبيل الله ، ويصرف عن كتابه ، وهو من
إحداث الزنادقة الذين لا يهدون الخير للأمة ، بل يقصدون إضلالها وفسادها .
ثم إن الزنادقة هؤلاء أرادوا أن يستروا بدعتهم بشعر الزهد ليوهموا
الناس أنهم أرباب أخيرة ، وما هم إلا مضلون .
فالطرب والرقص والتخبير علامة على الخفة والطيش والغفلة
وقد حكم الأئمة على هذا العمل بأنه محدث وبدعة .
وحكموا على أصحابه بأنهم فساق وزنادقة .
وبيّنوا الهدف منه وهو صرف الناس عن ذكر الله تعالى وعن تلاوة كتابه
الكريم ، ولذلك فقد اجتهدوا في إزالته من المجتمع ، وتنفير الناس من مزاولته
أو حضور مجالسته .

(١) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٥٦٩/١١) .
(ابن الحاج - المدخل ٩٩/٣) .
(السفاريني - غذاء الألباب ١٥٢/١) .
(٢) ، (٣) ، (٤) (المصادر ذاتها) .

(د) (نِكَاحُ الْمُتَعَمَّةِ)

وهو من ضمن البدع التي تورط الخليفة المؤمن بالبدعة
إليها ، وقد سبق الكلام عنه في بدع الشيعة من فصل (مجابسة البدعة
للتشيع المذهبي) ، لأنه فكرة من أفكارهم ، تبناها ودعا الناس إليها ،
وقد واجه رجال السلف هذه البدعة بالإنكار ، مع بيان تحريمها وأضرارها .
وكان للقاضي يحيى بن أكرم^{الملك} المباشري إقناع المؤمن ببدعته وتحريمه
فأمر منادياً بمنعه والنهي عنه، واستغفر ربه من خطئه وتوهمه .
وأصرّ الشيعة على كونه مباحاً، وخالفوا في ذلك علماء السلف والخلف . (١)

(هـ) (بَدْعُ فِي اللَّبَاسِ وَالزَّيْنَةِ)

لقد نهى الشارع الحكيم عن لبس الحرير والتزين بالذهب
في حق الرجال . (٢)
وبيّن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن وجود الصور في البيوت يمنع من
دخول ملائكة الرحمن . (٣)

ولهذا فقد امتثل الصحابة ومن بعدهم هذه الإرشادات فامتنع الرجال عن
استعمال الذهب والحرير ، وأخرجوا كل أنواع الصور والتماثيل من بيوتهم .
ولما فتح المسلمون البلاد والأمار ، وأقبلت عليهم الدنيا ، ظهرت بعض

(١) (موسى جار الله - الوشيعة في فقد عقائد الشيعة ص ١٣٦) .
(٢) ومن النصوص الواردة في هذا الشأن قوله عليه الصلاة والسلام : " لا تلبسوا
الحرير والديباغ ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ،
فإنها لهم في الدنيا " (صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب تحريم
استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ، وخاتم الذهب والحرير
على الرجل وإباحته للنساء ١٦٣٨/٣) .
(٣) وفي هذا يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " لا تدخل الملائكة بيتاً
فيه كلب ولا صورة " (صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب تحريم
صورة الحيوان ١٦٦٥/٣ رقم (٢١٠٦) .

البدع والمنكرات ، ووقع فريق من المسلمين في حبائلها ، استجابة لشهواتهم ، وتأثراً بعبادات من أسلم جديداً ولما يهجر طاداته السابقة ، فلبسوا الحرير وتزينوا بالذهب ، وفرشوا بيوتهم بالمفارش الحريرية وزينوا بيوتهم بالمسور ، فحرموا بركات الملائكة .

ولم يسكت العلماء على مثل هذه البدع ، بل أنكروها وبيّنوا للناس حكمها ، ومن موافقهم : أن خادم الخليفة الرشيد دعا لإمام الشافعي - رحمه الله - لزيارته ، فلما أراد الشافعي أن يدخل البيت - وكان مفروشاً بالديباج - نظر إلى فرشته فلما أبصره رجع ، فقال له الخادم : ادخل ، قال : لا يحل افتراش هذا ، فقام الخادم وأدخله بيتاً مفروشاً بمفارش أرفسية أغلى من الحرير فدخل الشافعي ثم قال للخادم : هذا حلال ، وذاك حرام ، وهذا أحسن من ذاك ، وأكثر ثمنا منه . (١)

ودعى الامام احمد بن حنبل - رحمه الله - الى وليمة ، فلما دخل نظروا الى كرسى في الدار طيه صورة ، فخرج ، فلحقه صاحب المنزل ، فنفض احمد يده في وجهه وقال : زى المجوس ، زى المجوس ، وخسرج . (٢)

فيظهر من هذين الموقفين الأسلوب العملي لاحتساب الأئمة وانكارهم ، فقد رفض الشافعي وأحمد - رحمهما الله تعالى - الدخول الى بيت مفروش بالديباج ومزين بالصور ، وبين الشافعي تحريم الحرير ، ووصف احمد وضوح الصور في البيوت بزى المجوس والمسلم مأمور باجتنب المحرمات كما هو مأمور بمخالفة المجوس وأهل الكتاب .

(١) نسبة إلى أرمينية وهو نسبة على غير قياس ، وأرمينية صيغ عظيم واسع في جهة الشمال من بزجة الى باب الألبان الى بلاد الروم وجبل القعبه وقيل يلبقان مقبله وسرفان وصرغان وصفد بل والبغداد (٢) (ابن أبي حاتم الرازي - اداب الشافعي ومناقبه ١٠٣/١) (معجم البلدان) (٣) (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ٢٣٤/١) . ١٥٩/١

(و) بَدْعَةُ التَّحِيلِ طَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ)

لقد أراد الإسلام من أبنائه أن يحتكموا إلى كتاب الله تعالى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يجدوا حرجاً فيما قضى الله ورسوله ، ويسلموا لذلك تسليماً كاملاً .

يقول الله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(١)

ولكن وجدت بعد عصر الصحابة بدعة الاحتيال في الأحكام للتخلص من بعض لوازمها وآثارها ، ومن ذلك :

الاحتتيال لإنهاء العلاقة الزوجية في حال طلب الزوجة ذلك ورفض الزوج له يقول أحمد بن حنبل - رحمه الله - : (لا يجوز شيء من الحيل ، وإنما يحتال أصحابها لتفترس سنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وتفترس الأيمان)^(٢)

وذكر لأحمد أن امرأة كانت تريد مفارقة زوجها ، فباين عليها ، فقال لها بعض أرباب الحيل : لو ارتددت عن الإسلام بنت منه ، ففعلت . فغضب أحمد - رحمه الله - وقال : (من أفتى بهذا أو علمه أو رضى بـه فهو كافر)^(٣)

وذكر مثل هذه الحادثة لعبد الله بن المبارك - رحمه الله فقال : لقد أحدثوا في الإسلام ، من كان أمر بهذا فهو كافر ، وما آرى الشيطان يحسن مثل هذا ! ولو كان يحسنها لم يجد من يعضيها فيهم حتى جاء هؤلاء^(٤)

ومن أنواع التحيل ما ذكره يزيد بن هارون - رحمه الله - عن بعض المتحيلين

-
- (١) آية رقم (٦٥) من سورة (النساء) .
 - (٢) (ابن القيم - إغاثة اللهفان - ٢٥٤ / ١) .
 - (٣) (ابن القيم - إغاثة اللهفان - ٢٥٦ / ١) .
 - (٤) (الشاطبي - الاعتصام ٧٣ / ٢) .

حيث قال : أفتى أصحاب الحيل بشئ لو أفتى به اليهود والنصارى كسان قبيحاً أفتوا رجلاً حلف أن لا يطلق امرأته بوجه من الوجوه ، فبذلت له مالا كثيراً في طلاقها ، فرغب في ذلك ، فأفتوه بأن يقبل أمها أو يباشرها ! قال يزيد : والله ! يأمره أن يقبل امرأة أجنبية . (١)

ومن ذلك الاحتيال في إسقاط عدة الجارية المشتراة ، وذلك عندما يرشد سيدها أن يتزوجها بعد شرائها مباشرة ، فقد أفتى بعضهم في مثل هذا أن يحتملها من يومه ، ويتزوجها ثم يطأها من يومه أيضاً . فلما بلغ ذلك أحمد بن حنبل - رحمه الله - ، غضب غضباً شديداً وقال : هذا من طريق الحيلة ، هذا أخيب قول ، سبحان الله ! ما أعجب هذا أبطلوا كتاب الله تعالى والسنة ، جعل الله على الحرائر العدة من الحمل فليس من امرأة تطلق أو يموت زوجها ، إلا تعتد من أجل الحمل ، ففرج يوطأ ، ثم يحتملها فيتزوجها فيطؤها ! فإن كانت حاملاً فكيف تصنع ! يطأها رجل اليوم ، ويطأها الآخر غداً ! هذا نقض لكتاب الله والسنة ، سبحان الله ! ما أسمع هذا . (٢)

ومن صور هذه البدعة : الاحتيال لإسقاط بعض أيمان الطلاق ،

وقد سئل أحمد بن حنبل - رحمه الله - عن مثل هذا ، سئل عن رجل حلف على امرأته وهي على درجة من السلم فقال لها : إن صدقت أو نزلت فأنت طالق ، فأفتى له بعض أصحاب الحيل أن تحمل زوجته حاملاً ولا تنزل ! فقال أحمد : هذا الحنث بعينه ، هذا هو الحنث . (٣)

وهذا الذي سبق هو بعض صور التحايل على الأحكام الشرعية والتكاليف

اللازمة للتخلص من التزاماتها وآثارها .

(١) (ابن القيم - إغاثة اللهفان ٢٥٦/١ - وأعلام الموقعين ١٧٧/٢) .
(٢) (ابن القيم - إغاثة اللهفان ٢٥٥/١ - وأعلام الموقعين ١٧٧/٢ - ١٧٩) .
(٣) (ابن القيم - إغاثة اللهفان ٢٥٦/١) .

فالذى يدلّ الزوجة على الكفر ، وبأمرها به لكى تنفصل عنها مع زوجها المسلم، إنما يحارب الإسلام ، ويسعى لغواية المسلمين ، ولذلك فإنّ الإمام أحمد وصفه بالكفر وحكم عليه به ، وحذّر عبد الله بن المبارك من هذا العمى وكفر فاعله ، فالآمر بالكفر كافر ، والدالّ على الكفر كافر كذلك ، مهما كان قصد الفاصل ونية ، فعمله هذا كفر وضلال يجب التوبة منه بتجدد الإسلام والإيمان .
وقريب من ذلك ما أفتى به بعضهم من تقبيل أمّ زوجته أو مباشرتها لكى تحسّم عليه زوجته التى حلف سابقاً أنه لا يطلقها .

فأنكر يزيد بن هارون - رحمه الله - هذا الأمر ودعا على من أفتى به بالويل والثبور والهلاك ، ومجّب من الأمر بالمعصية ، والدلالة على الفاحشة ، وحذّر من مثل هذا أشدّ التحذير ، فهو لا يهدر عن رجل يخاف الله تعالى .

وأنكر أحمد رحمه الله التحيل لإلغاء عِدّة الجارية من أجل زواجها بعد شرائها فوراً ، ووصف هذه الفتوى بأنها أخبث قول ، ووصف أصحابها بأنهم يريدون إبطال كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فلا بدّ للجارية من العِدّة لاستبراء رحمها ، وتعبداً لربها وطاعة لأمره ، وكيف يطأها مشتريها وقد تكون حاملاً من بائعها !

وردّ الإمام البخارى - رحمه الله - على بدعة التحيل من أصلها ، واستدل - على بطلانها بما ذكره فى صحيحه عن أنس - رضى الله عنه - أنّ أبا بكر - رضى الله عنه - كتب له التى فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يجمع بين متفرّق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية العِدّة . (١)

وهذا الحديث يُعتبر نعتاً فى تحريم الحيلة المفضية إلى إسقاط الزكّاة أو تنقيصها بسبب جمعها أو تفريقها .

(١) (صحيح البخارى - كتاب الزكّاة - باب لا يجمع بين متفرّق ، ولا يفرق بين

واحتج أيضا بقوله - صلى الله عليه وسلم - في وياء الطاعون : (إذا سمعتم
بـ بـ أرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) (١)

وهذا الاستدلال على تحريم الحيلة يشير إلى دقة فهم البخارى - رحمه الله ،
فإنه إذا كان قد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الفرار من قَدْر اللـه
تعالى ، إذا نزل بالعبد رضا بقضاء الله وتسليماً لحكمه ، فكيف بالفرار من أمره
ودينه إذا نزل بالعبد ! ؟ (٢)

إضافة إلى أن تجويز الحيل يناقض سدّ الذرائع مناقضة ظاهرة ، فإن الشارع
سدّ الطريق إلى ذلك المحرم بكل ممكن ، والمحتال يتوسل إليه بكل ممكن
ولهذا اعتبر الشارع في البيع والنكاح شروطاً سدّ ببعضها التذرع إلى الريسا
والزنا ، وكمل بها مقصود العقود ، ولم يمكن المحتاج الخروج منها فـسى
الظاهر . (٣)

ومن تأمل الشريعة الاسلامية رأها قد أبطلت على أصحاب الحيل مقاصدهم
وأغراضهم ، وقابلتهم بنقيضها ، وسدّت عليهم الطرق التي فتحوها للتحيـسـل
الباطل والتخلص من بعض التكاليف والالتزامات .

ومن أمثلة ذلك :

أن الشارع منع المتحيّل على الميراث - بقتل مورثه - ميراثه ، ونقله إلى
غيره دونه ، لما احتال عليه بالباطل .

(١) (صحيح البخارى - كتاب الطب - باب ما يذكر في الطاعون ١٦٩/٧)
عن ابن عباس .

(وصحيح مسلم - كتاب السلام - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها
١٧٣٨/٤ - ١٧٣٩ - ١٧٤٠ - ١٧٤١) رقم (٢٢١٨ - ٢٢١٩) .

(٢) (ابن القيم - إغاثة اللهفان ٣٧٦/١) .

(والمهملام الموقعين ١٧٢/٣) .

(٣) (ابن القيم - إغاثة اللهفان ٣٧٠/١) .

ومن ذلك :

• بطلان وصية الموصى له ببال إذا قتل الموصى .

ومن ذلك :

• بطلان تدبير المدير إذا قتل سيده ليعجل العتق .

ومن ذلك :

• ما لو احتال المريض على منع امرأته من الميراث بطلاقها ، فإنها ترثه مادامت في العدة - ضد طائفة - وعند آخرين ترثه ، وإن انقضت عدتها ما لم تتزوج .

• وعند طائفة : ترث وإن تزوجت . (١)

فالمحتال بالباطل معاهل بنقيض قصده شرعاً ، وقد شاهد الناس ما نأى أنه من عاش بالمكر مات بالفقر . (٢)

وقد ذكر الله تعالى في كتابه بعض العقوبات التي عاقب بها المحتالين الذين احتالوا على أحكامه وشرعه ، فذكر عقوبته لمن احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت النضج بحرمانهم من الثمرة ، قال تعالى :

((فَطُلُوفٌ عَلَيْهِمْ سَالِغٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالْعِرَيشِ (٣)))

• وعاقب من احتال على الصيد المحرم بمسخهم قرده وخنزير ، قال تعالى :

((وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ : كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٤)))

• وعاقب من احتال على أكل أموال الناس بالربا أن يحق ما جمع من الربا قال تعالى :

((يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّدَقَاتِ (٥)))

(١) انظر تفصيل ذلك في : (ابن قدامة - كتاب المغني - ٢٢٩/٦) مكتبة

الرياض الحديثة - من مطبوعات الرئاسة العامة للافتاء في الرياض .

• (وابن القيم - إغاثة اللهيان ١/٣٥٧ - ٣٥٨) .

(٢) (ابن القيم - إغاثة اللهيان ١/٣٥٧ - وما بعدها) .

(٣) آية رقم (١٩ - ٢٠) من سورة (القلم) .

(٤) آية رقم (٦٥) من سورة (البقرة) .

(٥) آية رقم (٢٧٦) من سورة (البقرة) .

وأصل هذا أن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبات أصحاب الجرائم والمعاصي
بضد ما قصدوا له من مكرمهم وخداعهم ، فجعل عقوبة الكاذب إهدار كلامه
ورده عليه ، وجعل عقوبة الفال من الغنمة القاصد تكثير ماله بالفلسول حرمانه
سهمه وإحراق متاعه . (١)

وهكذا تصدئ العلماء لبدة التحيل على شرع الله تعالى وقاوموها وحذروا
الناس من الذهاب إلى أصحاب هذه البدعة الذين فتنوا في دينهم ، واستهانوا
بأحكامه وشرائعه .

وكان من أساليب العلماء لرد هذه البدعة استدلالهم من الكتاب والسنة
على بطلانها ، وعقاب الله تعالى لأصحابها ، مما جعل الناس ينفرون مسن
الحيل والمحتالين ، ويعلمون أنهم على خطأ وباطل ، فيما يذهبون إليه ،
وإن حسب البعض منهم أنه يسهل على الناس قضاياهم ، لكنه في الحقيقة يحلّم
الناس الاستهانة بأحكام الله ، والجسارة على دينه .

(ز) (البِدْعُ فِي أَحْكَامِ الْأَمْوَالِ وَالْإِنْفَاقِ)

لقد نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير في إنفاق الأموال ومصرفها ،
كما نهاهم عن الإسراف في أكلها ، قال تعالى :
(وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِرَبِّهِ كَفُورًا) (٢)

وقال عز وجل : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (٣)

(١) (ابن القيم - إغاثة اللهفان ١ / ٢٥٧ - وما بعدها) .

(٢) آية رقم (٢٦ - ٢٧) من سورة (الإسراء) .

(٣) آية رقم (٢١) من سورة (الاعراف) .

وامتدح المتوسطين في الإنفاق لا إسراف ولا تقتير ، فقال تعالى :
(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (١)

وهذا النهي لمن أسرف في ماله ، فكيف بمن أسرف في أموال المسلمين وخزائنها العامة ! إنه لمسئول عن ذلك ومحاسب عليه لأنه تفرط في الحقوق وتضييع للأمانة ، ولعظم المسؤولية وجسامتها كان الخلفاء الراشدون يتورعون من الأخذ من بيت المال أكثر من حاجاتهم ، ولا ينفقون شيئاً منه إلا فسي مصلحة المسلمين العامة ، أو مصلحة الأفراد المحتاجين ، فكانوا يحاسبون أنفسهم أشد الحساب لإلشهم مستخلفون ومؤتمنون على الأموال وغيرها .

ولما انتهت الخلافة الراشدة ظهر في الخلفاء والولاة بدعة الإسراف والتبذير في إنفاق الأموال العامة ، حيث صاروا يحطون العطايا الكبيرة ، ويجيزون - الجوائز الثمينة للأقرباء والعادحين من الشعراء وغيرهم ، والمغنيمين ، والمترجمين وأمثالهم ، وكانوا يسرفون في مناسبات خاصة حيث ينشرون الأموال على الحاضرين في حفلات الزواج أو عند مبايعة الخليفة وتسلمه مقاليد الحكم .

وتشهد كتب التاريخ والطبقات والأدب وغيرها بكثير من صور الإسراف ، طسى أن المبالغة في الأخبار والكذب فيها أمرٌ واردٌ ومحتملٌ ، وبخاصة من أصحاب الفرق والاتجاهات المختلفة ، فإنهم يسيئون إلى غيرهم من الخلفاء الذين كانت بينهم وبينهم ثورات وحروب ، ولكننا لانستطيع أن نتجاهل كل ماكتب في هذا العدد ، حيث نجد بعضه في كتب موثوقة ، ومن علماء محققين يتحسرون الدقة والصواب .

ومن صور الإسراف في إنفاق المال ما روى من أن الخليفة أبا جعفر المنصور فرض لكل شخص من أهل بيته ألف درهم في كل عام . (٢)

(١) آية رقم (٦٧) من سورة (الفرقان) .

(٢) الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ٦ / ٢٢٧ .

وكانت إقطاعات محمد بن سليمان بن علي العباسي - والي البصرة - تسدّر
عليه كل يوم مائة ألف درهم . (١)

ونظر الخليفة المهدي إلى بعض جواربه فرأى عليها تاجاً فيه نرجس من ذهب
وفضة فاستحسنه ، فقال :

ياحبذا النرجس في التاج ، فأرتج عليه ، ولم يقدر على إتمامه .
فقال له أحد حاشيته : أنا آتمه ، ثم جاءه في الغد بأربعة أبيات ابتدأها

بقوله : ياحبذا النرجس في التاج على جبين لاح كالعجاج

فأعطاه المهدي على الأبيات الأربعة جائزة قدرها أربعون ألفاً . (٢)

وأنشد بعض الشعراء قصيدة يمدح فيها المهدي ويذكر أخلاقه وأعماله
فأجازه المهدي بمائة ألف درهم . (٣)

وطلب الخليفة الهادي من أحد المغنين أن يخنى فأطربه غاية الطرب
فقال له الهادي : اذهب إلى بيت المال فخذ منه ما شئت ، فطلب مسن
الخازن مائة بدرية في كل بدرية عشرة آلاف درهم ، فلم يعطه الخازن حتى أخذ
منه ثلاثين بدرية لنفسه ، فانصرف المغني بسبعمائة ألف . (٤)

ودخل الشاعر مروان بن أبي حفصة على الهادي فأنشده قصيدة يمدحه
فيها ومنها قوله :

تشابّه يوماً يؤسبه ونواله فما أحدٌ يدري لآيهما الفضلُ

-
- (١) (الجبهشيارى - الوزراء والكتاب ص ٢٥٠) .
 - (٢) (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٢٠/١٠) .
 - (٣) (كمال الدين الدميري - حياة الحيوان الكبرى ٧٥/١) .
 - (٤) (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٤٦/١٠) والمغني هو : إبراهيم الموصلي .
 - (٥) مروان بن أبي حفصة : رأس الشعراء أبو السمط ، مولى مروان بن الحكم
الأموي ، أعتقه يوم الدار ، وقيل كان طبيباً يهودياً ، أسلم على يد عثمان
كان من أهل اليمامة ، وقدم بغداد ومدح المهدي والرشيدي ، ومدح معن
ابن زائدة بلائحته التي فضل بها شعراء زمانه ، مات مروان سنة ١٨٢ هـ .
- (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٤٢٢/٨)
(ابن المعتز - طبقات الشعراء ص ٤٤)
(ابن قتيبة - الشعراء والشعراء ص ٨١)

فقال له الهادى : أيما أحب إليك : ثلاثون ألفاً معجلة ، أو مائة ألف درهم
تُدَوَّن في الدواوين ؟ قال : تُعَجَّلُ الثلاثون ، وتُدَوَّنُ المائة ألف -
قال : بئس تُعَجَّلان لك . (١)

ودخل مروان نفسه على الخليفة الرشيد فأشده قصيدة جاء فيها :

وَسَدَّتْ بِهَارُونَ الشُّغُورَ فَأَحْكَمْتِ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ الْمَرَائِرُ
وَكُلَّ مَلُوكِ الرُّومِ أَعْطَاهُ جَزِيَّةً عَلَى الرَّغْمِ قَسْرًا عَنِ يَدِهِ وَهُوَ صَاحِبُ
إِذَا فَقَدَ النَّاسُ الْغَنَامَ تَتَابَعْتِ عَلَيْهِمْ بِكَفَيْكَ الْغَيْوْمُ الْمَوَاطِرُ
أَبُوكَ وَلِيَّ الْمُصْطَفَى دُونَ هَاشِمٍ وَإِنْ رَغِبْتَ مِنْ حَاسِدِ يَكُ الْمَنَاطِرُ

فأعطاه الرشيد خمسة آلاف دينار ، فقبضها ، وكساه خلعتة ، وأمر له
بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون من خاص مراكبه . (٢)

وأنفق الرشيد يوم توليه الخلافة أموالاً لم ينفقها خليفة قبله . (٣)

ووقف رجل من بنى أمية على طريق الرشيد ويده كتاب فيه أربعة أبيات فلما

وصل إليه الرشيد أنشده الرجل :

يَا أَمِينَ اللَّهِ إِنِّي قَائِلٌ قَوْلُ ذِي لَبِّ وَصَدَقَ وَحَسِبُ
لَكُمْ الْفَضْلُ عَلَيْنَا وَلِنَا بِكُمْ الْفَضْلُ عَلَى كُلِّ الْعَرَبِ
عَبْدُ شَمْسٍ كَانَ يَتْلُوهَا شَمْسًا وَهِيَ بَعْدُ لَأَمْ وَلَا تَسْبُ
فَصَلِّ الْآرْحَامَ مِنَّا إِنَّمَا عَبْدُ شَمْسٍ عَمَّ عَبْدُ الْمُطَّلَسِبِ

فاستحسن الرشيد قوله ، وأمر له لكل بيت بألف دينار

وقال : لو زدتنا لزدناك . (٤)

-
- (١) (ابن تخرى بردى - النجوم الزاهرة ٦٤ / ٢) .
(٢) انظر : (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ١١٣) .
(٣) انظر : (ابن تخرى بردى - النجوم الزاهرة ٦٥ / ٢) .
(٤) انظر : (الصعودى - مروج الذهب ٣ / ٣٢٤) .

ونافس البرامكة الخلفاء في العطاء ، حتى كان يقال : لم يكن يرى لجلبس
خالد البرمكى داراً إلا وخالد بناها له ، ولا ضيعة إلا وخالد ابتاعها له
ولادابسة إلا وخالد حمله عليها . (١)

وأجاز يحيى البرمكى (٢) أحد المغنين بألف ألف . (٣)

وقدم مروان بن أبي حفصة على الفضل بن يحيى البرمكى فأنشده أبياتاً
ومنها قوله :

ألم تَرَ أَنَّ الجُودَ من لَدُنِ أَدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ في رَاحَةِ الفِضْلِ
إِذَا أُمُّ طِفْلِ رَاعِيَا جُوعَ طِفْلِهِمَا دَعَا بِاسْمِ الفِضْلِ فَاعْتَمَ الطِفْلُ
لِيَحْيِي بِكَ الإِسْلَامَ إِنَّكَ عَزَّ وَإِنَّكَ من قَوْمِ صَغِيرِهِمْ كَهَيْلُ
ظَامِرٌ لَهُ الفِضْلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَكِسَاءٍ وَحَمَلِهِ عَلَى بَغْلَةٍ . (٤)

ولما قدم الفضل بن يحيى من خراسان ، خرج الرشيد إلى بستان ابسى
جعفر يستقبله وتلقاه بنوهاشم والناس من القواد والأشراف والكتاب ، فجمع
الفضل يصل الرجل بالآلف والآلف والخصم ثمة ألف . (٥)

(١) خالد البرمكى : الوزير الكبير الفارسي جدّ الوزير جعفر بن الوزير يحيى
البرمكى ، كان يتهم بدين العجور ، وزير خالدٍ للسفاح بعد حفص الخلال
ثم للمنصور ثم ولاء المنصور إمرة بلاد فارس ، وكان من أفراد الرجال رئاسة
ودها ، وحزماً ، وخلفه في ذلك أولاده ، مات سنة خمس وستين ومائة عن
خمس وسبعين سنة .

(الذهي - سير أعلام النبلاء ٢٢٨/٧) - (٢) الجهشيارى - الوزراء والكتاب ص ١٥٠) تحقيق جعفر السقاوي - ط ١٣٥٧ هـ - مطبوع في المطبع
١٩٣٨ م

(٣) يحيى البرمكى : هو يحيى بن خالد بن برمك الوزير أبو طي الفارسي من
رجال الدهر حزماً ورأياً وسياسة ، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه
ويثق به ، فلما استخلف الرشيد رفع قدر يحيى ، وكان يخاطبه : يا أبسى
وسلمه مقاليد الوزارة وصير أولاده ملوكاً ، ثم غضب على البرامكة فقتل ولده
جعفر وسجن يحيى ، ومات في سجنه في الرقة سنة ١٩٠ هـ وله سبعون سنة
(الذهي - سير أعلام النبلاء ٨٩/٩) .

(٤) (ابن كثير - البداية والنهاية ٣١٥/١٠) والمعني هو إسحق الموصلي

(٥) (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٦٣/١٠) و(الجهشيارى - الوزراء والكتاب ص ١٩٠)

(٦) (ابن كثير - البداية والنهاية ١٧٢/١٠) .

(٦) (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٦٤/١٠) .

وأما الخليفة الأمين فقد ابتنى سفينة عظيمة يركب فيها ، أنفق عليها ثلاثة آلاف درهم . (١)

وكان الخليفة المأمون كثير الإغداق على حاشيته ، حتى قال المؤرخون : إنه أنفق في ساعة واحدة أربعة وعشرين ألف درهم . (٢)

وأمر المأمون يوماً لابنه العباس^(٣) ولائحه المعتصم ، ولعبد الله بن طاهر بجائزة مقدارها خمسمائة ألف دينار لكل واحد منهم :

حتى إن صاحب كتاب (النجوم الزاهرة) عجب من إنفاق هذه المبالغ الطائلة فعلق على الرواية بقوله : لعل الدينار يومئذ لم يكن مثل دينارنا اليوم . (٤)

ومات أحد وزراء المأمون فقدرت تركته بـ (ثمانين ألف دينار) ، ونُقِلَ ذلك إلى المأمون فلم يعجب ، بل قال : هذا قليل لمن اتعمل بنا ، وطالت خدمته لنا . (٥)

(١) (المصدر نفسه ٢١٦/١٠) .

(٢) (المصدر نفسه ٢١٢/٧) .

(٣) العباس بن المأمون : أمير عباس ولاء أبيه الجزيرة والشغور والعواصم سنة ٢١٣ هـ ، ولما مات المأمون سنة ٢١٨ هـ ، وولى المعتصم امتنع كثير من القواد من مبايعته ونادوا باسم العباس بن المأمون فدعاه المعتصم ، وأخذ بيحته ثم اتفق العباس مع بعض القواد على قتل عمه المعتصم ، فعلم المعتصم فقبر طيهم وخذ بهم وسجنهم حتى الموت ، وكان موته بمنهج سنة ٢٢٣ هـ .

(ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥١/٥ - حوادث سنة ٢٢٣ هـ) -

(٤) (ابن تخرى بردى - النجوم الزاهرة ٢/٢٠٥) .

(٥) (المصدر نفسه ٢٢٢/٢) .

ولما تزوج المأمون بوارن بنت الحسن بن سهل الوزير ^(١) أمهرها مائة ألف دينار وخمسة ملايين درهم ، وألف حصاة من الياقوت ، ونثر أبوها على الأعيان ما قدر بخمسين ألف ألف درهم . ^(٢)

رأى آخر ما سطرته الكتب وحوته بطونها من الأخبار العجيبة التي يحسبها القارىء من المبالغات لكن العقل يتسع لقبولها وبخاصة إذا علم ما كانت تتمتع به الدولة من الغنى والثروة ، فخزائنها مليئة بالذهب والفضة ، ونفوس الخلفاء سمحة كريمة ، والشعراء والمادحون كثيرون ، وليس ثمة من الورع والخشية مثل ما كان عند الراشدين من الخلفاء .

وقد أقام الخليفة عمر بن عبدالعزيز الحجة وأدان من قبله ومن بعده مسنن الأمويين والعباسيين فى الصلاح والعدل والزهد والخشية وغيرها من الصفات الحسنة .

فإنه لما ولى الخلافة بدأ بإصلاح الفساد ، فدخل دار الخلافة وأمر بالاستور

-
- (١) بوران بنت الحسن بن سهل ، ويقال : إن اسمها خديجة وبوران لقبب والاول هو الأشهر رغب فيها المأمون لمكان أبيها منه ، واحتفل أبوها بأمرها ، وكان زواجها سنة اثنتين ومائتين ، وتوفى المأمون وهى فى صحبته سنة ثمان عشرة ومائتين ، وتوفيت هى بعده وذلك سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وهرها ثمانون سنة ، وكانت وفاتها ببغداد .
- (٢) انظر : (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ٢٧١/١٠) .
- (واليهقوى - تاريخ اليعقوبى ٤٥٩/٢) .
- (وابن كثير - البداية والنهاية ٢٦٥/١٠) .
- (وابن خلكان - وفيات الأعيان ٢٨٧/١) .
- (والياقنى - مرآة الجنان ٤٧/٢) .
- (والسعودى - مروج الذهب ٣٠/٤) .
- (وعبد الملك بن حسين - سمط النجوم العوالي ٣١٢/٣) .
- (والكتيبى - فوات الوفيات ٢٣٧/٢) .

فَهْتَكْتُ وَيَالْبَسَطُ فَرُفَعْتُ ، ثُمَّ بَيْعْتُ ، وَأَدْخَلْتُ أَثْمَانَهَا فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ
ثُمَّ ذَهَبَ يَتَبَوَّأُ مَقِيلًا ، فَأَتَاهُ أَحَدُ أَوْلَادِهِ ^(١) وَقَالَ لَهُ :

مَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ يَا أَبَتَ ؟

فَقَالَ : أَيُّ بَنِي أَقِيلَ .

فَقَالَ : أَتَقِيلُ وَلَا تَرُدُّ الْمَظَالِمَ ! ؟

قَالَ : إِنِّي سَهَرْتُ الْبَارِحَةَ فِي أَمْرِكَ سَلِيمَانَ ^(٢) ، فَإِذَا صَلَيْتُ الظُّهْرَ

رَدَدْتُ الْمَظَالِمَ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنْ تَعْمِشَ إِلَى الظُّهْرِ

فَقَالَ : ادْنُ مِنِّي فَقَبَّلْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِي مَنْ يُعَيِّنُنِي عَلَى دِينِي ، فَخَرَجَ وَلَمْ يُقَلِّ ^(٣)

وَأَمَّا إِتْقَانُهُ وَعَطَائِيهِ فَكَانَتْ قَدْوَةً لِلْخُلَفَاءِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، وَيَحْفَظُونَ

أَمَانَتَهُ ، وَأَذْكَرَ مَثَلًا وَاحِدًا مِنْ حَيَاتِهِ لِتَتَّبِعِينَ بَدْعَةَ الْإِسْرَافِ الَّتِي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا ،

وَالَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَبِخَاصَّةِ عَصْرِ بَحْثِنَا .

يَذْكَرُ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ وُلِيَ الْخِلَافَةَ وَقَفَ الشُّعْرَاءُ بِبَابِهِ

وَأَقَامُوا أَيَّامًا لَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ ! حَتَّى قَدَّمَ رَجَاءَ بْنَ حَيْوَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَرِيحُهُمْ

(١) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وكان شاباً صالحاً زاهداً ورعاً ، يمين أباه
عمر بن عبد العزيز ، ويذكره أموراً فرقة ، ومات في حياة أبيه ، فحزن عليه أبوه
حزناً شديداً ، لما كان يراه من حسن سيرته وعظيم ورعه وزهده ، ومرصده
على قيام والده بالحكومة ، أحسن قياماً ، وردّه جميع المظالم ، وإرسال كل عمه
إلى صاحبه ، (عبد الملك بن حسين المكي - سماء النجوم العوالي ٣ / ١٩٨)

(٢) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي أبو أيوب القرشي

الأموي بويج بعد أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ ، وكان ديناً فصيحا مفوها عادلا

محبا للخزوة ، عاش تسعا وثلاثين سنة ، وكان يستعين في أمر الرعية بعمسر

بن عبد العزيز ، وقد ولاة الخلافة من بعده ، مات سليمان سنة ٩٩ هـ ،

وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر وعشرون ،

يوماً . (الذهبي - سير أعلام النبلاء ٥ / ١١١) .

(٣) (عبد الملك بن حسين المكي - سماء النجوم العوالي ٣ / ١٩٨) .

الدخول على الخليفة فطلبوا منه أن يكلمه بشأنهم فدخل ولم يفعل ، ثم قدم عدى ابن أرتاة^(١) ، فتعرض له جرير الشاعر^(٢) ، وسأله أن يستأذن لهم فقال للخليفة : يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك ، لهم أيام لا يؤذن لهم وأقوالهم نافذة ، وسهامهم مسمومة .

فقال عمر : يا عدى مالى وللشعراء !

فقال : يا أمير المؤمنين إن النبي - صلى الله عليه وسلم - مدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مسلم ، فقال : ومن مدحه ؟

قال : العباس بن مروان السلمى^(٣) فكساه حلة وقال :

يا بلال اقطع لسانه عنى .

فقال عمر : من بالباب من الشعراء ؟

فجعل عدى يذكرهم واحداً واحداً ، وعمر يقول : لا قرّب الله ولاحيّاه ، أليس هو القائل - ويذكر له أبياتاً فيها فسوق ومجون وتظاهر بالمنكر - إلى أن ذكر له جرير بن عطية ،

فقال عمر : أليس هو القائل :

(١) عدى بن أرتاة الغزاري أبو وائلة أمير من أهل دمشق كان من العقلاء الشجعان ولاء عمر بن عبدالعزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ ، فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد المهلب بواسطة في فتنة أبيه يزيد بالعراق ، مات سنة ١٠٢ هـ .
(الذهبي - سير أعلام النبلاء ٥٣/٥) .

(٢) جرير بن عطية الخطفي الكلبى اليربوعي من تميم أشعر أهل عصره ، وليسد ومات في اليمامة وطاش عصره كله يناضل شعراء عصره ويساجلهم ، وكان هجياً مُرّاً ، ولم يلبث أمامه غير الفرزدق والأخطل ، وكان عفيفاً وهو من أغزل الناس شعراً ، مات سنة ١١٠ هـ .
(الذهبي - سير أعلام النبلاء ٥٩٠/٤) .

(٣) العباس بن مرداس السلمى بن أبي طامر السلمى من مصر أبو الهيثم شاعر فارس من سادات قومه ، أمه الخنساء الشاعرة ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم قبيل فتح مكة وكان من المؤلفات قلوبهم وكان بدوياً قحاً ، لم يسكن مكة ولا المدينة ، وإذا حضر الغزومع النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يلبس ثياباً أن يعود إلى منازل قومه وكان ينزل في بادية البصرة وبيته في حقيقها ، مات في خلافة عمر سنة ١٨ هـ .
(طبقات ابن سعد ١٥/٤) .

لولا مراقبة العميون أريننا
طرقك مائدة القلوب وليس ذا
جدق المها وسوالف الآرام
وقت الزيارة فارجمى بسلام

فان كان ولا بد فاذن لجرير ، فد خسل جرير وهو يقول :

وسبح الخلائق عدله ووقاره
إني لأرجو منك خيراً طاجلاً
حتى ارعوى وأقسام ميل العائل
فالنفس مولعة بحب العاجل

فقال له الخليفة : اتق الله ولا تقل إلا حقاً .

فقال جرير :

كم في الهامة من شعشأ أرسله
من يمدك تكفى فقد والده
إنا لنرجوا إذا ما الغيث أخلقنا
نال الخلافة إذ كانت له قدرأ
هذي الأامل قد قضيت حاجتها
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا
ومن ضعيف سقيم الصوت والنظر
كالفسخ في العشر لم يد رج ولم يطر
من الخليفة ما نرجو من المطر
كما أتى ربه موسى على قدر
فمن حاجة هذا الأمل الذكر
بوركت يا عمر الخيرات من صر

فقال صر - رضي الله عنه - : ويحك يا جرير ، ما أرى لك فيما ها هنا حقاً .

قال : بلى يا أمير المؤمنين ، أنا ابن سبيل ومنقطع بسى

قال : ويحك يا جرير ، لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة درهم

فأخذها جرير وهو يقول : والله لهنى أحب مال كسبته .

ثم خرج فقال له الشعراء : ما وراءك ؟

قال : ما يسؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ، ويمنع

الشعراء ، وإنى عنه لراض ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الجن راقياً (١)

فلو أن الخلفاء والولاة أعطوا الفقراء ، ومنعوا الشعراء لما أسرفوا ، ولو

أنهم ردوا المظالم وأزالوا مظاهر البذخ والترف لما وجدت طبقة متخمة وأخرى

في مخمصة ، ولعاش الناس في عز ورضى دون تبيذير أو تقتير .

(١) (ابن خلكان - وفیات الأعيان ١ / ٤٣٠)

(وعبد الملك بن حسين المكي - سمط النجوم العوالي ٢ / ٢٠٥)

موقف الأئمة من هذه البدعة :

رأى العلماء "إنفاق الخلفاء" ، وشاهدوا إسرافهم وتبذيرهم من بيت المال ، فلم يعجبهم ذلك ، وعلموا أن هذا الإسراف تقابله حقوق ضائعة ، ويطلون جائعة ، فأنكروا هذه البدعة ونصحوا الخلفاء بشأنها ، وذكرهم بسياسة الراشدين ، وبالحساب في يوم الدين ، ومن مواقف النصيحة بموقف سفيان الثوري - رحمه الله - ، حيث أنكروا على أبي جعفر المنصور إسرافه في بعض أسفاره ، وحثه على وضع المال في موضعه ، وإعمال الحقوق إلى أصحابها ، يقول سفيان : (أَدْخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بَيْنِي ، فَقَالَ لِي :

ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ ، فَقُلْتُ لَهُ :

اتَّقِ اللَّهَ ، فَقَدْ مَلَأَتِ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجُورًا ، فَطَاطَأَ رَأْسَهُ ثُمَّ رَفَعَهُ وَقَالَ :

ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ .

فقلنت : إنا أنزلت هذه المنزلة ، وصرت في هذا الموضع بسيف المهاجرين

والأنصار ، وأبنائهم يموتون جوعاً ، فاتق الله ، وأوصل إليهم حقوقهم .

فطاطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع إلينا حاجتك .

فقلنت : حجّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال لخازنه :

كم أنفقت ؟

قال : بضعة عشر درهماً ، وكان ينزل تحت الشجر ، وأرى هاهنا أموالاً لا تطيق

الجمال حملها !

فقال : أتريد أن أكون مثلك ؟!

فقلنت : لا ، ولكن دون ما أنت فيه ، وفوق ما أنا فيه . (١)

وفي هذا إنكار لبعض مظاهر الإسراف التي كانت عند الخلفاء في جُلِّهم

وتُرحالهم ، ورجال السلف أمثال سفيان - رحمه الله - ما كانوا يسكتون على مثل

(١) (أبو نعم - الحلية ٤٣/٧) .

() (والفزالي - إحياء علوم الدين ٩١٠/٢) .

() (وابن خلكان - وفیات الأعيان ٢٨٧/٢) .

() (والذهبي - سير أعلام النبلاء ٢٧٢/٧) .

هذا ، فإنه في هذه الموصلة ينتقد الخليفة وأمره بالعدل والاحسان وإعطائهم كل ذي حق حقه ، ثم يقارن بين عمله وصل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، وكأنه يأمره بالاعتدال به ، والبعد عن الحياة المترفة وتبذ يسر الاموال .

ولقى عبدالله بن عبدالعزيز العمري - رحمه الله تعالى^(١) - الخليفة الرشيد - وهو واقف على الصفا - فوصفه وأجاد في الموصلة ، ونهاه عن الإسراف في أموال المسلمين ، وحذره فاقبة ذلك يوم القيامة ، فكان ما قاله له :
أَتَتَّظَرُّكُمْ حَوْلَ الكَعْبَةِ ؟

قال : كثير .

قال عبدالله : كلٌّ منهم يُسألُ يومَ القيامةِ عن نفسه خاصة ، وأنت تُسألُ عنهم كلهم .

يا هارون : إنَّ الرجلَ لِيُسْرِفُ من مالِهِ فيستحقُّ الحجرَ عليه ، فكيف بمن يُسْرِفُ في أموالِ المسلمينَ كلهم ، فبكى الرشيد .^(٢)

وهذه الموصلة تدلنا على وجود الإسراف من جانب الخلفاء ، وكثرة مسوره وتعدد مظاهره ما جعل رجال السلف يتناولسون هذه البدعة في مواضعهم ويذكرون آثارها وأضرارها على الراعي والرعية .

فأما الراعي بالإسراف في حقه تضييع للحقوق وظلم للناس وذاب في الآخرة وأما في حق الرعية فهو يساعد على إيجاد طبقتين : إحداهما تعيش في غنى

(١) عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم ، كان طابداً زاهداً ، من طمأنينة زمانه ، ناصحاً للخلفاء والولاة ، وله مواقف محمودية في ذلك وكانت مواظبه مؤثرة ، وكلماته حكيمة ، مات سنة أربع وثمانين ومائة عن عمر يناهز السادسة والستين .
انظر : (ابن الجوزي - صفة الصفوة ١٠٢/٢)
• (وابن كثير - البداية والنهاية ١٠/١٨٥)
• (والياقبي - مرآة الجنان ١/٣٦٧)
(٢) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٠/١١٧)
• (وابن الجوزي - صفة الصفوة ١٠٢/٢)
• (وابن كثير - البداية والنهاية ١٠/١٨٥)

فاحشٍ ، والاخرى في فقر مدقع ، ومن ثم تنشأ الاحقاد ، وتتولد الضغائن ، وتظهر جرائم السرقة والقتل وغيرها ، وتحقد الرمية على حاكمها ، فتتفكك العرى ، وتنقطع الأواصر ، ويفتقد الراى ثقة رعيته به ، كل ذلك وغيره من أسباب سوء الإنفاق ، والجنوح إلى الإسراف والتبذير .

(٣) ترفُّع الدّعاة من مخالفة أهل البدع :

رأينا فيما تقدم مواقف الدعاة وإنكارهم لمشكلة البدع ، ويلاحظ فسى تلك المواقف والردود بعد رجال السلف عن مخالفة المبتدعين ، والخوض معهم في جدال عقيم لا يقصد منه معرفة الحق ، فالمبتدع الذي تشرب قلبه البدعة وقام يدعو إليها ، قلما يجادل لمعرفة الحق ، وإنما لنشر بدعته أو التغليب على خصمه .

ولهذا فقد كره أئمة السلف جدال أهل البدع ، ونهوا عن مخالفتهم ، فالإمام مالك بن أنس - رحمه الله - كان إذا جاء بعض أصحاب البدع قال له : (أما أنا فعلى بيّنة من ربي ودينى ، وأما أنت فشاك ، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه) (١)

وكتب عبدالله بن فروخ - رحمه الله - إليه يخبره بأن بلده كثير البدع ، وقد ألف كتاباً في الرد عليهم ، فكتب إليه مالك يقول له : إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك ، لا يرد عليهم إلا من كسان ضابطاً طارفاً بما يقول لهم ، لا يتدرون أن يعرجوا عليه ، فهذا لا بأس به ، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ ، فيمضون على خطئه ، أو يظفروا منه بشئ ، فيظفروا ويزدادوا تعادياً على ذلك . (٢)

(١) (أبو نعيم - الحلية ٢٢٤/٦ - ١١٢/٩) .

(٢) (القاضي عياض - ترتيب المدارك ٣٤٥/١) .

وجاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - فقال له : يا أبا إسحاق
مبد الله أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري ، فيتكلم مبتدع فيسه ،
أرد عليه ؟

قال : (لا تنصب نفسك لهذا ، أخبره بالسنة ولا تخاصم .
فأعاد عليه القول فقال أحمد :
ما أراك إلا مخاصماً) . (١)

وقيل لأحمد أيضا : هل ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ، ويسكت
عن الكلام في أهل البدع ؟

فكبح وجهه وقال : إذا هو صام وصلّى واعتزل الناس ، أليس إنما هو لنفسه ! ؟
قالوا : بلى

قال : فإذا تكلم كان له ولغيره ، يتكلم أفضل . (٢)

ويبدو أن مالكا وأحمد - رحمهما الله تعالى - متفقان على ترك مخاصمة
أهل البدع ، فمالك يقول للمبتدع الذي يأتيه ليجادله ويخاصمه : ٠٠٠ اذهب
إلى شاكّ مثلك فخاصمه ، فأهل البدع في نظره ليسوا على يقين فيما يعتقدون
ولكنهم يتخبطون في الشك والتردد .

وأحمد يقول لمن يستأذنه في الردّ على المبتدع : ٠٠ أخبره بالسنة
ولا تخاصم . فكلهما ينهيان عن المخاصمة .

لكننا نجد لهما موقفين آخرين يتعلقان بالردّ على المبتدع ، فيفضل مالك
القول مبيناً هل لكل داعية أن يردّ ؟ وإلا فمن الذي يُسمح له بذلك ؟

يقول مالك - رحمه الله - : ٠٠٠ لا يردّ عليهم إلا من كان ضابطاً طرفياً
بما يقول لهم لا يتقدرون أن يخرجوا عليه ، فهذا لا بأس به ٠٠٠

(١) (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ١ / ٢٣٦) .

(والمعلى - المنهج الأحمد ١ / ٣١٨) .

(٢) (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ٢ / ٢١٦) .

فهو يرى أن العالم البصير بمسائل العلم ، والمطلع على أقوال أهل البدع الذي يعرف أسباب البدعة وأصولها والأدلة على فسادها ، ويدرى كيف يدخل في نقاشهم ويخرج منه دون أن تنزل به قدم بعد ثبوتها فيظهر عليه المبتدع ، يرى مالك أن مثل هذا لا مانع أن يرد عليهم ويصنف في ذلك ما يراه نافعا .

وأما أحمد فأراه يؤيد قول مالك ، وينصح العالم الضابط الذي يعرف أصول السنة ، وطريقة الرد على البدع بالردِّ والمعاقمة وعدم الاقتناع على نفع نفسه بالعلاة والصوم ، وترك المجال لأهل البدع يعمثون فساداً .

وأما من لم يكن كذلك في العلم والضبط والنباهة فلا ينبغي له الرد على المبتدعة ، لأن ذلك يعرضه للخطأ والزلل ، وإذا ظفر المبتدع بخطأ داعية فإنه يزداد طغياناً وضلالاً وتنادياً ، ويظن أن ذلك دليل على كونه محققاً وكون من خالفه مبطلاً ، أو قد يتبعه على خطئه فيضلل .

ولهذا النوع من الدعاة يقول مالك : - وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ ، فيمضون على خطئه ، أو يظفروا منه بشيء ، فيطغروا ويزدادوا تنادياً على ذلك .

ويلاحظ أن مواقف رجال السلف من حيث الأمر بالرد على المبتدعة أو النهي عن ذلك ترجع عدة أمور :

(١) منها ما يعود إلى طبيعة الموقف التي عرضت فيه البدعة ، كانشغال العالم بتأصيل مفهوم أو بيان سنة ، فنراه يرفض مناقشة أصحاب البدع ، بسبل يقدم الأهم ، ولا يلتفت إلى شك أو مبتدع مولع بالخصام ، ويهمله ويعرض عنه ليشعره بذلّه وضلاله لعله يرجع إلى رُشده وصوابه .

(٢) ومنها ما يعود إلى حال صاحب البدعة من حيث إصراره عليها ودوامه إليها ، وإفلاقه أذنيه عن سماع الحق والرجوع إليه ، فيمتنع الإمام عن مجادلة مثل هذا أيضاً ، ولعل موقف مالك - رحمه الله - ينطبق على هاتين الحالتين حيث رد على صاحب البدعة بقوله :

أما أنا فعلى بيته من ربي ودينى ، وأما أنت فشاك ، اذهب إلى شاك

مثلك فخايمه ، فالإمام مشغول بما هو أهم من مخاصمة هذا ، إضافة إلى ما آراه من
إصراره على بدعته وتمسكه بباطله .

(٣) ومنها ما يعود إلى حال الداعي الراد للبدعة ، فإذا علم الإمام ضعفه
عن الرد ، وقصور إمكاناته في هذا المجال صرفه عنه ، وإذا رأى منه العلم
والمعرفة والضبط حثه على ذلك وشجعه عليه .

ولعل كلام مالك مع عبد الله بن فروخ يؤيد هذه النظرة ، حيث خاف عليه
الوقوع في الزلل والهلاك ، ثم فصل له وبين من الذي يُسمح له بالرد
ومن لا يُسمح له .

• والله تعالى أعلى أعلم .

(٤) مُلَخَّصُ أَسَالِيبِ الْمُقَاوِمَةِ :

لقد قام الدعاة كل أنواع البدع ، ولم يسكتوا على واحدة منها ،
ولو أدت المقاومة والإنكار إلى السوان الأذى والاضطهاد .

ولكن الحكمة كانت مهيمنة على دعوتهم ومقاومتهم ، فلم يكونوا يُزيلون البدعة
بإثارة الفتنة ، ولا بإيجاد منكر آخر ، بل كانوا يواجهون البدع بدعوة حكيمة
وأسلوب يتناسب مع البدعة نفسها ، ومع ما يحيط بها من ظروف وملابسات ،
فما يتطلب القوة والحزم واجهوه بقوة وحزم ، وما يتطلب اللين والرفق ، قابلسوه
بلين ورفق وهكذا .

ويمكن أن نشير إلى بعض تلك الأساليب التي تهدف كلها لردّ البدع
وإزالتها من المجتمع .

اهتمّ رجال السلف في هذا العدد ببيان السنّة والدعوة إليها ثم ببيان
حقيقة البدعة وخطورتها وأنها قد تكون أخطر من المعصية ، بل كلّ ما أحدث
من الأمور المخالفة للدين والمعارضة للسنّة فهو أخطر من المعاصي ، لأنّ العاصي
يعلم أنه على معصية أما المبتدع في الدّين ليس منه فهو يحسب أنه على صواب
كما أوضح رجال السلف أنّ أصحاب البدع هم الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً ،
وهم أصحاب السّبيل المتفرقة التي نهى الله تعالى عن اتباعها ، وفي هذا
البيان والإيضاح مقاومة للبدع .

ثم ركّزوا في دعوتهم على التحذير من الميل إلى البدع ومخالطة أهلها ،
وينبأوا ما في ذلك من الخسران المبين ، في الدنيا بالبعد عن الكتاب والسنّة
وفي الآخرة بعدم قبول أعمالهم واستحقاق العذاب الشديد .

فكان أئمة السلف يتكروّن كل ما يروونه من البدع صغيرها وكبيرها ، ولا يؤخرون
إنكارهم ومقاومتهم ، بل يُعبّرون عن موقف الإسلام من أيّ قضية تحدّثت مباشرةً
وبالأسلوب الملائم للبدعة ولعاجبها وللظروف المحيطة بكل ذلك .

الفصل السادس

النصائح لأفكار الملاحة والزراعة

(الفصل الثاني)

(التَّصَدِّي لِأَفْكَارِ الْمَلَاحِدَةِ وَالزَّنَادِقَةِ)

(١) معنى كلمة (الزندقة) :

اختلفت أقوال العلماء في بيان أصل هذه الكلمة ومعناها فمن قائل : (الزنديق) - بالكسر - من الثنوية القائلين بالنسور والظلمة ، والذين لا يؤمنون بوجدانية الخالق ولا بالآخرة .
ومن قائل : هو من أبطن الكفر وأظهر الإيمان ^(١) ، فهو كالمنافق .
ومن قائل : هو فارسي مُعَرَّبٌ ، وأصل الكلمة (زِنْ دِينُ) أي : دين المرأة . ^(٢) ، أو (زِنْدَةُ كَرَايَ) أي القائل بدوام الدهر وبقائه . ^(٣)
ومن قائل : (الزنديق) نسبة إلى (الزُّنْدُ) وهو كتاب (ماني) المجوسى ، والزُّنْدُ تفسير لكتاب (زرادشت) الفارسي .
وفي الكتاب دعوة إلى أن الأموال والحُرْمُ مشتركة ومشاع بين الجميع وأن ذبح الحيوانات حرام ، فإذا ماتت حلَّ أكلها .

- (١) انظر : (مجد الدين محمد بن يعقوب الفهرزى باذى الشيرازى - القاموس المحيط ٢٤٢/٣ - مادة (الزنديق) الطبعة الثانية - المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٤٤هـ - دار الفكر - بيروت .
(٢) (القاموس المحيط ٢٤٢/٣) .
(٣) (لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى ١٤٧/١٠ - مادة (زندق) - دار صادر بيروت .
(٤) (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصرى المتوفى فى بغداد مصر - تاج العروس من شرح القاموس - مادة (زندق - وزندق) ٢٧٢/٦) .
(٥) (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصرى المتوفى فى بغداد سنة ٣٢١هـ - جمهرة اللغة كلمة (الزنديق) ٥٠٤/٣) الطبعة الأولى - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الدكن .
(٦) (لسان العرب ١٤٧/١٠ - مادة (زندق)) .

وقيل : إن (مزدك) كتب كتاباً سماه (الزند) أيها ، فُنسب أصحابه إلى الكتاب وما فيه ، فـقيل : (زندي) ، ثم عُرِّبَت الكلمة فقيل للواحد : زنديق وللجماعة زنادقة . (١)

ثم اتسع لفظ (زنديق) بعد أن عُرِّبَ ، فصار يشمل كلَّ ملحدٍ أو مناهضٍ للدِّين أو مستهزئٍ به ، أو صاحب بدعةٍ مكفرةٍ ، أو منافقٍ يُبطن الكفرَ ويظهر الإيمان .

ثم إن أفكار الزندقة ترجع إلى البيانات الوضعية كالزرادشتية^(٢) والمانيوية^(٣) فللزرادشتية كتابٌ يُسمَّى (الأوستا) وقد شُرح هذا الكتاب عدة شروح منها : كتابان وضعهما المجوس يتناولان مصالح الدنيا وصارة العالم . وهما : (زَند ويازند) ، والزَنديق أو الزنديك تعنى بالفارسية : متبجح الزند . (٤)

(١) (تاج العروس للزبيدي ٢٧٢/٦ - ماد) (زدق وزندق)
(والرد على الراضية للمقدسي ص ١٢٤)

(٢) الزرادشتية : نسبة إلى (زرادشت الذي كان في القرن السادس قبل الميلاد ، ومن مذهبهم : أن الوجود قائم على مبدأين : الخير والشر أو النور والظلام ، وبما أن النور من الشمس والشمس من نار فإنهم عبدا النار .
ولزرادشت كتابٌ يُعرف باسم (الأوستا) ، وقد ادعى زرادشت النبوة وزعم أن الله سلَّم العالم للشيطان سبعة آلاف سنة يحكمه ويفعل ما يريد إلى آخر كفره .
(اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٦)

(٣) المانيوية : فرع من الزرادشتية ونُسب إلى (ماني) الذي كان في القرن الثالث الميلادي ، وادعى النبوة ، وهمل أتباعه إلى ترك الزواج والزهد في الحياة ، ويرون أن الخير في العدم المطلق ، وقد كتبوا شروحاً وتأويلات حول كتاب (الأوستا) منها :
كتاب (الزند) والزنديق منسوب إليه أي متبجح الزند .
(اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٨٨)

(٤) انظر : (المقدسي - رسالة في الرد على الراضية ص ١٢٤)
(والزبيدي - تاج العروس ٢٧٢/٦ - مادة زدق وزندق)
(وأحمد مختار العبادي - في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٦٨)

٢ (أسباب انتشار الزندقة :

لعل من أبرز أسباب انتشار الزندقة وجود عدد غير قليل ممن دخل الإسلام بسبب الفتوحات ، وظهور دين الإسلام على ما سواه ، وكانوا ممن قبل يد ينون بديانات وضعيفة .

ولما كانت أفكار الزندقة خليطاً من تلك الديانات الوضعية أو المحرفة أقبل عليها ضعاف الإيمان ، واعتنقها من لم يدخل الإيمان قلبه ، ووجد الفريقان فيها ما يلائم نفوسهم ، ويشبع رغباتهم .

كما أن الحقد على الإسلام والكيد له كان سبباً في انتشار هذه الأفكار بالإضافة إلى ذبوع الأفكار التي تنتمي إلى الأديان السابقة ، وانتشار الأفكار الفلسفية ، وقلة العناية بالتربية الإسلامية تربية صحيحة ، والخلافات التي سادت البيئة الإسلامية كخلافات المذاهب والفرق الفالسة لمنهج السلف ، وما أدت إليه من ثورات وفتن وأفكار .

٣ (أشهر الزنادقة وأبرز أفكارهم :

انتشرت الزندقة في العصر العباسي انتشاراً واسعاً ، وصنفت أصنافاً من الناس كالشعراء والكتاب وأطباء النصارى ومتكلميهم ، وقواد جيوش ووزراء من الأتاجم الذين أظهروا الإسلام وأخفوا ما كانوا عليه في جاهليتهم من الأديان الوضعية .

ومن أشهر الزنادقة من الشعراء وغيرهم : بشار بن برد (١) ، فإنه

(١) بشار بن برد : شاعر العصر أبو معاذ البصري الضريع ، ولد أعمى ، ثم قدم بغداد ومدح الكبراء ، قال عنه أبو تمام : هو أشعر الناس والسيد الحميري في وقتها ، لقب بشار بالمرحوم للبيسة في صخره رطاً وهو الحلق ، اتهم بالزندقة فضربه المهدي سبعين سوطاً فمات ، وكان يُقتل النار وينتصر لإبليس . (تاريخ بغداد - ١١٢/٧) .
(سير أعلام النبلاء ٢٤/٧) (النجوم الزاهرة ٥٣/٢) .

صرّح في كثير من أشعاره بالفسوق والمجون ولم يكتف بذلك بل كذّب من يقسول
بتحريم الشهوات والمنكرات ، وادّعى أنه لا حرج في إتيانها ، كما عُرف عنـه
بصاحبته للدّهين وأصحاب ماني من الثنوية ، ونُقل عنه أنه كان يُكفّر جميع الأمة
ويُفضّل إبليس على آدم عليه السلام ، كما يُفضّل النار التي خُلق منها إبليس على
التراب الذي خُلق منه آدم عليه السلام . (١)

وأبو نواس (٢) ، فقد امتلأت أشعاره استهتاراً ومجوناً ، وتجاوز ذلك إلى
إنكار كل شيء فيهي سيكون بعد الموت ، أنكر الحساب والجنة والنار ، وجحد
القدر ، وغير ذلك مما يكفي بعينه لوضعه في معاف الزنادقة والطحدين ،
وسواء أكان ذلك صادراً عنه نتيجة الاستهتار والشراب أو كان صادراً عن فحشة
فاسدة ، فكلهما زندقة وإلحاد يجعلنا نضعه إلى جانب الزنادقة والطحدين
وإن كان محسوباً على البيئة الإسلامية والمجتمع المسلم . (٣)

وصالح بن عبد القدوس البصري (٤) الذي طعن في الرسول - صلى الله عليه
وسلم - وتكلم في زواجه من أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ،
وطعن في الآيات الواردة في هذا الشأن ، إضافة إلى تأليفه الكتب في نصرة

(١) (أبو الفرج الأصفهاني - كتاب الأغاني ٢٠٠/٣) .

(ديوان بشار بن برد ٥٦/٢ - ٤٧ - تحقيق محمد الطاهر - الشركة

التونسية للتوزيع - تونس / ابن عاشور .

(ابن القيم - إغاثة اللهفان ٢٣٤/٢) .

(البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٥٤) .

(٢) أبو نواس : الحسن بن هاني الشاهر المعروف بأبي نواس ، ولد سنة ١٤٥ هـ

وقيل سنة ١٣٩ هـ ، نشأ في البصرة وتعلم بها وتردد على حلقات مساجدها ،

ثم تعرف على بعض مجّان الكوفة مثال والبة بن الحباب ومطيع بن إياس وحمّاد

مجرّد ، فال إلى المجون ، واتهم بالزندقة وتبرأ منها وتشفع فيه البرامكة ،

ولما كبرت سنّه - مال إلى الزهد ونظم فيه الأشعار ، مات سنة ١٩٦ هـ) .

(تاريخ بغداد ٢٣٨/٧) والبداية والنهاية ٢٢٩/١٠)

(وفيات الأعيان ١٠٠/٢) .

(٣) المراجع السابقة) .

(٤) صالح بن عبد القدوس البصري : مولى الأزدي ، يقال إن أصله فارسي ، كان

في شبابه يكثر الاجتماع بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة ثم تأثر بأصحاب الاثنين

أتباع (ماني) وله أشعار في الزهد على مذهب (ماني) ، قتل صالح سنة

سبع وستين ومائة . (انظر : وفيات الأعيان ٤٩٢/٢)

مذهب مانسى ، وكان يميل إلى الشك في كل شىء . (١)

والمُتَّعِ الخراسانى (١) الذى ادعى الاثوية ، وأسقط جميع التكليف من أتباعه
وأعلن التعاليم المزدكية فأباح العال والنساء . (٢)

وطي بن جبلة الخراسانى الملقب بالعكوك (٤) ، فإنه مدح بعض الأعيان
فبالغ في مدحه حتى إنه وصفه بأوصاف لا تنبئ إلا لله تعالى، كالتصرف فى
الزمان وتوالى الأيام وتقدير الأرزاق والأجبال . (٥)

وعبد الكرم بن أبى العوجا (٦) ، الذى تجرأ على وضع الحديث ، والكذب
على الله تعالى وطفى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وتحليل الحرام وتحريم الحلال (٧)

-
- (١) انظر: (وفيات الأعيان ٤٨١/١ - ٢٦٥/٤) .
(والفهرست لابن النديم - التكملة ص ٥٣٠) .
(٢) المتع الخراسانى : واسمه مطا ، وقيل هاشم بن حكيم ولقب بالمتع لاتخاذ
قناباً من ذهب لإخفاء وجهه لأنه كان أعور دمهم الخلق ، وقد عهد إلى
الإلحاد والدجل واجتذاب الناس عن طريق الحيل والسحر ، حاصره المسلمون
سنة ثلاث وستين ومائة ، فشرب السم وسقى أهله .
(العبرى - تاريخ الأمم والملوك ٢٣٨/٩) (وابن الأثير - الكامل فى التاريخ
٥٢/٥) (وابن خلكان - وفيات الأعيان ٢٦٣/٣) .
(والذهبي - سير أعلام النبلاء ٣٠٨/٧) .
(٣) (المصادر نفسها) (والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٥٤)
(وشذرات الذهب ٢٤٨/١) .
(٤) طي بن جبلة الخراسانى الملقب بالعكوك : من الموالى ، شاعر فصيح بليغ ،
قتله العامون طي الزندقة لا يبات قلبها فى أبى دلف القاسم بن عيسى ،
وذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين للهجرة . (ابن كثير - البداية والنهاية
٢٦٧/١٠) (المصدر نفسه) .
(٦) عبد الكرم بن أبى العوجا : وهو خال معن بن زائدة الشيبانى اتهمه
الوالى محمد بن سليمان العباسى ^{بالتزيم} وأقر قبل قتله بأنه وضع أربعة آلاف -
حديث طي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قتل سنة خمس وخمسين
ومائة .
(تاريخ الأمم والملوك ٢٨٦/٩) (والكامل فى التاريخ ٣٨/٥) .
(٧) (تاريخ الأمم والملوك ٢٨٦/٩) .
(والكامل فى التاريخ ٣٨/٥) .
(البداية والنهاية ١١٣/١٠) .

وأستاذ سيس^(١) ، الذي ادعى النبوة وثار على المسلمين وقتل كثيراً منهم
وأفسد في الأرض .^(٢)

وسنبلذ^(٣) ، الذي نهب الأموال وسبى الحرم وقتل الناس ، وعزم طسسى
هدم الكعبة .^(٤)

وزدان بن باذان^(٥) ، فإنه أوصلته زندقته إلى التهكم بالمسلمين والسخرية
بأركان دينهم ، فقد روى أنه نظر إلى الناس وهم في الطواف يهرولون فقال :
مَا أَشْبَهْتُهُمْ إِلَّا بَبَقْرَتِدْ وَسُ فِي الْبَيْسَدِ .^(٦)

(١) أستاذ سيس : رجل نائر خراسانى خرج فى سجستان سنة خمسين ومائة
للهجرة فأظهر الزندقة وادعى النبوة وتبعه خلق كثير فقتلوا الناس وأفسدوا
فى الأرض ، ثم قتله المسلمون وقتلوا أكثر أصحابه ، وذلك سنة إحدى وخمسين
ومائة . (الكامل لابن الأثير ٢٩٢/٥) و (تاريخ اليعقوبى ٢/٣٨٠) .

(٢) انظر (المصدرين نفسيهما) .

(٣) سنبلذ : رجل مجوسى من إحدى قرى نيسابور كان من صنائع أبى مسلم
الخراسانى ومن قواده المقربين التفحوله عدد كبير وطلبوا على نيسابور وحاربوا
الله ورسوله وأفسدوا فى الأرض ، حاربه المسلمون وقضوا عليه وطلب أكثر جنده ،
سنة ١٢٧ هـ .

(٤) انظر : (الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ٩/١٦٩) .

(٥) حوادث سنة ١٢٧) .

(٦) (المصدر نفسه) .

(٥) يزدان بن باذان : كاتب يقطين الفارسى المجوسى كان يظهر الإسلام
ويخفى دين المجوس ، وكان كثير السخرية بشعائر الإسلام ، ولما بلغ
الهادى خبره قتله وطلبه وذلك سنة تسع وستين ومائة .

(٦) (تاريخ الأمم والملوك ١٠/٢٣) .

(٧) (المصدر نفسه) .

وبابك الخرمي^(١) ، وازنبار^(٢) ، والافشيسن^(٣) ، وأتباعهم الذين استباحوا المحرمات ونكحوا الأمهات والأخوات والبنات ، ودعوا إلى مذهب التناسخ والحلول ، وانتقال الأرواح من حيوان إلى آخر بالإضافة إلى عبادتهم الأصنام التي عُثر عليها في بيوتهم وبيوت أتباعهم .^(٤)

وهناك أفكار أخرى نادى بها زنادقة ملحدون ، كإنكار وجود الله تعالى والتشكيك في أحكام القرآن وآياته ، وإيداع رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، والحدِيث عن بعض أفعاله بما لا يليق بأخلاقه ورسالته وعصمته .
وشتم قريش وكراهة العرب ، والطعن في طاعة الإسلام وأئمة السلف الصالح ، هذه الأفكار وغيرها كانت جزءاً من أحاديث الزنادقة ، ومبادئهم إضافة إلى القيام بترجمة كتب الشرك والإلحاد لإفساد عقائد الناس .^(٥)

-
- (١) بابك الخرمي : من أصحاب الجاويدان بن سهل صاحب (البذ) والبذ كورة بين أذربيجان وأران ، ظهر بابك في جبل (البدين) بناحية أذربيجان وذلك سنة إحدى ومائتين والخرمية نسبة إلى خرم وهو الفرج بالفارسية ، ولهذا يُسمونه (دين الفرج) وقد ظبته جيوش المسلمين ، وأسّر بابك ثم قتل سنة اثنتين وعشرين ومائتين . (تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٢٤٤ - ٣٠٩)
(والكامل لابن الأثير ٥ / ١٨٤)
(والنجوم الزاهرة ٢ / ١٦٨ - ٢٣٦)
- (٢) مازنبار بن قارن فارسي مجوسي خرج بطبرستان وعمل على إعادة دين المجوس وإحياء تقاليد الفرس فخلع الطاعة وفارق الجماعة وظلم ونهب وقتل ، قاتلته المسلمون فقتلوه وصُلب في بغداد سنة خمس وعشرين ومائتين .
(تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٣٤٨) (والفرق بين الفرق ص ٢٦٨)
(والكامل لابن الأثير ٥ / ٢٥٣) (والبداية والنهاية ١٠ / ٢٨٩)
(ومروج الذهب ٤ / ٦١)
- (٣) أفشين الحاجب واسمه : حيدر بن كاوس ، تركي من أشروسنة من بلاد ماوراء النهر وكان في حاشية المعتصم ، وأصله من أبناء ملوك أشروسنة ، ولشجاعة ولاء المعتصم قيادة إحدى فرق الجيوش وكان يُخفي دين الكفر الذي كان عليه إلى أن افتضح أمره فقتل وصُلب سنة ست وعشرين ومائتين .
(تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٣٦٣) (والبداية والنهاية ١٠ / ٢٩٢)
(٤) (المصادر السابقة التي في هوامش ١ - ٢ - ٣)
- (٥) انظر : (أحمد بن حنبل - الرد على الجهمية والزنادقة - من كتاب عقائد السلف ص ٥٣)
(وابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ١ / ٢٨٠)
(والخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٣ / ٢١ - ٢٣)
(والسيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٢٨٢)

(٤) (التَّمَدُّى لِلزَّنَدَقَةِ بِمَنْفَعَةِ إِجْمَالِيَّةِ)

كثرت وجود الزنادقة في العصر العباسي حتى أصبحت الزندقة مشكلة من كبرى المشكلات وأخطرها على الإسلام والمسلمين ، وعلى الخلافة والخلفاء .

لكن العلماء تعدوا لها ، وناظروا بعض من راودته الشكوك ، فضعفت نفسه أمام الشبهات ، وأما من اشتهر بالزندقة ، وقويت نزعتها في نفسه فقد تولى الخلفاء تأديبهم ، بالأسلوب الذي يناسب منهجهم وأهاليهم ، بالاستتابة أو السجن أو القتل .

فن صور التمدى وأشكاله عند العلماء ما روى عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة - رحمه الله - أن الخليفة الرشيد داه - حين رفع إليه زنديق ، فقال له الرشيد : كلفه وناظره^١ فقال أبو يوسف : يا أمير المؤمنين ادع بالسيف والنَّطْحِ ، وارض عليه الإسلام ، فإن أسلم ، وإلا فاضرب منقه ، هذا لا يناظر وقد أهدى في الإسلام . (١)

وكان الإمام مالك رحمه الله - يهدد الزنادقة بوجوب قتلهم ، وأنهم يستحقون ذلك شرعاً ، وأن من أظهر منهم الزندقة التي كان يبطنها فلا يستتاب ولا يقبل قوله ورجوعه ، لأنه لا تعرف توبته ، وقد كان يسر الكفر ويظهر الإسلام ، فإذا أظهر ما كان يبطن فيقتل وليس كالمترد الذي كان مسلماً ثم كفر فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل (٢) .

وفي هذا التهديد والحكم بالقتل مقاومة وتخويف ، ودعوة إلى نيل الأفكار المخالفة للإسلام لما يترتب على إظهارها من القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة .

(١) (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٢٥٢/١٤ وما بعدها) .

(٢) (الدارمي - رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص ١١٨ وما بعدها) .

وللإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - ردود على الزنادقة ومقاومة لهم -
سجل كثيراً منها في كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة) واعتبر ابن سناء
الفرق الضالة الذين كفروا الأمة ، وأنكروا معلوماً من الدين بالضرورة زنادقة
ملحد يسن .

كما كان يحذّر من ينال علماء الأمة بسوء أو يؤذي الصحابة ، ويسمى ممن
يفعل ذلك زنديقاً . (١)

ولما كانت مشكلة الزندقة والإلحاد تختلف عن غيرها من المشكلات التمسى
سبقت كالشيع والخوارج والاهتزال والبدع ، فهذه مشكلات ينتسب أصحابها إلى
الإسلام ، لكنهم تورطوا في أمور مخالفة له في العقيدة أو الأحكام نتيجة اجتهاد
- كما يزعمون - وهم يظنون أنهم - وحدهم - أصحاب الحق .
أما الزندقة فهي كفر وردة لا علاج له إلا السيف ، لما كانت الزندقة
كذلك فإن الذي تولى مهمة مقاومتهم والتصدي لهم هم الخلفاء بفتوى وتأيسد
من العلماء ، ولهذا فإن تماذج التصدي من الدعاة محدودة وبسيطة ، لأنه
كما قال القاضي أبو يوسف قبل قليل عن أحد الزنادقة الملحد من مخاطبته
الخليفة الرشيد :

ادع بالسيف والنطح واعرض طيه الإسلام ، فإن أسلم وإلا فاضرب عنقه
هذا لا يناظر وقد أُلحِد في الإسلام .

(١) (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ١ / ٢٨٠) .

(٥) (التصدي للأفكار تفصيلاً)

هناك بعض الردود التي واجه بها أئمة السلف رجالا من الزنادقة ،
وردوا شبهاتهم ، وأجابوا عن مشكلاتهم .

من تلك الشبهات : (دعوى التناقض في القرآن الكريم)

فان الزنادقة لم يألوا جهداً في إثارة الشبهات ، وإيجاد الشكوك فسي
مسائل العقيدة ، وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا يجب
فهذه مهمتهم ، وهذا هدفهم ، وهو زعزعة العقيدة في قلوب الناس وتشكيك
الناس في ربهم ونبيهم ودينهم .

ويذكر لنا الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - جانباً من هذه المشكلة
فيقول :

قالت الزنادقة - في قول الله عز وجل : (كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ٠٠٠٠ الآية) (١) -

فما بال جلودهم التي صصت قد احترقت ، وأبدلهم جلوداً غيرها !
فلا نرى إلا أن الله يعذب جلوداً لم تذنب حين يقول : (بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا)
فَشَكُّوا فِي الْقُرْآنِ ، وزعموا أنه متناقض .

فقلت : إن قول الله عز وجل : (بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) تبدلها هو
تجددها ، لأن جلودهم إذا نضجت جددتها الله ، وذلك لأن القرآن فيه
خاص وطام ، ووجوه كثيرة ، وخواطر يعلمها العلماء . (٢)

وهدف الزنادقة واضح من هذا الكلام وهو نسبة الظلم إلى الله تعالى ،
والتناقض إلى كلامه ، وإيقاع المسلمين في الشرك والإلحاد .

(١) آية رقم (٥٦) من سورة (النساء) .

(٢) (أحمد بن حنبل - الرد على الجهمية والزنادقة من كتاب عقائد السلف
لعلى سامي النشار ص ٥٣) .

فأظهر الإمام أحمد جهلهم في القرآن ولغته ، وبين أنّ فيه خاتماً وامتاً
ومطلقاً ومفيداً وخواطر دقيقة ، لا يدركها إلا العالمون ، فالتبديل هنا هو
التجديد ، فعندما يردّ الله جلودهم إلى ما كانت عليه قبل احتراقها ، ويُعيدُها
سيرتها الأولى فكانت بدّلها وأتى بأخرى جديدة .

(الطعن في طمأء المسلمين من المحدثين وغيرهم)

ومن أفكار الزنادقة والملحدّين: النهل من حملة الإسلام وطمأء الذين
نقلوه للناس فحفظوا الكتاب والسنة وطمأءها ، فيهم وصل الإسلام إلينا، ومنهم
أخذنا ديننا ، وليس لنا علم أو معرفة إلا عن طريقهم ، فالطعن فيهم إنّما
يطعن - في الحقيقة - في الإسلام ذاته ، ولهذا اعتبر رجال السلف هؤلاء
الطاعنين زنادقة حاقدّين ، فحذروا الناس منهم ومن أفكارهم .

ومن هذه المواقف ما روي أنه ذكر للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - رجل
يقول : أصحاب الحديث قوم سوء ! فلما سمع أحمد هذا القول غضب غضباً شديداً
وقال : زنديق ، زنديق ، زنديق . (١)

أي أنّ هذا الكلام هو من مبادئ الزنادقة ومخططاتهم ، يريدون هدم
قواعد الدين وضرئها في الصميم ، لأنهم يعلمون أنه متى تطرّق الشكّ ووصل
الطعن إلى الصحابة والتابعين وطمأء الدين فقد تهدّم بنیان الإسلام وتداعت
أركانها ، فهُم رواتها وحماؤها وحملتها .

(١) (ابن أبي يعلى - طبقات الحنابلة ١ / ٢٨٠) .
(ابن الجوزي - مناقب الإمام أحمد ص ٢٣٣) .

(جهود الخلفاء فى مقاومة الزندقة والإلحاد)

اشترك الخلفاء فى التصدى لآفكار الزنادقة وزعماء الإلحاد ووقفوا
فى وجه من أراد تشويه العقيدة ، ونشر مبادئ الكفر والزندقة وأصدروا فى
حقهم الأحكام الرادعة والعقوبات الزاجرة .

ومن الأفكار التى تصدوا لها وواقبوا أصحابها :

(فكرة التناسخ والحلول) :

حيث نادى بها كثير من الزنادقة - متأثرين بعقائد الفرس وأفكار الوثنية
فى سنة إحدى وأربعين ومائة خرج قوم من أهل خراسان ومن أتباع أبى مسلم
الخراسانى بقرية (راوند) وتسترأوا بالدّين قاصدين طعنه فى صميم عقيدته
فقالوا : إنّ الأرواح تتناسخ وتنتقل من شخص لآخر ، وزعموا أنّ روح آدم عليه
السلام انتقلت إلى أشخاص معينين حتى وصلت أبا مسلم الخراسانى ، ثم
انتقلت منه إلى أبى جعفر المنصور ، وكأنهم أرادوا بذلك إضافة إلى تشويه
العقيدة وتكدير صفاتها - إثارة الناس على خليفتهم ، ودفعهم إلى نقضه
والخروج طيه ، وبذلك تكون فتنة يعود شرّها وضرها على الإسلام والمسلمين .

وكانت خطتهم ترمى إلى تأليه المنصور ، فأظهروا له الإجلال والتقدّيس
ثم زعموا أنه ربهم الذى يطعمهم ويستقيهم ، وأقبلوا نحو قصر المنصور يطوفون به
ويصيحون : أنت أنت ، أى : أنت الله . ويشيرون إلى القصر قائلين :
هذا قصر ربّنا .

فغضب الخليفة لما سمع ، ولم يشعر بنشوة المغرورين المفتونين الذين
لا يهتمهم إلحاد أو زندقة طالما نالوا المكانة والرفعة والقداسة !

ثم أمر بالقبض على رؤسائهم وزجّهم فى السّجن رهنا تهدياً الفتنة فيحكم
فيهم بحكم الشرع فى الزنادقة والملحدين .

لكن الفتنة لم تنته فقد أجمع الزنادقة أمرهم على اقتحام السجن وإخراج أصحابهم ثم محاربة المنصور الذي زعموا أنه ربهم فقام بهم المنصور بنفسه، وتجمع حوله الجند والاتباع وقتلوه ثم جاثمهم الجيوش المسلمة فحمدوا الزنادقة عن آخرهم، وقضوا على الراوندية الطحدة . (١)

ومن الزنادقة الذين نادوا بالحلول والتناسخ : المقنّع الخراساني الذي خرج سنة إحدى وستين ومائة في (مرو) وطلب على عقول من حوله بالجهل والسحر وخذع الناس بذلك حتى ضلّ به خلائق من العمّ البكم . (٢)

وكان من أفكاره القول بالتناسخ والحلول كما قالت الراوندية من قبل ، ثم ادعى الألوهية لنفسه ، وأسقط الفرائض عن أتباعه، وأباح الأموال والنساء، وأغار على أموال المسلمين ، وقتل عدداً منهم فغار عليه الناس ، وتمدّى له العلماء والخلفاء ، وكان ذلك زمن المهديّ فجهّز له جيشاً كبيراً فحاصروه في قلعتهم فاستسلم من أتباعه ما يقرب من ثلاثين ألفاً ، ولم يبق معه سوى ألفين ، ولمّا طال حصارهم ، وأيقن المقنّع بالهلاك - وهم في قلعة محصنة - جمع أهله وساقهم السّم ثم شرب فماتوا جميعاً ، وقيل : إنه أضرم النار في القلعة فأنتست على كلّ من فيها وما فيها ليحوّط على من بقى من أتباعه أنه رُفِعَ ولم يبق له أثر . (٣)

وبهذا قضى المسلمون على حركة المقنّع ، واستراحوا من زندقته والحاده .

-
- (١) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٧٣/٩)
• (وابن الأثير - الكامل في التاريخ ٣٦٥/٤)
• (وابن كثير - البداية والنهاية ٧٥/١٠)
• (وابن خلدون - تاريخ ابن خلدون ١٨٥/٣)
• (وابن تغري بردى - النجوم الزاهرة ٣٤٥/١)
• (وابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب ٢٠٩/١)

(٢) (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٣٢٨/٩)

(والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٥٤)

(٣) انظر : (تاريخ الأمم والملوك ٣٤٢/٩)

• (والفرق بين الفرق ص ٢٥٤)

• (والكامل في التاريخ ٥٨/٥)

• (ووفيات الأعيان ٢٦٣/٢)

• (وسير أعلام النبلاء ٣٠٨/٧)

• (ومرآة الجنان ٣٥٠/١)

ومن رجال الإلحاد والزندقة (بَابِكِ الْخُرَمِيِّ) و (الْمَازِنِيِّ) و (الْأَشْيَيْنِ) ، وكان لهم أتباع كثيرون يُدْعَوْنَ : الْخُرَمِيَّةَ .

أما بابك : فقد ظهر - أولاً - في ناحية أذربيجان منذ خلافة العباسيون فدعا إلى تناسخ الأرواح وإباحة المحرمات ، فكحوا الأمهات والبنات والأخوات ومرفوا بالمحرمة ، لأنهم صهبوا ثيابهم باللون الأحمر ، وصار ذلك شعاراً لهم فاعتبرهم المسلمون زنادقة باطنية على دين المجوس ، ويؤيد ذلك أن الخرمية كانوا يتبعون التقاليد الفارسية القديمة في جميع معاملاتهم ومناسباتهم .

ولم يقتصر أصحاب بابك على الكفر والإلحاد ، بل قتلوا المسلمين وقطعوا الطرق ، واستمرت أيامهم ما يزيد على عشرين سنة ، وهم يعملون في البدايسية بسيرة وتكتم ، إلى أن ظهر أمرهم ، وانتشرت عقائدهم ، وظلم الناس بكفرهم ، فجهز المعتصم جيشاً ضخماً لمجابهة هذه الفتنة التي طال أمدها ، واستمرى داؤها ، وذلك سنة عشرين ومائتين ، فحَقَّ المسلمون جموع (بابك) واستسلم صاغراً ، وأدخل بغداد مقيداً فقتل وصلب . (١)

وأما (الْمَازِنِيُّ) ، فقد كان من أنصار بابك وعلى دينه في الكفر والتناسخ والزندقة ، وكان على اتصال به ، وجرت بينهما مكاتبات ، واشترك الاثنان معهما في مؤامرة الخروج على الخلافة وإظهار دين المجوس ، وذلك عن طريق الكتابة والوسود .

فأظهر المازني زندقته بعد قتل بابك ، ودعا إلى إعادة دولة المجوس ودين الفرس ، وطلب من الناس بيعته ثم ظلم وقتل واعتدى ، فأرسل له المعتصم

(١) (تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٢٤٤ - ٣٠٩)
(والفرق بين العرق ص ٢٦٧)
(والكامل في التاريخ ٥ / ١٨٤ - ٢٣٤)
(ومرج الذهب ٤ / ٥٥)

جيشاً لمقاتلتهم فانتصر المسلمون وأُسِرَ (العازِئِسَارُ) وجيء به إلى بغداد ،
فاُعتَرِفَ بالمكاتباتِ التي جرت بينه وبين بابك والأقشيين ، ففُضِرَ حتى مات ، وشُمِّمَ
صَلْبَ بجانب بابك . (١)

وأما (الأقشيين) ، فقد كانت محاكمته حادثةً عظيمةً في تاريخ الزندقة
حيث قَدَّ له الخليفةُ المعتمدُ جلسةَ المحاكمةِ في قصره ، وذلك في الخامس
من شهر ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائتين للهجرة ، بحضور القاضي
المعتزلي : أحمد بن أبي دؤاد ، والوزير : محمد بن عبد الملك الزيات ،
وبعض أعيان الدولة ، والتهمة الموجهة إليه هي : اعتناق أفكار الإلحاد
والزندقة ، والاتصال ببابك والعازيسار .
وأُدينَ بأدلةٍ دامغةٍ ، وشهدَ عليه شهودٌ مطلعون على كفره .

وأتَّفَحَ من محضر المحاكمة : أن أتباع الأقشيين كانوا يكتبون إليه باللغسة
الأشروسنية ماتفسيره بالعربية : إلى إله الآلهة ، من عبده فلان بن فلان
وكان تعليقه على هذه التهمة : أن القوم كانوا يكتبون لآبيه وجدّه مثل هذا
وله قبل أن يظهر الإسلام فكره أن يضح نفسه ويقلل من شأنها أمامهم فتفسد
عليه طاعتهم .

وثبتَ عليه أنه عثر في بيته على أصنام مكللة بالذهب والجوهر ، وكتبَ فسى
فُضِّلَ دين المجوس ، وفيها الكفر الصريح ، فاعترف بذلك مدّعياً أنه قد ورثه
من آبائه .

-
- (١) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٣٤٨)
(والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٦٨)
(وابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥ / ٢٥٣)
(وابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٩)
(وابن تيمية - النجوم الزاهرة ٢ / ٢٤٧)
(وابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب ٢ / ٥٨)
(واليعقوبي - تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٧٦)
(والمسعودي - مروج الذهب ٤ / ٦١)

وشهد عليه ثقات أنه كان يأكل المنخقة ، ويَزعم أنها أرطبٌ لحمًا من
الذبوحه ، وكان كلُّ أرباعه يقتل شاةً سوداءً ، يضربُ وسطها بالسيف ، ثم
يمشى بين نصفيها ، ويأكلُ لحمها .

وأدين أيضا بتأمره على المسلمين وكرهيته للعرب ، فحكم طيه بالقتل بسبب
زندقته والإحاده ، ومؤامراته ضد المسلمين ، وتنفذ فيه الحكم وصلب بجانب
بابك ومازيَّسار . (١)

وقد هجا الشاعر أبو تمام رؤوس الزندقة الثلاثة : بابك ومازيَّسار والافشين
في قصيدة من غرر قصائده ، ذمهم فيها ، وذكر ما يبيطون من الإلحاد والزندقة ،
وما يعبدون من النار والأصنام ، وأشار إلى كيدهم للدين ، وحقد هم طسي
المسلمين ، وأذكر من قصيدته هذه الأبيات :

الحقَّ أبلجُ والسيفُ عواري فحذارِ من أسدِ العرينِ حذارِ
ثم يحرج طي هؤلاء الزنادقة فيقول :

ما زال سِرَّ الكفرِ بين ضلوعِهِ	حتى اصطلى سِرَّ الزناد الواري
نارًا يساورُ جسمه من حرِّها	لهبٌ كما عصفرتُ شيقَ إزارِ
صلى لها حيا وكان وقودَها	ميتاً ويدخلها مع الفجَّارِ
ولقد شفى الأحشاء من برحائها	أن صارَ بابك جِساَ مازيَّسارِ
سودُ الشباب كأنما نسجت لهم	أيدى السَّمومِ مدارجاً من قِمارِ
كادوا النبوة والهدى فتقطعت	أعناقهم في ذلك المضمارِ . (٢)

(١) انظر : (تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٢٦٢) .

(والكامل في التاريخ ٥ / ٢٥٧ - ٢٦٠) .

(البداية والنهاية ١٠ / ٢٩٢) .

(وشذرات الذهب ٢ / ٥٨) .

(والنجوم الزاهرة ٢ / ٢٤٢) .

(ومروج الذهب ٤ / ٦١) .

(٢) (ديوان أبي تمام ٢ / ١٩٨) .

(ومروج الذهب ٤ / ٦١) .

(المبالغة في المدح إلى درجة الشرك)

إنّ المدح لون من ألوان الشعر سلكه الشعراء ، لبيان مكانة المدوح أو تقريباً إليه ، وطمعاً فيها عنده ، وبالنسبة للشعراء في هذا اللون حتى وقعوا في الكذب واختلاق الأوصاف ، ووقع بعضهم في صور من الكفر والإشراك بالله تعالى عندما وصف مدوحه بما هو من صفات الله تعالى أو من أفعاله ، ومن هؤلاء : عليّ بن جبلة الخراساني الملقب بالعكوك ، فإنه مدح أباً دلف القاسم بن عيسى العجلي (١) بعدة قصائد ، قال في إحداها :

بين مغزاه ومحتضره	إنما الدنيا أبو دلف
ولت الدنيا على أثره	فإذا ولي أبو دلف
بين يديه إلى حضره	كل من في الأرض من عرب
يأتسبها يوم مفتخره (٢)	يرتجيه نيل مكرمة

ولقد عاتبه الخليفة المأمون على إفراطه في مدحه لرجل من رعيته ، ثم قال له :

لا أستحلّ قتلك بهذا ، ولكن بشركتك وكفرك حيث تقول في عبد ذليل :
أنست الذي تنزل الأيأم منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأزاق وأجسال
ذاك الله يفعل له ، أخرجوا لسانه من قفاه ، فقتل عليّ الزندقة . (٣)

(١) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي : صاحب الكرج وأميرها ، كان فارساً شجاعاً مجتهداً له أخبار في حرب بابك الخرمي ، وولي إمرة دمشق للمعتصم وله أخباره في الكرم والفروسية ، مات ببغداد سنة خمس وعشرين ومائتين ، وفي ذريته أمراء وطمعا .

(٢) (الذهبي سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٦٣)

(٣) (ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٦٧)

(٤) (المصدر نفسه)

(الاستهزاء بشعائر الإسلام)

وهذا من عمل الزنادقة الذين يكرهون الدين ، ويُبغضون أهله ، ومُسرف من هؤلاء الحاقدين :

(يزدان بن باذان) الكاتب ، فقد سخر من مناسك الحج ، واستهزأ بالطائفيين حول بيت الله الحرام ، حيث قال :

وما أشبههم إلا بيقر تدوس في البيدر ، وطم الهادي بقوله وزندقته فقتله^(١)

فالاستهتار بالدين والاستهزاء بشعائره وأركانه كفر وزندقة ، لم يسكت عليها العلماء ولا الخلفاء ، بل اجتمعت جهود الجميع على إزالتها وتطهير المجتمع منها .

(الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)

ومن أفعال الزنادقة التي اشتهروا بها وضع الأحاديث ونسبتها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بقصد تغيير أحكام الله تعالى وتأيد مبادئهم وأفكارهم .

ومن الزنادقة الوضاعين : عبد الكريم بن أبي العوجاء، حيث اتهم بالزندقة والعبث في الدين ومحاولة تغيير الأحكام بتحريم ما أحل الله ، وإحلال ما حرم الله ، وحين ظم به والي الكوفة^(٢) أمر بالقبض عليه ، فاعترف ببعض جرائمه ومنها وضع الأحاديث الكثيرة ، وفي هذا يقول :

لقد وضعت أربعة آلاف حديث حلت فيها الحرام ، وحرمت فيها الحلال
لقد فطرتكم يوم صومكم ، وصومتمكم يوم فطركم ، فحكم عليه بالقتل فقتل^(٣) .

(١) انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٢٣) .

(٢) والي الكوفة : محمد بن سليمان العباسي .

(٣) (تاريخ الأمم والملوك ٩ / ٢٨٦) .

(والكامل في التاريخ ٥ / ٢٨) .

(والبداية والنهاية ١٠ / ١١٣) .

ومن هذا القبيل ما فعله زنديق آخر حيث قُبِرَ عليه وأقرَّ أمام الخليفة
الرشيد بما نُسب إليه من الزندقة ، فحُكِّمَ عليه بعد مشورة أهل العلم بالقتل ،
وأمر بضرب عنقه ، فقال الزنديق :
لِمَ تضربُ عنقي ؟

قال الرشيد : لا ربح العباد منك
قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ما فيها حرف نطق به !
فقال الرشيد : فأين أنت - يا عدو الله - من أبي إسحق الغزالي (١) ومجد
الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً . (٢)

وواضح من هذين المثالين - وغيرهما مما روى في هذا الشأن - أن الزنادقة
كانوا يحاولون تحريف الأحكام وتغيير الشرائع ، ولكنهم باؤوا بالفشل ولن
يتمكن أحد من ذلك ، لأن الله تكفل بحفظ ما أنزل من الذكر ، وسخر رجلاً لأ
أكفأ يقومون على خدمة هذا الدين ونفي التحريف والانتحال عنه .
هذا مع أن إقرار ابن أبي العوجاء وغيره في وضعه للأحاديث ، ليس محل
تصديق ، فهو إقرار من زنديق ، قد يُريد به تشكيك المسلمين بحدِيثهم
وسنتهم ، وقد احتاط المسلمون قديماً وحديثاً في قبول مثل هذا الادّعاء ، مع
أنّ طعناً الحديث والجرح والتعديل لم يألوا جهداً في دراسة سند كل حديث
ومتنه ، وإصدار الحكم عليه بدقة متناهية ، وأدلة بيّنة واضحة .

(١) أبو إسحق الغزالي : إبراهيم بن محمد بن الحارث المرابط بشعر المعصية
كان من أئمة الحديث ، حدث عنه الأوزاعي والثوري ، وهما من شيوخه وأبى
المبارك وغيره ، وهو ثقة مأمون إمام صاحب سنة ، وهو الذي أدب أهل الشرف
وظلمهم السنة ، كان يأمر وينهى ويطرده أهل البدع ، مات سنة خمس
وثمانين ومائة ، وقيل ست وثمانين .

(الذهي - تذكرة الحفاظ ١/٢٧٣) و(المبرقعي أخبار من غير ١/٤٤٤)

(والسيوطي - تاريخ الخلفاء - ٢٩٣)

(سير أعلام النبلاء - للذهبي ٨/٤٧٤)

(٢) (السيوطي - تاريخ الخلفاء - ٩٣)

(والذهبي - تذكرة الحفاظ ١/٢٧٣)

فكان عمل الزنادقة عبثاً ، لم يعملوا به إلى ما أرادوا ، وأحبط الله جهودهم
وكان رجال السلف دائماً وشد كل مشكلة من مشكلات الدعوة في مستوى التصدي
والمقاومة ، وقد كللت جهودهم بالنجاح والفوز عقب كل مشكلة .

(زنادقة آخرون)

ووجد في العصر العباسي الأول زنادقة جمعوا أفكاراً كثيرة من الزندقة
تكفي واحدة منها ليستحق^{صاحبها} وصف الزندقة ويكون من الملحدين .

ومن هؤلاء : (بشار بن برد) الذي كان يحضر مجالس المتكلمين
ويستمع إلى مناظراتهم مع الدهريين من المجوس وغيرهم ، وأصحاب الثنوية
من أتباع (ماني) ، ويبدو أن كثيراً من أفكار هؤلاء قد تسربت إليه ،
وقد ظهر عليه من خلال أشعاره ما يدل على ذلك .

بالإضافة إلى قوله بالرجعة أو عودة الإمام المختفى وهي فكرة شيعية ،
وكذلك تكفيره جميع الأمة ، وتفضيله النار على الطين ، وإبليس على آدم ، وهذه
زندقة وكفر .

يقول بشار في بعض ما سبق :

(الأرض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة منذ كانت النار^(١))

ويقول أيضاً :

(إبليس أفضل من أبيكم آدم
النار عنصره وآدم طينه^(٢))
فتنبهوا يا معشر الفجار
والطين لا يسمو بالنار)

(١) انظر : (ديوان بشار بن برد ٩٣/٤ - تحقيق محمد الطاهر بن عاشور
وإثابة اللهبان لابن القيم ٢٣٤/٢)
(والفرق بين الفرق - للبيهقي ص ٥٤)
(والأغنى لآبي الفرج الأصبهاني ١٤٥/٣)

(٢) (ديوان بشار بن برد ٩٢/٤)

وقد رد بعض الشعراء على أبيات بشار هذه فقال صفوان الأنصاري شاعر
المعتزلة يخاطب بشاراً :

(زعمت بأن النار أكرم عنصراً
وتخلق في أرحامها وأرومها
وفي القعر من لج البحار منافع
وفي الأرض تحيا بالحجارة والزند
أطجيب لأحمى بخطر ولا عقسد
من اللؤلؤ المكنون والعنبر السورد =

وحذر علماء السلف من بشار وأمثاله ، ونبهوا إلى سمومه وآثامه ونهوا
الناس عن مجالسته وسماع أشعاره ، لما فيها من إفساد للعقيدة وغواية للرجال
والنساء بمعانيه الخليعة ومجونه وغزله ، حتى إن المعتزلة قاوموه ، ونهوه عن
منكره ، لأن من أصول مذاهبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كما تقدم
فهدّده واصل بن عطاء شيخ المعتزلة ، ودعا الناس إلى قتله وإراحة الأمة
منه ، فقال معرضاً به ومهدّداً له : (أَمَا لِهَذَا الْأَعْمَى الْمَلْحُدِ الشُّنَّافِ
- يعني : صاحب القرط - الْمَكْنَى بِأَبِي مَعَادٍ ، من يقتله !

أما والله لولا أن الغيلة من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه ،
ويقتله في جوف منزله ، وفي يوم حفله ، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلسي
(أو سدوسي) (١) ، ثم طرده عن البصرة ، فلم يرجع حتى توفي عمرو بن عبد (٢)

زيرجد أملك الوري ساق الحشد
لهن مغارات تبجس بالنقصد
تروق وتصبى ذا القناع والزهد
ومن زئبق حي ونوشاد ريسدي
من الارض والاحجار فاخرة المجد
وستلم الحجاج من جنة الخلد
وأبعد خلق الله من طرق الرشيد
طياً وتعزوا كل ذلك إلى ببرد
وطالب ذحل لا يبيت على حقد
وأقرب خلق الله من نسب القرد

= وفي قتل الأجيال خلف مقطم
وفي الحرة الرجال تلقى معادن
من الذهب الإبريز والفضة التسي
وكل فلز من نحاس وأنسك
وكل يواقيت الأنعام وحليها
وفيهما مقام الخلل والركن والسفا
فيما بين حليف الطين واللوم والعمى
أتهجو أبا بكر وتخلع بعسده
كأنك غضبان على الذين كلهم
توايب أقماراً وأنت مشكوة

• انظر : (الفرق بين الفرق - ٥٥)

• (البيان والتبيين ١/ ٢٧ - ٢٩)

• (١) انظر : (الجاحظ - البيان والتبيين ١/ ١٦)

• (وأبا الفرج الأصفهاني - الأغاني ٣/ ١٣٦)

• (٢) انظر : (الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ٧/ ١١٢)

• (وابن خلكان - وفيات الأعيان ١/ ٢٧٣ - ٤٢٦ - ٨/ ٦٤)

• (والذهبي - سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤)

• (وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ٢/ ٥٣)

• (والياقيني - مرآة الجنان ١/ ٣٥٣)

• (والجاحظ - البيان والتبيين ١/ ١٦ - ٢٤)

لكن بشاراً استمر على زندقته وإلحاده ، ولم تُجدِ المواظ والتهديد شيئاً
وعظم الخليفة المهدي بعقيدة بشار وشعره الغزليّ الفاسد فتوده بالقتل إن سمع
منه شيئاً بعد ذلك ، ولم يَتَّبِ بشار ، ولم يُلحَ عا هو فيه ، وشهد أمام المهدي
شهوداً ثقات بأن بشاراً زنديق نطق بالكفر والإلحاد ، فأمر بضربه سبعين
سوطاً ، فمات على إثرها ، ورمى في (البطحَة) بالقرب من البصرة . (١)

ومنهم : (صالحُ بنُ عبد القدوس البصري) الذي كان يميل إلى مذهب
المانوية أصحاب النور والظلمة ، وبلغت به الجرأة إلى أن يحاضر في مسجد
البصرة ، ويشرح أفكاره المانوية ومذاهبهم ، وردّ عليه العلماء ، وأفحموه في كسل
ما يدعونه من الكلام في الجوهر والطبع والأبدان والأرواح .

وكان ابن عبد القدوس يميل إلى الشك في كل شيء ، طغى مذهب السوفسطائيين
اليونانيين من أن الأشياء لا حقيقة لها في نفسها ، ويدلّ على هذا الميل
كتابه الذي ألفه وسماه (كتاب الشكوك)

ومما يروى عنه أيضاً في هذا المعنى : أنه مات له ولد فلقبه أبو الهذيل
العلاف ومعه تلميذه النظام فوجدا الجزع على وجهه ، فسألاه عن ذلك فقال :
إنما أجزع على أنّ ولدي مات ولم يقرأ كتاب الشكوك !

فقال أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك ؟

قال : كتاب وضعته ، من قرأه شك فيها كان ، حتى ليتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم
يكن حتى يظن أنه قد كان .

فقال النظام : فشكّ أنت في موت ابنك ، وأصل على أنه لم يمته وإن مات وشكّ
أيضاً في أنه قرأ هذا الكتاب ، وإن لم يكن قرأه ، فحصر صالح وعجز عن الجواب . (٢)

(١) (ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٦٨/٥) - البطحَة : بالفتح ثم الكسر وهي أرض
واسعة بين واسط والبصرة
(وابن خلكان - وفیات الاعيان ٢٧٢/١)
(والمياضي - مرآة الجنان ٢٥٣/١)
(معجم البلدان ٤٥٠/١)

(٢) انظر : (ابن خلكان - وفیات الاعيان ٤٨١/١ - ٢٦٥/٤)

(وابن النديم - الفهرست - التكملة ص ٢ و ص ٥٣٠ من الكتاب)

ثم إنَّ الخليفة المهديّ اشتدَّ في طلب الزنادقة ، فهرب صالح بن عبيد القدوس من البصرة إلى دمشق ، وظلَّ مستخفياً مدةً ، ثم قبض عليه ، ووضعه في السجن ريثما يُقدَّم للمحاكمة ، ويختلف الرواة في زمن هذه المحاكمة وفي الخليفة الذي قام بها ، فمن قائل : إنه المهديّ ، ومن قائل : إنه الرشيد . لكن الذي يظهر والله أعلم أنَّ الذي حاكمه هو المهدي ، لأن تاريخ قتله كان عام سبعة وستين ومائة ، والخليفة حينئذٍ المهديّ .

وقد ثبت من خلال محاكمته أنه زنديق تعرض للنيل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في زواجه من أم المؤمنين زينب بنت جحش^(١) - رضي الله عنها - ثم استنشدَه المهديّ سينتَهه التي يقول فيها :

لا يبلِغُ الأعداءُ منْ جاهِلِ	ما يبلِغُ الجاهِلُ منْ نَفْسِهِ
والشَيْخُ لا يتركُ أخلاقَهُ	حتَّى يوارى في ثرى رَمِيهِ
إذا ارعوى عاد إلى جهلِهِ	كذي الضنا صاد إلى نكسِهِ
وإنَّ منْ أدبته في السبِّ	كالعودِ يُسقى الماء في غرسِهِ
حتى تراه مورقاً ناضراً	من بعد ما أبصرت من يبسِهِ ^(٢)

فاستعاده الخليفة البيت الثاني ثم قال له :

نحنُ نتمثلُ وصيتك ، وما شهدت به على نفسك من أنك لا تتركُ الزندقة ولا تتحولُ منها أبداً ، فحكمك فيك بحكمك في نفسك ، ثم أمر به فقتلَ وصُلِبَ على الجسر ببغداد عقاباً له وتكبيراً .^(٣)

(١) زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية أم المؤمنين وأمها أميمة بنت عبد المطلب وكانت زينب قد همة الإسلام ، ومن المهاجرات مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة خمس وقيل ثلاث للهجرة وهي بنت خمس وثلاثين سنة ، وكانت قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت زيد بن حارثة مولى - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم طلقها وأنزل فيها : (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) وكانت تفتخر على نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقول : زوجني الله عز وجل من السماء ومناقبها كثيرة ، توفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين سنة ، ودفنت بالبقيع . (النووي - تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٣٤٤) .

(٢) (١) (تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٠٠) (وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٧٣) .

(٢) (وفيات الأعيان ٢ / ٤٩٢) (وتاريخ الخلفاء ص ٢٧٤)

(٣) (وفوات الوفيات ٢ / ١١٦) (والفهرست ص ٤٧٣) .

(وطبقات السمرقند لابن المقفع ص ٨٩) .

ويظهر من خلال ما تقدم: جهودُ الخلفاء في مقاومة الزندقة والإلحاد، وقمع
الناشرين من الكفرة والمارقين ، وهي جهودٌ لا تقل في نتائجها عن جهود الدعاة
في حلّ أنواع المشكلات الناجمة عن الفرق والطوائف المنحرفة ، ولا يُقَلُّ من قيمة
الجهود التي بذلها الخلفاء والولاة في هذا الشأن خوفاً من طغيانهم على ما هم فيه
من المنصب والمكانة حيث اندفعوا للقضاء على كل خارج طغيهم، فهذا أمر
مطلوبٌ من كل خليفة رضى به المسلمون ، أن يكون محافظاً على وحدة الأمة
وقوتها ، وأن يقمع كلّ ثائر يريد تمزيق تلك الوحدة وإضعاف تلك القسوة ،
مع أننا نلصق في مواقفهم من الزنادقة ومحاكماتهم لهم، أن السبب الأكبر في قتلهم
هو الزندقة والإلحاد ، والمروق من الدين ، وهذا ما صرح به العاقلون لعلى بسن
جبله الخراساني وغيره، فإنه قال له حينما مدح رجلاً من الرعية مدحاً رفعه فسوق
أمير المؤمنين : ولا أستحلّ قتلك بهذا ، ولكن بشرتك وكفرك ، فهو لا يقتل
سياسةً وانتقاماً وإنما تدبناً وغيره على التوحيد .

ويمكن القول بأن جميع الخلفاء العباسيين قاموا الزنادقة وتمدوا أفكارهم
ويذلوها الجهود المختلفة لاستتابتهم أو استكمالهم إذا تعين ذلك ، فأبو جعفر
المنصور حارب الراوندية بنفسه بسبب كفرهم وشركهم ، حيث اعتقدوا فيه أنه
ربهم ، فغضب لله تعالى ، وغار على دينه ، وانتصر لعقيدة التوحيد فقتلهم
عن بكرة أبيهم .

فالحاقز على القبر طيهم ثم مقاتلتهم دينياً واضح ، ولولم يكن فيه ذلك
لتركهم يقدسون ويعبدونه ، لكنه خليفة مسلم لا يسره أيُّ مظهر من مظاهر
الإلحاد والزندقة .

وأما ولده المهدي فإنه زاد من مقاومته لهم وتتبعه إياهم نظراً لكثرتهم
وزيادة نشاطهم ، فأمر في قتل الملحدين ، وقام بعمل عظيم في القضاء
على مشكلة الزندقة ، فأنشأ إدارتهم :

— إدارة للبحث عن الزنادقة ومحاكمتهم ، وتضم ديواناً يقوم على تعقبهم
يسمى (ديوان الزنادقة) وعين له مديراً يقوم على شئون هذا الديوان
كما تضم سجناً خاصاً بأهل الزندقة والإلحاد ، فلا يسجن معهم غيرهم
حتى لا يفسدوا عقائد الناس وأخلاقهم .

- وإدارة علمية تقوم على مناظرة الزنادقة ، والردّ عليهم عن طريق الجسدال المشروع وتصنيف الكتب لإبطال شبهاتهم وإظهار ضلالهم ، ويحتبر الخليفة المهدي أول من أمر بتصنيف الكتب للردّ على الزنادقة - وقد شارك المعتزلة في هذا المجال ، وردّوا على أفكار الزنادقة بأسلوب كلامي وفلسفي . (١)

وقد بذلت هاتان الإدارتان جهوداً كبيرة في البحث عن كتب الزنادقة ومصنفات الإلحاد سواء أكانت قديمة مترجمة أو حديثة ، نظراً لأنها مادة فاسدة وكثيراً ما يتلفها الخليفة المهديّ بنفسه في الحال . (٢)

ومن جهود الخليفة المهدي في هذا الشأن ما روى أنه قدّم إليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب فضرب عنقه وأمر بمصلبه ، ثم التفت إلى ولده الهادي وقال له :

(يا بني إن صار الأمر إليك فتجرّد لهذه العبادة (أي الزنادقة - ممن أتباع ماني وغيره) فإنها فرقة تدعو إلى :

تحريم اللحم ، ومسّ الماء الطهور ، وترك قتل الهوامّ تحرجاً وتحوّساً ، ثم إلى عبادة الاثنين : النور والظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات ، والاعتسال بالبول ، وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور ، فارفع فيها الخشب ، وجردّ فيها السيف ، وتقسّر بأمرها إلى الله لا شريك له ، فإني رأيت جدك العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في المنام قلّدي سيفين ، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين) (٣)

(١) (وفيات الأعيان ٤٨١/١ - ٢٦٥/٤) .

(٢) (وتاريخ بغداد ٣٦٧/٣ - ٣٦٩) .

(٣) (والبيان والتبيين ٢٥/١) الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٥ هـ القاهرة نشر مكتبة الخانجي .

(٢) (الكامل في التاريخ ٦٣/٥) .

(والنجوم الزاهرة ٤٥/٢) .

(وشذرات الذهب ٢٥٧/١) .

(٣) (انظر : (الطبري - تاريخ الأمم والملوك ٤٢/١٠) .

(وابن كثير - الكامل في التاريخ ٨١/٥) .

وهذه الوصية كافية في إبراز جهود المهدي ومن بعده ولده الهادي فسي
قصح حركة الزندقة ، والقضاء عليها ، فقد روى عن الهادي قوله حين استخلف :
(لا قتلنَّ هذه الفرقة) (١)

وكذلك سار جميع الخلفاء من بعدهما يتعقبون كل زنديق وملحد، ويُنزلون به
أقسى أنواع العقوبة وهي الموت . (٢)

-
- (١) وكان الهادي قد أمر بتهيئة ألف جذع لمصلب الزنادقة ، لكن خلافة لسم
تطلُّ وماجله الموت قبل أن يُحقق ما أراد .
• انظر المصدرين السابقين .
- (٢) (الخطيب البغدادي ، - تاريخ بغداد ٢٤٣/٥ - ٢١/١٣ - ٢٣ - ١٤ / ٧)
• (المسيوطي - تاريخ الخلفاء - ٢٨٢ - ٢٨٥)
• (وابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢١٥)
• (وأبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور سنة ٢٨٠ هـ -
كتاب بغداد - أقدم ما كتب في تاريخ الخليفة المؤمن - ٢٢ ط / ١٣٨٨ هـ .
• (والجاحظ - البيان والتبيين ٢ / ٢٧٥)

(ملخص أساليب المقاومة)

عرفنا ما تقدم أساليب المقاومة التي واجه بها العلماء والخلفاء رجال
الزندقة وأفكارهم .

وأوجزالان الأساليب لتتضح في الأذهان ، وتجتمع بعد أن ذكرت
متفرقة .

- اهتم العلماء ببيان خطر الزنادقة وعداوتها للدين ، ثم بالحكم على رجالها
بالقتل ، وفي هذا تنفير من الميل إلى الزندقة ، وحث على التوبة والرجوع
إلى الحق والصواب .

- واجتهدوا في رد شبهاتهم ودحض أفكارهم ، وبيان المذهب الصحيح
الذي كان عليه الصحابة وسلف الأمة في جميع القضايا التي تعرض لها
الزندقة ، وهذا الاجتهاد جعل الناس على بينة من دينهم ومعرفة بفساد
آراء الزنادقة وانحراف منهجهم .

- وقاموا بتعقب رجال الزندقة حيث تعاون الخلفاء والعلماء في ذلك ، فالعلماء
مهمتهم الكشف عن الأفكار المعادية للإسلام ومعرفة أصحابها ، والخلفاء
يكملون خطوات المقاومة بإيقاع العقوبة المناسبة عليهم .

- تصنف الكتب التي تُعنى بالرد على أفكار الزنادقة وشبهاتهم ، والكشف
عن ضلالهم ، وخبث سرائرهم ، وبيان أهدافهم ومخططاتهم .

- وهناك أساليب اشترك فيها العلماء والخلفاء وذلك :
بانشاء إدارة للبحث عن الزنادقة والقبض عليهم ومحاكمتهم .
وانشاء سجن خاص بهم ، لإشعارهم بالذل والهوان ، ولتضييق دائرة
ضررهم وحصر شرهم ، وعزلهم عن المجتمع تماماً ، لعلمهم يتوبون إلى الله ،
ولا فصيرهم القتل .

وانشاء إدارة علمية تتولى مناظرتهم وتحدد مدى ضلالهم وانحرافهم .

- ويظهر من هذه الإدارات بعض مظاهر القوة في مقاومة هؤلاء ، فإنه لا يسدّ من استعمال أسلوب القوة عندما يستفحل الداء ويستشرى في المجتمع ، والذي يتولى القيام بهذا الأسلوب هم الخلفاء ، وذلك بإشراف من أهل العلم ومشورة منهم .
- ومن أساليب المقاومة أيضا : الأمر بعلب من قتل من الزنادقة ليكون عبرة لمن اعتبر .
- وهناك أسلوب كان يسلكه المعتزلة كثيراً بسبب اطلاعهم على الكلام والفلسفة وهو : الردّ على الزنادقة بأفكارهم وقواعدهم ، ومن خلال كتبهم ومصنفاتهم ، وذلك كما فعل العلاف والنظام مع صالح بن عبد القدوس ومصنف كتاب الشكوك - فقد ردّ عليه النظام بأسلوب الشكّ الذي هو في كتاب صالح ، وانتقده على حُزنه لموت ولده ، وأفحمه بنظريات الشكّ التي بثّها ابن عبد القدوس في كتابه .
- وللشعراء نصيبٌ في ذمّ الزنادقة وهجائهم ، وذكر الحادهم وما حلّ بهم من عقاب ، والشعر سرّح الانتقال ، قوى التأثير ، وفي قصيدة أبي تمام التي يتحدث فيها عن بابك وما زيار والأفشين وكيف كانت طابقتهم شاهد على أثر الشعر في التنفير من الزندقة ومقاومتها ، وكذلك ردّ المعتزلة طسسى بشار بن برد ونقش أقواله وأشعاره بقصيدة جميلة وقوية في هذا الشأن .
- هذه بعض الأساليب التي استخدمها رجال السلف وخلفاء المسلمين والعلماء في ردودهم على الزنادقة والطحيد بمن وتعدّ بهم لأفكارهم .

الفصل الثالث :

موقف الدعوة من الحادوم الفلسفية

(الفصل الثالث)

(مَوْصُفُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْفَلْسَافِيِّ)

من المشكلات التي واجهتها الدعوة في العصر العباسي : الفلسفة اليونانية والعقائد الوثنية ، التي عُرِّيت في عهد الخليفة المأمون (وأخذها أهل الكلام ، وتعرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ماضلاً به كثير منهم ، وصار الناس فيها أشتاتاً :
قومٌ قبلوها ، وقومٌ يُجِلُّونَ ما فيها ، وقومٌ يعرضونها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق ذلك دون ما خالفه ، وقومٌ يعرضونها على ما جاءت به الرُّسُلُ من الكتاب والحكمة .

وحصل بسبب تعريبها أنواعٌ من الفساد والاضطراب مضموماً إلى ما حصل من التفسير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة (١)

وقبل أن أستعرض مواقف العلماء ورجال السلف من الفلسفة المترجمة ، أجدُ من المناسب النظرُ في كلمة (فلسفة) من حيث أصلها ومعناها .

(١) (الفَلْسَفَةُ) تعتبر هذه الكلمة دخيلة على اللغة العربية ، فهي مأخوذة من الكلمة اليونانية (فيلاسوفيا) ومعناها : مَحَبَّةُ الْحِكْمَةِ أو إِيثارها .
واستعمال العرب للفظ (الفلسفة) وهي يونانية يُشعر بأن مصدر الفلسفة غريب عنهم . (٢)

-
- (١) انظر : (ابن تيمية - بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أو نقض تأسيس الجهمية ١/ ٢٢٤) .
(٢) (ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٦٠٤) تحقيق نزار رضا - ط / بيروت ١٩٦٩ م .
(ومحمد فريد وجدى - دائرة معارف القرن العشرين ٧/ ٤٠٤ - الطبعة الثالثة ١٩٧١ م - دار المعرفة - بيروت .
(ومصطفى عبدالرازق - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٤٩) الطبعة الثالثة - ١٩٦٦ م - مكتبة النهضة المصرية .

- والفلسفة عند أرسطو^(١) : هي البحث عن الموجود بما هو موجود .
- سماها الفلسفة الأولى تمييزاً لها عن الفلسفة الثانية وهي : العليم الطبيعي ونعتهما كذلك بالحكمة ، لأنها تبحث في العليل والمبادئ الأولى .
- وسماها أيضاً بالعلم الإلهي ، لأنَّ أهم مباحثها هو المحرك الأول .
- وأطلق أرسطو الفلسفة على العلم بأوسع معانيه : النظرى من طبيعيات ورياضيات والهيئات ، والعملى من أخلاق وسياسة واقتصاد .^(٢)

وقد كلف فلاسفة اليونان العقل البشري فوق طاقته ، حين أرادوا منه البحث في جميع الأشياء ، والتفكير في كل المجالات ، حتى في العلم الإلهي والمغيبات التي لا يتوصل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي .

ولم تختلف نظرة الفلاسفة في الإسلام إلى الفلسفة عن نظرة من سبقهم ، فالكندي (ت ٢٥٨)^(٣) - مثلاً - وهو أول فيلسوف في الإسلام يُعرِّف الفلسفة

(١) أرسطو بن نيقوماخوس المقدوني الملقب عند الفلاسفة بالمعلم الأول ، لإحاطته بعلوم عصره ووضع قواعد المنطق ، ولد في اصطاغير الايونية على بحر إيجه حوالي ٣٨٤ ق م ، في أسرة عريقة في الطب ، ثم انتقل إلى أثينا وتلمذ لآقلاطون ولقبه آفلاطون (بالعقل) ، ثم أنشأ مدرسة في أثينا عُرفت باسم (لوقيون) وتعود أن يمشى مع تلاميذه يشرح لهم مذهب الفلاسفة ، ولذلك سُموا (المشائين) وسُميت فلسفته (المشائية) ، وألف كتباً كثيرة في المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاق والسياسة .
انظر : (الشهرستاني - الملل والنحل ١١٩/٢) .

(٢) د . عرفان عبد الحميد - الفلسفة في الإسلام ص ٤٢ - دار التربية - بغداد (كتاب لياحة)
للإبراهيمية
ص ٣٢٤

(٣) الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح ، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والموسيقى والهندسة والفلك ، وألف وترجم كتباً كثيرة تزيد على ثلاثمائة ، ووشى به إلى المتوكل العباسي فضرب وأخذت كتبه ثم رُدَّت إليه وذلك بسبب الفلسفة وكان قد أصاب عند العأمون والمعتمم منزلة عظيمة ، مات سنة ٢٦٠ هـ .
ابن القديم - الفهرست ص ٢٥٥ ط / فلوجل ()

في رسالة بعثها الى الخليفة المعتمد فيقول :

(إنَّ أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة : صناعة الفلسفة التي حدّدها : " علم الأشياء " بحقائقها بقدر طاقة الانسان ، لأنَّ غرض الفيلسوف في علمه : إصابة الحق ، وفي عمله : العمل بالحق .
وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة : الفلسفة الأولى ، أعنى : علم الحق الأول -
الذي هو علة كل حق (٠٠٠) (١)

ويعتبرُ الكنديُّ الفيلسوفَ الوحيدَ في العصر العباسي الأول . (٢)

ويبدو أن الفلاسفة في الإسلام وافقوا فلاسفة اليونان في أن مهمة الفيلسوف هي التعرفُ على حقائق الوجود وظله وما هيته عن طريق العقل .
والفلسفة هي الكفيلة بتحقيق ذلك ، وهي عندهم الحكمة .
أما الحكمة في الاسلام فهى : (الإصابة في القول والعمل معاً ، ووضع كلِّ شئٍ موضعه) (٣)

(١) انظر : (الكندي - كتاب الكندي إلى المعتمد في الفلسفة الأولى ص ٧٧)

تحقيق أحمد فؤاد الأهواني - القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

(٢) وعن الكندي أخذ الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) حيث

درس فلسفتها وتتلذذ على كتبهما .

فالفارابي يُعرّف الفلسفة في كتابه (الجمع بين رأى الحكيمين) بقوله :

(إنها العلم بالموجودات بما هي موجودة) ويقسمها إلى أقسام : إلهية

وطبيعية ورياضية ومنطقية . (الفارابي - الجمع بين رأى الحكيمين ص ٨٦)

تحقيق د . البير نصرى نادر - سنة ١٩٥٩ م - بيروت . (وكتابه : العلوم من)

وأما ابن سينا فيعرّفها بقوله : (الحكمة : استكمال النفس الانسانية بتصوير

الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية)

(ابن سينا - كتاب النجاة - القسم الأول ص ٢ - طبعة الكردي سنة ١٩٢٨ م)

وواضح أن تعريف الفارابي وابن سينا مقتبس من تعريف الكندي قبلهما ،

فتعريفه مشتمل على شيئين : الأول علم الأشياء بحقائقها والبحث عن أصولها

والإحاطة بمعانيها .

والثاني : ربط ذلك بطاقة الإنسان وإمكاناته .

(٣) (تفسير الطبري ٤٣٥/١ - ٦٠/٣) دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧١ م

(وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٤١٣/١) على هامش تفسير الطبري المتقدم .

(والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٢٠/٢ - الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ

مطبعة السعادة - مصر . =

وهي كذلك بمعنى السنة (١) والطريق الأول للوصول إلى الحكمة ومعرفتها هو الوحي .

(٢) تعريب العلوم الفلسفية

كانت الأمة العربية أمة أمية ، لا تتعلق بشيء من الصناعات والعلوم إلا قليلاً ، فلما جاءها الاسلام ، ودخل الناس فيه أفواجا اتجه المسلمون نحو تعلم دينهم والدعوة إليه وتكوين النفس والدولة . وانقضت مدة الخلفاء الراشدين في الفتوحات وتأسيس الدولة الإسلامية والتمهيد للدعوة ، وعندهم علوم الدين ، وأحكامه وشرائعه ، وبين أيديهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيهما الخير كله ، ولم يكن لديهم اهتمام بعلوم الأمم الأخرى وثقافتها .

وهيئت الحال كذلك في صدر الدولة الأموية ، حتى وُجد من رجالهم ممن ضيّع بعض الصناعات التي عرفتها الأمم السابقة ، فترجموا شيئاً من كتبها ، وأول من عرف في هذا الجانب : خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٥٨ هـ) (٢) ، الذي كان يُسمى حكيم آل مروان ، وقد اهتم بترجمة كتب الصنعة كالطب والكيمياء دون العلوم الفلسفية الأخرى . (٣)

(=) (ولباب التأويل للخازن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ٨٦/١ - دار المعرفة - بيروت .

- (والتفسير الكبير للرازي ٧٣/٤ طبعة أولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م / دار الفكر)
(وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٤/١ - مطبعة مصطفى محمد - مصر .
- (١) (تفسير الطبري ٤٣٦/١) (وتفسير ابن كثير ١٨٤/١) (وتفسير الرازي ٧٣/٨)
(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : الإمام البارع أبو هاشم القرشي الأموي الدمشقي أخو الخليفة معاوية والفقير عبد الرحمن روى عن أبيه ، وروى عنه رجاء بن حيوة والزهرى وجماعة ، وكان هو وأخوه من صالحى القوم ، ذكر خالد للخلافة عند موت أخيه معاوية لكن مروان بن الحكم غلب على الأمر ، وقيل بتهدد عبد الملك بن مروان خالداً ، وكان خالد يُعرف الكيمياء وصنّف فيها ثلاث رسائل ، لكن هذا غير ثابت ، مات سنة ٨٤ هـ أو بعدها .
(الذهبي - سير أعلام النبلاء ٣٨٢/٤) .
- (٣) (ابن خلدون المقدمة ص ٤٨٠ وما بعدها - ط الرابعة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م =

ولما جاءت الدولة العباسية ، وكان اختلاطها بالفرس أكثر ، لأن دولتهم قامت على اكتساف المسلمين من العوالي والخراسانيين ، وهذا الاختلاط جعل نفوس العباسيين تمسبو إلى الاطلاع على علوم الفرس واليونان ، فكان أبو جعفر المنصور هو أول من عُني بذلك ، واتّجهت عنايته إلى كتب الطب أكثر من غيرها ، وازدادت حركة الترجمة في زمن الخليفة هارون الرشيد ، حيث عُثر على بعض كتب اليونان عند فتح المسلمين للندن الرومية كأنقرة وغيرها ، فأمر بترجمتها كما كان للبرامكة في عصره جهود كبيرة في تعريب كتب الأوائل .

ولما ولي المأمون الخلافة اهتم بحركة الترجمة من اللغات الأخرى - وبخاصة اليونانية والفارسية إلى العربية ، فترجمت الكتب في جميع العلوم : ففى الطب والكيمياء والفلسفة والأخلاق وغيرها ، بعد أن كانت من قبل قاصرة على الطب والكيمياء .

ونالت كتب أرسطو على اختلاف فنونها نصيباً كبيراً من الترجمة فترجمت كتبه فى الإلهيات والمغيبات التى لا يسلم العقل من الخلط والخبث حين يبحث فيها .

(والحق أنّ هذه البحوث فى الإلهيات إنما هو علم الأصنام عند اليونان ، وماهى إلا وثنيتهم القومية التى ترجموها فى لغتهم الفلسفية ، وأضفوا عليها صبغة من الفن ، وما العقول والأفلاك إلا رموز للوثنية الإغريقية القديمة وما أفعالها وحركاتها وتصرفاتها إلا عقائد توارثتها الأجيال عندهم ، ووثنيته تعارض التوحيد ، وتحل محل عقيدة الصفات الإلهية) (١)

= دار الكتب العلمية - بيروت .

و (السيوطى - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ٩ وما بعد ها)

و (ابن النديم - الفهرست ص ٣٣٨) .

و (أحمد أمين - ضحى الإسلام ١ / ٢٧١) .

(١) انظر : (أبى الحسن على الحسنى الندوى - رجال الفكر والدعوة فى

الإسلام ١ / ١٦٣) ط السابعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - دار القلم

الكويست .

وهذه الفلسفة المترجمة والتي أُعجِبَ بها فريقٌ من الناس هي في حقيقتها
تشتملُ على ظنونٍ وتخميناتٍ وطلاسمٍ لفظيةٍ لا حقيقة لها ولا معنى، ولا وجود لها
في الخارج ، وقد كانت أمةُ الإسلام غيبةً بدِينها وأصوله وعلومه - التي لا ظنَّ
فيها ولا تخمين - من تلك العلوم التي هي نتاجُ عقولٍ عاشت في ظلامِ الكفرِ
وظلالِ الوثنية .

(ولكنَّ الذينَ بهرتهمُ براعةُ اليونانِ في المنطقِ والطبيعياتِ والرياضياتِ
أقبلوا على هذهِ الفلسفةِ الإلهيةِ في شيءٍ من التمجيدِ والتقديرِ ، وعلقوها
كصحيفةٍ سماويةٍ ، كأنهمُ لا عهدَ لهمُ بالرسالةِ والبعثةِ المحمديةِ ، وكأنهمُ
ليسوا أصحابَ كتابٍ " لَأَيَاتِهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ " (١) ، وكأنهمُ أمةٌ جاهليةٌ فقيرةٌ في المعاني الدينية والحقائق الإلهية)^(٢)

وقد كانت الترجمةُ قبلَ عصرِ المأمونِ مقصورةً على العلومِ الطبيعيةِ والرياضيةِ
والطبِّ والكيمياءِ .

ويبدو أن الخضرَ من ترجمتها في بادئ الأمرِ هو استقصاءُ التراثِ العلميِّ
للأممِ القديمةِ ، والاستفادةُ من صناعاتهم وخبراتهم .

وكان المسلمون وخلفاؤهم حذرين من كلِّ ما يخالفُ أصولَ الفكرِ الإسلاميِّ
أو يمسُّ عقيدته ، ولهذا فقد أعرضوا ^{عن} الترجمةِ ما يتصلُ بعقائدِ تلكِ الأممِ وآدابها
وفنونها القائمةِ على الأساطيرِ والخرافاتِ والوثنيةِ .

أما في عصرِ المأمونِ فقد اتَّسعتْ دائرةُ الترجمةِ ، فنهلتْ جميعُ العلومِ والآدابِ
حتى الفلسفةُ المختصةُ بالعقائدِ والتي أُطلقَ عليها : الفلسفةُ الإلهيةُ ، مما
أدَّى إلى الابتداعِ في الدين ، وإدخالِ نتاجِ الفلاسفةِ في مسائلِ العقيدةِ ،
فانحرفَ أصحابها عن عقيدةِ السلفِ ، وازدادتِ الخلافاتُ بينَ الفرقِ ، وقسوى
مذهبُ الاعتزالِ ، وأيدَهمُ المأمونُ في اتجاهاتهم العقليةِ وتأويلاتهم

(١) آية رقم (٤٢) من سورة (فصلت) .

(٢) (رجال الفكر والدعوة في الإسلام ١٦٤ / ١) .

الكلامية ، فكشفوا القناع للكلام فيما كان السلف لا يتجرأون عليه ، بل يقفون عند حدِّ التسليم لله عز وجل والتصديق بكل ما أخبر .^(١)

(٣) (أسباب الترجمة)

لم تتم الترجمة دفعة واحدة ، وإنما وجدت على مراحل متتالية وفي عصور مختلفة .

ففي عصر بنى أمية : كلف خالد بن يزيد بن معاوية بعض فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فسي الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي ، وهذا أول نقل كان فسي الإسلام من لغة إلى لغة .^(٢)

ولعل من أسباب الترجمة في ذلك العهد ما ذكره خالد نفسه حينما سئل : لقد جعلت أكثر همك وشغلك في طلب الصنعة فلم ذلك ؟ فقال : (ما أطلب بذلك إلا أن أغني أصحابي وإخواني ، إني طمعت فسي الخلافة فأخترت ذوني ، ظم أجدر منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ، فلا أحوج أحداً يحرفني إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة)^(٣)

فإنه أراد تعويض بعض ما فات من أمر الخلافة ، فأتجه إلى علم الكيمياء والاستفادة من معادن الأرض ، وعلم أن في كتب الأوائل شئ كثير من علوم الصنعة فأراد الاستفادة منه ، ولا يتم ذلك إلا بالترجمة .

(١) محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي الفاسي - الفكر السامي في تاريخ

الفقه الاسلامي ١١/٢ - تحقيق عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاري -

المكتبة العلمية - المدينة المنورة .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ٣٣٨ .

(٣) مصطفى عبدالرازق - تهديد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٤٥ .

(ود . حمدى حيا الله - أثر التفلسف في الفكر الاسلامي ص ٥٩) ط /

أولى سنة ١٢٩٥ هـ ١٩٧٥ م - مطبعة الجبلاوى - مصر .

كما ترجمت بعض كتب الطب فى عهد بنى أمية ، لأن الناس كانوا فى حاجة إلى العلوم الطبيّة لمعرفة التداوى ما كان يصيبهم من الأمراض .

وفى العصر العباسى اتسمت دائرة الترجمة ابتداءً من خلافة المنصور ،
بذلك لعدة أسباب منها :

أولاً : تأثر الخلفاء بأمّياتهم ، وكان معظمهم من الأعجميات الراقصات ،
ومن طبيعة الأمّ أن تحدث أولادها عن خؤولتهم ، فقرب الخلفاء
أخوالهم ، وقرب الأخوال أبناء جلدتهم إرضاءً لعصبيتهم الفارسية ،
فاتسح نفوذهم ، وزينوا للخلفاء علوم أمّتهم ، وشجعوهم على ترجمتها
والاستفادة منها .

ثانياً : مرض بعض الخلفاء - كالمصور مثلاً حيث كان يشتكى معدته ، جعلهم
يستدعون الأطباء ويقرّبونهم ، ويأخذون بنصائحهم وآرائهم مما جعلهم
يهتمون بكتب الطب ، ويكلفون المختصين بترجمتها .

ثالثاً : اتساع الدولة العباسية وكثرة الواردات ووفرة الخراج ، كل ذلك وغيره
جعلهم يهتمون بتنظيم (الشؤون المالية) لضبط حساباتهم ،
ومعرفة واردهم ومصادرهم ، فقرّبوا علماء الرياضيات ، وذلّوا لهم
الأموال لنقل العلوم القديم فى هذا الشأن .

رابعاً : نمو الدولة المطرد ، وعمرانها المتزايد تطلّب منها بناء الجسور -
والسدود وشق الطرق ورفع الصروح وغير ذلك من متطلبات الحضارة
وكثرة السكان فاحتاجوا لأجل ذلك إلى علوم الهندسة والتخطيط ،
فأمروا بترجمة كتبها وتقريب علماء لها .

خامساً : كان لكثرة المناظرات والجدل بين المسلمين وأهل الكتاب أثر فى
البحث عن قواعد منطقية يجابهون بها خصومهم من أهل الكتاب
الذين كان لهم اطلاع على الثقافات القديمة ، ولهذا سأل بعض
الخلفاء الذين عنوا بالعلوم العقلية والفلسفية إلى ترجمة كتب هذا
الفن .

وذلك كالخليفة المأمون الذي كان يتمتع بذكاء نادر ، وشغف بالعلوم ورغبة في الاطلاع والمعرفة ، إضافة إلى صلته بشيوخ الاعتزال (١) ، الذين أغروه بذهابهم واتجاههم العقلي ، وحببوا إليه الفلسفة ، فأقبل عليها ، وعقد المناظرات بشأنها .

- وزاد في إقبال المأمون على الاهتمام بكتب الفلسفة وترجمتها أيضاً :
- تأثره بذهب المعتزلة ، ورغبته في إشباع النزعة العقلية للاطلاع على مزيد من حجج العقل وبراهينه وأقيسته .
 - كذلك رغبته في الحرية الفكرية ، وميله نحو المدارس الكلامية كل ذلك دفعه نحو ترجمة الفلسفة اليونانية لتعزيز مذهبهم في توسيع مجال العقل للاعتماد عليه في سائر القضايا .
 - ويقال : إن من الأسباب التي جعلت المأمون يسرع إلى نقل كتب الفلسفة رؤيا رآها في نومه ، حيث رأى رجلاً أبيض اللون مشرباً حمرة واسع الجبهة ، جالساً على سرير ، فقال له المأمون :
قال : أنا أرسطو ، فسرّبه المأمون وقال له :
أيها الحكيم أسألك ؟
قال : أسأل
قال : ما الحسن عند العقل ؟
قال : ما حسن عند العقل .
قال : ثم ماذا ؟
قال : ما حسن في الشرع .
قال : ثم ماذا ؟
قال : ما حسن عند الجمهور .
قال : ثم ماذا ؟

(١) أمثال : العلاف والنظام وشامة بن شرس ويحيى بن المبارك وأحمد بن أبي

- قال : ثم لائم .
- قال : زدنى .
- قال : طيبك بالتوحيد . (١)

ويبدو أن هذه الرؤيا كانت تعويها لما يجول في نفس الأمون من إكساره للحكما ، ورغبته في معرفة طومهم ، فليس هذا الحلم سوى انعكاس صورة طبيعة لما كان يفكر فيه الأمون في اليقظة ، وما هو إلا أثر لشغفه بأرسطاطاليس وتعاليمه .

- وقد يكون لطبيعة العصر الذي عاشه الأمون أثر ترجمة العلوم الفلسفية ، حيث ان ذلك العصر شهد تطوراً في الحياة العقلية وتعددأ واختلافاً بين الفرق الإسلامية وغير الإسلامية ، وجدلاً ومناظرة في كثير من المسائل الدينية بين الجهمية والجبرية والقدرية والمرجئة وغيرها .

فالواقع الذي يعيشه ذلك العصر كان أحد الأسباب التي دفعت بعض الناس للاطلاع على شروح عقلية في الإلهيات ومذاهب جديدة في تعرف الخير والشر والحسن والقيبح .

ويقال أيضا : إن المسلمين بدأوا في نقل الكتب العلمية التي لاتمسس الدين وعقيدته ، فلما اطمأنوا إلى نفعها وسلامتها ، مالوا إلى نقل ما بقي مسن علوم الأوائل ، واتجهوا إلى نقل الإلهيات وغيرها . (٢)

ولا يمنع أن تكون الأسباب السابقة مجتمعة حوافز دفعت الخلفاء إلى ترجمة علوم الأوائل ، ومنها كتب الفلسفة ، التي غفل الأمون عن أضرارها أو أن ثقافته العقلية وميوله الاعتزالي جعله لا يرى للفلسفة أي ضرر بل يراها نافعة مفيدة ، ولا شك أن هذه الرؤية يخالفها الواقع ولا يقرها علماء السلف الذين علموا أضرار الفلسفة وآثارها على الفرد والمجتمع .

(١) (ابن النديم - الفهرست ص ٢٢٩) .

(٢) انظر : (د . محمد الجبهي - الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص ٢٢٤ وما بعدها ط / الرابعة - ١٩٦٧م - دار الكتاب العربي - القاهرة .
(ود . محمد علي أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ٩٧ وما بعدها ط / الرابعة ١٩٨٥م - دار المعرفة الجامعية / اسكندرية .
(وعبد الشالمى - تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ص ١٥٥ وما بعدها ط / الخامسة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م - دار صادر - بيروت .

(موقف الدعاة من الفلسفة)

(٤)

إذا كانت ترجمة العلوم الفلسفية قد حدثت في زمن المأمون ، فإن ما بقي من العصر العباسي الأول غير كاف لظهور مذهب الفلاسفة كاملاً أمام رجال السلف ، ولهذا فإن أحداً منهم لم يتصد للفلسفة وأفكارها تصدياً تفصيلياً ينقدها وينقش بنائها ، ويبين تهاافتها وضلالها .

ولكن هذا لا يعنى أن لا يكون ثمة موقف لهم تجاه العلوم الفلسفية المترجمة لاسيما وأن آثارها أو بعض آثارها قد ظهر في أفكار الاعتزال ، وفي مناظرات شيوخه ورجاله .

على أن موقف المعارضة الشاملة للفلسفة الإغريقية ابتداءً في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري يوم أن قام الغزالي في كتابه : (تهاافت الفلاسفة) يناوئ الفلسفة والفلاسفة ، وينقدها نقد البصير بها السابر لأقوارها المطلع على عيوبها .

ولاشك أن النزاع بين الإسلام والفلسفة اليونانية قد بدأ منذ اللحظات الأولى لحركة الترجمة ، ولم تخد جذوته إلا بعد أن بلغ أوجه بمنهج ابن تيمية فسى الكشف عن منطق القرآن ، ومروراً بموقف الغزالي في مواجهة الإلهيات اليونانية ، وموقف الإمامين من قبل : الشافعى وابن حنبل .

(معارضة رجال السلف للمنطق اليونانى)

(٥)

يعتبر المنطق اليونانى جزءاً من الفلسفة ، وترجمت كتب في العصر العباسي ، ولم يكن معروفاً قبل ذلك ، ولما اطلع عليه المسلمون لفظه أعتهم ، ونهوا عن الاشتغال به اكتفاءً بمنهج القرآن ومنطقه .

وأول من عارض المنطق اليونانى على أساس دينى ولغوى إنما هو الشافعى - رحمه الله - ، فقد قال : (ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان الغرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس) (١)

ولسان أرسطاطاليس هو منطق وفلسفته المستندة إلى خصائص اللغة اليونانية فجهل الناس واختلافاتهم أدت إلى ظهور بدع وضلالات ، وأسباب هذا الجهل والاختلاف عند الشافعى هى الجهل باللغة العربية وما فيها من وجوه البلاغسة فى علوم المعانى والبيان والبديع وغيرها .

ولم ينزل القرآن ولا جاءت السنة الا على مصطلح العرب وأساليبهم فى المحاوراة والمخاطبة والاحتجاج ، لا على مصطلح يونان ، ومعلوم أن لكل أمة لغة واصطلاح .

يقول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (٢)

والذى يعدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره ، ويخرج الوارد من النصوص الشرعية عليه فقد جهل وضل (ومن أراد تخرج القرآن والسنة على مقتضى قواعد المنطق لم يجب فرض الشرع البتة ، فإن كان فى الفروع نسب إلى الخطأ ، وإن كان فى الأصول نسب إلى البدعة ٠٠٠٠) (٣)

إن قول الشافعى - رحمه الله - الذى تقدم أنفا هو بمثابة أول لبنة فى ربط فكر اللغة العربية بالاسلام فى مواجهة المنطق والفلسفة فى اللغة اليونانية .

ومنطق أرسطو - فى نظر الشافعى - هو منطق اليونان ، أما منطق الفكر الإسلامى ومنطقه فقد وضع الشافعى قواعد الأصول ، ورسم أول خطوط المنهج العلمى الإسلامى ، وذلك فى كتابه (الرسائل) .

(١) (السيوطى - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٥)

(٢) آية رقم (٤) من سورة (ابراهيم)

(٣) (السيوطى - صون المنطق والكلام ص ٢٢)

ويبدو أن موقف الشافعي من المنطق اليوناني لم يكن سلبياً فحسب ، بحيث يقتصر على عدم التأثر به ، بل هاجمه مهاجمة شديدة فهم منها كثير من العلماء أنه يحترمه تحريماً . (١)

ولعل من أسباب مقاومة المنطق اليوناني ومهاجمة رجال السلف له : استناده إلى خصائص اللغة اليونانية ، وهي بلا شك مخالفة في اصطلاحاتها وأساليبها للغة العربية ، ولذلك فإن تطبيق منطق الأولى على الثانية يؤدي إلى تناقض واضطراب .

وقد نسب الشافعي جهل الجاهلين في زمانه ، واختلاف المختلفين ممن ذوى الفرق والطوائف المخالفة لمنهج السلف إلى الاشتغال بمنطق اليونان وفلسفتهم وتبني أفكارهم المنحرفة القائمة على العقل دون استناد إلى الوحى الإلهي المنتزل على أنبيائه ورسله ، فاشتغالهم بهذا الفن وإهمالهم لسان العرب ، والقرآن الكريم الذي نزل به هو الذي أوقعهم في الضلال عن الحق والبعد عن الصواب في مسائل العقيدة وجوانب الفكر الأخرى ، ولم يدركوا أن للعقل حداً ينتهى عنده ، كما أن للبصر حداً ينتهى عنده .
فمن كلف العقل أن يفكر فيما هو غيبي عنه فقد كلفه شططاً ، وأراد منسه الخوض في أمور بالظن والتخمين ، ولهذا فإنه لم يسلم من الخلط والخبثط ومعلوم أن الظن لا يخفى من الحق شيئاً .

ويشهد على صدق كلمة الشافعي - رحمه الله - شواهد كثيرة ، منها :
ما روى من أن عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة جاء إلى أبي عمرو بن العلاء الإمام في اللغة والقراءات وناظره في وجوب عذاب الفاسق ، وأنه لا يجوز العفو عنه بحال - كما تزعم المعتزلة - فقال لابن العلاء : هل يخلف الله وعده ؟
قال : لن يخلف الله وعده .

(١) (السيوطى - صون المنطق والكلام ص ٢٢) .

قال عمرو : يقول الله تعالى - وذكر آية وعهد - (وَمَنْ يَقتُلْ مُؤمِنًا متعمداً
فجزاؤه جهنم خالداً فيها ٠٠٠٠ الآية) (١)
فقال ابن العلاء : من العجمة أتيت ، الوعد غير الإيعاد
ثم أنشد : (وإنى وإن أوعدت أو وعدت لمخلف إيعادى ومنجز موعدى) (٢)

فصلى عمرو وأمثاله من المعتزلة إلى حرية العقل المطلق دون الإحاطة بقواعد
اللغة العربية ، والتسليم التام للنصوص الشرعية ، وإيمان بكل ما أخبر الله عن
نفسه من الأوصاف والأفعال ، هذا الميل والجهل كانا من أسباب الضلال
والانحراف والشذوذ من منهج السنة والجماعة .

(٦) (ذم الفلسفة اجمالاً)

لاشك أن الفلسفة اليونانية تعبر تعبيراً دقيقاً عن المجتمع اليونانى
بكل ما فيه من وثنية وضلالة .

وإذا كانت الفلسفة نابعة من المجتمع ، فإنها تستشغل على صوب ذلك
المجتمع ، ولن تعد وأن تكون صورة دقيقة له تجمع أسراراً وتعبر عنه .

وبناءً على هذا فإن الأمة الإسلامية قد واجهت مشكلات كثيرة من جراء
ترجمة الكتب الفلسفية .

وحين علم رجال السلف أن الفلسفة تحتوى على بدع مخالفة للمنهج الذى
يسيرون عليه - وهو التمسك بالأثر ، والتعديق بكل ماورد ، وتنزيه الله
تعالى عما يلىق به من مشابهة الحوادث وغير ذلك - حين علموا بذلك نهوا
الناس عنها وحذروهم من الإشتغال بها .

(١) آية رقم (٩٣) من سورة (النساء) .

(٢) (اللالكائى - شرح اصول الاعتقاد - ٧٣٧/٤) .

(والخطيب البغدادى - تاريخ بغداد ١٢/ ١٧٥) .

(والسيوطى - صون المنطق والكلام ص ٢٢) .

فقد أثر عن أبي حنيفة - رحمه الله - أنه سئل عما أحدث الناس من الكلام في الاعراض والأجسام ؟ فقال للسائل :
(مقالات الفلاسفة ! طيبك بالأثر وطريقة السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة •) (١)

وكان مالك بن أنس رحمه الله - ينكر الفلسفة والكلام ويقول : (لو كان هذا علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع) (٢)

وأما الشافعي - رحمه الله - فقد سبقت كلمته التي يقول فيها :
(ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس) (٣)

وطارض أبو مشعر البلخي^(٤) الكندي بسبب ميله للكلام واشتغاله بالفلسفة (وكان يضاغته ويخزي به العامة ، ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة ••••) (٥)

ويمكن أن تدلنا هذه الأثار على أن أئمة السلف كانوا يعتبرون مقالات - الفلاسفة من الأشياء المبتدعة التي تخالف منهج الأثر وطريقة السلف ، ولذلك فقد نبذوها ، ونفروا الناس منها •

(١) انظر (محمد بن يوسف الصالحى الدمشقى الشافعى سنة ٩٤٢هـ - عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان ص ١٧٤ - ط / المعارف الشرقية الهند سنة ١٣٩٤هـ)

• (والسيوطي - صون المنطق والكلام ص ٢٢)

(٢) (صون المنطق والكلام ص ٢٣)

(٣)

(٤) أبو معشر : جعفر بن محمد البلخي ، كان من أصحاب الحديث والمتسكين بالأثر وكان ينكر الفلسفة والكلام ، وينهى عن الاشتغال بهما ، وقد أنكسر على الفيلسوف الكندي ما هو فيه ثم دس عليه الكندي من حسن له النظر فى علوم الحساب والهندسة ، ثم اتجه إلى علم النجوم ، توفى بواسط وقصد جاوز المائة وذلك سنة ٢٧٢هـ ، وله من الكتب المدخل الكبير والمدخل الصغير ، وهيئة الفلك واختلاف طلوعه وإثبات علم النجوم وكتب أخرى •

انظر : (ابن النديم - فهرست ص ٢٨٦)

(٥) (المصدر نفسه)

ويرى الإمام مالك أن العلوم الفلسفية ليست جديرة بأن تسمى علماً لأن العلم في نظره ما كان مفيداً ونافعاً ، وسبق أن تكلم فيه الصحابة والتابعون أو أشاروا إليه ، وما لم يكن كذلك فليس بالعلم الذي يعتبر خيراً محضاً بل هو متضمن للشر والأذى ، وما فيه من نفع فهو موجود في القرآن والسنة والعلوم الإسلامية .

وأما الإمام الشافعي فقد جعل إثارة تعلم المنطق والفلسفة على علوم الدين واللغة سبباً للجهل والضلال والاختلاف ، وتبدو غير الشافعي - رحمه الله - على الأمة الإسلامية ومقوماتها ، إذ بحث على الإقبال نحو علوم الدين وأصوله ، والتعمق في أسرار اللغة العربية ، وبخاصة عندما تتداخل الحضارات ، وتختلط الثقافات ، ولكن - للأسف - نجد بعض النفوس البشرية تهوى كل جديد ، ولو كان ذلك على حساب دينها ومقومات حضارتها وتاريخ أمتها ولا يفهم من كلام الشافعي البعد عن كل ما سوى العلوم الشرعية !

ببل إنه - رحمه الله - كان يحنى كثيراً بعلوم اللغة العربية وأسرارها ، وفن الشعر وأخبار الناس ، وطب الطب والفراسة وغيرها من العلوم الأخرى .

لقد كره السلف الصالح علوم اليونان وأشبابها المبنية على الوثنية ، -
والمقدسة للعقل ، والبهيمة عن الوحي وعلوم الأنبياء .

فكانوا يرون آثار الفلسفة في مناهج المتأثرين بها والمتبعين لأساليبها الذين حولوا اتجاه القرآن نفسه إلى نوع من الثقافة العقلية والبراهين المنطقية ، ودرسوا القرآن على النحو الذي يدرسون به الحساب والهندسة والهيئسة ، فأضروا بدِينهم ، ونتج عن ذلك تعقيد العقيدة الإسلامية السهلة بما أدخلوا إليها من أفكار الفلاسفة وأساليب المتكلمين الذين نظروا إلى آيات القرآن بمنظار مادّي فلسفي ، فإذا مرّوا بآية فيها ذكر الرد والبرق فسّروها بما توصلوا إليه من علم الظواهر الجوية .

وإذا سمعوا آية في السماء والنجوم طبّقوا ما طمّوا من علم الهيئسة . (١)

(١) (أحمد أمين - ضحى الاسلام ١ / ٣٦٩ وما بعدها) .

ولاريب أن هذا المنهج العقلى العادى بعيد عن روح الإسلام وحقيقته
ومخالفة لمنهج السلف القائم على الإيمان المطلق بما فى الكتاب والسنة دون -
تأويل أو تعطيل أو ابتداع .

(٧) مقاومة بعض الأفكار الفلسفية

إن أخطر ما تكلم فيه الفلاسفة بغير علم ولا هدى (هو ذات الله تعالى
وصفاته) وقد اطلع المعتزلة على آرائهم فى هذا الباب فتأثروا بهم ، وقالوا
كقولهم .

أما رأى الفلاسفة فى هذه المسألة فيتلخص بقولهم :

(٨) (لا يجوز أن يكون له - أى لله تعالى - صفة زائدة على الذات ، لأنه
إن كان يتقوم وجوده بتلك الصفة ، حتى يبطل وجوده بتقدير عدمها فقد تعلق
بها ، وصار مركباً من أجزاء لا تلتئم ذاتها إلا بمجموعها ، وكل مركب من أجزاء
معلول ، وإن كان لا يلزم عدمه من تقدير عدم تلك الصفة فهى عرضية فيه ،
كالعلم فى الإنسان - مثلاً - وذلك محال . لأن كل عرضى معلول كما سبق) (١)

وسار الفلاسفة فى الإسلام على المنهج نفسه الذى سار عليه الفلاسفة
السابقون بالنسبة لإنكار الصفات ، فأنكروا تعددها - زاعمين التنزيه - ووقعوا
فى تناقض عجيب حين قالوا : إن الصفات والذات شئ واحد ، ولا يراد بالصفات
غير الذات ، وهذا يعنى أن العلم هو العالم والقدرة هى القادر والارادة هى
المريد ، وذلك مردود عقلاً ونقلًا ولغةً . (٢)

(١) (الخزالي - مقاصد الفلاسفة ص ٢١٤) .

(٢) (الأشعري - مقالات الاسلاميين ١ / ٤٨٥) .

(وابن قتيبة - الاختلاف فى اللفظ من كتاب عقائد السلف ص ٢٣٢) .

(والشهرستاني - الملل والنحل ١ / ٣٠) .

وتكلم الفلاسفة فى الجوهر والجسم والعرض وأطلقوا على الله تعالى اسم
الجوهر وردّ السلف الصالح هذه الأفكار ، ومنعوا من استعمال تلك الألفاظ
فيقول الشافعى - رحمه الله - : (واعلموا أن الله تعالى ليس بجوهر ولا بجسم
ولا عرض والدليل عليه : هو أن الجوهر أصل الشئ ، وهو ما يتركب منه الجسم ،
ومنه يقال : ثوب جوهرى ، إذا كان أصلياً ، والبارى محال أن يتركب منه
شئ حتى يكون جوهرًا ، لأن الجواهر لا تنفك عن الحوادث والحركة والسكون
والألوان والطعوم والروائح وغير ذلك ، والقديم سبحانه وتعالى يستحيل عليه
الحوادث فبان أنه ليس بجوهر ، ومحال أن يكون جسمًا ، لأن الجسم هو
المجتمع المؤلف منه قول أهل اللغة : هذا جسم ، وذاك أجسم منه ، فيصفونه
بالمبالغة إذا كثرتأليفه واجتماعه)

ومحال أن يكون عرضاً ، لأن العرض ما يستحيل عليه البقاء ، أو يقلّ بقاءه ،
والبارى سبحانه واجب البقاء ، دائم الوجود ، مستحيل العدم ، قال الله
تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (١) (٢) .

ورد الشافعى - رحمه الله - على إنكار الفلاسفة للصفات ، واعتبر من المحال
وجود عالم بخير طم وقادر بخير قدرة ، وفدّ هذه الفكرة الفلسفية الاعتزالية
الجهمية ، يقول رحمه الله :

(واعلموا أن البارى حيّ بحياة ، عالم بعلم ، قادر بقدرة ، سميع بسمع ،
بصير ببصر ، متكلم بكلام ، باق ببقاء ، وهذه صفات أزلية موجودة بذاته ،
يعنى : ليست بعرض حادثة ولا محدثة

لم يزل ولا يزال بهذه الصفات ، ولا يشبه شئ منها شيئاً من صفات المخلوقين
كما لا تشبه ذاته ذات المخلوقين)

ومحال وجود القدرة والعلم وغيرهما من الصفات مع عدم القادر والعالم
وكذلك محال وجود العالم والقادر مع عدم القدرة والعلم)

(١) آية رقم (٢٦ - ٢٧) من سورة (الرحمن) .

(٢) (الشافعى - الفقه الأكبر ص ١٢) ط / الثالثة : مكتبة محمد طى صبيح -

ميدان الأزهر - مصر - وهو مطبوع مع الفقه الأكبر لآبى حنيفة فى كتاب واحد .

قال الله تعالى : (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ)^(١)
وقال : (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ)^(٢)
وقال : (ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ)^(٣)

فأثبت الله تعالى لنفسه العلم والقدرة ، فيجب علينا أن نثبتها له كما
أثبتها لنفسه ، ومانعاً عن نفسه ، يجب علينا ففيه ، قال الله تعالى :
(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)^(٤) ، لأن نفي ما أثبتته لنفسه لإثبات مانعاً عن نفسه وذلك
محال)^(٥)

وهذه ردود صريحة مقترنه بالأدلة الواضحة ، لنقض رأي الفلاسفة حول
الذات والصفات والجوهر والعرض ، يسوقها الشافعي ، ليقرر مذهب السلف
في هذه المسائل ، ويبطل ما عدها من آراء المنحرفين الذين اعتمدوا على
العقل المجرد في أمور غيبية ليس لها مثال أو مشابه في الواقع والمحسوس ،
لأن الله تعالى ليس كمثل شيء ، ولا يشبهه شيء من المخلوقات ولا من صفاتهم .
(ولم يكره السلف التكلم بالجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لمجرد كونه
اصطلاحاً جديداً على معان صحيحة ، كاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة ،
ولا كرهوا أيضاً الدلالة على الحق والحاجة لأهل الباطل ، بل كرهوه لاشتغالهم
على أمور كاذبة مخالفة للحق ، ومن ذلك : مخالفتها الكتاب والسنة
ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين فضلاً عن
طوائفهم)^(٦)

وردت الامام أحمد بن حنبل على هذه الفكرة الفلسفية ممثلة في (الجهم)
الذي تبناها ودعا إليها واشتهر بها حتى قيل : الجهمية المعطلة ، أي -

-
- (١) آية رقم (١٦٦) من سورة (النساء) .
 - (٢) آية رقم (١١) من سورة (فاطر) ، آية رقم (٤٧) من سورة (فصلت) .
 - (٣) آية رقم (٥٨) من سورة (الذاريات) .
 - (٤) آية رقم (٢) من سورة (الاخلاص) .
 - (٥) (الشافعي - الفقه الأكبر ص ١٤) .
 - (٦) (ابن ابي العزالدمشقي - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣) .

الذين مطلقوا الصفات ونفوها عن الذات الإلهية .

يقول أحمد - رحمه الله - في نقد هذا الرأي ونقضه : (وكان مما بلغنا من أمر الجهم - عدو الله - أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله تعالى ، فلقى أناسا من المشركين يقال لهم : (السمنية^(١)) فعرفوا الجهم فقالوا له :

نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له :

ألست تزعم أن لك إلهًا ؟

قال الجهم : نعم .

فقالوا له : فهل رأيت إلهك ؟

قال : لا

قالوا : فهل سمعت كلامه ؟

قال : لا

قالوا : فشممت له رائحة ؟

قال : لا

قالوا : فوجدت له حسا ؟

قال : لا

قالوا : فوجدت له مجسًا ؟

قال : لا

قالوا : فما يدريك أنه إله ؟!

قال : فتحير الجهم ، فلم يدر - أربعين يومًا - من يعبد !

ثم إنه استدل حجة مثل حجة زنادقة النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله ، فإذا أراد أن -

(١) السمنية : قوم من المشركين يقولون بالتناسخ ، وهم بوذية يميلون إلى

الفلسفة ، وينسبون إلى بلدة بالهند تسمى (سومنات) .

انظر : (عقائد السلف لعلی سامی النشار ص ٦٥) .

يحدث أمراً دخل في بعض خلقه ، فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما يشاء وينهى ما شاء ، وهو روح غائبة عن الأبصار .

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمنى :

ألست تزعم أن فيك روحاً ؟ قال : نعم ، فقال : هل رأيت روحك ؟ قال : لا ، قال : فكذلك الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم

له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان .

ووجد ثلاث آيات من المتشابهة : قوله تعالى :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١)

وقوله : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) (٢)

وقوله : لَأَتُذَكَّرُكَ الْأَبْعَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْعَارَ) (٣)

فبنى أصل كلامه على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه ، أو حدث عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، كان كافراً ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشراً كثيراً (٤)

ثم ناقشهم الإمام أحمد ، وأظهر ضلال رأيهم فقال :

(فإذا قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق .

فقلنا : هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق ، هو مجهول لا يعرف بصفة ؟

قالوا : نعم ، فقلنا : قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء وإنما تدفحون

عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه .

ثم قلنا لهم : هذا الذي يدبر الأمر هو الذي كلم موسى .

قالوا : لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله

منفية .

(١) آية رقم (١١) من سورة (الشورى) .

(٢) آية رقم (٣) من سورة (الأنعام) .

(٣) آية رقم (١٠٣) من سورة (الأنعام) .

(٤) (أحمد بن حنبل - الرد على الجهمية والزنادقة - من كتاب عقائد السلف

فاذا سمح الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ،
ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر ، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم
إلا فريسة في اللة . (١)

ويظهر من كلام أحمد . رحمه الله - أن الفلاسفة ومن تبعهم من الجهمية
والمعتزلة ظنوا أن صفات الله تعالى كصفات خلقه ، تستلزم أن يكون الموصف بها
جسماً ، ولهذا نفوا أن تكون له صفة ، وجعلوا من أثبت الصفة مشبهاً !

وبين الإمام أحمد فساد هذا الظن ، وأن من يقول هذا القول فقد ضل
وكفر وليس تعظيم الله وتنزيهه برّد كلامه ونفي صفاته ، وإنما بتعديده وتعدي يسوق
رسوله - صلى الله عليه وسلم - والإيمان بكل ما ورد في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة .

وهذه الفكرة الفلسفية إنما هي رأى لبعض الفلاسفة الذين كانوا يحتسبون
بوجود الله تعالى ، طمأ بأن أكثرهم مشركون ، كانوا يعبدون آلهة أخرى ويزعمون
أنها تسكن فوق السحاب ، وأن كل إله يختص ببعض الظواهر الكونية .

فالشمس وشروقها ومسيرها نحو المغرب كل ذلك - عندهم - من فعل
الإله (أبولسو) وهطول المطر وما يتعلق به من رعد وبرق وثلوج من فعل الإله
(حوبيتر) ، وهناك آلهة للحب والجمال ، والحكمة والحرب ، وكلها فسي
نظرهم لا تتورع عن الشر والحسد والصراع على ملذات الحياة ، وقد أقاموا لها
هياكل وتماثيل ودعوا من دون الله تعالى .

كما اعتقد الفلاسفة بأن الملائكة هي العقول العشرة أو القوى العالحة في
النفس ، وأنها قديمة أزلية ، وأن العقل رب ما سواه ، إلى آخر اعتقاداتهم
الوثنية التي تؤكد فساد فلسفتهم المتصلة في أمور الإلهيات والعقائد ، والتي
حاربها السلف الصالح ، وحذروا من أضرارها ونتائجها . (٢)

(١) أحمد بن حنبل - الرد على الجهمية والزندقة - من مجموعة عقائد السلف

لعلى سامى النشار ص ٦٥ - وما بعدها) .

(٢) مقاصد الفلاسفة للخرالبي ص ٢٩٠ (ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠٤/٩)

(ودر تعارض العقل والنقل ١٢٢/١) (وصون المنطق والكلام للسيوطى ص ٢٢٠)

(شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧١)

(الملل والنحل للشهرستاني ٤٩/٢ - ومعارفة الفلاسفة للشهرستاني ص ٨٨)

وها مش ص ٦٦) .

وهكذا فقد تصدّى رجال السلف لمنكرى الصفات من الفلاسفة والجهميين
والمعتزلة وردّوا عليهم ، وأبطلوا شبهاتهم ، ودعوا إلى المنهج الحق الذى كان
عليه الصحابة والتابعون ، وتؤيده النصوص من الكتاب والسنة .
وليس إنكار الصفات إلا رأيا فلسفيا تسرّب إلى صفوف المسلمين .

وأستطيع أن أقول : إن مقاومة السلف وتمدّ بهم للمعتزلين والمنكرين
للصفات يعتبر أول خطوة فى الرد على النزعات الفلسفية فى تاريخ الإسلام ذلك
الرد الذى توسع فيه من جاء بعد ذلك من الخلف الذى لم يستطع التخلص من
آثار الفلسفة تمام التخلص على الرغم من نقض لها ومدافعتها كما فعل الكثيرون
من أصحاب المقالات .

ومن نماذج السلف الناقدة التى تصدّت لكثير من أفكار الزنادقة
والفلاسفة والطبيعيين والملحدّين : الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -
فى كتب كثيرة من أشهرها فى هذا المجال (الرد على الجهمية والزنادقة)
وكثير من رجال السلف الذين نفوا عن الدين ما ليس منه من الآراء الدخيلة
والأمور المبتدعة .

(ب) (دَعْوَى قَدَمِ الْعَالَمِ) (١)

يرى أرسطو ومن تابعه أن العالم قديم ، وأن الحركات الدورانية
سرورية . (٢)

ويرى أصحاب الاتجاه المادى الصرف أن العالم المادى أزلى أبدي -
بجواهره وأعراضه ، تسيّره قوانين ذاتية آلية ، ويقولون : إنه موجود بنفسه
ولم يوجد له أحد ، وهؤلاء صنف من الفلاسفة يسميهم المسلمون (الدهريين
والزنادقة)

(ومن أصناف الفلاسفة : الدهريون ، وهم طائفة من الأقدميين جسدوا
الصانع العديم العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه
ويلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، وكذلك يكون
أبداً ، وهؤلاء هم الزنادقة) (٣)

وقد اختلفت الفلاسفة فى مسألة قدم العالم ، لكن الذى استقر عليه جماهيرهم
من المتقدمين والمتأخرين هو القول بقدمه ، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى -
عند من يؤمن بوجوه عز وجل - ومعلولاً له ومساوقاً له غير متأخر عنه بالزمان ،
مساوقة المعلول للعلة ، ومساوقة النور للشمس ، وتقدم البارى عليه كتقدم العلة
على المعلول ، وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان . (٤)

(١) هذه المسألة هى إحدى ثلاث مسائل كفر الغزالي رحمه الله الفلاسفة لأجلها
وهى : إنكار علم الله تعالى للجزئيات ، وإنكار حشر الأجساد ، والقول بقدم
العالم :

انظر : (الغزالي - تهاافت الفلاسفة ص ٦ - ٥٣ - ٨١) .

(والشهرستاني - معارفة الفلاسفة ص ٩٨) .

(والرازي - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١) .

(وابن تيمية - درء تعارض العقل والنقل ١٦٧/٢) ٣٩٨/٣٩٧/٩

(والرازي - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١) .

(٢) (المصادر الأئمة الذكر) .

(٣) الغزالي - المنقذ من الضلال ص ٨٧ ط / الخامسة سنة ١٣٨٥ هـ - تحقيق

د . عبدالحليم محمود) .

(٤) (الغزالي - تهاافت الفلاسفة - المسألة الأولى ص ٧٤) .

وقد أجمع أئمة السلف والمسلمون كافة من المحدثين والفقهاء وغيرهم على أن العالم - وهو ما سوى الله تعالى - حادث بقدره الله عز وجل بعد أن لم يكن أى وجود بعد العدم بعديه زمانية ، والمخالف فى هذاهم الفلاسفة .

وقد رد أهل السنة هذه الفكرة الفلسفية ، وأثبتوا بطلانها ، وكون جميع الأشياء مخلوقة لله تعالى حادثه بعد أن لم تكن ، والله وحده الأول الذى لاشئ قبله .

ورد المعتزلة أيضا مسألة قديم العالم ، لكن فريقاً منهم لم يستطع أن يتخلص من آثار الفلسفة ، فأقر أن الله خلق العالم من العدم ، ورأى هذا الفريق أن المعدوم شئ معلوم ومذكور ، وقال : إن الجواهر كانت فى حال عدمها جواهر والأعراض كانت فى حال عدمها أعراضاً ، وقولهم هذا يلزمهم أن يقولوا إنها موجودة فى الأزل ، ويصيرون فى التحقيق إلى معنى قول الذين قالوا بقديم الجواهر والأعراض وهم بعض الفلاسفة أو أكثرهم . (١)

ويمكن القول بأن السلف الصالح كرهوا الإشتغال بالفلسفة والمنطوق اليونانيين لما عرفوا من احتواء تلك العلوم على الشرك والوثنية ، ولما تورطوا فيه من ابتداع أمور مخالفة لما جاء فى الكتاب والسنة ، وذلك وبسبب الاعتاد الكلى على العقل ، وتكليفه البحث فى أمور الإلهيات والعقائد والغيبيات .

(وقد صرح أساطين الفلسفة أن العلوم الإلهية لا سبيل فيها إلى اليقين ، وإنما يتكلم فيها بالآخرى والأخلق ، فليس معهم فيها إلا الظن " وإن الظن لا يخفى من الحق شيئاً " (٢) (٣)

(١) انظر : (البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٨٠)
(وابن حزم - الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١٥٦/٥ وما بعدها
تحقيق د . محمد ابراهيم نصر ، ود . عبدالرحمن صيرة - الطبعة
الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م - دار عكاظ - جدة

(٢) آية رقم (٢٨) من سورة (النجم) .

(٣) (ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٣٦/٩) .

(٨) (علم الكلام وصلته بالفلسفة)

يختلف علم الكلام عن الفلسفة من الأصل والنشأة ، فعلم الكلام تدريجياً على شكل مسائل متفرقة ، حيث تُثار مسألة فتختلف فيها الآراء ، كالذى حدث فى مسألة مرتكب الكبيرة وغيرها من المسائل التى كانت تتباين فيها آراء الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم .

وهكذا كانت المسائل المتفرقة تثار ثم يتكون المذهب تدريجياً ، وكلمة تقدم العصر أثيرت مسائل جديدة ، ووضعت لها حلول جديدة أيضاً .

أما الفلسفة فى الإسلام فلم تكن كذلك ، وإنما قطعت شوط النشأة ضد اليونان ، ثم نقلت كاملة أو شبه كاملة .

والجديد فيها : إنما كان اشتغال المسلمين بها وتفهمها وشرحها والتعليق عليها وتهذيب بعض أفكارها ، وابتداء بعض الآراء فيها ، ثم محاولة التوفيق بين قضاياها والقضايا الإسلامية .

ولهذا اعتبر أكثر الكتاب والمؤرخين علم الكلام علماً إسلامياً نشأ بخلاف الفلسفة . (١)

لكن هذا لا يعنى أن علم الكلام تابع من الكتاب والسنة ، بل مختلف معها كاختلاف أهل الأثر مع المتكلمين .

ولا يعنى أيضاً أنه غير متأثر بشئ من العلوم القديمة ، بل هو متأثر بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطى ، فشيوخ المعتزلة قد طالعوا كتب

(١) انظر : (احمد امين - ضحى الاسلام ٢٠/٣)

(ود . سليمان دنيا - التفكير الفلسفى الاسلامى ص ٢٢٦)

(ود . حمدى حيا الله - أثر التفلسف فى الفكر الاسلامى ص ٦١) .

(ود . توفيق الطويل - العرب والعلم فى عصر الاسلام الذهيب ص ٦٤)

(ود . على سامر النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ٦٠/١)

الفلاسفة بعد ترجمتها ، ووصل بعضها فيها قبل ذلك بواسطة الأشخاص ،
فخلطت المعتزلة مناهجها بمناهج الكلام ، وأفردتها فناً من فنون العلم
وسميتها باسم الكلام . (١)

ومن الثابت أن "علم الكلام" عرف منذ بدايته سلاحاً في أيدي المعتزلة
ومنهجاً يتناولون على أساسه أمور العقائد ، ويجادلون خصومهم من المسلمين
وغيرهم بسلاح الكلام المعتمد على العقل والتأويل ، والمتأثر بالفلسفة والمنطق .

ويبدو أن كثيراً من علماء أهل السنة تأثروا بهذا العلم ، وذلك بعد القرون
الثلاثة الأولى ، حيث بدأوا يقاومون المعتزلة بسلاحهم الكلامي
لكن هذه المقاومة تختلف عن مقاومة السلف حيث اقتصر على بيان السنّة
والدعوة إلى التمسك بالآثار بأسلوب قرآني ، بعيد عن أساليب الكلام ومقدمات
المنطق الأجنبي .

(P) (تعريف علم الكلام)

عرف العلماء "علم الكلام" ، وأشاروا في تعريفهم إلى مخالفته لمنهج
السلف ، حيث اعتمد على الفلسفة والمنطق اليونانيين في مسائل العقيدة
والدين .

فعلم الكلام هو : (علم تقرير أصول الدين بالفلسفة العقلية التي
قادت بها علم المنطق وعلوم الأوائل) (٢)

أو هو (صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرته الآراء والأفعال المحدودة ،
وتزييف كل ما خالفها) (٣)

(١) (الشهرستاني - الملل والنحل ١/ ٣٠-٤٦-٤٩-٥٣-٦٥-٦٧) .
(٢) انظر : (محمد فريد وجدى - دائرة معارف القرن العشرين ١٧٤/٨ -
مادة (كلم - علم الكلام)) .
(٣) (أبا نصر الفارابي - احكام العلوم - تحقيق د . عثمان أمين - مكتبة
الانجلو المصرية - ط الثالثة سنة ١٩٦٨ م .

والتعريف الأول أوضح وأدق من الثانى - فيما أرى - لأنه يقيد علم الكلام بكونه يبحث فى أصول الدين وأمور العقيدة عن طريق الفلسفة والمنطق وقواعدهما ، وهذا هو حال علم الكلام .

أما التعريف الثانى فهو عام قد يشمل غير المعرف من كل منهج وطريق يستطيع صاحبه إظهار آرائه والاستدلال عليها وإبطال ما خالفها ، وليس هذا خاصاً بعلم الكلام .

فالمعتزلة وأشباههم اعتمدوا على العقل اعتماداً كبيراً لدرجة أنهم صرفوا النصوص عن ظاهرها ، ونفوا عن الله تعالى ما وصف به نفسه ، سيراً وراء الاجتهاد العقلى المجرد مقرونًا بالتنزيه المزعوم ، وهذا المنهج مخالف لما كان عليه السلف من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - مع تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، ثم امرار النصوص والتصديق بها كما وردت دون تشبيهه أو تعطيل .

وقد أطلق البعض على (علم الكلام) علم أصول الدين !
(وهذا اسم عظيم ، والمسئى به فيه من فساد الدين ما لله به عظيم ،
فإذا أنكر أهل السنة والحق ذلك قال المبطل :
قد أنكروا أصول الدين ، وهم لم ينكروا ما يستحق أن يسمى أصول الدين وإنما أنكروا ما سماه هذا أصول الدين ، وهى أسماء سموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان ، فالدين ما شره الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد بين أصوله وفروعه ، ومن المحال أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد بين فروع الدين دون أصوله) (١)

وربما قيد البعض صحة هذا العلم بشروط : أن يكون القصد منه

(١) (ابن تيمية - نقر المنطق ص ٤٧ - تحقيق محمد عبدالرازق حمزة - سليمان الصنيع - ط / الأولى - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م تصحيح محمد حامد الفقى .

تأكيد الشرع بالعقل ، وأن تكون العقيدة ما ورد في الكتاب والسنة ، بحيث لو تخلف أحد الشرطين لا يسمى كلاماً أصلاً . (١)

وهذا القول ، وإن كان قريباً من منهج السلف الراض لكل كلام مخالفاً للشرع لكنه رأى متأخر عن القرون الثلاثة التي شهدت ذمّ رجال السلف جميعاً لعلم الكلام ، ونهيبهم عن تعلّمه أو الاشتغال به .

(ب) (سبب تسميته علم الكلام)

ذكر العلماء عدة أسباب لهذه التسمية منها :

أولاً : لأن أهم مسألة وقع فيها الخلاف في العصور الأولى هي (مسألة الكلام) أي : كلام الله تعالى وهل هو قديم أو حادث ؟ ، وما تبع ذلك من فتن القول بخلق القرآن المتعلقة بالكلام .

ثانياً : أن المعتزلة سئوه بذلك مقابلة للفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق ، فالمنطق والكلام مترادفان .

ثالثاً : لأن مبناه على الكلام العرف في المناظرات والجدل في العقائد ، ولا يرجع إلى عمل ، ومعلوم أن منهج السلف كثرة العمل وقلّة الكلام والمعتزلة على العكس من ذلك . (٢)

(١) (احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ١٥٠ / ٢ - راجعه كامل بكري وهيد الوهاب ابو النور - دار الكتب الحديثة - القاهرة) .

(٢) (د . عادل العوا - الكلام والفلسفة ص ١٥ - مطبعة جامعة دمشق)

رابعاً : وقد يكون من الأسباب أيضاً ، كلام المعتزلة في أمور كان رجال
السلف يسكتون عنها ولا يتجرأون على الخوض فيها .

ومن خلال ما سبق يمكن القول :

- إن علم الكلام نشأ حين بدأ فريق من المسلمين يتناول مسائل العقيدة
بأسلوب عقلي تجاوز فيه الحدّ المسموح به عند رجال السلف ، الذين
كانوا يقدّمون الأثر على ما سواه وبخاصة في مسائل العقيدة .

- ولما بحث هؤلاء مسائل العقيدة بالأسلوب العقلي احتاجوا في بحثهم
إلى قواعد منطقية تضبط البحث وتعينهم على استخلاص النتائج فوجدوا
ذلك في العلوم الفلسفية المترجمة ، فاستعان المعتزلة بالمنطق والفلسفة
في تكوين مذاهبهم ، والتصدى لمشكلات عصرهم الناجمة عن الفسوق
الأخرى . (١)

- وأثناء صياغة هؤلاء لمسائل العقيدة بالأسلوب العقلي ، واعتمد هم
في ذلك على ما رأوه من قواعد منطقية ، وما تأثروا به من آراء فلسفية ،
أخذ علم العقائد عندهم صبغة (الكلام والمنطق والفلسفة)
وغلب عليه الأسلوب العقلي ، وطفى جانب التأويل على جانب الخضوع
للنص ، فخرجوا بذلك عن ظواهر كثير من النصوص وفي مسائل العقيدة .

(١) (دائرة معارف القرن العشرين ٦/٦٢١ - باب (علم)
(والتفكير الفلسفي في الاسلام ص ٢٢٦ - ٢٢٧) .

(ج) (مَوْقِفُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ)

لقد كره السلف كل ما يخالف الكتاب والسنة ومنهج الصحابة رضوان الله عليهم ، واعتبروه من البدع الغفالة ، وحذروا الناس من الميل اليه أو مخالطة أهله .

وكرهوا الكلام وأهله بناءً على ذلك ، وسئل كثير منهم عن علم الكلام والاشتغال به ؟ فذمّوه ونهوا عنه .

يقول أبو حنيفة - رحمه الله - : (لَعَنَ اللَّهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ ، فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ مِنَ الْكَلَامِ ، وَقِيلَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِيمَا أَحَدَتْ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْأَجْسَامِ ؟ ، قَالَ : مَقَالَاتُ الْفَلَسَفَةِ ؟ قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : طَلَيْكَ بِالْأَثَرِ وَطَرِيقَةَ السَّلَفِ ، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ مَحْدَثَةٍ فَإِنَّهَا بَدْعَةٌ) (١)

وهجر أبو حنيفة أصحاب الكلام حين رأهم يخالفون منهاج العالحين ولا يتقيدون بما في الكتاب والسنة ، وفي هذا يقول :

(رَأَيْتُ مَنْ تَنَحَّلَ الْكَلَامَ وَتَجَادَلَ فِيهِ رِقْمًا لَيْسَ سِيَاهًا سِيَاهِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا مَنَاهِجَهُمْ مَنَاهِجَ الْعَالِحِينَ ، رَأَيْتُ طَرِيقَهُمْ قَاسِيَةً لِأَيُّبَالُونَ مُخَالَفَةَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالسَّلَفِ الْعَالِحِ فِهَجَرْتُهُمْ) (٢)

وسئل الأوزاعي - رحمه الله - عن الخوض في الكلام ؟ فقال :

(اجْتَنِبْ طَعْمًا إِذَا بَلَغْتَ فِيهِ الصَّنْهَى نَسِيوكَ لِلزَّنْدَقَةِ ، وَطَلَيْكَ بِالْاِقْتِدَارِ) (٣)

وكان يقول أيضا : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا فَتَحَ عَلَيْهِمُ الْجَدَلَ وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ) (٤)

- (١) انظر : (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ١ / ٢٤٦) .
- (٢) (محمد بن يوسف المالحي - عقود الجمان ص ١٧٤) .
- (٣) (طاش كبرى زادة - مفتاح السعادة ٢ / ١٥٤) .
- (٤) (السيوطي - صون المنطق والكلام ص ٥٩) .
- (٤) (المعدر نفسه ص ٥٨) .

ويقول مالك بن أنس رحمه الله : (إياكم والبدع ، قيل : وما البدع ؟
قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وطعمه وقدرته ،
ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، إن الكلام في الدين
أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا - أي المدينة - يكرهونه ، وينهون عنه ،
نحو الكلام في رأى جهنم والقدر وما أشبه ذلك ، ولأحب الكلام الا فيما تحتسبه
صل ، ولعن الله عمرو بن عبيد ، فانه ابتدع هذه البدعة من الكلام ، وليسوا
كان الكلام علماً لتكلم به الصحابة والتابعون - رضی الله عنهم - كما تكلموا
في الأحكام والشرائع ، ولكنه باطل يدل على باطل) (١)

وكان رجال السلف يعتبرون المشتغلين بالكلام زنادقة ، وذلك لخوضهم
في ذات الله تعالى وصفاته بغير علم ، ولإحداثهم بدعة التعطيل والقدر وخلق
القرآن وغيرها من ضلالات الكلام ومنكراته .

يقول مالك - رحمه الله - : (من طلب العلم بالكلام تزندق ، ومن طلب
العالم بالكيمياء أفسس ، ومن طلب غريب الحديث كذب) ، وروى نحو هذا القول
عن القاضي أبي يوسف وعبد الرحمن بن مهدي . (٢)

ويقول الشافعي - رحمه الله - : (إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير
المسمى ، والشئ غير المشئ ، فاشهد عليه بالزندقة) (٣)

ويبدو أن هذا القول كان معروفاً عن أصحاب الكلام والبدع ، والتعمق في
مثل هذا يؤدي إلى الكفر والزندقة ، حيث يطبقونه على أسماء الله تعالى .

ويقول أحمد بن حنبل - رحمه الله - : (أئمة الكلام زنادقة ، وإنما ترد
البدعة بالأئمة لا ببدعة مثلها) (٤)

-
- (١) انظر : (ابن تيمية - منهاج السنة النبوية ١/٢٤٦) .
• (عيسى بن سعود الزواوي - مناقب الإمام مالك ١/٣٨) .
(٢) (ابن تيمية - بيان تلبيس إبليس ١/١٥٠) .
• (والسيوطي - صون المنطق والكلام ص ٦١) .
(٣) (طاش كبرى زادة - مفتاح الععادة ٢/١٥٦) .
(٤) (السيوطي - صون المنطق والكلام ص ١٥٠) .
• (وابن تيمية - بيان تلبيس إبليس ١/١٥٠) قريباً من القول .

واعتبر الشافعي الخطأ في (طم الكلام) ربما أوصل إلى الكفر ، وهذا سبب من أسباب البعد عنه والتحذير منه ، ولذلك بحث الشافعي الناس على الاشتغال بالفقه الذي غاية ما يقال لمن أخطأ فيه : أخطأت ، وأما من أخطأ في الكلام فيقال له : كفرت ، يقول الشافعي لمن سأله عن مسألة من الكلام :

(سألني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت : أخطأت ، ولتسألني عن شيء إذا - أخطأت فيه قلت : كفرت) (١)

وحذر الليث بن سعد - رحمه الله - من صاحب الكلام ، ونهى عن تعدد يقسه أو الركوب إليه فقال :

(لو رأيت رجلاً من أهل الكلام يمشى على الماء فلا تركز إليه ، ونقيل للشافعي هذا الكلام فقال : لقد قسّر ! إن رأيت يمشى في الهواء فلا تركز إليه .) (٢)

وذم الشافعي - رحمه الله - الكلام ، بعد أن أطلع على هوائه وبذا هب أهله ، ثم جاء نهيه عنه أشد ما يكون تنفيراً ، يقول - رحمه الله - :

(لو علم الناس ما في الكلام لغفوا منه كما يغفون من الأسد ، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه - سوى الشرك - خيّر له من الكلام ، ولقد أطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك ، وما تردى أحد بالكلام فأطرح ، ولا أحب لأحد أن يخالط أصحاب الكلام أو يجالسهم أو يأنس بهم وكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة ، لأن الكلام لا يدعهم إلى خيّر .) (٣)

(١) (ابن أبي بعلی - طبقات الحنابلة ١٥٤/٢)

• (وابن تيمية - منهاج السنة ٢٤٦/١)

• (والسيوطي - صون المنطق والكلام ص ٦٤)

(٢) (السيوطي - صون المنطق والكلام ص ٧٣)

(٣) (ابن تيمية - درر تعارض العقل والنقل ١٤٦/٧ - ٢٤٤)

• (والسفاريني - لوايح الأنوار البهية ١٠٨/١ - ١٠٩)

• (والسيوطي - صون المنطق والكلام ص ٦٥ - ٦٦)

- ومن هذه الأقوال لرجال السلف يمكن أن نستخلص :
- ذم علم الكلام و ذم أصحابه المشتغلين به وبيان أنهم مبتدعة زنادقة يخرسون في أمور سكت السلف عنها ، ووقف الصحابة دونها .
 - وأن علم الكلام وما فيه من بدع القدر وخلق القرآن والتعطيل وغيرها تمغسر جميع المعاصي أمامه ، ولا يتقدم عليه شيء سوى الشرك الذي هو أعظم أنواع الظلم .
 - والنهي الشديد عن الركون إلى أصحاب الكلام أو مجالستهم ، فإن من أحبب الكلام وأهله كان من أهل البدع المنحرفين عن منهج السلف وطريقهم .
 - ونستطيع أن نستنتج من أقوال الأئمة السابقة أيضاً بعض الأمور التي جعلتهم يذمون علم الكلام و يذمون من اشتغل به ، وذلك مثل :
 - مخالفتهم منهاج الصالحين وطريقة السلف في التقيد بالكتاب والسنة والتصديق بكل ما ورد فيهما .
 - وخوضهم فيما لا يعنينهم من أمور العقيدة ، وبحشهم في أشياء دقيقة أو مغيبية يحار العقل أمامها .
 - وكثرة حبهم للجدل و رغبتهم في المخالفة والمخاصمة ، وجرأتهم في التكلم في مسائل سكت عنها الصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم -
 - ولأن أخطئنا أصحاب الكلام الذين يتحدثون في مسائل الصفات وغيرها خطيرة توقع صاحبها في الكفر ، وليست كأخطاء من اجتهد في مسائل الفقه ، ولذلك ابتعد السلف عن الخوض في الكلام والاشتغال به .

(د) (حُكْمُهُمْ عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ)

لم يقتصر السلف الصالح على التحذير من الكلام وأهله ، بل اجتهدوا
في إصدار الأحكام والعقوبات التي يستحقون .

فالإمام مالك يراهم غير مؤتمنين على دين الله تعالى ، وغير جديرين بالثقة
والتصديق ، ولذلك فإنه يردّ شبهاتهم ، وينهى عن استئجار شئ من كتبهم ،
وهي الإجارة غير جائزة .

يقول - رحمه الله - : (لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء - وأراد بهم :
أهل الكلام على أي مذهب كانوا) (١)

ويقول : (لا تجوز الإجارة في شئ من كتب أهل الأهواء والبدع ،
والتنجيس ، وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي : كتب أصحاب الكلام
من المعتزلة وغيرهم ، وتفسخ الإجارة في ذلك) (٢)

فكتبهم لا يصح إيجارها ولا استئجارها لكونها مفسدة في الدين ومفسدة للعقيدة
وفي هذا الحكم إذلال لأصحاب الكلام وتضييق عليهم .

وهي الشافعي - رحمه الله - أن أصحاب الكلام ينبغي أن يعاقبوا بالضرب
والتشهير والإهانة ، حيث يتم عرضهم على الناس في نوادهم وأماكن تجمعهم
وينادى عليهم ليعرفهم الناس فيحذروهم ويجتنبوا بدعتهم .

يقول رحمه الله : (حكمي في أهل الكلام أن يضرروا بالجريد ، ويحطسوا
على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، وينادى عليهم : هذا جزء من ترك
الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

(١) (طائش كبرى زاده - مفتاح السعاد ، ١٥٦/٢)

(والسبوطي - صون المنطق والكلام ص ١٢٧)

(٢) (السبوطي - صون المنطق والكلام ص ١٢٧)

ويقول أيضا : (مذهبي في أهل الكلام تفتح رؤوسهم بالسياط وتشريد هم من البلاد) (١)

فأهل الكلام في نظر السلف مبتدعة وزنادقة لاتقبل شهادتهم ، ولاتقبل رواياتهم ، يجب ضربهم ، وتعريف الناس بهم ، ونفيهم من المجتمع المسلم ومحاصرتهم ، والتضييق عليهم ، وفي هذا أعظم تنفير من أمثال هؤلاء المبتدعة ، الذين تركوا الكتاب والسنة وأقبلوا على الكلام والابتداع .

(هـ) (حث السلف على منهج القرآن)

إن منهج القرآن الكريم هو المنهج السليم ، وطريقته هي أمثل طريقة وأنفعها ، لأنه كلام الله والناس جميعهم خلق الله ، والله أعلم بنفوس خلقه وما يصلحهم " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " . (٢)

قال رجل لأبي عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - : ما تقول في رأى -

أهل الكلام ؟

فقال أبو عبيد : لقد دلك ريك على سبيل الرشدين وطريق الحق وقال : " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " (٣)

أما لك فيما دلك عليه ريك من كلامه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ما يغنيك من الرجوع إلى رأيك ومقلتك ! وقد نهانا الله عن الكلام في ذاته وصفاته - إلا حسب ما أطلقه ، قال : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) (٤)

(١) (الغزالي - إحياء علوم الدين ١ / ٩٥) .

(٢) (وابن تيمية - منهاج السنة النبوية ١ / ٢٤٦ - ومجموع الفتاوى ٥ / ٢٦١)

(٣) (والسيوطي - صون المنطق ص ٢١) .

(٤) (والسفاري - لوامع الأنوار البهية ١ / ١٠٨) .

(٢) آية رقم (١٤) من سورة (الملك) .

(٣) آية رقم (٥٩) من سورة (النساء) .

(٤) آية رقم (٦٨) من سورة (الأنعام) .

فليس مع كلام الله تعالى وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - كلام لأحد
أو رأى لأحد ، فإلى الكتاب والسنة يرد كل شيء يتنازع فيه ، فهما المرجع
والحكم ، ولهم للعقل قدرة على استيعاب ذلك ، فهو عاجز ومحدود ، لا يستقل
عن علوم الوحي ، ولا يمكنه معرفة شيء من أمور الغيب إلا عن طريق الوحي .

وموقف أبي عبيد المتقدم هو موقف سائر العلماء من حيث الرجوع إلى الكتاب
والسنة وكراهة الكلام والخوض فيه ، يقول البخاري - رحمه الله - :
(المعروف من أحمد بن حنبل وأهل العلم أنهم كرهوا البحث والتنقيب عن
الاشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه
العلم ، ويثبته الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، قال الله تعالى :
" فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ " (١) الآية (٢)

ولا يخفى الفرق بين الأسلوب القرآني والأسلوب الفلسفي الكلامي ،
فأسلوب المتكلمين والفلاسفة لا يورث الاذعان في القلوب ، ولا يقنع النفوس ولا يفيد
العلم القطعي ، فمقدماته وبراهينه مثار بحث وجدل كبيرين ، وهي عرضة
للنقض والرد .

أما الأسلوب القرآني فيخاطب العقل فيقنعه ، ويلاصق القلوب فيبهرتها
فيها اليقين ، ويحالج النفوس من أذوائها فيزيل منها كل شك وحيرة وتردد ،
وهو يفيد العلم اليقيني ، ويخاطب الفطر السليمة .

(ومن أراد الجمع بين علم الأنبياء وطم الفلاسفة بذكائه فإنه لا بد أن -
يخالف هؤلاء وهؤلاء ، ومن كفّ ومشى خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا
ولم يتحذلق ، ولا صق - فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم أطلقوا وما صقوا - فقيد
سلك طريق السلف العالح ، وسلم له دينه ويقينه ، نسأل الله السلامة في
الدين . (٣)

(١) آية رقم (٥٩) من سورة (النساء) .

(٢) (البخاري - كتاب خلق الأفعال ص ١٥٤ - من مجموعة مقائد السلف لعلي
سامي النشار) .

(٣) (السيوطي - صون المنطق والكلام ص ٨٦) .

(٣) (السيوطي - صون المنطق والكلام ص ١٩) .

(و) (الكلام المذموم عند السلف)

ما لا يخفى على طالب العلم أن إنكار السلف لعلم الكلام وذمهم له إنما يتوجه إلى الكلام المشحون بالفلسفة والإلحاد والتأويل والأباطيل ، والذي من مبادئه وأصوله صرف النصوص عن معانيها الظاهرة بالتأويل والتعطيل دون التقيد بأقوال الصحابة وآثار السلف الصالح .

فالكلام الذي كان شائعا في زمن الأئمة وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين هو كلام أهل الاعتزال والتجهيم والإرجاء وغيرهم من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة والذي تشتمل مسائله على الكذب والافتراء ، وتقوم دلائل مسائله على ذلك ، ولهذا فقد ذمّه السلف ، واعتبروا كل من جادل فيه فقد جادل بالباطل ، وإن كان الباطل لا يظهر لكثير من الناس لما فيه من الشبهة ، ويمتنع أن يكون الكلام العقلي المقبول مناقضا للكتاب والسنة . (١)

(ز) (أضرار الكلام المذموم)

وأما مضرته فكبيرة ، لأنها تتصل بالعقيدة وإذا تعلق الضرر بالعقيدة ، ظهر ثمة أخطر منه .

فالكلام المذموم يثير الشبهات في النفوس ، ويصرف صاحبها عن منهج السلف في التعامل مع نصوص الكتاب والسنة ، ويفتح له باب الابتداع والتأويل فيقع في التعطيل بنفي ما ثبت في القرآن والحديث ، وإثبات ما نفي فيهما ، وهذا هو التكذيب بعينه ، وهو الضلال المبين .

(١) انظر : (ابن تيمية - درّ تعارض العقل والنقل ١٦٥/٧ - ١٧٠ - ١٧٨)

(وطاش كبرى زادة - مفتاح السعادة ١٦١/٢)

(والسفاري - لوايح الأنوار البهية ١١٠/١) .

وهذا المنهج الكلامي يزعم العقيدة ويفسدها ، ويزين البدعة
ويؤكدها .

وأما منفعة (علم الكلام) التي يدعيها أصحابه فهي : كشف الحقائق
ومعرفتها على ما هي عليه ، والصواب : أنه ليس في الكلام وفاقاً بهذا المطلب
الشريف ، ولعل التخييط والتفليل أكثر من الكشف والتعريف ، بل إن الطريق
إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه سدود ، وهذا ما صرح به من خبير الكلام
ثم قلنا بعد حقيقة الخبرة ، وبعد التخلخل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين (١) .

(١) وقد درس عدد من العلماء علوم الكلام والمنطق والفلسفة ، ثم نقضوها
وأظهروا أخطاءها وأخطارها .

فهذا أبو الحسن الأشعري : نشأ في الاعتزال أربعين عاماً يناظر طبعه
ثم رجع عن ذلك ، وصرح بتفليل المعتزلة ، وبإلخ في الرد عليهم .
وهذا أبو حامد الغزالي : مع فرط ذكائه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه
طريق الزهد والرياضة والتصوف ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة
ويعمل في آخر أمره إلى طريقة أهل الكشف ، وإن كان بعد ذلك رجع إلى
طريقة أهل الحديث وصنف (الجوامع العوام عن علم الكلام)
وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي يقول في كتابه الذي صنفه في أقسام
الذات :

(لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عيلاً ،
ولا تروى ظيلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الاثبات :
(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) آية رقم (٥) من سورة (طه)
و (إِلَيْهِ يَرْجَعُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) آية رقم () من سورة
()

واقراً في النفس : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) آية رقم () من سورة
و (لَا يَحِيطُونَ بِهِ ظِلْمًا) آية رقم () من سورة

ثم قال الرازي : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

.....

= وكان يتمثل كثيراً بقوله :

نهاية إقدام العقول عقال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا
ولم نستغد من بحثنا طول عمرنا

وأكثر سعى العالمين ضلال
وحاصل دنيانا أذى وويل
سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وهذا إمام الحرمين الجويني : ترك ما كان ينتحله وقرره واختار مذهب السلف
وكان يقول : يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام ، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ
بي ما بلغ ما اشتغلت به .

وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وخطيت أهل الإسلام وطومهم
ودخلت فيما نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن
الجويني ، وهانذا أموت على عقيدة أمي ، أو قال : على عقيدة عجائز نيسابور
وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الكرم الشهرستاني يقول : إنني لم أجد عند
الفلاسفة والمتكلمين غير الحيرة والندم ، وينشد :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرى إلا واضعاً كف حائس على ذقن أوقارها سن نكادم

فهذه تجارب القوم في علوم الفلسفة والكلام ، وتلك نعماتهم التي استغلصوها
من سنين طويلة قضوها في تلك العلوم .

وهذه الأقوال لو قالها بعض أصحاب الحديث لقال عنهم بعض الناس : إن
الناس أعداء ما جهلوا ، ولكن قائلها ممن خبر الكلام ثم قال ما قال بعد خيرة
صيقة وتجربة طويلة . انظر :

(ابن تيمية - نثر المنطق ص ٦٠ وما بعدها)

(ودرر تعارض العقل والنقل ٤٧/٨ - ١٥٧/٧ - ١٦٣)

(والغزالي - إحياء علوم الدين ١/١٦٤)

(وابن قيم الجوزية - إغاثة اللهقان ١/٤٥)

(وابن أبي العز الدمشقي - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٥ - ١٧٠)

(والسفاريني - لوامع الأنوار البهية ١/١٠٩)

خاتمة نتائج البحث

(الخاتمة)

لابد لكل بحث من بداية تبيين خطته ومنهجه وطريقة كتابته وتلك هي المقدمة ، كما لابد له من نهاية تكشف عن أهم نتائجه وأبرز أفكاره ، وما توصل إليه الباحث من أمور جدية بالاهتمام، وحرية بلفت النظر إليها وإظهارها ، وتلك هي الخاتمة .

وقد تبين لي من خلال البحث مايلي :

أولا : أن المدارس الدعوية في العصر العباسي الأول ماهي إلا امتداد لمدارس الصحابة والتابعين التي كانت موجودة في شتى الأمصار الإسلامية .

ثانيا : أن لتلك المدارس اتجاهات وخصائص ورثوها عن سلف الأمة كالحرص على اتباع السنن والآثار ، وشدة التمسك بها .

ثالثا : أن الأخذ بالرأى كان اتجاهاً معروفاً لدى المدارس وبخاصة مدرسة العراق ، في الوقت الذي لم يصل فيه هذا الاتجاه إلى تقديم القياس على النص الثابت ، وقد صرّح شيوخ المدرسة بنفي ذلك وإنكاره وأوضحوا أنهم لا يلجأون إلى القياس إلا عند الضرورة الشديدة وهي عدم العثور على نص صحيح في المسألة .

وترجع شهرة المدرسة بالرأى إلى أسباب منها :

كثرة المسائل الحادثة وحاجتها إلى الجواب والفتوى .

وهيبة رجال المدرسة من الإكثار من الرواية ، خشية من الوقوع في

الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم الاستعداد الكبير للنظر والاجتهاد واعمال الرأى الموجود أصلاً
أو المكتسب بالمران وتأثير البيئة .

ويضاف إلى هذا : قلة الصحابة من الرواة والمحدثين الذين رحلوا
إلى العراق بالنسبة إلى من كان موجوداً في مدرسة الحجاز مثلاً .

وكذلك فإن انتشار موجة الكذب والوضع في الحديث كان له أثر في تربيت
رجال المدرسة في قبول الروايات الواردة من البلاد الاسلامية الأخرى حيث
كانوا يجهلون رجال سندها ولا يعرفونهم المعرفة التامة .

رابعاً : أن رجال السلف وعلما الأمة كانوا إلى جانب علمهم وجهادهم
عباداً مجتهدين في العبادة ، فهم بحق رهبان في الليل فرسان في
النهار ، يُقَلِّون عند الطمع ويكثرون عند الغزاع وقد سجّلت كتب التاريخ
والسير جانباً من اجتهادهم ذلك .

ولا شك أن هذا الاجتهاد يعتبر نوعاً من الدعوة إلى الله تعالى
وإلى دينه الحنيف ، بل هو من أصدق أنواع الدعوة ، لأن التطبيق العملي
لأحكام الإسلام وأخلاقه هو تعليم بالقدوة والتعليم بالقدوة أشد تأثيراً
وأصدق منهجاً .

خامساً : أن نزعة الزهد التي كانت في عصر البحث لم تكن أمراً مبتدعاً
فقد دعا القرآن والسنة إلى التقلل من الدنيا ، وكانت حياة الرسول صلى الله
عليه وسلم العظيمة و حياة أصحابه رضوان الله عليهم داعية إلى ذلك ، وقد

كانوا مع زهدهم دعاة إلى الدين ومجاهدين لأعدائه ، وتجاراً ، فكانوا يفهمون الزهد على أنه خلق قلبي ، لا مظهر خارجي فهو عندهم : قِصْرُ الأمل وارتقَابُ الموت ، فلا جشع ولا طمع ولا حرص ولا بخل ولا غفلة عن الله تعالى والدار الآخرة .

سادساً : أن زهد رجال السلف امتدّ ليشمل مناصب الولايات والقضاء فقد عُرضت عليهم فأبوها ، فالولايات وبخاصة القضاء أمانة كبرى ومسئولية عظيمة يجب على من يتقلدها - في نظر السلف - أن يكون لديه من الشجاعة والنزاهة بحيث يحكم على ولي الأمر إذا ظلم ، دون أن يخاف بطشه و سطوته . وبحيث يستطيع إنفاذ ما يراه حقاً ، ورد ما يراه باطلاً من أوامر السلطان وقوانينه .

ولعل من الأسباب التي جعلت علماء السلف يمتنعون من القضاء زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة ، وقبول المناصب الدنيوية قد يُشغل أصحابها أو يفتنهم .

سابعاً : أن المدارس الدعوية كان لها جهود كبيرة ومتنوعة في نصح السوالة وغيرهم ، حيث أمرهم بالتمسك بالكتاب والسنة وإقامة العدل هو بينوا لهم عظم الأمانة التي تحملوها ، وأن الله تعالى سائلهم عنها يوم القيامة .

كما أمرهم بحسن اختيار البطانة . وأن تكون سالحة غير فاسدة ورغيبوهم في التخلق بالأخلاق الحسنة كالتواضع والعفو والإحسان . وكذلك فقد اهتمت الدعاة بنصح العامة ووعظهم وإقامة دروس العلم وحلق الوعظ في المساجد وغيرها .

ثامنا : تبين أن هناك مشكلات كثيرة واجهها الدعاة بحكمة، وعالجوها
بالأساليب المناسبة وذلك مثل :

التشيع المذهبي ، وما فيه من أفكار مخالفة لما كان عليه السلف الصالح .
كالقول بجواز البداء على الله ، واعتناق فكرة الرجعة ، والتقية وغيرهما ..
و كالقول بالتناسخ ، والحلول من قبل الغلاة وهم في ذلك متأثرون باليهودية
وغيرها من الديانات الوضعية .

وقد واجه العلماء أفكار التشيع وردوا على ضلالاته باللسان واليد
وحذروا منه ، وكذلك فإن الخلفاء والولاة قاوموه وحاربوا أهله .

تاسعا : ومن تلك المشكلات أيضاً : فرقة الخوارج وما اعتنقته من
تطرف وضلال ، حيث كفروا المسلمين ، وتجروا على قتلهم في الوقت الذي رعوا
فيه حرمة اليهود والنصارى من أهل الذمة ، وقاموا على حراسة المشركين الذين
استجاروا بهم حتى أبلغوهم مآلئهم ، أما المسلمون فمصيروهم القتل لأنهم
مخالفون لهم في مذهبهم .

ولذلك فقد كان وجود أمثال هؤلاء من أعظم المشكلات في المجتمع المسلم
وقام الدعاة بالتصدي لهم وإبطال مذهبهم ، وإظهار ضلالهم ، وبسبب ذلك
الخلفاء ما عليهم من إعداد القوة وتسيير الجيوش لقتالهم والقضاء عليهم .

عاشرا : أن المعتزلة وما ابتدعوه من أصول وأفكار يعتبر من المشكلات الكبرى
التي ظهرت في عصر البحث ، والتي كان لها أعظم الأثر على الخلفاء وغيرهم ،
لكن علماء السلف وقفوا في وجوههم ، وردوا على أفكارهم وهاجموهم بسلاح

السنة والأثر وتحملوا في سبيل ذلك ألوان الأذى والاضطهاد، بسبب اعتناق بعض الخلفاء للاعتزال واقتناعه ببعض أفكاره كالقول بخلق القرآن .

وتصدى العلماء كذلك لبقية أفكارهم كغني القدر ، والقول بخلق العباد لأفعالهم ، وإنكار صفات الله تعالى ، وإنكار رؤيته يوم القيامة وغير ذلك من أفكارهم التي ذكرتها في البحث، واستعرضت مواقف علماء السلف وأساليبهم في مواجهتها والردّ عليها .

حادى عشر : أنَّ العصر العباسي مع كونه من القرون المفضلة فهو لم يخل من بعض البدع في العقيدة والأحكام .

وكان ظهور هذه البدع يعتبر انحرافاً عن السنة ومعداً عنها .

ففي جانب العقيدة ظهرت بدع الفرق، وما حوت من أفكار ضالة مخالفة لما كان عليه الصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم - .

وفي جانب الأحكام ظهرت مخالفات كثيرة ، وحدثت أسوأ غريبة لم تكن من قبل، كالقراءة بالألحان، والخروج عن القراءة المتبعة، ومخالفة التجويد الوارد في ذلك ، أو قراءة سورة معينة في ركعة مراراً ، أو التكبير عقب الصلاة مباشرة ، أو كالقصر في المساجد، وغير ذلك مما اعتبره علماء السلف في ذلك العصر بدعاً ينبغي تركها والاكتفاء بالسنة . وكذلك فقد ذكروها وحذروا منها ، ومنعوا من مخالطة أهلها .

ثاني عشر : ظهور الزندقة والفساد العقدي والخلقي يعتبر من المشكلات الكبرى التي واجهها العلماء والخلفاء معاً وتعقبوا أصحابها ، وقتلوهم قطعاً لدابر الفساد والافساد .

ثالث عشر : ظهرت الفلسفات القديمة بسبب حركة الترجمة التي نشطت في عصر البحث ، حيث نقلت علوم الأمم السابقة إلى اللغة العربية وكان لذلك آثاره الإيجابية والسلبية على المسلمين ، فقد استفادوا من علوم الصناعات كالطب والهندسة والكيمياء وغير ذلك ، كما كان لعلوم الفلسفة والمنطق والقائمة على الوثنية أثر كبير على المائلين إليها والدارسين لها . وقد ذمّ علماء السلف المنطق اليوناني والفلسفة اليونانية ، وحذروا من الضلالات المبتوثة فيها .

رابع عشر : تأثر علم الكلام بالفلسفة والمنطق اليونانيين ، ومعلوم أن علماء الكلام الذين كانوا في عصر البحث هم المعتزلة وأشباههم من الفرق المنحرفة عن أهل السنة الذين استخدموا علم الكلام في الردّ على المسلمين وغيرهم ، فقد ردّوا فيه على اليهود والنصارى والمشرّكين والزنادقة . محاولين نصر مذهبهم وأفكارهم .

لكن علماء السلف ذمّوا هذا النوع من الكلام الذي عرف أصحابه بكثير من البدع والضلال ، كالقول بنفي القدر ، وتعطيل الصفات وتأويلها ، وخلق القرآن ، وغير ذلك من الفساد .

وبلغ من هجوم السلف على الكلام وأهله أن حكموا عليهم برّد شهاداتهم وتعزيرهم بالضرب والإهانة والتشهير .

خامس عشر : وإذا كان لي من اقتراح فإني أرى أن يتجه الباحثون للكتابة عن الدعوة في العصور التي تلي العصر العباسي الأول وما كان فيها من مشكلات واجهت الدعوة والدعاة ، مع التركيز على أساليب العلماء

في مواجهة تلك المشكلات ، لأن مشكلات الدعوة ومواقف العلماء منها هي في الحقيقة دروس ومواعظ للدعاة في كل عصر يستفيدون منها ، ويتعلمون من حكمة الدعاة السابقين ، ويتزودون لمواجهة ما يحدث من مشكلات ومعالجتها كما كان السلف يعالجونها ، فيتعلم الدعاة من ذلك أسباب نجاح الدعوة ، ويدركون عوامل ضعفها وفشلها ، وفي ذلك خير كثير ، وما أكثر الخير في ماضيها التليد .

(فهرس المصادر والمراجع القديمة والحديثة حسب حروف الهجاء)

- ١- الإبداع في مزار الابتداء لعلي محفوظ - الطبعة السابعة / ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م . دار الاعتصام ودار النصر الاسلامية للطباعة - القاهرة .
- ٢- ابن تيمية وقضية التأويل - د . محمد السيد الجليند - الطبعة الثالثة / ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع .
- ٣- ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي - د . عبد الفتاح أحمد فؤاد - الطبعة / ١٩٨٠ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ودار بوبر سعيد للطباعة - الاسكندرية .
- ٤- ابن حنبل - حياته وعصره ، آراؤه وفتاويه - لمحمد أبي زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٥- أبو حنيفة - حياته وعصره - آراؤه وفتاويه - لمحمد أبي زهرة - دار الفكر العربي ، ودار الحماسي للطباعة - مصر .
- ٦- أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي - د . مساعد مسلم عبد الله آل جعفر - الطبعة الأولى / ١٤٠٥ هـ - مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان .
- ٧- أثر التفلسف في الفكر الإسلامي - د . حمدى حيا الله - الطبعة الأولى / ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - مطبعة الجبلاوى - مصر .
- ٨- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الفزالي الطوسي المتوفى سنة / ٥٠٥ هـ وهي مصورة عن طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية للطبعة الأولى / ١٣٥٦ هـ والمصورة بتاريخ / ١٣٩٥ هـ .

- ٩- إحصاء العلوم لأبي نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان بن أونغ التركي - المتوفى سنة / ٣٣٩هـ / تحقيق - د. عثمان محمد أمين طبعة عام / ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م - مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر .
- ١٠- أخبار أبي حنيفة وأصحابه لأبي عبد الله حسين بن علي الصيمري المتوفى سنة / ٤٣٦هـ / - لجنة إحياء المعارف النعمانية - مطبعة المعارف الشرقية عام / ١٣٩٤هـ / حيدرآباد - الهند .
- ١١- آداب الشافعي ومناقبه لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم السرازي المتوفى سنة / ٣٢٧هـ - تحقيق عبد الغني عبد الخالق - مكتبة التراث الإسلامي حلب - سوريا - طبعة عام / ١٣٧٣هـ .
- ١٢- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد - لعبد الملك بن عبد الله ابن يوسف المعروف بالجويني - المتوفى سنة / ٤٧٨هـ - تحقيق د. محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم - مطبعة السعادة عام / ١٣٦٩هـ / م - ١٩٥٠م - بمصر - الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة .
- ١٣- إسلام بلا مذاهب - د. مصطفى الشكعة - الطبعة الخامسة عام / ١٩٧٧م / مطبعة مصطفى البابي الحلبي - بمصر .
- ١٤- الإسلام والفلسفات القديمة - التفسير الإسلامي للفكر البشري - أنور الجندي دار الاعتصام .
- ١٥- إصلاح المساجد من البدع والعوائد - لجمال الدين القاسمي - المطبعة السلفية لمحبه الدين الخطيب - القاهرة .

- ١٦- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي -
المتوفى سنة / ٤٢٩ هـ - تحقيق لجنة إحياء التراث العربي - الطبعة
الأولى عام / ١٤٠١ هـ - مطبعة دار الآفاق الجديدة - القاهرة .
- ١٧- الأصول والفروع - لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي -
المتوفى سنة / ٤٥٦ هـ تحقيق - د . محمد عاطف العراقي - د . سهير
فضل الله - د . إبراهيم هلال - الطبعة الأولى عام / ١٩٧٨ م -
مطبعة حسان - القاهرة - نشر دار النهضة العربية مص - مصر .
- ١٨- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي
مطبعة مصيطني محمد - مصر .
- ١٩- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لأبي عبد الله محمد بن عمر بن
الحسين الرازي القرشي الطبرستاني المعروف بابن الخطيب - المتوفى
سنة / ٦٠٦ هـ - تحقيق - د . علي سامي النشار - دار الكتب
العلمية - بيروت طبعة عام / ١٤٠٢ هـ .
- ٢٠- الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين - لخير الدين الزركلي - الطبعة الرابعة عام / ١٩٧٩ م
دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .
- ٢١- اعلام الموقعين عن رب العالمين - لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن
أيوب بن سعيد الزرعي بن قيم الجوزية - المتوفى سنة / ٧٥١ هـ -
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ
دار الفكر - بيروت .

- ٢٢ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم - لابن تيمية - المتوفى
سنة / ٧٢٨ هـ - دار الفكر - بيروت - الناشر : مكتبة الرياض الحديثة
الرياض - السعودية .
- ٢٣ - الأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي - دار الكتاب
العربي - بيروت .
- ٢٤ - الأمالي - ليحيى بن الحسين بن إسماعيل الجرجاني - المتوفى سنة
/ ٤٧٩ هـ - عالم الكتب - بيروت .
- ٢٥ - الإمام سفيان الثوري - د . محمد أبو الفتح البيانوني - الطبعة الثانية
سنة / ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م - دار السلام - القاهرة .
- ٢٦ - الإمام الصادق - حياته وعصره ، آراؤه و فقهه - لمحمد أبي زهرة
- دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٢٧ - أمراء الشعر العربي في العصر العباسي - لأنيس المقدسي - الطبعة
العاشرة سنة / ١٩٧٥ م - دار العلم للمؤلفين - بيروت .
- ٢٨ - الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - المتوفى سنة / ٢٠٤ هـ
تحقيق محمد زهري النجار - الطبعة الثانية / ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م -
دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ٢٩ - الانتصار والرد على ابن الراوندي الطلحدي ، لأبي الحسين عبد الرحيم
ابن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي - المطبعة الكاثوليكية سنة / ١٩٥٧ م
- بيروت - لبنان .
- ٣٠ - الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة
- لجمال الدين أبي عمرو يوسف بن عمر بن عبد البر النمري القرطبي

- المتوفى سنة / ٤٦٣ هـ - مطبعة المعاهد - بجوار قسم الجمالية -
بمصر - نشر مكتبة القدسي - عام / ١٣٥٠ هـ - القاهرة .
- ٣١ - الباعث على إنكار البدع والحوادث لابي محمد شهاب الدين عبد الرحمن
ابن إسماعيل المعروف بأبي شامة الشافعي المتوفى سنة / ٦٦٥ هـ .
- ٣٢ - البحر المحيط لأبي عبد الله بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي
حيان - الطبعة الاولى / ١٣٢٨ هـ - مطبعة السعادة - مصر .
- ٣٣ - البداية والنهاية في التاريخ - لعناد الدين أبي الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير - المتوفى سنة / ٧٧٤ هـ - الطبعة الاولى / ١٣٥١ هـ
دار الفكر العربي - دار نهر النيل للطباعة - مصر .
- ٣٤ - البدع والنهي عنها - لمحمد بن وضاح القرطبي - المتوفى سنة / ٢٨٦ هـ
تحقيق محمد أحمد دهمان - الطبعة الثانية / ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
دار البصائر - دمشق - سوريا .
- ٣٥ - بغداد - أقدم ماكتب في تاريخ الخليفة المأمون - لأبي الفضل أحمد
ابن طاهر الكاتب - المعروف بابن طيفور - المتوفى سنة / ٢٨٠ هـ -
طبعة عام / ١٣٨٨ هـ .
- ٣٦ - بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول - لابن تيمية - المطبعة
الكبرى الاميرية / ١٣٢٢ هـ - مصر .
وهو مطبوع على هامش منهاج السنة النبوية للمؤلف - والناشر مكتبة
الرياض الحديثة - الرياض - السعودية .
- ٣٧ - البيان والتبيين - لعمر بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ - المتوفى
سنة / ٢٥٥ هـ - الطبعة الرابعة / ١٣٩٥ هـ تحقيق عبد السلام

- هارون - الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة .
- ٣٨- تاج العروس من شرح القاموس - لمحب الدين أبي الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي
نزيل مصر المتوفى سنة / ١٢٠٥ هـ .
- ٣٩- تاريخ ابن خلدون - المسمى (كتاب العبر ودينوان العبدأ والخبر)
لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي - المتوفى
سنة / ٨٠٨ هـ - طبعة عام / ١٣٩١ هـ - مؤسسة الأعلي للمطبوعات
بيروت - لبنان .
- ٤٠- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - العصر العباسي
الأول - د . حسن إبراهيم حسن - الطبعة السابعة / ١٩٦٤ م -
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- ٤١- تاريخ الأمم الاسلامية - الدولة العباسية - لمحمد الخضرى بك - المكتبة
التجارية الكبرى / ١٩٧٠ م - مصر .
- ٤٢- تاريخ الأمم والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة
/ ٣١٠ هـ - دار الفكر للطباعة والنشر / ١٣٩٩ هـ .
- ٤٣- تاريخ بغداد - أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة / ٤٦٣ هـ -
لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - المتوفى سنة / ٤٦٣ هـ
المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
- ٤٤- تاريخ الجهمية والمعتزلة - لجمال الدين القاسمي - الطبعة الأولى سنة
/ ١٣٩٩ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

- ٤٥- تاريخ الخلفاء - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي -
المتوفى سنة / ٩١١ هـ - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
الطبعة الاولى / ١٣٧١ هـ - مطبعة السعادة - مصر .
- ٤٦- تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة / ٢٤٠ هـ - تحقيق د . أكرم ضياء
العمري - الطبعة الثانية / ١٣٩٧ هـ - مطبعة محمد هاشم الكتبي -
دار القلم - دمشق - بيروت - ومؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٤٧- تاريخ الدعوة بين الأس واليوم - آدم عبد الله الألوذي - الطبعة
الثانية / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - دار التراث العربي .
- ٤٨- تاريخ الشعوب الإسلامية - كارل بروكلمان - ترجمة نبيه أمين فارس ومخير
البعليكي - الطبعة الثانية / ١٩٧٩ م - دار العلم للملايين - بيروت .
- ٤٩- تاريخ علماء الأندلس لابن الغرضي عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي
المتوفى سنة / ٤٠٣ هـ - مطابع سجل العرب - القاهرة سنة / ١٩٦٦ م
الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ٥٠- تاريخ العلماء النحويين - لأبي المحاسن الفضل بن محمد بن مسعر
التنوخي المعري - المتوفى سنة / ٤٤٢ هـ - تحقيق د . عبد الفتاح
محمد الحلوي - مطابع دار الهلال للأؤفست - الرياض / ١٤٠١ هـ -
/ ١٩٨١ م - بإشراف إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية - المجلس العلمي للجامعة - الرياض - السعودية .
- ٥١- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام - محمد علي أبو ريان - الطبعة الرابعة
/ ١٩٨٥ م - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية .

- ٥٢- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب - محمد لطفي جمعة - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .
- ٥٣- تاريخ الفلسفة - أحمد عبده خير الدين - ومحمد علي مصطفى - الطبعة الأولى - /١٩٣٣م/ - /١٣٥١هـ - المطبعة الرحمانية - مصر .
- ٥٤- تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها - عبده الشمالي - الطبعة الخامسة - /١٣٩٩هـ - /١٩٢٩م - دار صادر - بيروت - لبنان .
- ٥٥- تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها حتى الآن - حنا أسعد فهمي - الطبعة الأولى - /١٩٢١م - المطبعة اليوسفية - بمصر .
- ٥٦- تاريخ اليعقوبي - لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي - المتوفى سنة /٢٧٨هـ - وقيل بعدها - دار الصادرة - بيروت - لبنان .
- ٥٧- تبديد الظلام وتنبيه النيام - لإبراهيم سليمان الجبهان - الطبعة الثانية /١٤٠٠هـ - /١٩٧٩م - مكتبة الحرمين - الرياض - السعودية
- ٥٨- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - لأبي المظفر شهفور بن طاهر بن محمد الاسفراييني المتوفى سنة /٤٧١هـ تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري - الطبعة الاولى /١٣٥٩هـ - /١٩٤٠م - مطبعة الانوار .
- ٥٩- تذكرة الحفاظ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة /٧٤٨هـ - الطبعة الرابعة /١٣٨٨هـ - /١٩٦٨م - دائرة المعارف العثمانية - حيد آباد الدكن - الهند .

- ٦٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك - لأبسي
الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي - المتوفى سنة
/٥٤٤ هـ - تحقيق د. أحمد بكير محمود - مطبعة فؤاد ببيان - جونية
لبنان - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ودار مكتبة الفكر - طرابلس
ليبيا سنة / ١٣٨٧ هـ ٩٦٧
- ٦١- تزين الممالك بمناقب الإمام مالك - جلال الدين السيوطي - دار الفكر
بيروت / ١٣٩٨ هـ - وهو مطبوع في صدر المدونة الكبرى لمالك بن
أنس رحمه الله .
- ٦٢- تطهير الجنان واللسان - لابن حجر الهيتمي المكي - المتوفى سنة / ٩٧٤ هـ
تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - شركة الطباعة الفنية المتحدة - مكتبة
القاهرة - وهو مطبوع مع كتاب الصواعق المحرقة للمؤلف نفسه .
- ٦٣- التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني - تحقيق جماعة من العلماء
الطبعة الاولى / ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م - دار الكتب العلمية - بيروت
- ٦٤- تفسير القرآن العظيم لعماد الدين أبي الفدا^١ إسماعيل بن كثير القرشي
الدمشقي المتوفى سنة / ٧٧٤ هـ - مطبعة مصطفى محمد - مصر .
- ٦٥- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين
الرازي القرشي الطبرستاني المعروف بابن الخطيب المتوفى سنة / ٦٠٦ هـ
وقيل سنة / ٦٠٤ هـ - الطبعة الاولى / ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م - دار الفكر
بيروت - لبنان .

- ٦٦- التفكير الفلسفي الإسلامي - د . سليمان دنيا - الطبعة الأولى سنة
١٣٨٧/هـ - ١٩٦٧/م - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - الناشر
مكتبة الخانجي بمصر - والرشاد بالمغرب .
- ٦٧- تلبيس ابليس لابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن
الجوزي البغدادي المتوفى سنة /٥٩٧ هـ - الطبعة الثانية /١٣٦٨ هـ
إدارة الطباعة المنيرية بمصر - ودار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٨- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية - مصطفى عبد الرزاق - الطبعة الثالثة -
سنة /١٩٦٦ م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- ٦٩- التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع - لأبي الحسين محمد بن أحمد
ابن عبد الرحمن - المطبي الشافعي المتوفى سنة /٣٧٧ هـ - تحقيق
محمد زاهد بن الحسن الكوثري - مراجعة عزت العطار الحسيني سنة
/١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م - مكتب نشر الثقافة الإسلامية .
- ٧٠- تهافت الفلاسفة لأبي حامد العزالي المتوفى سنة /٥٠٥ هـ - المطبعة
الخيرية بمصر سنة /١٣١٩ هـ .
- ٧١- تهافت الفلسفة عن درك الحقيقة المطلقة - لمحمود أبي الفيض المنوحي
الحسيني - مطبعة نهضة مصر - الفجالة - القاهرة .
- ٧٢- تهذيب الأسماء واللفات - لأبي زكريا يحيى الدين بن شرف النووي -
المتوفى سنة /٦٧٦ هـ - إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة - ودار
الكتب العلمية - بيروت .
- ٧٣- تهذيب تاريخ دمشق الكبير - لثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسين
ابن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر - المتوفى سنة /٥٧١ هـ

- هذبه عبد القادر بدران المتوفى سنة / ١٣٤٦ هـ الطبعة الثانية
سنة / ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م - دار المسيرة - بيروت - لبنان .
- ٧٤- التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل - لابي بكر محمد بن اسحق بن
خزيمة السلمي النيسابوري المتوفى سنة / ٣١١ هـ الطبعة الثانية سنة
/ ١٤٠٣ هـ دار الكتب السلفية للطباعة والنشر - مصر .
- ٧٥- جامع بيان العلم وفضله - لأبي عمرو يوسف بن عبد البر النمري القرطبي
الأندلسي - المتوفى سنة / ٤٦٣ هـ - الطبعة الأولى - ادارة الطباعة
المنيرية - مصر .
- ٧٦- جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري - طبعة سنة
/ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م - دار الفكر - بيروت .
- ٧٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين
الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب
الحنبلي البغدادي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ٧٨- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي - د . محمد البهي - الطبعة
الرابعة / ١٩٦٧ م - الناشر : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
القاهرة .
- ٧٩- الجمع بين رأيي الحكيمين - لأبي نصر محمد بن محمد بن محمد بن
طرخان بن أونغ الفارابي التركي - تحقيق د . البيرنصرى نادر -
طبعة سنة / ١٩٥٩ م - بيروت - لبنان .
- ٨٠- جمهرة اللغة - لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصرى

- المتوفى سنة / ٣٢١ هـ الطبعة الأولى سنة / ١٣٤٥ هـ مطبعة
مجلس المعارف العثمانية - حي درآباد - الدكن - الهند .
- ٨١ - حجة الله البالغة - لأحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبد الرحيم
الدهلوي - الطبعة الاولى / ١٣٥٢ هـ - إدارة الطباعة المنيرية - شارع
الأزهر - مصر .
- ٨٢ - حضارة الدولة العباسية - أحمد رمضان أحمد - مطابع شركة الإعلانات
الشرقية - مصر .
- ٨٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني
المتوفى سنة / ٤٣٠ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ٨٤ - الحوادث والبدع - لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى سنة
/ ٥٢٠ هـ وقيل بعدها - تحقيق محمد الطالبي - دار الأصفهاني
وشركاه - جدة - السعودية .
- ٨٥ - حياة الحيوان الكبرى - لكامل الدين الدميري - المكتبة الإسلامية للحاج
رياض الشيخ .
- ٨٦ - الحيدة لعبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكتاني المكي المتوفى / ٢٤٠ هـ
الطبعة الثالثة / ١٤٠٥ هـ - مطابع الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة .
- ٨٧ - الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الأثنى عشرية
لمحب الدين الخطيب - طبعة / ١٤٠١ هـ - الجامعة الإسلامية بالمدينة
المنورة .
- ٨٨ - دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى - الطبعة الثالثة سنة
/ ١٩٧١ م - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

- ٨٩- دراسات في تاريخ العرب - العصر العباسي الأول - د . السيد عبيد
العزيز سالم - مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر - الإسكندرية مصر .
- ٩٠- دراسات في الفلسفة الاسلامية - د . عبد اللطيف محمد العبد - مطبعة
السنة المحمدية / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
- ٩١- درء تعارض العقل والنقل - لابن تيمية - تحقيق د . محمد . رشاد سالم
الطبعة الاولى / ١٤٠١ هـ - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية بالمدينة المنورة .
- ٩٢- الدعوة إلى الإسلام - سير توماس وارنولد - ترجمة د . حسن إبراهيم حسن
و د . عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى - الطبعة الثالثة / ١٩٧٠ م
مطبعة الدجوى - القاهرة - ومطبعة النهضة المصرية .
- ٩٣- الدعوة إلى الله تعالى : خصائصها مقوماتها مناهجها - د . أبوالمجد
السيد نوفل - الطبعة الاولى / ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - مطبعة الحضارة
العربية - الفجالة - مصر .
- ٩٤- الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول - د . أحمد الشامي - الطبعة
سنة / ١٤٠٤ هـ - دارالاصلاح - الدمام - السعودية - ودارالعلوم
- القاهرة .
- ٩٥- دولة بني العباس - د . شاكرا مصطفى - الطبعة الاولى / ١٩٧٣ م مطبعة
خالد بن الوليد - دمشق - سوريا - الناشر وكالة المطبوعات - الكويت .
- ٩٦- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب - لبرهان الدين إبراهيم
ابن علي بن محمد بن مزحون اليعمرى المدني المتوفى سنة / ٧٩٢ هـ
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- ٩٧ - ديوان أبي نواس الحسن بن هاني * - دار صادر - بيروت - لبنان .
- ٩٨ - الذهب المسبوك في وعظ الملوك - لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدى المتوفى سنة / ٤٨٨ هـ - تحقيق أبي عبد الرحمن بن عقيل - و . د . عبد الحلیم عويس - الطبعة الاولى / ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م - عالم الكتب - الرياض . السعودية .
- ٩٩ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام - لأبي الحسن علي الحسيني الندوى - الطبعة السابعة / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - دار القلم - الكويت .
- ١٠٠ - رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد - الطبعة الاولى / ١٣٥٨ هـ - تصحيح محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٠١ - الرد على الجهمية والزنادقة - للإمام احمد بن حنبل سنة / ٢٤١ هـ - تحقيق - و . د . عبد الرحمن عميرة - طبعة / ١٣٩٢ هـ - دار اللؤلؤ - الرياض - السعودية .
- ١٠٢ - رسالة في الرد على الرافضة - لأبي حامد محمد بن خليل بن يوسف ابن علي المقدسي المتوفى سنة / ٨٨٨ هـ - تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن - الطبعة الاولى / ١٤٠٣ هـ - الدار السلفية - الهند .
- ١٠٣ - الرسالة - للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة / ٢٠٤ هـ - تحقيق أحمد محمد شاكر - / ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م - القاهرة .
- ١٠٤ - الزهد - لأبي عبد الله أحمد بن حنبل المتوفى سنة / ٢٤١ هـ - طبعة سنة / ١٣٩٨ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- ١٠٥- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - لعبد الملك بن حسين ابن عبد الملك العصامي المكي المتوفى سنة /١١١١ هـ -
المطبعة السلفية - الرياض - حي الروضة - شارع الفتح .
- ١٠٦- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة /٢٥٥ هـ -
دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- ١٠٧- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي - المتوفى سنة /٢٧٥ هـ - اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد الطبعة الاولى /١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - دار الحديث - حمص - سوريا .
- ١٠٨- سنن الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي المتوفى سنة /٢٥٥ هـ تحقيق عبد الله هاشم اليماني المدني - نشر حديث اكاديمي /١٤٠٤ هـ
- ١٠٩- سير أعلام النبلاء للذهبي المتوفى سنة /٧٤٨ هـ - الطبعة الاولى سنة /١٤٠١ هـ - تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد - مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان .
- ١١٠- الشافعي : حياته وعصره - آراؤه وفقهه - محمد أبي زهرة - الطبعة سنة /١٩٧٨ م - دار الفكر العربي .
- ١١١- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - لمحمد بن محمد مخلوف - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ١١٢- شذرات الذهب في اخبار من ذهب - لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة /١٠٨٩ هـ - المكتب التجاري للطباعة - بيروت .
- ١١٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - لأبي القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي المتوفى سنة /٤١٨ هـ - تحقيق

- د . أحمد سعد حمدان - دار طيبة للنشر - الرياض - السعودية .
- ١١٤ - شرح الأصول الخمسة - لأبي الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل
ابن عبد الله الهمداني الأسدي القاضي المعتزلي المتوفى سنة
/٤١٥ هـ - تحقيق د . عبد الكريم عثمان - الطبعة الأولى /١٣٨٤ هـ
مكتبة وهبة - القاهرة .
- ١١٥ - شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن العلي بن محمد بن أبي العز
الدمشقي القاضي المتوفى سنة /٧٩٢ هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط -
الطبعة الأولى /١٤٠١ هـ - مكتبة دار البيان - دمشق - سوريا .
- ١١٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قسيم
الجوزية المتوفى /٧٥١ هـ تحقيق محمد بدر اللدين أبي فراس
النعساني الحلبي - /١٣٩٨ هـ - /١٩٧٨ م - دار الفكر - بيروت .
- ١١٧ - الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء - لأبي محمد عبد الله بن مسلم
ابن قتيبة - المتوفى سنة /٢٧٦ هـ - طبعة /١٩٠٢ م - مطبعة
بريل - في مدينة ليدن .
- ١١٨ - الشيعة والتشيع (فرق وتاريخ) - لآحسان إلهي ظهير - الطبعة
الأولى /١٤٠٤ هـ - إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان .
- ١١٩ - الشيعة والسنة - لآحسان إلهي ظهير - الطبعة الماسة /١٣٩٨ هـ
/١٩٧٨ م - مطبعة وفاق - لاهور - باكستان .
- ١٢٠ - الشيعة والقرآن - لآحسان إلهي ظهير - الطبعة الرابعة /١٤٠٤ هـ
/١٩٨٣ م - إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان .

- ١٢١- الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري -
المتوفى سنة / ٣٩٣ هـ - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - الطبعة
الثانية - / ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م - دار العلم للملايين - بيروت .
- ١٢٢- صحيح البخارى - لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيرة بن بردزبة البخارى الجعفي المتوفى سنة / ٢٥٦ هـ -
دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- ١٢٣- صحيح مسلم - لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري -
المتوفى سنة / ٢٦١ هـ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء
الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - ودار إحياء التراث
العربي - بيروت - لبنان .
- ١٢٤- صفة الصفوة - لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
ابن علي بن الجوزي المتوفى سنة / ٥٩٧ هـ - الطبعة الثانية سنة
/ ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م - مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد
الدكن - الهند .
- ١٢٥- الصلة بين التصوف والتشيع - د . كامل مصطفى الشبيبي - الطبعة
الثانية - دار المعارف بمصر .
- ١٢٦- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة - لأحمد بن حجر
الهيتمي المكي المتوفى سنة / ٩٧٤ هـ - تحقيق عبد الوهاب عبد
اللطيف - شركة الطباعة الفنية المتحدة - القاهرة - مكتبة القاهرة .
- ١٢٧- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام - لجلال الدين السيوطي

- تحقيق د . علي سامي النشار - الطبعة الاولى / ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م /
مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر .
- ١٢٨ - ضحى الإسلام - أحمد أمين - الطبعة العاشرة - دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان .
- ١٢٩ - طبقات الأطباء والحكماء - لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي
المعروف بابن جلجل المتوفى سنة / ٣٨٤ هـ - تحقيق فؤاد سيد
طبعة / ١٩٥٥ م / مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية
بالقاهرة .
- ١٣٠ - طبقات الحفاظ لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين
الخصيري الأسيوطي المعروف بالسيوطي المتوفى سنة / ٩١١ هـ -
تحقيق علي محمد عمر - الطبعة الأولى / ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م -
مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة - الناشر : مكتبة وهبة - مصر .
- ١٣١ - طبقات الحنابلة - للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء -
الحنبلي المتوفى سنة / ٥٢٧ هـ - مطبعة السنة المحمدية - الناشر:
دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ١٣٢ - طبقات الشافعية - لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي
الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي المتوفى سنة / ٨٥١ هـ - تحقيق
د . الحافظ عبد العليم خان - الطبعة الاولى / ١٣٩٨ هـ - مطبعة
دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الدكن - الهند .
- ١٣٣ - طبقات الشافعية - لأبي بكر هداية الله الحسيني المتوفى سنة / ١٠١٤ هـ
تحقيق عادل نويهض - الطبعة الاولى / ١٩٧١ م / دار الآفاق
الحديثة - بيروت - لبنان .

- ١٣٤ - طبقات الشافعية - لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى سنة
٧٧٢/هـ - تحقيق عبد الله الجبوري - طبعة / ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
دار العلوم - الرياض - السعودية .
- ١٣٥ - طبقات الشعراء - لابن المعتز عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم
ابن هارون الرشيد المتوفى سنة / ٢٩٦ هـ - تحقيق عبد الستار أحمد
فراج - الطبعة الثالثة - / ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م - دار المعارف - مصر .
- ١٣٦ - طبقات الصوفية - لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بسن
موسى السلمي - المتوفى سنة / ٤١٢ هـ .
- ١٣٧ - طبقات علماء إفريقية - لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي -
دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ١٣٨ - طبقات علماء إفريقية - لمحمد بن الحارث بن أسد الخشني - دار الكتاب
اللبناني .
- ١٣٩ - طبقات علماء تونس - لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم - التميمي - دار
الكتاب اللبناني - بيروت - وهذه الكتب الثلاثة مطبوعة في مجلد واحد .
- ١٤٠ - الطبقات الكبرى - لابن سعد محمد بن منيع الزهري المتوفى سنة / ٢٣٠ هـ
دار صادر - بيروت - لبنان .
- ١٤١ - الطبقات الكبرى - لابن سعد - القسم المتم لتابعي أهل المدينة -
تحقيق د . زياد محمد منصور - الطبعة الاولى / ١٤٠٣ هـ - مطابع
الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة .
- ١٤٢ - طبقات المفسرين - لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي -
المتوفى سنة / ٩٤٥ هـ - تحقيق علي محمد عمر - الطبعة الأولى -

- سنة / ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م / مطبعة الاستقلال الكبرى - مصر -
الناشر : مكتبة وهبة - القاهرة .
- ١٤٣- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام - سليمان
بن حمد العودة - الطبعة الاولى / ١٤٠٥ هـ - غدار طيبة للنشر -
الرياض - السعودية .
- ١٤٤- عبد الله بن المقفع - محمد غفراني الخراساني - الدار القومية للطباعة
القاهرة - ومطبعة العالم العربي - القاهرة .
- ١٤٥- العبر في خبر من غير - للذهبي المتوفى سنة / ٧٤٨ هـ - تحقيق
أبي المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - الطبعة الاولى سنة
/ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .
- ١٤٦- العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي - د . توفيق الطويل - مطابع
الشعب - نشر دار النهضة العربية - القاهرة .
- ١٤٧- العصر العباسي الاول - د . شوقي ضيف (سلسلة تاريخ الأدب العربي)
الطبعة الثامنة - دار المعارف القاهرة .
- ١٤٨- العصر العباسي الاول - د . عبد المنعم ماجد - الطبعة الثانية سنة
/ ١٩٧٩ م - دار وهدان للطباعة - نشر مكتبة الانجلو بالمصرية القاهرة
- ١٤٩- عظامونا في التاريخ - د . مصطفى السباعي - المكتب الإسلامي - بيروت -
دمشق .
- ١٥٠- عقائد السلف (أحمد بن حنبل - والبخارى - والدارمي - وابن قتيبة)
جمع الدكتور علي سامي النشار وعمار الطالبي - شركة الاسكندرية

للطباعة والنشر - مكتبة الآثار السلفية - الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية

١٥١- عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان - لمحمد بن يوسف الصالحي

الدمشقي الشافعي المتوفى سنة /٩٤٢ هـ - مطبعة المعارف الشرقية

/١٣٩٤ هـ (ج يم برنتنك بريمن) الهند .

١٥٢- الملوللعللي الغفّار للذهبي المتوفى سنة /٧٤٨ هـ - الطبعة الأولى

/١٣٣٢ هـ - مطبعة المنار - مصر .

١٥٣- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - المتوفى

سنة /٢٧٦ هـ - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - المؤسسة المصرية

العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة .

١٥٤- عيون الأنباء في طبقات الأطباء - لابن أبي أُصيعة موفق الدين أحمد

ابن قاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزر جي - المتوفى سنة /٦٦٨ هـ

تحقيق د . نزار رضا - طبعة /١٩٦٥ م - دار مكتبة الحياة بيروت لبنان .

١٥٥- فتح الباري بشرح صحيح البخارى - لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني

المتوفى سنة /٨٥٢ هـ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ومحب الدين

الخطيب - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

١٥٦- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم -

(الفرد بل) ترجمة عن الفرنسية - د . عبد الرحمن بدوي - الطبعة

الثانية / ١٩٨١ م - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان .

١٥٧- الفرق بين الفرق - لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني

التصفي المتوفى سنة /٤٢٩ هـ - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

دار المعرفة بيروت . لبنان .

- ١٥٨- الفروق - للقرافي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي - طبعة سنة /١٣٤٧ هـ - دار المعرفة - بيروت.
- ١٥٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل - لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري المتوفى سنة /٤٥٦ هـ - تحقيق د. محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة - الطبعة الاولى /١٤٠٢ هـ /١٩٨٢ م - دار عكاظ للطباعة والنشر - جدة - شركة مكبات عكاظ للنشر والتوزيع - السعودية .
- ١٦٠- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال - لمحمد بن أحمد بن محمد بن رشيد أبي الوليد المعروف بابن رشيد المتوفى سنة /٥٩٥ هـ - تحقيق د. أبو عمران الشيخ والدكتور جلول البدوي - مطابع الشركة الوطنية - الجزائر .
- ١٦١- فضائح الباطنية - لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة /٥٠٥ هـ - تحقيق عبد الرحمن بدوي - طبعة /١٣٨٢ هـ /١٩٦٤ م - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .
- ١٦٢- الفقه الأكبر في التوحيد - لأبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة /١٥٠ هـ - الطبعة الثالثة - مكتبة محمد علي صبيح - ميدان الأزهر القاهرة .
- ١٦٣- الفقه الأكبر في التوحيد لمحمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة /٢٠٤ هـ - الطبعة الثالثة - مكتبة محمد علي صبيح - ميدان الأزهر القاهرة . والفقهان مطبوعان في مجلد واحد .
- ١٦٤- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري

- العاشر الميلادي - عبد المجيد الشرفي - طبعة / ١٩٨٦ م - الدار
التونسية للنشر - تونس - والمؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر .
- ١٦٥ - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي - محمد بن الحسن الحجوى
الشعالبي الفاسي - المتوفى سنة / ١٣٧٦ هـ - تحقيق عبد العزيز
عبد الفتاح القارىء . المكتبة العلمية للنمكاني - المدينة المنورة .
- ١٦٦ - الفلسفة - أنواعها ومشكلاتها - هنتر ميد - ترجمة د . فؤاد زكريا -
الطبعة الثانية / ١٩٧٥ م - دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة .
- ١٦٧ - الفلسفة في الإسلام - دراسة ونقد - د . عرفان عبد الحميد - دار
التربية - بغداد .
- ١٦٨ - الفهرست لابن النديم محمد بن إسحق النديم أبي الفرج المتوفى سنة
/ ٣٨٥ هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ١٦٩ - فوات الوفيات - محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن
هارون الطقب بصلاح الدين - المتوفى سنة / ٧٦٤ هـ . تحقيق
الدكتور إحسان عباس - طبعة / ١٩٧٣ م - دار صادر - بيروت .
- ١٧٠ - في التاريخ العباسي والفاطمي - د . أحمد مختار العبادي - دار
النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت لبنان طبعة / ١٩٧١ م .
- ١٧١ - في تاريخ المغرب والأندلس - د . أحمد مختار العبادي - مؤسسة
الثقافة الجامعية - الاسكندرية - مصر .
- ١٧٢ - القاموس المحيط - لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي -
الشيرازي المتوفى سنة / ٨١٧ هـ - الطبعة الثانية / ١٣٤٤ هـ -

- المطبعة الحسينية المصرية - ودار الفكر - بيروت - لبنان .
- ١٧٣- الكافي في الأصول للكليبي أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني
الرازي المتوفى سنة ٢٢٨ هـ - ٢١٧/٢ - ط الثالثة ١٣٨٨ هـ .
- ١٧٤- الكامل في التاريخ - لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجرجي
الطبع بعز الدين - المتوفى سنة / ٦٣٠ هـ - الطبعة الخامسة سنة
/ ١٤٠٥ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ١٧٥- كتاب الكندي إلى المعتصم في الفلسفة الأول - للكندي يعقوب ابن إسحق
المتوفى سنة / ٢٥٢ هـ - تحقيق أحمد فؤاد الأهواني - طبعة / ١٩٤٨ /
القاهرة .
- ١٧٦- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي التهانوي - صححه مولوى محمد
وجيه - ومولوى عبد الحق - ومولوى غلام قادر .
- ١٧٧- الكلام والفلسفة - د . عادل العوا - طبعة / ١٣٨١ هـ - م / ١٩٦١ -
مطبعة جامعة دمشق - سوريا .
- ١٧٨- لباب التأويل في معاني التنزيل - لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي
المعروف بالخازن - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ١٧٩- لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول - لأبي الحجاج
يوسف بن محمد السكلاطي المتوفى سنة / ٦٢٦ هـ - تحقيق د . خوقية
حسين محمود الطبعة الاولى / ١٩٧٧ م - توزيع دار الأنصار - القاهرة .
- ١٨٠- لسان العرب - لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي

- المصرى - المتوفى سنة /٧١١ هـ - دار صادر - بيروت - لبنان .
- ١٨١ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية - لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي - الطبعة الثانية / ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م - مؤسسة الخافقين - دمشق - سوريا .
- ١٨٢ - الليث بن سعد - د . عبد الحليم محمود - (سلسلة الاعلام) مطابع الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة .
- ١٨٣ - مجموعة التوحيد لعدد من العلماء كابن تيمية وابن عبد الوهاب وغيرهما وفيها ست عشرة رسالة - المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
- ١٨٤ - مجموع الفتاوى - لابن تيمية المتوفى سنة /٧٢٨ هـ إدارة المساحة العسكرية - القاهرة - طبعة الملك فهد بن عبد العزيز - توزيع الرئاسة العامة للدعوة والافتاء - الرياض - السعودية .
- ١٨٥ - محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي - الناسخ زين الدين ابن تقي الدين بن عبد الرحمن الخطيب - تحقيق شبيب أرسلان - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر .
- ١٨٦ - المحن - لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي - المتوفى سنة /٣٣٣ هـ - تحقيق د . يحيى وهيب الجبوري - الطبعة الاولى سنة /١٤٠٣ هـ - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان .
- ١٨٧ - مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعظلة - محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة /٧٥١ هـ اختصره محمد بن الموصولي - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - السعودية

- ١٨٨ - مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية شرح الدرّة المضيئة
في عقد الفرقة المرضية - لمحمد بن الحاج أحمد بن سالم السفاريسي
المتوفى سنة / ١١٨٩ هـ - اختصره محمد علي بن سلوم المتوفى
سنة / ١٢٤٦ هـ - تحقيق محمد زهري النجار - مطبعة المدني -
شارع العباسية - القاهرة .
- ١٨٩ - مختصر نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطلق اليونان - لابن تيمية
اختصار السيوطي - وتعليق د . علي سامي النشار - الطبعة الاولى
سنة / ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م - مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر .
- ١٩٠ - المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام - د . محمد
عبد الستار أحمد نصار - الطبعة الاولى / ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م -
مطبعة التقدم - مصر - توزيع دار الانصار .
- ١٩١ - المذاهب الإسلامية - محمد أبوزهرة - مطبعة الآداب - القاهرة .
- ١٩٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان - لأبي
محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي
المتوفى سنة / ٧٦٨ هـ - الطبعة الثانية / ١٣٩٠ هـ - مطبعة
دائرة المعارف النظامية - حيدرآباد - الهند .
- ١٩٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن علي بن الحسين بن
علي المسعودي المتوفى سنة / ٣٤٦ هـ - تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد - دار المعرفة بيروت - لبنان .
- ١٩٤ - الميزان - لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمد بن
الحنفية المعروف بالشمراني المتوفى سنة / ٩٧٣ هـ - الطبعة الثانية

- سنة / ١٣٢٩ هـ - مطبعة التقدم العلمية - شارع الحلوجي - قريباً من
الساحة الأزهرية - مصر .
- ١٩٥ - مسار الدعوة في العهد المكي - د . محمد إبراهيم الجيوشي - مطبعة
حسان مصر .
- ١٩٦ - سند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة / ٢٤١ هـ المكتب الإسلامي
ودار صادر - بيروت .
- ١٩٧ - مصارعة الفلاسفة - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - المتوفى سنة
/ ٥٤٨ هـ - تحقيق د . سهير محمد مختار - الطبعة الأولى / ١٩٧٦ م
مطبعة الجبلاوى - مصر .
- ١٩٨ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - للرافعي أحمد بن محمد بن
علي المقرئ الفيومي - المتوفى سنة / ٧٧٠ هـ - الطبعة الخامسة سنة
/ ١٩٢٢ م المطبعة الأميرية - القاهرة .
- ١٩٩ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - حافظ بن أحمد
الحكي - طبعة الرئاسة العامة للافتاء / ١٣٧٧ هـ - الرياض - السعودية
- ٢٠٠ - المعارف - لابن قتيبة المتوفى سنة / ٢٧٦ هـ تحقيق د . ثروت عكاشة
الطبعة الثانية / ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م - دار المعارف مصر .
- ٢٠١ - معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى - عبده فراج - الطبعة الأولى
سنة / ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م - المطبعة الفنية الحديثة مصر - توزيع
مكتبة الانجلو المصرية .
- ٢٠٢ - معجم البلدان - لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي
الرومي البغدادي - المتوفى سنة / ٦٢٦ هـ - دار صادر - ودار بيروت.

- ٢٠٣ - معجم مقاييس اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى
سنة / ٣٩٥ هـ / ١٩٧٩ م - دار الفكر للطباعة والنشر .
- ٢٠٤ - المعجم الوسيط - د . إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحلیم منتصر
والدكتور عطية الصوالحي والدكتور خلف الله أحمد .
- ٢٠٥ - المغرب عبر التاريخ - د . إبراهيم حركات - الطبعة الاولى / ١٣٨٤ هـ
- / ١٩٦٥ م - دار السلي - الدار البيضاء - المغرب .
- ٢٠٦ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - لأحمد بن
مصطفى الشهير ب طاش كبرى زاده - تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب
أبي النور - مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة توزيع دار الكتب
الحديثة - مصر .
- ٢٠٧ - مقاصد الفلاسفة - لأبي حامد الفزالي المتوفى سنة / ٥٠٥ هـ - تحقيق
د . سليمان دنيا - الطبعة الثانية - دار المعارف - مصر .
- ٢٠٨ - مقالات في أصالة الفكر المسلم - د . فوقية حسين محمود - الطبعة
الأولى / ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م - مطابع دار الشعب - القاهرة - ملتزم
الطبع - دار الفكر العربي .
- ٢٠٩ - المقدمة - لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي - دار
الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢١٠ - الملل والنحل - لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد
الشهرستاني المتوفى سنة / ٥٤٨ هـ - تحقيق محمد سيد كيلانسي -
الطبعة / ١٣٩٦ هـ . مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

- ٢١١- مناقب أبي حنيفة و صاحبيه - للذهبي المتوفى سنة /٧٤٨ هـ - تحقيق محمد زاهد الكوثري وأبي الوفا الأفغاني - مطبعة دار الكتاب العربي مصر . الناشر لجنة احياء المعارف النعمانية - حيدرآباد - الهند .
- ٢١٢- مناقب أحمد بن حنبل - لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة / ٥٩٧ هـ - تحقيق د . عبد الله عبد المحسن التركي - قابل نسخة وصححه د . علي محمد عمر - الطبعة الأولى / ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م الناشر مكتبة الخانجي - مضر .
- ٢١٣- مناقب مالك - عيسى بن سعود الزواوي - دار الفكر - ١٣٩٨ / هـ - بيروت - وهو مطبوع في مقدمة كتاب المدونة الكبرى لمالك بن أنس .
- ٢١٤- مناهج الأدلة في عقائد الملة - لابن رشد المتوفى سنة / ٥٩٥ هـ - الطبعة الثانية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
- ٢١٥- مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي - د . علي سامي النشار - الطبعة الرابعة / ١٩٧٨ م - دار المعارف - مصر .
- ٢١٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية - لابن تيمية - طبعة / ١٣٢٢ هـ - المطبعة الكبرى الأميرية - الناشر مكتبة الرياض الحديثة
- ٢١٧- المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الإمام أحمد - لأبي اليمن مجير الدين عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن العليبي - المتوفى سنة / ٩٢٨ هـ - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة الاولى / ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م - مطبعة المدني - المؤسسة السعودية - مصر .

- ٢١٨ - موقف المعتزلة من السنة النبوية - د . أبو لبابة حسين - الطبعة الأولى
١٣٩٩/ هـ - دار اللواء - الرياض - السعودية .
- ٢١٩ - النجاة (مختصر الشفاء) لأبي علي الحسين بن سينا المتوفى
سنة /٤٢٨ هـ - طبعة /١٣٣١ هـ - مطبعة السعادة - بجوار محافظة
مصر .
- ٢٢٠ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لجمال الدين أبي المحاسن
يوسف بن تغرى بردى الأتابكي المتوفى سنة /٨٧٤ هـ - طبعة
١٣٨٣ هـ - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
القاهرة - صورة عن طبعة دار الكتب .
- ٢٢١ - نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر - لابن حجر
العسقلاني - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢٢٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر - لمجد الدين أبي السعادات المبارك
بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير المتوفى سنة /٦٠٦ هـ تحقيق
طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناجي - دار احياء التراث العربى
بيروت لبنان - الناشر : المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض
الشيخ .
- ٢٢٣ - الوافى بالوفيات - صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى - طبعة
/١٤٠١ هـ ١٩٨١ م - جمعية المستشرقين الألمانية - دار النشر:
فرانز شتايز بفسهاون .
- ٢٢٤ - الورع - للامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة /٢٤١ هـ

٢٢٥- الوزراء والكتاب - لأبي عبد الله محمد بن عبدوسي الجهشياري المتوفى
سنة / ٣٣١ هـ - تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد
الحفيظ شلبي - الطبعة الاولى / ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م - مطبعة
مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

٢٢٦- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة - موسى جارالله - الطبعة الاولى /
سنة / ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م - الناشر : سهيل اكيديي - لاهور
باكستان .

٢٢٧- وفيات الأعيان وأنبياء ابناؤ الزمان - لأبي العباس شمس الدين أحمد
ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة / ٦٨١ هـ . تحقيق
د . إحسان عباس - طبعة / ١٣٩٨ هـ - دار صادر - بيروت - لبنان .
٢٢٨- الولاء والبراء في الاسلام - محمد بن سعيد بن سالم القحطاني -
الطبعة الثانية / ١٤٠٤ هـ - دار طيبة - الرياض - السعودية .

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
٢	المقدمة
٥	التمهيد
	<u>الباب الأول : المدارس الدعوية وخصائصها -</u>
١	الفصل الأول : نشأة المدارس -
٣	أولا : مدرسة الحجاز : نشأتها ورجالها -
٤	أشهر رجال المدرسة -
	ثانيا : مدرسة العراق :
١١	أ - الكوفة
١٥	ب - البصرة
١٧	ج - بغداد
٢٠	ثالثا : مدرسة الشام : النشأة والتأسيس العلمي -
٢٥	رابعا : مدرسة مصر -
٢٩	خامسا : مدرسة شمال أفريقية -
٣٠	رجال المدرسة ونشاطهم في الدعوة -
٣٣	سادسا : مدرسة الأندلس -
٣٨	الفصل الثاني : اتجاهات المدارس وخصائصها
٣٨	أولا : التمسك بالسنة والآثار -
٤٥	احتكامهم الى الكتاب والسنة -
٤٩	تحذير أهل الأثر من الرأي -

الصفحة	العنوان
٥١	ثانيا : الأخذ بالرأى -
٥٣	نشأة الرأى -
٥٦	متى يلجأون الى الرأى -
٦٠	موقف رجال الرأى من النص -
٦٦	ثالثا : الاجتهاد في العبادة -
٧٥	الجانب الشعورى في العبادة -
٧٥	الخوف من الله تعالى -
٨٠	نموذج من خوف الخلفاء -
٨٠	خشية الله تعالى رأس العلم -
٨٣	الرجاء -
٨٩	محبة الله تعالى -
٩٤	رابعا : الزهد والتقلل -
٩٨	حقيقة الزهد -
١٠٠	الزهد عن ملك -
١٠١	من أسباب قوة النزعة -
١٠١	ضرورة الزهد في حياة الدعوة -
١٠٣	وجوه الزهد وأقسامه :
١٠٥	زهدهم في الجاه والشهرة -
١٠٨	زهدهم في القضاء والمناصب -
١٢٠	زهدهم في عطايا السلاطين -
١٢٣	من ثمار الزهد -

الصفحة	المسئول
١٢٥	الفصل الثالث : جهود المدارس الدعوية
١٢٥	نصح الولاة قبل عصرنا -
١٢٩	نصح رجال المدارس للخلفاء -
	أفكار النصح : -
١٢٩	أولا : التمسك بالكتاب والسنة واقامة العدل -
١٣٥	ظهور الظلم لا يمنع من النصح -
١٣٧	ثانيا : التذكير بالمسئولية وتفقد احوال الأمة -
١٤١	ثالثا : الأمر باتخاذ البيطانة الصالحة -
١٤٣	رابعا : الترغيب في التواضع -
١٤٥	خامسا : التذكير بالحساب والتخويف من العذاب -
	سادسا : جهود دعوية أخرى :
١٤٩	الحرص على العلم والعمل -
١٥٠	اعزاز العلم وصونه -
١٥١	دفاعهم عن الصحابة -
١٥٣	سبب الاكثار من نصح الولاة -
١٥٧	سبب ابراز نصح العلماء للخلفاء -
١٥٧	نصح رجال المدارس للامة -
	أفكار النصح وطريقته : -
١٥٨	أولا : الأمر بالتوحيد ومكارم الأخلاق -
١٦٠	الوصية بتقوى الله والحياء منه -
١٦٢	ثانيا : تفسير المنكر وازالته -

الصفحة	العنوان
١٦٥	ثالثا : التعليم بالقدوة -
١٧٠	رابعا : أخذ العبرة من مضي والتزود للأخرة -
١٧٤	<u>الباب الثاني : موقف الدعوة من الفرق -</u>
١٧٤	التفرق وطبيعته العامة
١٧٧	الفصل الأول : مجابهة دعاة الأمة للتشيع المذهبي
١٧٩	تأثر الشيعة باليهودية -
١٨٢	جهود الدعوة في نقض التشيع -
١٨٢	أولا : الردود الاجمالية المتنوعة -
١٨٢	١- التمسك بالسنة والتحذير من التشيع -
١٨٦	٢- كشف أرباب التشيع وشبههم
١٩٠	٣- مقاومة أهل التشيع باللسان واليد -
١٩٣	٤- مقاومة الخلفاء السنيين للتشيع -
١٩٤	٥- حكم التشيع في نظر الدعوة -
١٩٩	٦- التحري في الحكم على من يتهم بالتشيع -
٢٠٢	ثانيا : النقض التفصيلي -
٢٠٢	أ- ابطال الحلول والتناسخ -
٢٠٤	ب- رد فكرة الرجعية -
٢٠٥	ج- بطلان فكرة البداء -
٢٠٧	د - تهافت القول بالنقص في القرآن -
٢٠٩	هـ- الرد على سبهم الصحابة -
٢١٢	من أساليب الدعوة في الرد على هذه المشكلة

الصفحة	العنوان
٢١٦	و-الرد على فكرة الامامة -
٢٢٤	ز-نقض مبدأ التقية -
٢٢٧	ح-رد بعض الأخطاء في الفروع-
٢٢٧	نكاح المتعة -
٢٣٥	الفصل الثاني : مقاومة الدعوة للخوارج-
٢٣٥	أ- أصل الخوارج وبداية ظهورهم -
٢٣٩	ب- تكوين الخوارج وطابعهم -
٢٤٠	ج- فرق الخوارج وآراؤهم -
٢٤٢	د- أبرز بدعهم -
٢٤٣	هـ- أساليب مواجهة الدعوة للخوارج -
٢٤٣	١- المقاومة بالكلمة -
٢٤٧	-المقاومة بالحيلة -
٢٤٩	-مقاومة الأفكار تفصيلا -
٢٤٩	-فكرة الخلافة عند الخوارج -
٢٥٠	-موقف الأئمة من الخلافة -
٢٥٥	-مبدأ التكفير عند الخوارج -
٢٥٥	-تصدى الدعوة لهذه المشكلة -
٢٥٨	-موقف* أحمد بن حنبل من هذه المشكلة
٢٦٠	-انكارهم للشفاعة في العصاة -
٢٦٣	-قضية التحكيم في نظرهم-
٢٦٥	٢- المقاومة بالسيف -
٢٧٢	-طبيعة مقاومة الخلفاء للخوارج-

الصفحة	المسئوان
٢٧٦	الفصل الثالث : الدعوة والاعتزال -
٢٧٦	ظهور الاعتزال -
٢٧٧	أصول المعتزلة -
٢٧٩	أبرز شيوخ الاعتزال -
٢٨٢	العلاقة بين المعتزلة والجهمية -
٢٨٢	أفكار الاعتزال : أولا : فكرة القدر -
٢٨٥	انتقال الفكرة الى المعتزلة -
٢٨٥	رد تلك الفكرة :-
٢٨٦	أ- موقف الصحابة منها -
٢٨٧	ب- اثبات القدر عند رجال السلف -
٢٩١	ج- خلق أفعال العباد -
٢٩٥	د- المناظرات للأنصار -
٣٠٣	هـ- التأليف للرد -
٣٠٥	و- ذم القدرية على أسنة الدعوة -
٣٠٧	ز- الحكم عليهم -
٣١٠	ح- رد شهادتهم وترك الصلاة خلفهم -
٣١٢	ثانيا : الصفات :-
٣١٣	أ- موقف علماء السلف من الصفات -
٣١٥	ب- اثبات السلف لصفة الكلام -
٣١٧	ج- مشكلة القول بخلق القرآن -
٣١٨	د- أصل الفكرة -

الصفحة	المسئوان
٣١٨	٢- موقف الدعوة من المشكلة -
٣٢٢	٣- الإنكار على اللفظية -
٣٢٣	٤- موقف الخلفاء من المشكلة -
٣٢٢	٥- نهاية المحنة -
٣٢٣	د- المناظرات في إثبات الصفاة -
٣٥٠	هـ- حكم من يقول بخلق القرآن -
٣٥٣	و- موقف المعتزلة من الصفاة (الموهمة) -
٣٥٤	ز- موقف السلف من هذه الصفاة -
٣٦٢	ثالثا : رؤية الله تعالى في الآخرة -
٣٦٢	موقف رجال السلف من ذلك -
٣٦٩	رابعا : مشكلة مرتكب الكبيرة -
٣٧٠	رد علماء السلف على هذه المشكلة -
٣٧٣	خامسا : الطعن في الصحابة -
٣٧٣	موقف رجال السلف من المشكلة -
	<u>الباب الثالث :</u>
٣٧٧	الدعوة في مجابهة الثقافات والتيارات المتعددة
٣٧٧	الفصل الأول :
٣٧٧	وجهة الدعوة في مقاومة البدع -
٣٧٧	أ- تعريف البدعة -
٣٨٣	ب- ذم البدع عامة -
٣٨٣	١- المقاومة الإجمالية -
٣٨٩	٢- المقاومة التفصيلية -

المصنفون

المصنفون	المصنفون
	بدع الأحكام منها : -
٣٩١	أ- ما يتعلق بالعبادة -
٣٩١	- احداث تغيير في مواقيتها -
٣٩٤	- القراءة بالألحان -
٣٩٨	- قراءة سورة معينة في ركعة مرارا -
٣٩٩	- التكبير بعد الصلاة -
٤٠٠	ب- البدع في المساجد -
٤٠٠	- القصص -
٤٠٤	ج- بدعة التفسير -
٤٠٦	د- نكاح المتعة -
٤٠٦	هـ- بدع في اللباس والزينة -
٤٠٨	و- بدعة التحيل على أحكام الشريعة -
٤١٣	ز- البدع في أحكام الأموال والانفاق -
٤١٤	- الإسراف في إنفاق المال -
٤٢٣	- موقف الأئمة من هذه البدعة -
٤٢٥	٣- ترفع الدعوة عن مخاصمة أهل البدع -
٤٢٩	٤- ملخص أساليب المقاومة -
	الفصل الثاني :
٤٣٠	التصدي لأفكار الملاحدة والزندقة -
٤٣٠	١- معنى كلمة (الزندقة) -
٤٣٢	٢- أسباب انتشار الزندقة -

الصفحة	العنوان
٤٨٣	٨- علم الكلام وصلته بالفلسفة -
٤٨٤	أ- تعريف علم الكلام -
٤٨٦	ب- سبب تسميته علم الكلام -
٤٨٨	ج- موقف أئمة السلف من علم الكلام -
٤٩٢	د - حكمهم على أهل الكلام -
٤٩٣	هـ - حث السلف على منهج القرآن -
٤٩٥	و- الكلام المذموم عند السلف -
٤٩٥	ز- أضرار الكلام المذموم -
٤٩٨	الختام -
٥٠٠	فهرس المصادر والمراجع القديمة والحديثة حسب حروف الهجاء -
٥٣٦	فهرس الموضوعات -